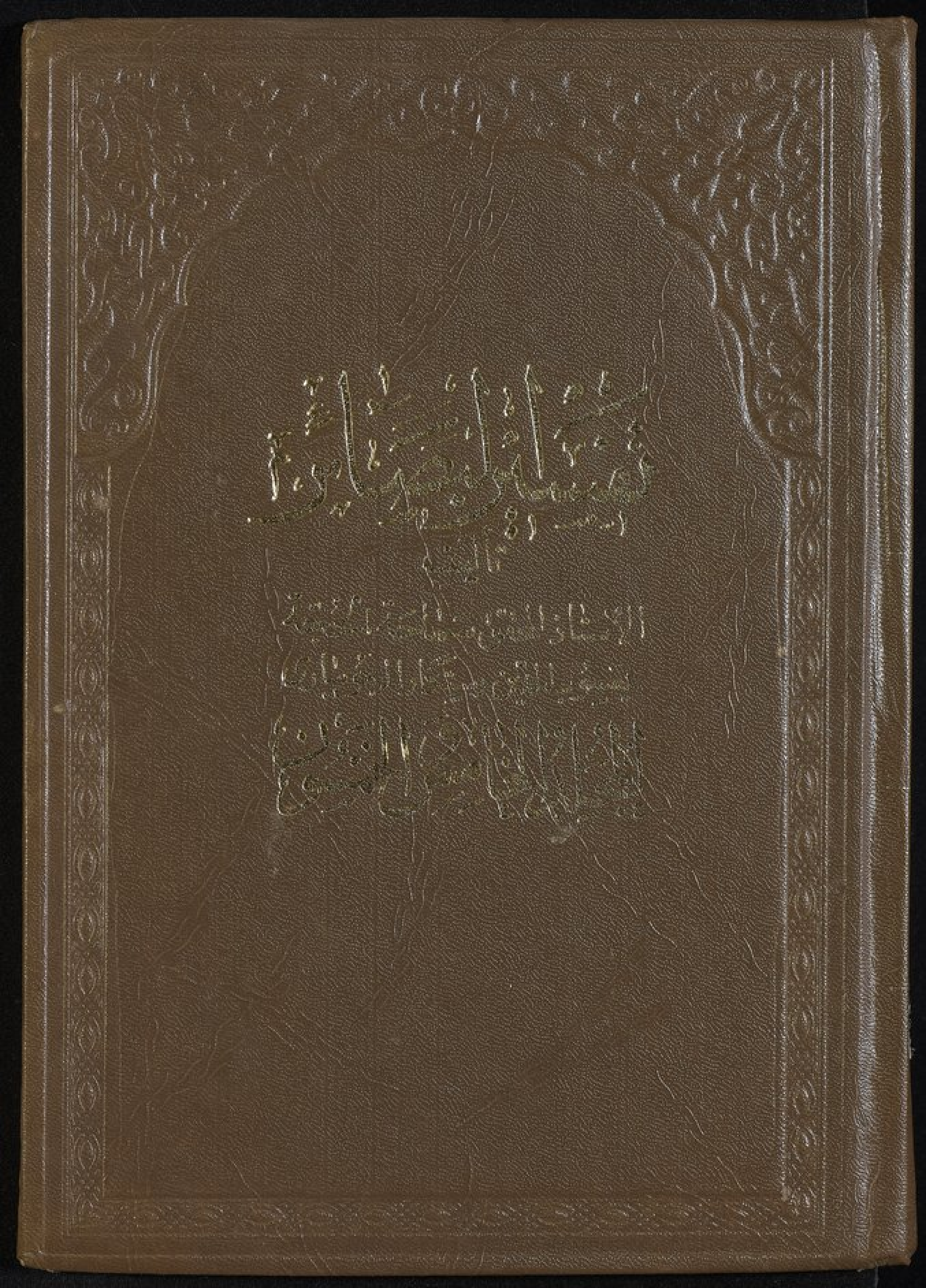
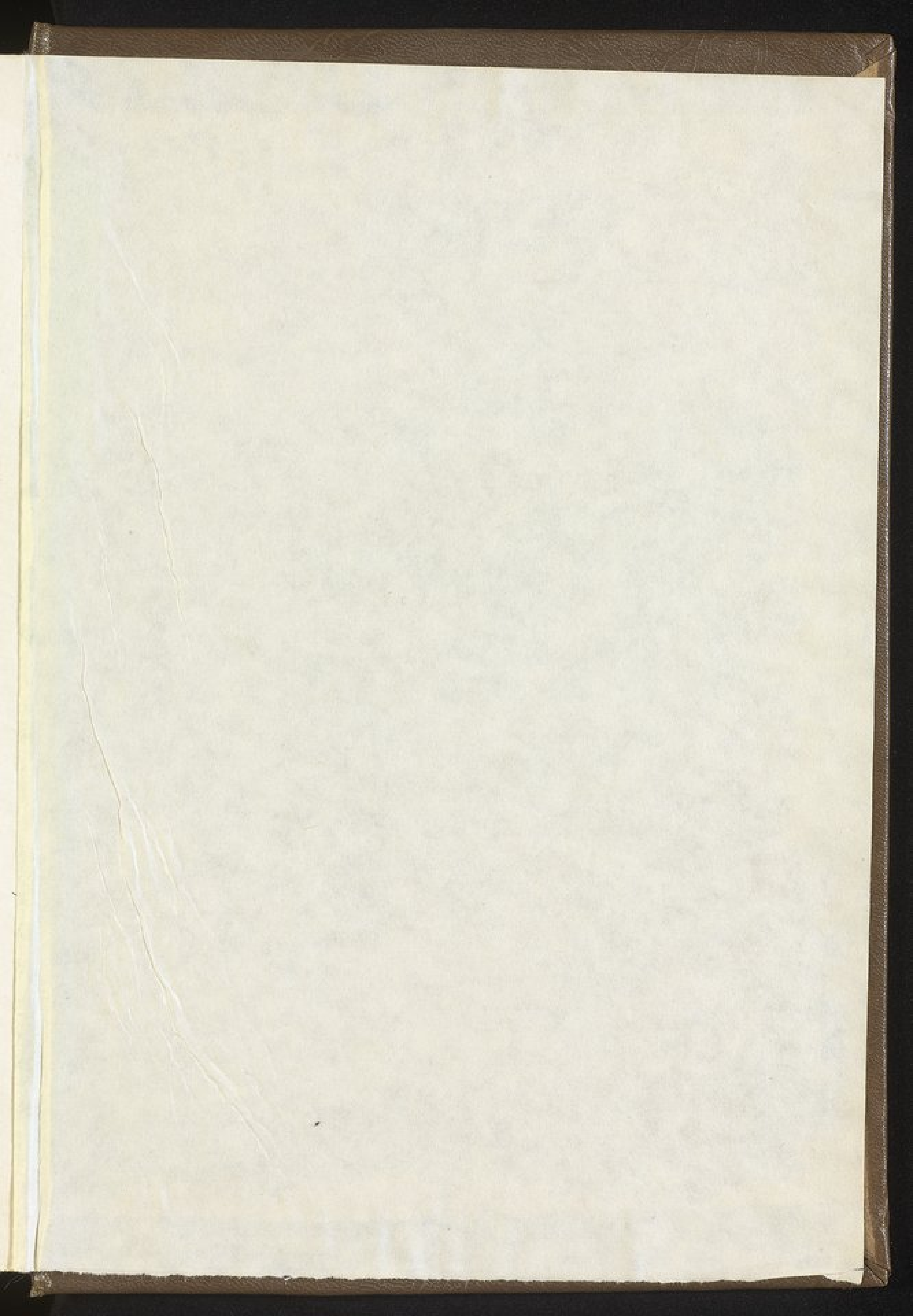
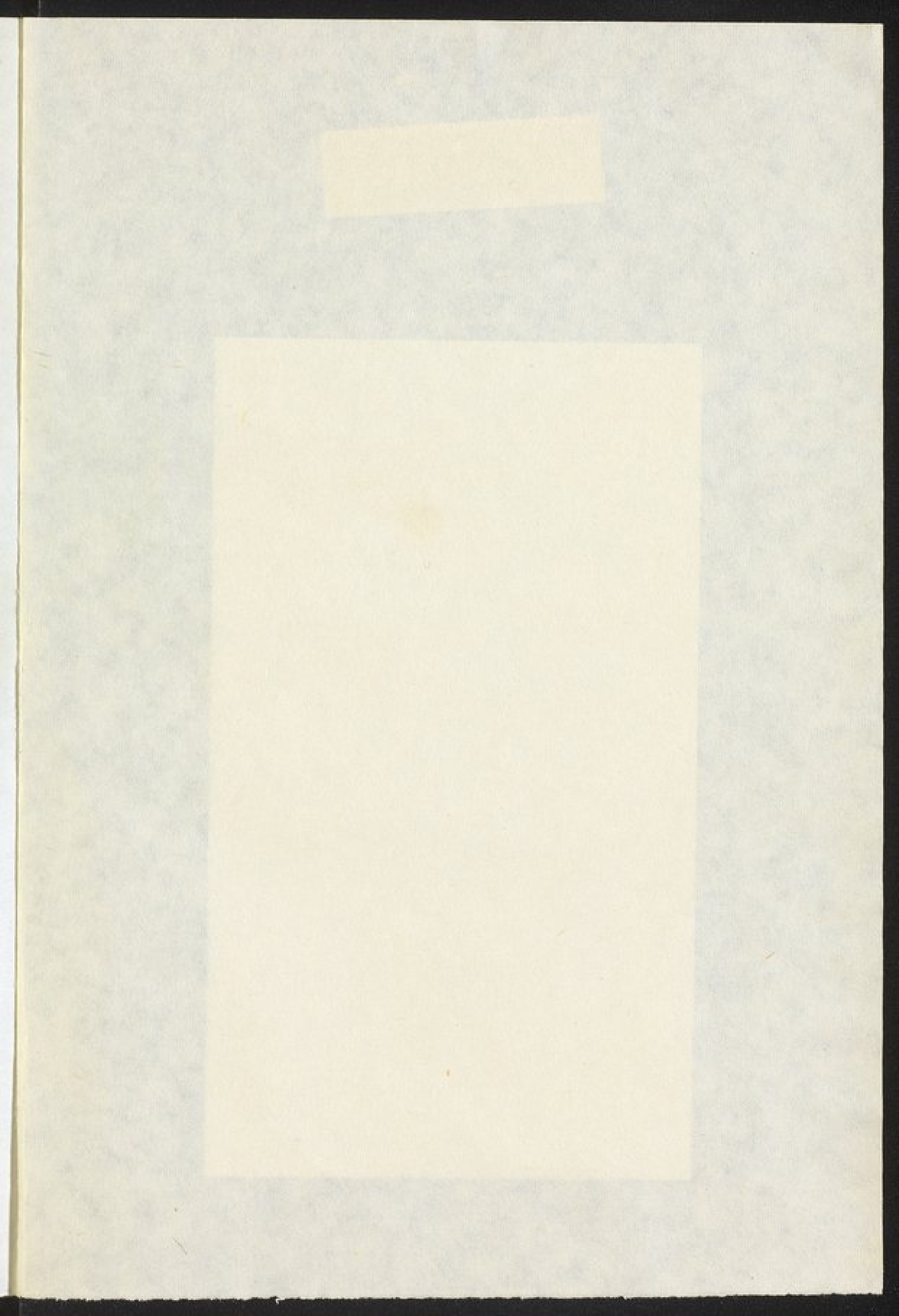








Jūybārī

المجلد الخامس والخمسون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

الأستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستگارا الجويباری

ایران - قم

١٤٠٣ هـ ق = ١٣٦٢ هـ ش

سورة الغاشية مكية وآياتها ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتىك حديث الغاشية (١) وجوه يومئذ خاشعة (٢) عاملة ناصبة (٣) تصلى نارا
حامية (٤) تسقى من عين آنية (٥) ليس لهم طعام إلا من ضريع (٦) لا يسمن ولا يغني من جوع
(٧) وجوه يومئذ ناعمة (٨) لسعيها راضية (٩) في جنة عالية (١٠) لا تسمع فيها لاغية (١١) فيها
عين جارية (١٢) فيها سرر مرفوعة (١٣) وأكواب موضوعة (١٤) ونمارق مصفوفة (١٥) وزرابي مبثوثة (١٦)
أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت (١٧) وإلى السماء كيف رفعت (١٨) وإلى الجبال
كيف نصبت (١٩) وإلى الأرض كيف سطحت (٢٠) فذكر إنما أنت مذكر (٢١) لست عليهم
بمصيطر (٢٢) إلا من تولى وكفر (٢٣) فيعذبه الله العذاب الأكبر (٢٤) إن إلينا إيابهم (٢٥)
ثم إن علينا حسابهم (٢٦)



بسم الله الرحمن الرحيم

قد جآءكم بصآئر من ربكم
فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها
الأنعام : ١٠٤

كتاب علمي ، فني ، أدبي ، فقهي ، ديني ، تاريخي ، أخلاقي ، اجتماعي ، سياسي روائي حديث يفسر القرآن بالقرآن مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه ، وأسراره الكونية والتشريعية ، وفريد في بابه ، يبحث فيه عن العقل والنقل

«فضلها و خواصها»

روى الصدوق رحمة الله تعالى عليه فى ثواب الاعمال باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: من أدمن قراءة « هل أتاك حديث الغاشية » فى فريضة أو نافلة غشّاه الله برحمته فى الدنيا والآخرة ، وآتاه الله الا من يوم القيامة من عذاب النار .

أقول: رواه الطبرسى فى المجمع ، و البحرانى فى البرهان ، والحويزى فى نورالثقلين ، والمجلسى فى البحار إلا أن فى « المجمع » : « نوافله » بدل «نافلة» و «أعطاه» بدل «آتاه الله» .

و ذلك ان من قرأها متدبراً فيما تحويه من احوال الناس يوم القيامة ، و تحزبهم بحزبين: حزب الرحمن وهم يوم القيامة بياض الوجوه ، راضوا السعى الذين هم من فزع يومئذ آمنون، و حزب الشيطان ، وهم سواد الوجوه الذين تحيط بهم أهوال القيامة و فزعها وما تحويه من مآل أمر الحزبين : من جميل الثواب ، و شديد العذاب ، فتذكّر بذكراها فمن غير مراء يغشاه الله عزوجل برحمته فى الحياة الدنيا والدار الاخرة ، وآتاه الامن يومئذ من اهواله وشدائده و من عذاب النار ، فعليكم أيها الناس بالقراءة و التدبر والايمان و العمل ليرحمكم الله عزوجل فى الدنيا والاخرة .

قال الله تعالى: « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون» الانعام : ١٥٥) .

و قال : « و أما الذين ابيضّت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون » آل عمران : ١٠٧)

و قال : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم و أنزلنا إليكم نوراً مبيناً فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً » النساء : ١٢٤-١٧٥)

وقال: «ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون - قل إنما أتبع ما يوحى إلىّ من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى و رحمة لقوم يؤمنون » الاعراف : ١٥٦-٢٠٣)

وقال : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً و سبحوه بكرة و اصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيماً» الاحزاب : ٤١-٤٣)

وقال: «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة و علماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم و ذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات و من تق السيئات يومئذ فقد رحمته و ذلك هو الفوز العظيم » غافر : ٧-٩)

و قال : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ٨٩)

و فى المجمع : ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « من قرأها حاسبه الله حساباً يسيراً»

أقول: إن الرواية و إن كانت مردودة من جهة السند لمكان أبى بن كعب لاشأن له عند أصحابنا الشيعة الامامية الاثنى عشرية ، و لكنها مقبولة من جهة الدلالة لانها مؤيدة بمضامين السورة والآيات القرآنية منها :

قوله عزوجل : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً» الطلاق : ٤)

و قولـه : « فأمـا من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابـاً يسيراً » الانشقاق : ٧ـ ٨)

و فى البرهان : روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انـه قال : من قرأ هـذه السورة حاسبه الله حساباً يسيراً ، و من قرأهـا على مولود بشراً و غيره صارخ أو شارد سكنه و هداه .

و فيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أدمن قرائتها حاسبه الله حسابـاً يسيراً ، ومن قرأها على مولود و كتب له ، بشراً كان أو حيواناً سكنه و هداه .

و فيه : و قال الصادق عليه السلام : من قرأهـا على ضرس يولم و يضرب سكن باذن الله تعالى و من قرأها على ما يأكله أمن ما فيه ورزقه الله السلامة فيه.

أقول : و من غير بعيد أن يكون من خواص السورة مـا جاء فـى تلك الروايات ولكن لمن كان من أهل الايمان و صالح الاعمال ...

قال الله تعالى: «و ننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خساراً » الاسراء : ٨٢)

وقال : « قل هو للذين آمنوا هدى و شفاء و الذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى » فصلت : ٤٤)

﴿الغرض﴾

تستهدف السورة إلى تذكير الناس بالآخرة و أهوالها و جحيمها، وأمنها و نعيمها، و عيداً للكافرين و الفجار، و إنذاراً للطاغين و الفساق، و وعداً للمؤمنين و الابرار، و بشرى للمطيعين و الاتقياء ...

إن أخذت بوصف أحوال الناس يومئذ من حيث إنقسامهم بفريقين :

فرقة الكفر و الضلالة ، فرقة البغي و الشقاوة ، فرقة الاستكبار والجناية و فرقة الاستبداد و طالقة العنان ... فلهم يومئذ وجوه مسودّة يظهر عليها الذل والهوان ، والتعب والاجهاد ، تلفحها النار الحامية ، ولايكون لاصحابها إلا الماء الشديدة الحرارة شراباً، وإلاّ الضريع وما إليه مما يعافه الحيوان طعاماً، لايسمن ولايغني من جوع .

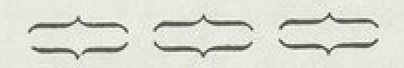
وفرقة الايمان والهداية ، فرقة العدل والسعادة ، فرقة الخضوع والطاعة ، وفرقةالخشوع والحرية اللائقة للانسانية، فلهم يومئذ وجوه مبيضّة ناعمة من أثر السرور بالرفاه والرغد قد رضى أصحابها عن سعيهم فى الحياة الدنيا ، فتمتعوا بثوابه، فهم فى الجنة العالية ، لايسمعون فيها لغو الكلام ورذله ، وفيها العيون الجارية والاسرة المنصوبة و الاكواب الموضوعة، و النمارق المصفوفة والزرابى المبثوثة ، فكل يستقرّ فيما أعدّ الله عزوجل لهم: إما الجنة و نعيمها ، و إما النار وعذابها .

ومن غير بعيد أن تكون الاوصاف مستمدة من مألوفات السامعين فى الحياة

الدنيـا لاثارة الخوف فى الكافرين ، والغبطة فى المؤمنين بمـا يعرفونـه ، و يتأثرون به اقبالا و إرتياحاً و رغبة ، أو إنقباضاً و إشمئزازاً بالاضافة إلى حقيقة الاخرة الايمانية ، ثم إنتهت إلى التنديد بـالجاحدين منهم الذين يتغافلون عن مشاهد عظمة الله تعالى و قدرته، و يتصاممون عن الدعوة إليه ، و يكفرون بنبيه وإنذارهم، وتهوين موقفهم على النبى ﷺ مع بيان مهمة النبى الكريم ﷺ وكونها للتبليغ والتذكير، وليست لاكراه الناس و رجوعهم إليه تعالى لحساب أعمالهم ...

ففى السورة ايقاع ما فى القلب البشرى يبعثه إلى التأمل و التدبر والرجاء و التطلع و المخافة والتوجس ، و إلى حساب العمل ليوم الحساب .

و انها تطوّف بالقلب البشرى فى مجالين هائلين : مجال الآخرة وعالمها الواسع ومشاهدها المؤثرة ، ومجال الوجود العريض المكشوف للنظر، وآيات الله المبثوثة فى خلائقه المعروضة للجميع ، ثم تذكرهم بعد هاتين الجولتين الهائلتين بحساب الآخرة ، وسيطرة الله تعالى ، و حتمية الرجوع إليه فى نهاية المطاف ، كل ذلك فى اسلوب عميق الايقاع هادىء ، ولكنه نافذ رصين رهيب .



﴿ النزول ﴾

سورة « الغاشية » مكية نزلت بعد سورة « الذاريات » و قبل سورة «الكهف » وهى السورة الثامنة و الستون نزولا ، و الثامنة و الثمانون مصحفاً .

وتشتمل على ست وعشرين آية، سبقت عليها /٣٥٣٩ آية نزولا، و/٥٩٦٧ آية مصحفاً على التحقيق .

وهى مشتملة على /٩٢ كلمة ، و قيل : /٧٢ كلمة ، وعلى /٣٨١ حرفاً على ما فى بعض التفاسير.

فى الجامع لاحكام القرآن : قال المفسرون : لما نزلت هذه الاية : « ليس لهم طعام إلاّ من ضريع » قال المشركون : إن إبلنا لتسمن بالضريع ، فنزلت : « لايسمن و لايغنى من جوع» وكذّبوا ، فان الابل إنما ترعاه رطباً ، فاذا يبس لم تأكله .

وفى روضة الكافى: باسناده عن حنان عن أبى عبدالله عليه السلام انه قال: لايبالى الناصب صلّى أم زنا، وهذه الآية نزلت فيهم: «عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية».

أقول : وما يظهر : ان الامام عليه السلام فسّر الناصبة بنصب العداوة لائمة أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم اجمعين ، ومن المحتمل انه عليه السلام فسّر النصب بمعنى التعب أى يتعب فى مشاق الاعمال و لاينفعه ، و ذلك لانه معاقب بأعماله الفاسدة لاخلاله بما هو من أعظم شروطها ، وهو الولاية ، فهو كمن صلى بغير وضوء من غير عذر موجه .

وفى تفسير البرهان: بالاسناد عن إبن أبى عمير عمن حدثه قال: سئلت محمد بن على الرضا عليه السلام عن هذه الاية : «وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة» قال : «نزلت فى النصاب والزيدية و الواقفية من النصاب»

أقول : ان الزيدية هم من أصحاب زيد بن على بن الحسين بن على بن أبيطالب عليه السلام وهم تفرقوا على ثلاث فرق: جارودية، وسليمانية وبترية .

و أما الواقفية فهم على نظام الامامة حتى قبض موسى بن جعفر عليه السلام فوقفوا عليه و ادعوا حياته ، و زعموا انه المهدى المنتظر ، و قال فريق منهم: انه قدمات وسيبعث و اختلفوا فى الرضا عليه السلام .

وفى رجال الكشى : بالاسناد عن على بن محمد بن الرضا عليه السلام : ان الزيدية و الواقفية والنصاب بمنزلة عنده سواء .

وفى أسباب النزول للسيوطى : أخرج إبن جرير و إبن أبى حاتم من قتادة قال : لما نعت الله ما فى الجنة ، عجب من ذلك أهل الجنة ، فأنزل الله : «أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت».

و فى الجامع لاحكام القرآن : وقيل : لما ذكر السرر المرفوعة قالوا: كيف نصعدها ؟ فأنزل الله هذه الاية ، وبين أن الابل تبرك حتى يحمل عليها ثم تقوم ، فكذلك تلك السرر تتطامن ثم ترتفع .

وفى المناقب: لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه: قال مولى الموحدين إمام المتقين امير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام : فىّ نزلت هذه الاية : «ان إلينا إيابهم ثم ان علينا حسابهم».

أقول : وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين : ان علياً عليه السلام هو قسيم الجنة والنار أوردناها فى محلها فراجع .

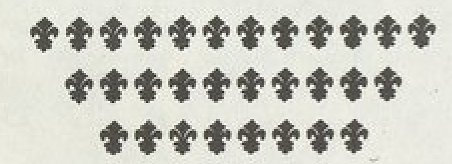
﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو : « تصلى » بضمّ التاء من الاصلاء ، و الباقون بالفتح ، وقرأ إبن كثير و أبوعمرو : « لايسمع » بضم الياء التحتانية من باب الافعال مبنياً للمفعول ، و «لاغية » بالرفع على نيابة الفاعل ، و قرأ نافع : « لاتسمع » بتاء مضمومة على التأنيث و «لاغية » بالرفع ، و الباقون : «لاتسمع» بتاء مفتوحة للتأنيث أو للخطاب لكل سامع ، و « لاغية» بالنصب على المفعولية ، والاخير هو الاوجه لقوله تعالى : « لايسمعون فيها لغواً» وقرأ نافع و أبو جعفر و عاصم : « بمصيطر» بالصاد ، وقرأ حمزة باشمام الصاد زاياً ، و الباقون بالسين بدل الصاد أى بمسلط .

وفى المجمع : و روى عن على عليه السلام : « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت و إلى السماء كيف رفعت و إلى الجبال كيف نصبت و إلى الارض كيف سطحت » بفتح أوائل هذه الحروف كلها و ضمّ التاء ، فالمفعول فى جميعها محذوف لدلالة المعنى عليه أى كيف خلقتها و كيف رفعتها و كيف نصبتها و كيف سطحتها ؟

و فيه : عن إبن عباس و قتادة و زيد بن أسلم و زيد بن على : « إلا من تولى » بالتخفيف على أن «ألا» إفتتاح كلام، و «من» شرط وجوابه : « فيعذبه الله» أى فهو يعذبه الله .

و قرأ أبوجعفر: « إيّابهم » بتشديد الياء و وجهه أن يكون فيعالا مصدر أيّب فيعل من الايـاب أو أن يكون أصله إوّاباً فعّالا من أوّب ثـم قيـل: ايواباً كـديوان فى دوّان ثـم فعل ما فعل بأصل سيد و ميت، و البـاقون بتخفيف الياء.



﴿الوقف و الوصل﴾

«الغاشية ط » لتمام الجملة الاستفهامية ظاهراً، و « خاشعة لا» للاوصاف التالية ، و «ناصبة لا» لما تقدم، و «حامية لا» لما ذكر، و «آنية ط » لتمام الكلام بتغيير الاوصاف ، و«ضريع لا» للصفة التالية ، و «من جوع ط » لتمام الكلام فى أصحاب الوجوه المسودة .

«ناعمة لا» للصفة التالية ، و « راضية لا» كالسابق، و « عالية لا » لما تقدم، و«لاغية ط » لتمام الكلام فى أوصافهم، وبيان أوصاف اخر تتعلق بهم، و«جارية م» لئلا يتوهم ان ما بعدها صفة ل«عين» ، فيكون فى الجارية سرر ، وليس كذلك و « مرفوعة لا» للاوصاف الآتية، و « موضوعة لا» لما تقدم، و «مصفوفة» كذلك، و « مبثوثة ط » لتمام الكلام فى أصحاب الوجوه المبيضة ، و إبتداء التالى بالاستفهام ظاهراً .

«خلقت قف» لتمام الكلام الذى يجب أن يتدبر فيه الانسان، و«رفعت قف» و «نصبت قف» و «سطحت قف » لما سبق ، فقد يوقف على الايات الاربع لاجل مهلة النظر والتدبر فيها ، و إلا فالكل متسقة ، و«مذكر ط » لتمام الكلام ، و « بمصيطر لا » للاستثناء التالى، و« كفر لا » للتفريع الآتى ، و «الاكبر ط » لتمام الكلام ، و إبتداء ما بعده ، و «إيابهم لا» لمكان العطف بحرف التراخى.

﴿اللغة﴾

٩- الضرع و الضريع - ٩٠١

ضرع إليه - مثلث الراء - يضرع ضرعاً وضراعة : من باب منع - :خضع وذلّ وضعف ومنه حديث الامام على عليه السلام : «اضرع الله خدود كم» أى أذلّها.

وتضرّع: جاء يطلب حاجة فتذلل، وإلى الله : إبتهل قال الله تعالى: «تدعونه تضرعاً وخفية » الانعام : ٦٣)

من الحسى فى المادة الضرع : الجمل الضعيف و مهر لم يقو على العدو ، و الصغير من كل شيء وطاقة الحبل . الضرع : الجبان . و المتهالك من الحاجة للغنى جمعه ضروع. والضرع للشاة والبقرة ونحوهما كالثدى للمرأة .

يقال : شاة ضريع : عظيمة الضرع.

الضريع : نبت أخضر منتن خفيف يرمى به البحر وهو مرعى سوء لاتقربه دابة لخبثه وهو نبت بالحجاز له شوك كبار يقال له: الشبرق ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته الابل وهو سمّ قاتل .

الضريع: طعام أهل النار الذى عرف انه مرعى سوء قال الله تعالى : « ليس لهم طعام إلا من ضريع » الغاشية : ٦)

وفى حديث أهل النار : «فيغاثون بطعام من ضريع»

والتضرع : التلوى والمبالغة فى السؤال و الرغبة .

والتضرع : رفع اليدين والتضرع بهما ، وفي الحديث : « التضرع تحريك الاصابع يميناً و شمالا » و في آخر : « التضرع تحرك السبابة اليمنى يميناً و شمالا » .

ومن المعنوى فى المادة الضرع : الجبان و الضراعة : الخضوع و الذل و الاستكانة .

و الضرع : المثل و الشبه كانهما طاقتا الحبل أو كانهما إرتضعا من ثدى واحد فهما متضارعان .

والمضارع : المشابه وبه سمى الفعل إصطلاحاً ومنه حديث : « انى أخاف ان تضارع » أى أخاف أن يشبه فعلك الرياء .

الضارع : النحيف الضاوى الجسم و منه الحديث : ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم رأى ولدى جعفر الطيار فقال : مالى أراهما ضارعين ؟ فقالوا : ان العين تسرع إليهما.

٨٠ - السمن - ٧٣٩

سمن يسمن سمناً و سمانة ــ من باب علم ــ : بدن جسمه وامتلاء لحماً و شحماً ضد هزل فهو سمين.

أسمنه إسماناً وسمّنه تسميناً : جعله يسمن قال الله تعالى : « لايسمن ولايغنى من جوع » الغاشية : ٧)

و منه المثل : « سمّن كلبك يأكلك »

السمين : ضد الهزال جمعه سمان قال الله تعالى : «فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين » الذاريات : ٢٦)

و قال : « وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف » **يوسف : ٤٣)**

إستسمن : طلب أن يوهب له السمين .

السمن : سلاء الزبد و ما يخرج من اللبن بالمخض جمعه أسمن وسمون.

السمّان : بائع السمن.

الكلام السمين : الرصين المتين ويقابله الغيث يقال : كلام غثٌ وسمين.

أرض سمينة : تربة لاحجر فيها و دار سمينة : كثيرة الاهل .

وفي الحديث: « يكون في آخر الزمان قوم يتسمّنون » أي يتكثّرون بما ليس عندهم ويدّعون ما ليس لهم من الشرف.

وقيل: أراد جمعهم الاموال وقيل: يحبون التوسع في المآكل والمشارب وهي أسباب السمن ومنه حديث آخر: « ويظهر فيهم السمن ».

١٦ - الوجه - ١٦٤٩

وجه يوجه وجهاً ووجاهة ـ من باب شرف ـ: صار ذا شرف ومنزلة والوصف: وجيه و يجمع على وجهاء .

قال الله تعالى : « إسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والاخرة » آل عمران : ٤٥)

الوجه يجمع على وجوه و أوجه و يجيىء لما يأتي :

١ـ الوجه: هو الجارحة المعروفة وهو الجزء من الحيوان الذي فيه الفم و الانف و العينان قال تعالى : « إذهبوا بقميصي هـذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيراً » يوسف : ٩٣)

وقال : « وجوه يومئذ ناعمة » الغاشية : ٨)

٢ـ الوجـه : الـذات مجـازاً من قبيل إطلاق الجزء على كله و ذلك ان الوجـه أشرف أجزاء الجسم بمـا احتواه من المنافذ و أسباب الاحساس و لان

أحوال الانسان من غضب و رضا وعزة و ذلة وغيرها تظهر على وجهه .

قال تعالى: «وأن أقم وجهك للدين حنيفاً» يونس : ١٠٥)

الوجه : الذات وقد يرد الوجه بهذا المعنى فيما ليس له جارحة كالبارى جل و علا و يقال : أصاب وجه المسئلة : أى ذاتها و حقيقتها قال تعالى : « ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها » المائدة : ١٠٨) أى على حقيقتها و كنهها و ذاتها دون زيادة أو خيانة .

٣ـ الوجه: صدر الشيء و أوله تقول: أدرك وجه الدهر و أتانى وجهالنهار قال تعالى : « آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار » آل عمران : ٧٢) أى أول النهار.

٤ ـ الوجه : الشيء الذى يتوجه إليه كالقبلة قال تعالى : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله » البقرة : ١١٥)

وجه الله: القبلة التى يتوجه إليها المسلمون فىالصلاة أو وجه ذاته تعالى.

الوجهة : المكان المتوجه إليه و الناحية قال تعالى : « ولكل وجهة هو موليها » البقرة : ١٤٨)

٥ ـ الوجه : القلب وفى الحديث : « لتسونّ صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم » أى قلوبكم .

وجّهه توجيهاً يأتى لما يجيىء :

١ـ يقال : وجّهه لكذا : جعله فى ناحيته وصوبه . تقول : وجّهت بيتى للشمال : إذا جعلته يستقبل هذه الريح .

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : « انى وجّهت وجهى للذى فطر السموات و الارض » الانعام : ٧٩)

أى جعلت و جهى مستقبلا للذى فطرالسموات والارض خالصا له أو قصدى و نيتى .

٢ـ يقال : وجّهه : أرسله تقول : و جهت غلامى لكى يقضى ما اطلب.

قال تعالى : « و هو كلّ على مولاه أينما يوجّهه لايأت بخير » النحل : ٧٦) أى يرسله .

٣ـ يقال: توجّه نحو الشيء : قصده قال تعالى : « ولما توجه تلقاء مدين» القصص : ٢٢)

واجهه مواجهة ووجاها : قابل وجهه بوجهه يقال : لقيته مواجهة أى قابلت وجهى بوجهه .

اتجه اليه اتجاهاً : اقبل. وفى حديث صلاة الخوف: « وطائفة وجاه العدو» أى مقابلهم وحذاءهم بكسر الواو و ضمها .

وقد تبدل الواو تاء ، فيقال : تجاه فلان وتجاه شيء و أمر بالكسر والضم ويقال : قعد فلان تجاه فلان : تلقاء الموجّه : ذوالجاه يقال : فلان موجّه بين قومه أى ذوجاه فيهم .

الجهة : و هى التى يقصدها المتحرك بحركة جسمية و هى ستة : الفوق والتحت واليمين والشمال والخلف و القدام و كلها تنتهى بالعرش المحيط . وهاء الجهة عوض من الواو

فى المفردات : أصل الوجه : الجارحة قال : « فاغسلوا وجوهكم » و لما كان الوجه أول ما يستقبلك و أشرف ما فى ظاهر البدن إستعمل فى مستقبل كل شيء وفى أشرفه ومبدأه فقيل : وجه كذا و ربما عبّر عن الذات فى قول الله : « ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام » قيل : ذاته وقيل : أراد بالوجه هيهنا : التوجه إلى الله تعالى بالاعمال الصالحة ...

وفى القاموس وشرحه : الوجه من النجم ما بدالك منه والوجه من الكلام السبيل المقصود به و من المجاز الوجه سيد القوم يقال : هؤلاء وجوه البلد و وجهائه : أى أشرافه الوجه: القليل من الماء والوجه : الجانب والناحية

المتوجه إليها و المقصود بها .

٣١ - اللغو - ١٣٦٨

لغا يلغو لغواً - من باب دعا -: أتى بما يقبح أولا ينبغى من قول أو فعل كالحديث الساقط والكلام الهزل ومالاجدوى فيـه من الاعمال قال الله تعـالى : « فى جنة عالية لاتسمع فيها لاغية » الغاشية : ١١)

أى لاتسمع فيها كلاماً مستقبحاً أو ساقطاً لاجدوى فيه فجعل إسم الفاعل وصفاً للكلام نحو كاذبة .

و يقال : لغا فى القول : أخطأ وقال باطلا .

اللغو من الكلام : مالايعتدّ به لعدم صدوره عن رويّة و تـدبر وقديسمى كل كلام قبيح لغواً.

و يطلق اللغو على مـا لايعتد به و لا جدوى فيـه من قـول أو عمـل كاللعب .

اللغو فى الأيمان من أنـواع اللغو بمعناه العام وهو إنتفاء القصد الصريح أو النية الصادقة عند اليمين بحيث يصدر عن المرءِ صدوراً عادياً فى اثناء حديثه المتصل دون عزم أونية وقد تكرر فى الحديث : «لغو اليمين » و هو أن يقول : لا و الله وبـلى والله و لايعقد عليه قلبـه و قيل: هو أن يحلف الانسان ساهيـاً أو ناسياً .

اللغة : أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم .

وقيل : ما جرى على لسان كل قوم و منه الحديث : « من قال فى الجمعة صه فقد لغا» أى تكلم .

وقيل : اللغة هى الكلام المصطلح عليه بين كل قبيلة .

وقيل: اللفظ الموضوع للمعنى.

وقيل: إشتقاق اللغة من لغى بالشيء أى لهج بهفحذفت لامها وعوّض عنها بالتاء وجمعها لغات .

علم اللغة : هو معرفة أوضاع مفردات اللغة و معانيها .

فى المفردات : اللغو من الكلام ما لايعتدّ به وهوالذى يورد لاعن رويّة وفكر فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور وقديسمى كل كلام قبيح لغواً .

وفى اللسان: اللغو واللغا: السقط وما لايعتدّ به من كلام وغيره ولايحصل منه على فائدة ولانفع .

و فى الصحاح : اللغو: ما لايعدّ من أولاد الابل فى دية أو غيرها لصغرها

وفى القاموس وشرحه: كلمة لاغية أى فاحشة ومنه قوله تعالى: «لاتسمع فيها لاغية » وقال الجوهرى : كلمة لاغية أى قبيحة أو فاحشة .

٩٢ - نمارق - ١٥٦٧

نمارق جمع نمرقة - بضم النون والراء - والنمرقة - بكسرهما -:الوسادة الصغيرة يستند إليها أو يتّكأ عليها .

قال‌الله تعالى : « ونمارق مصفوفة» الغاشية : ١٥)

وفى المجمع : وفى حديث‌الائمة عليهم‌السلام : « نحن النمرقةالوسطى بنايلحق التالى و إلينا يرجع الغالى »

إستعارالامام عليه‌السلام لفظ النمرقة بصفة الوسطى له ولاهل بيته باعتبار كونهم أئمة العدل يستند الخلق إليهم فى تدبير معاشهم و معادهم .

ومن حق الامام العادل أن يلحق به التالى المفرط المقصر فى الدين و

يرجع إليه الغالى المفرط المتجاوز فى طلبه حد العدل كما يستند إلى النمرقة المتوسطة من على جانبيها .

و مثله في حديث الشيعة : « كونوا النمرقة الوسطى »

١٠- الزرابى - ٦٢٧

زرب للغنم يزرب زرباً - من باب ضرب -: بنى لها زربية و المواشى فى الزربية : أدخلها فيها .

الزرب : المدخل و موضع الغنم وهو الحظيرة التى تأوى إليها .

الزرب : قترة الصائد ومسيل الماء جمعه الزروب .

الزربية : البساط أو الطنفسة لها خمل رقيق أو كل ما بسط و اتكأ عليه ، وجمعها زرابى .

وقيل : الزرابى فى الأصل : ثياب محبّرة منسوبة إلى موضع ثم استعيرت للبسط .

قال‌الله تعالى : « و زرابى مبثوثة» الغاشية : ١٦)

و زرابى البيت : ألوانه و شبهوا ألوان البسط بها .

و منـه الحديث : « محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابى » .

٤٢- السطح -٧٠١

سطحه يسطحه سطحاً - من باب منع - : بسطه و مهّده و سوّاه و سطح الرجل : أضجعه وصرعه فبسطه على الارض .

سطح البيت ـ من باب التفعيل ـ سوّى سطحه و جمع السطح : السطوح قال الله تعالى : « وإلى الارض كيف سطحت » الغاشية : ٢٠) أى وطّئت و مهّدت لسكنى أهلها وسطح الله الارض سطحاً: بسطها.

السطح : ظهر البيت وأعلى كل شيء وسطح الناقة أناخها.

إنسطح الرجل : إمتدّ على قفاه ولم يتحرّك و إنسطح الشيء : إنبسط .

٢٤ - العذب و العذاب - ٩٨٩

عذب عن الشيء يعذب عذباً ـ من باب ضرب ـ وأعذب و إستعذب : كفّ و أضرب وحبسه كما قالوا: أعذبه : منعه فهو لازم و متعد .

و كذلك قالوا : عذّبه تعذيباً أى قطعه ومنعه وعاقبه ونكل به.

و قد يخرّج معنى التعذيب من الضرب بعذبة السوط ، و قد يخرّج التعذيب من معنى الازالة فى التفعيل فيكون : عذّبه : أزال عنه عذب حياته كمرّضه : أزال مرضه .

عذب الرجل عذبا: ترك الاكل من شدّة العطش. عذّبه : اوقع به العذاب من الحسى عذبة كل شيء : طرفه .

وعذبة الشجر: غصنه .

و العذبة : الكدرة .

العذاب : كل ما شق على الانسان و منعه عن مراده جمعه : أعذبة .

وفى حديث الامام على عليه السلام انه قال : « أعذبوا عن ذكر النساء أنفسكم»أى امنعوها «فان ذلكم يكسر كم عن الغزو»

و كل عذاب فى القرآن الكريم فهو التعذيب إلا قوله تعالى : « وليشهد عذابهما طائفة » النور : ٢)

فان المراد به هو الضرب .

و الاسم هو العذاب .

عذب الماء يعذب عذوبة فهو عذب ـ من باب كرم ـ : طاب وهنأ . وأعذبه الله : جعله عذباً طيباً وأعذب القوم عذب ماؤهم .

و استعذبوا : استقوا وشربوا ماء عذباً .

يقال : فلان عذب اللسان : طيب الكلام تشبيهاً بعذب الماء .

فى المفردات : العذاب : هو الايجاع الشديد وقد عذبه تعذيباً : أكثر حبسه فى العذاب .

وفى المجمع : أصل العذاب فى كلام العرب : الضرب ثم استعمل فى كل عقوبة مؤلمة واستعير للامور الشاقة فقيل : «السفر قطعة من العذاب»

٧٣ ـ الاوب و الاياب ـ ٧٢

آب يؤوب أوباً و إياباً و مآبا ـ من باب نصر ـ : رجع .

قال الله تعالى : « إن إلينا إيـابهم » الغاشية : ٢٥) أى رجوعهم و الاصل ايواباً فحذفت الواو .

المآب : مصدر و إسم زمان ومكان .

قال الله تعالى : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » الرعد : ٢٩)

يقال : آب من سفره : رجع آب إلى الله : رجع عن ذنبه وتاب إليه جل وعلا .

الاوب : الرجوع و القصد والعادة والاستقامة والطريق والجهة .

و « جاؤا من كل أوب » : من كل طريق ووجه وناحية .

الاوب : السرعة .

و الاوب : سرعـة تقليب اليدين و الرجلين فى السير والاوب : تـرجيع الايدى والقوائم .

وآبه الله : أبعده دعاء عليه وذلك إذا أمرتـه بخطة فعصاك ثم وقع فيمـا تكره فأتاك خبره فعندئذ تقول : آبه الله .

أوّب ـ من باب تفعيل ـ : رجّع فهو أوّاب وهم أوّابون للمبالغة .

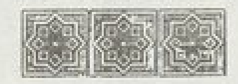
الاوّاب صفة مدح للرجّاع عن كل ما يكرهه الله إلى ما يحبه .

قال الله تعالى : « واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أوّاب» ص : ١٧)

وقال : «أن تكونوا صالحين فانه كان للاوّابين غفوراً» الاسراء : ٢٥)

وقال : «يا جبال أوّبى معه والطير» سباء : ١٠) أى رجّعى معه التسبيح .

فى المفردات : الاوب : ضرب من الرجـوع و ذلك ان الاوب لايقال إلاّ فى الحيوان الذى له إرادة والرجوع يقال فيه وفى غيره .



﴿النحو﴾

١- (هل أتاك حديث الغاشية)

فى «هل» وجوه: أحدها - إستفهامية تفخيمية.

ثانيها - ان «هل» لفظه لفظ إستفهام، و معناه معنى «قد» و كل ما فى القرآن الكريم من «هل أتى» فهو بمعنى «قد أتى» كقوله تعالى: «هل أتى على الانسان حين من الدهر» الانسان: ١) أى قد أتى على الانسان.

ثالثها - قد تكون «هل» بمعنى الأمر كقوله عزوجل: «فهل أنتم منتهون» المائدة: ٩١) أى إنتهوا.

رابعها - قد تكون «هل» للنفى بمعنى «ما» كقوله تعالى: «هل يهلك إلا القوم الظالمون» الانعام: ٤٧) أى ما يهلك...

و كقولك: «هل أنت إلا جالس» أى ما أنت إلا جالس.

والفعل فى «أتاك» فعل ماض، وكاف الخطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى موضع نصب، مفعول به، و «حديث» فاعل الفعل، اضيف إلى «الغاشية».

٢- (وجوه يومئذ خاشعة)

«وجوه» جمع وجه، مبتداء، والابتداء بالنكرة لمكان التنويع والوصف ويوم فى «يومئذ» منصوب على الظرفية، اضيف إلى «إذ» متعلق بـ«خاشعة» وهى خبر المبتداء، و التاء باعتبار الجماعة فى المبتداء.

٣- (عاملة ناصبة)

« عاملة » صفة ل «وجوه » باعتبار أصحابها ، و قيل : نعت لاصحاب الوجوه أى هم عاملة ، ومن المحتمل أن تكون «عاملة» خبر بعد خبر ل « وجوه » و كذا « عاملة ».

٤- (تصلى ناراً حامية)

«تصلى» فعل مضارع ، فـاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « وجوه » صفة اخرى ل « وجوه» أو خبر بعد خبر، و « ناراً» مفعول بها أى تلزم تلك الوجوه ناراً و «حامية» نعت ل « ناراً» .

٥ - (تسقى من عين آنية)

«تسقى» فعل مضارع ، مبنيّ للمفعول ، وفـاعله النيابى ضمير مستتر فيـه ، راجع إلى «وجوه» باعتبار أصحابها ، و «من عين» متعلق ب «تسقى» و « آنية» صفة ل «عين» والجملة صفة اخرى ل «وجوه» أو خبر بعد خبر.

٦- (ليس لهم طعام الا من ضريع)

«ليس» من الافعال الناقصة ، و «لهم» متعلق بمحذوف ، وهو الخبر ل «ليس» وضمير الجمع راجع إلى أصحاب الوجوه ، و هم الكفار و أذنابهم : من الفساق و الفجار ، و «طعام» إسم ل «ليس» أى ليس طعام حاصلا لهم ، و «إلاّ» للتحقيق وفى «من ضريع» وجوه : أحدها ـ أن يكون متعلقاً بمحذوف ، وهو صفة للطعام.

ثانيها ـ أن يكون فى موضع نصب على أصل الباب فيكون خبراً ل «ليس».

ثالثها ـ أن يكون فى موضع نصب ، حالا من «طعام» أى حال كون الطعام من جنس ضريع .

رابعها ـ أن يكون فى موضع رفع على البدل من «طعام» .

٧- (لايسمن ولايغنى من جوع)

«لا» حرف نفى ، و «يسمن» فعل مضارع من بـاب الافعـال ، منفى بحرف

النفى ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «طعام» فالجملة فى موضع رفع ، نعتاً من «طعام» و قيل : ان الضمير راجع إلى «ضريع» فالجملة فى موضع جر نعتاً من «ضريع» و «ولايغنى» عطف على «لايسمن» و «من جوع» متعلق بـ «لايغنى» .

وقيل : فى موضع نصب ، مفعول به أى لايغنى جوعاً .

٨- (وجوه يومئذ ناعمة)

إعراب الآيـة الكريمة ظاهر مما تقدم فى قولـه عزوجل : «وجوه يومئذ خاشعة» .

قيل:فى الاية واو مضمرة أى ووجوه يومئذ ليفصل بينها و بين الوجوه المتقدمة.

٩- (لسعيها راضية)

اللام فى «لسعيها» للتقوية ، و الضمير راجع إلى «وجوه» باعتبار أصحابها ، والجار والمجرور متعلق بـ «راضية» وهى صفة لـ «وجوه» وقيل : بدل من «ناعمة» و يجوز أن ترفع باضمار هى راضية .

١٠- (فى جنة عالية)

«فى جنة» متعلق بمحذوف ، وهو نعت آخر لـ «وجوه» أى مستقرة او ثابتة فيها، و«عالية» صفة لـ «جنة» ، ومن المحتمل أن يكون «فى جنة» فى موضع نصب، حالا من ضمير «وجوه» فى «راضية» أى عالية القدر، عظيمة الشأن.

١١- (لاتسمع فيها لاغية)

«لا» حرف نفى ، و«تسمع» فعل مضارع ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «وجوه» باعتبار أصحابها ، و « فيها » متعلق بما قبله و الضمير راجع إلى « جنة عالية » و «لاغية» كالعاقبة و العافية مفعول بها و من المحتمل أن تكون «لاغية» صفة لمحذوف أى كلمة ذات لغو.

والجملة فى موضع رفع ، نعت آخر لـ «وجوه» والمعنى: لاتسمع الوجوه فى الجنة العالية لغواً.

و قيل : ان الفعل خطاب للنبى الكريم ﷺ أو لكل سامع ذى وجه بياض ناعم فى الجنة .

وقيل : ان الجملة فى موضع جرّ ، صفة لـ «جنة عالية» .

١٢- (فيها عين جارية)

« فيها» متعلق بمحذوف، وهو خبر مقدم، والضمير راجع إلى «جنة عالية» و «عين» مبتداء مؤخر، و العين مؤنث ، تصغيرها عيينة ، و جمعها : عيون وأعين و أعيان ، على إختلاف المعانى فى مفرداتها... و «جارية» صفة لـ «عين».

١٣- (فيها سرر مرفوعة)

«فيها» متعلق بمحذوف ، وهو خبر مقدم ، و «سرر» جمع سرير للكثرة ، مبتداء مؤخر و « مرفوعة » نعت لـ « سرر » و تأنيث الصفة باعتبار جماعة الموصوف ...

١٤- (و أكواب موضوعة)

الواو للعطف، و«أكواب» جمع كوب للقلة، و «موضوعة» صفة لـ «أكواب» عطف على ما قبلها .

١٥- (ونمارق مصفوفة)

عطف على ما قبلها، و«نمارق» جمع نمرقة من منتهى الجموع، و«مصفوفة» صفة لـ «نمارق» .

١٦- (و زرابى مبثوثة)

عطف على ما قبلها، و « زرابى » جمع الزربية من منتهى الجموع ، و هى البسط العراض الفاخرة ، و«مبثوثة» صفة لـ « زرابى».

١٧- (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت)

الهمزة إستفهامية ، لحث قوم و توبيخ آخرين ، و الفاء للفصيحة ، و «لا» حرف نفى ، و «ينظرون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب ، و « إلى الابل »

متعلق بـ«ينظرون» و «كيف» إستفهامية، و«خلقت» فعل ماض مبنى للمفعول.

وفى موضع «كيف» وجهان: أحدهما ـ فى موضع نصب على الحال من «خلقت» ثانيهما ـ على المصدر، و تكون الجملة التى هى «كيف خلقت» معلقة بـ«ينظرون» لان النظر مؤدٍّ إلى العلم.

١٨ـ (و الى السماء كيف رفعت)

الواو للعطف، و «إلى السماء» عطف على «إلى الابل» و العامل فيه هو العامل فيه، و الباقى ظاهر مما تقدم.

١٩ـ (والى الجبال كيف نصبت)

عطف على ما سبق، و «الجبال» جمع الجبل من جموع التكسير، وتأنيث الفعل: «نصبت» باعتبار جماعة الجبال.

٢٠ـ والى الارض كيف سطحت)

إعراب الاية الكريمة ظاهر مما تقدم.

٢١ـ (فذكر انما أنت مذكر)

الفاء للتفريع، و «ذكّر» فعل أمر من باب التفعيل، خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على حذف المفعول أى فذكّر الناس أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، و «إنما» كلمة حصر، و «أنت» ضمير مرفوع منفصل، مبتداء، و «مذكّر» إسم فاعل من باب التفعيل، خبر المبتداء، على تقدير: أنت مذكر لهم.

٢٢ـ (لست عليهم بمصيطر)

«لست» فعل ماض من الأفعال الناقصة، خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، و تاء الخطاب إسمه، و «عليهم» متعلق بـ«مصيطر» و ضمير الجمع راجع إلى الناس وقيل: إلى الكفار، و «بمصيطر» خبر لـ«لست» على زيادة الباء للتأكيد، و أصل مصيطر: مسيطر بالسين، فابدلت صاداً لتوافق الطاء فى الاستعلاء و

إلا طباق كقوله تعالى : « وزاده بصطة فى العلم و الجسم » البقرة : ٢٤٧) أى قراءة الصاد .

و «مصيطر» إسم جاء مصغّراً ولامكبّر له كقولهم: رويداً والثريا و كميت و مبيقر و مبيطر و مهيمن و ان العرب قد تصغّر الاسم على المدح لاتريد به التحقير.

٢٣- (الا من تولى و كفر)

«إلا» حرف إستثناء ، و «من» إسم شرط، وقيل : موصولة .

وفى الاستثناء و جهان : **الاول** : انه إستثناء متصل، وفيه قولان : أحدهما انه إستثناء من المفعول المحذوف لقوله السابق : «فذكر» والتقدير: فذكر الناس إلاّ من تولى منهم عن التذكرة و كفر إذ تذكرته لغو لافائدة فيها .

فالاستثناء من الجنس .

وقيل : ان المعنى : إنما أنت مذكر الناس إلاّ من تولى و كفر.

وقيل : ان المعنى فذكر الناس إلاّ من انقطع طمعك من ايمانه و تولى فاستحق العذابِ الاكبر، فما بينهما إعتراض ، ويرد انه صلى الله عليه وآله وسلم لاينقطع طمعه من ايمانه الكفرة ماداموا أحياء إلاّ أن يعلمه الله بذلك ، و على تقدير الاعلام أيضاً لايجوز له أن يقطع التذكير لان الدعوة عامة فى الاصل ، ولو جعلت خاصة لم تبق مضبوطة كرخصة المسافر مثلا.

ثانيهما - فى موضع جر لانه بدل من الضمير فى «عليهم» والمعنى لست عليهم بمتسلط إلا على من تولى منهم عن التذكرة و أقام على الكفر، فسيسلطك الله عليه ، و يأمرك بالجهاد فتقاتله فتقتله .

فيسلط عليهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالقتال معهم إن لم يؤمنوا ، فيكون الاستثناء متصلا لا باعتبار الحال فان السورة مكية ، ولكن بالنظر إلى الاستقبال أى إلاّ

المصرين على الاعراض والكفر فانك تصير مأموراً بقتالهم مستولياً عليهم بالقهر و الغلبة .

والثاني : إستثناء منقطع ، فالاستثناء في موضع نصب بالاستثناء لانه إستثناء من غيرالجنس.

والمعنى : لايسلط عليهم إلاّ الله تعالى .

و قيل : ان المعنى : لست عليهم بمتسلط ولكن من تولى و كفر منهم فيعذبه‌الله تعالى .

و «تولى » فعل ماض من باب التفعل ، فعل الشرط ، و «كفر» عطف على «تولى» ومن المحتمل أن يكون «من» موصولة و «تولى» صلتها.

٢٤ (فيعذبه الله العذاب الاكبر)

الفاء جواب الشرط على تقدير المبتداء بعدها أى فهو... و«يعذب» فعل مضارع من باب التفعيل ، و «الله» فاعل الفعل ، والجملة في موضع رفع ، خبر للمبتداء المحذوف ، والجملة جزائية إذلو اريد الجواب بالفعل الذى بعد الفاء لكان التقدير: يعذبه‌الله ـ بالجزم ، وضمير الوصل في موضع نصب ، مفعول أوّل، و «العذاب» مفعول ثان ، و «الاكبر» صفة ل «العذاب» .

ومن المحتمل أن تكون الفاء للتفريع بناء أن «من » موصولة ، فليس للفعل موضع .

٢٥ـ (ان علينا ايابهم)

«ان» حرف تأكيد ، و «إلينا» متعلق بمحذوف ، وهو خبر قدم للتأكيد ولرعاية الفواصل دون الحصر إذ لاقائل برجوع الناس إلى غيرالله تعالى ، و «إيابهم» إسم لحرف التأكيد ، و «إياب» مصدر آب يؤب مثل القيام و الصيام ، أصله : إواباً و قواماً إلاّ انه اعلى المصدر لاعتلال الفعل ، فابدلت الواو ياء لانكسار ما قبلهما .

وضمير الجمع راجع إلى الناس المقدر أو الكفار و إن كان رجوع غيرهم أيضاً إلى الله تعالى ، ولكن المقام مقام تهديد للكفار .

٢٦- (ثم ان علينا حسابهم)

« ثم » حرف عطف للتراخي ، و« ان » حرف تأكيد ، و« علينا » متعلق بمحذوف و هو خبر مقدم ، و« حسابهم » مبتداء مؤخر ، و الجملة المؤكدة عطف على سابقها .



﴿البيان﴾

١- (هل أتاك حديث الغاشية)

تقرير وتقريب وتنبيه بمجيئ يوم القيامة على طريق الا ستفهام بـداعي التفخيم والا عظام لامره والتعجب مما فـيحيّزه والتشويق إلى إستماعـه، والا شعار بأنه من الا حاديث البديعة التي من حقها أن يتنا قلها الناقلون فـي تلقيها الوعاء من كل حا ضر وباد، وليبحثهم على ايمان به، وفيه من التحذير والانـذار والو عيد مالا يخفى على متأمل خبير.

ومن شأن هذا السؤال أن يثير تفكير الانسان، وينشّط مدار كه الخامدة، ويفتح عينيه المغمضتين على وجود هذا اليوم الهائل، ولو حمل الاستفهام علـى الخبر فقط لماكان له هذا الاثر في تفكير الانسان، ولما أحدث فـي نفسه ملك المشاعر التي يثيرها هذا الاستفهام الطارق لها .

و ان «هل» بمعنى «قد» فتفيد ثبوت معنى الجملة وتحققه إذ أتـى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حديث يوم القيامة في كثير من السور القرآنية قبل هذه السورة، و إنما تفيد « قد » معنى الاستفهام حيث تفيده لتقديـر الهمزة، و إنما حـذفت الهمزة لكثرة الاستعمال ، و الدليل على تقدير الهمزة جواز إظهار هـامع «هل» و المعنى : أقد... فالاستفهام يفيد التقرير، و «قد» تفيد التقريب، فيكون حاصله: انه أتاك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حديث يوم القيامة فبيّنه للناس .

و في السؤال تشويق المسئول إلـى المسئول عنه، و إثارة الـرغبة عنده

فى التطلع إليه، و البحث عن جوابه ، و ما يكاد المسئول يبحث فى خاطره عن جواب هذا السؤال حتى يرد عليه الجواب من خارج، فيلتقى مع ماتردد فى خاطره من أجوبة عليه ... فاذا كان ما وقع فى خاطره صحيحاً ، التقى مع هذا الجواب الوارد عليه إلتقاء متمكناً، و عانقه عناق الغائب المنتظر ، و إلاّ أخذ الجواب الصحيح ، و أقامه مقام مالم يصح من خواطره و تصوراته ...

ان سئل: لماذ اقيل: هل أتاك ، ولم يقل : هل جاءك ؟

تجيب : للفرق بين الفعلين ، كالفرق بين قولك : أتى فلان وجاء فلان حيث ان الثانى كلام تام لايحتاج إلى صلة، و الاول يقتضى مجيئه بشيء ولهذا يقال : جاء فلان نفسه ، ولايقال : أتى فلان نفسه .

قال بعض البيانيين : إن قلت : لما ذاقيل : حديث الغاشية ، ولم يقل : خبر الغاشية ؟

قلت : لما بين الخبر والحديث من الفرق : وذلك ان الخبر هو القول الذى يصح وصفه بالصدق والكذب ، ويكون الاخبار به عن نفسك و عن غيرك ، وأصله أن يكون الاخبار به عن غيرك وما به صار الخبر خبراً هومعنى غيرصيغته لانه يكون على صيغة ماليس بخبر كقولك : رحم الله زيداً و المعنى : اللهم ارحم زيداً .

و أما الحديث - فى الاصل - فهو ماتخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك ، و قديسمّى حديثاً لانه لاتقدم له ، و إنما هوشيء حدث لك فحدثت به .

و الدليل على ما قلنا: انه يقال: فلان يحدث عن نفسه بكذا وهوحديث النفس، ولايقال: مخبر عن نفسه ولا هو خبرالنفس .

فاذا سئلت فقل : أخبرنى ولا تقل: حدثنى لان السؤال إستخبار و المجيب مخبر .

ويجوز أن يقال : إن الحديث ماكان خبرين فصاعداً إذا كان كل واحد منهما متعلقاً بالآخر، فقولنا : رأيت زيداً خبر، ورأيت زيداً منطلقاً حديث.

وكذلك قولك: رأيت زيداً وعمراً حديث مع كونه خبراً .

وقوله تعالى: «الغاشية» كناية عن يوم القيامة حيث يدهم الناس ويغشاهم بغتة أويشملهم ، وصفت القيامة بالغاشية لانها تغشى الخلائق بشدائدها، وتحيط بهم بأفزاعها ، وتغمرهم بأهوالها فجأة. وفي ايثار الوصف مكان الموصوف مبالغة في الغشي ، وكل ما أحاط بالشيء من جميع الجهات فهو غاش، و إشارة إلى أهوال يومئذ وشدائده أو تغشى وجوه الكفار بالعذاب .

٢- (وجوه يومئذ خاشعة)

مستأنف بياني وقع جواباً عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كأنه قيل من ناحية الرسول ﷺ : ما أتاني حديثها فماهو ؟ فقيل : وجوه ... و «وجوه» مبتداء لا بأس بتنكيرها لوقوعها موقع التنويع ، ولا تصافها بصفات بصورة الاخبار ...

فهذا هومطلع حديث الغاشية ، وهذا هوالجواب على السؤال عنها ... ان ما تحدّث به الغاشية عن نفسها ليس كلاماً ، و إنها أفعال وأحداث ... و من أحداثها : تلك الوجوه الخاشعة،وخشوعها هوخشوع ذلة وضراعة ومهانة، وليس خشوع تقوى وتوقير وإجلال ، فللذل خشوع إنكسار و إمتهان تموت معه العواطف والمشاعر. .

تفصيل لاحوال الناس يوم القيامة ومواقفهم فيه، وشروع بتقسيمهم على فريقين : فريق البغي والاستبداد ، فريق الكفر والاستكبار ، فريق الضلالة و العصيان ، وفريق الجناية والطغيان...

وقد عبّر عن الذوات بالوجوه، ونسب الخشوع إليها وصفاً لها لان المذلة والهوان ، والخزى والتعب والا جهاد والانكسار وأضدادها تظهر منها ، و كل

متضائل ساكن خاشع ، ولا تجاهها نحو العرض والحساب . و إستقبال الساعة لهم بوجوهها كلها .

وقدّم وصف الكافرين الاشقياء والفاجرين البغاء لان مبنى السورة على التخويف كما ينبىء عنه لفظ الغاشية ، ولا دعوائهم عماكانوا عليه من الكفر والطغيان ...

فى تلخيص البيان : للسيدالرضى رضوان الله تعالى عليه : «وهذه إستعارة والمراد بالوجوه ههنا أرباب الوجوه ، ومثل ذلك قوله تعالى فـى السورة التى يذكر فيها «القيامة»: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» والدليل على ما قلناه إضافته سبحانه النظر إليها ، والنظر إنما يصح من أربابها لامنها لانه تعالى قـال عقيب ذلك : «وجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة» و كذلك قوله تعالى : «وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية» والرضا والسخط إنما يوصف بهما (بـه خ) أصحاب الوجوه لا الوجوه فانكشف الكلام عن الغرض المقصود » إنتهى كلامه و رفع مقامه الشريف.

وقال بعض البيانيين: إن تسئل : كيف قال الله تعالـى : «وجوه يـومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حـامية» ؟ مع أن جميع أبـدان الكفار والفجار تدخل النار و تلزمها ؟ .

تجيب عنه: ان الوجه قد يطلق ويراد به جميع البدن كقولـه عزوجل : «وعنت الوجوه للحى القيوم» وقد يطلق ويراد به الاعيان والرؤساء والمترفون، فيقال : هؤلاء وجوه القوم .

٣- (عاملة ناصبة)

وصفان آخر ان للوجوه بأنها يـوم القيامة مجهدة مـن التعب ، والنصب هوالتعب الذى ينتج عن العمل الشاق ، وعن السعى فى الخلاص عـن الشدائـد و المصاعب والاهـوال ... فهم يسعون يـومئذ تمام السعى فى خلاصهم عن أهـوال

القيامة ، و شدائدها ومصاعبها ، ولاخلاص اهم منها ، ولات حين مناص .

ففي الوصفين إشارة إلى أن هذا الرهق الذى غشى تلك الوجوه الخاشعة لان أصحابها فى تعب دائم ، وعمل مضن لاينقطع من موقفهم موقف المسئلة و الحساب وعرض مخازيهم عليهم إلى وضع الاغلال فى أعناقهم إلى سحبهم على وجوههم فى جهنم إلى صرخات الويل والثبور التى تملا الافاق من حولهم ، فكل هذا و كثير غيره من الاهوال ، تنطبع على وجوههم آثاره قتاماً و عبوساً و رهقاً ...

٤- (تصلى ناراً حامية)

وصف رابع للوجوه بوصف جزائها ، و مايرد عليها من مساءات ... انها تعذب بنار حامية ، وفى وصف النار بأنها حامية إشارة إلى أنها نار ذات صفة خاصة على خلاف المعهود من نارالدنيا إذ كل نار حامية ، فهذا الوصف الوارد يعطى وصفاً جديداً لها .

وقال بعض البيانيين: فان تسئل : فما معنى وصفها بالحمى ، وهى لاتكون إلاّ حامية ، و هوأقل أحوالها ، فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة ؟

تجيب عنه : بأربعة أوجه:

أحدها - ان المراد بذلك انها دائمة الحمى ، وليست كنار الدنيا التى ينقطع حميها بانطفائها .

ثانيها - ان المراد بالحامية انها حمى من إرتكاب المحظورات ، وإنتهاك المحارم .

ثالثها - انها تحمى نفسها عن أن تطاق ملامستها أو ترام مما ستّها كما يحمى الأسد عرينه .

رابعها - انها حامية حمى غيظ وغضب ، مبالغة فى شدة الانتقام ، ولم يرد

حمى جرم و ذات، كما يقال : قدحمى فلان إذا اغتاظ و غضب عند إرادة الانتقام وقدبيّن الله عزوجل بقوله هذا المعنى إذ قال : «تكاد تميّز من الغيظ»

٥- (تسقى من عين آنية)

وصف خامس للوجوه بوصف جزائها أيضاً ، ولا يخفى على القارىء الخبير المتأمل ان تلك الا فعال اسندت إلى الوجوه لانها هى عنوان الذات الانسانية ، وهى وحدها التى تحدّث عن ذات الانسان ، وتدل عليه ... فالناس يتشابهون أجساداً، ولكن الذى يفرّق بين إنسان وإنسان هوالوجه الذى يجعل لكل إنسان صورته التى يعرف بها بين الناس... ان الوجه هوالذات الانسانية بكل مشخصاتها ومقوماتها، ولهذاكان له هذا الشأن فى موقف الحساب والجزاء ومايلقى الانسان هناك من نعيم أوعذاب ، إن كل صورالعذاب والآلام تنطبع عليه ...

٦- (ليس لهم طعام الامن ضريع)

تقدير لطعامهم إثر بيان شرابهم ، وقدّم المشروب على الطعام لان الماء يناسب النار مناسبة الضدين أو الشبيهين من حيث بساطتهما أو لانهم إذا أثر فيهم حرّ النارغلب عليهم العطش، وكان الماء عندهم أهم ثم إذا أثرت فيهم الحرارتان أرادوا أن يدفعوا ألم الاحساس بها بما يزيد العذاب على البدن مع أن الواو ليست للترتيب.

وقد عدل هنا عن الحديث إلى الوجوه واتجه به إلى أصحابها لان الطعام لايساق إلى الوجوه و إنما يساق إلى البطون ، ثم تنطبع آثاره على الوجوه ... و فى هذا ما يعطى كل جزء من أجزاء الجسد نصيبه من هذا العذاب ، فالعذاب الذى يقع على جزء من الجسد ، يشيع فى الجسد كله ، فاذا كان كل جزء من الجسد واقعاً تحت لون من ألوان العذاب يتناسب مع طبيعته كان ذلك أنكى وآلم حيث يتحوّل الانسان تحت وطأة هذا العذاب إلى طاقات كثيرة متعددة، يصبّ فيها العذاب الذى يحتوى كل ذرة فيها ، ولعل هذا من بعض مايشير إليه

قوله تعالى : «يضاعف له العذاب يوم القيامة» الفرقان : ٦٩)

ان تسئل : ان الآية الكريمة تحصر طعامهم بالضريع ، وقولـه عزوجل : « فليس لهم اليوم ههنا حميم ولا طعام إلاّ من غسلين » الحـاقـة : ٣٦) يحصر طعامهم بالغسلين وقوله تعالى : « ان شجرة الزقوم طعام الأثيم » الدخان : ٤٤) يجعل طعامهم الزقوم فماوجه الجمع ؟

تجيب عنه : ان النار دركات، و إختلاف التعبير إنما هو باعتبار إختلاف طبقات أهل النار ، فمنهم مـن طعامـه الزقـوم ، ومنهم مـن طعامـه غسلين ، و منهم مـن طعامـه الضريـع ، و منهم مـن شرابـه الحميم ، و منهم من شرابـه الصديد ...

وان الضريع : نبت تأكله الابل يضر ولا ينفع، وقدسمى ضريعاً لانه يشتبه على الابل أمره فتظنه كغيره من النبت ، والاصل من المضارعة والمشابهة .

وقيل : الضريـع كمايدل عليه لفظه : طعام غشاّ ردىء لاتتولـد عنه إلاّ الضراعة والذلة والمهانة .

٧ـ (لايسمن ولا يغنى من جوع)

وصف لطعامهم ، و تأخير نفى الاغناء من الاسمان لـرعاية الفواصـل ، و التوسل به إلى التصريح بنفى كلا الامرين إذلو قدّم لما احتيج إلـى ذكر نفى الاسمان ضرورة إستلزام نفى الأغناء عن الجوع إياه بخلاف العكس، ولذلك تكرر « لا » لتأكيد النفى وتنكير الجوع للتحقير .

والاوصاف مستمدة من مألوفات السامعين فى الحياة الدنيا لاثارة الخوف فى الكافرين ، و إرعوائهم عما هم عليه من الكفر والطغيان ، و فى تصوير طعام أهل النار بألوان مختلفة فـى أذهان الناس لابـراز بشاعته و خبثه لينفر و امنه نفوسهم ، وتطلب كـل وسيلة للفرار منه فتبتعد عن العقائد الفاسدة و الاعمال الباطلة التى تنجرّ إلى تلك الطعوم : من ضريع ، وغسلين وزقوم ...

وقيل : لايعرف لطعام أهل النارشبيه فى الحياة الـدنيا ، ولهذا وصفه الله عزوجل بانه : «لايسمن ولا يغنى من جوع» أى انه لاتتقبله الاجسام و لاتتفاعـل معه كما أنـه لايشبع جوع الجياع ، ولوكان معروفاً عند العرب لما وصف هـذا الوصف الكاشف .

وقدسمى الله تعالى ذلك الطعام بالضريع تشبيهاً له به ، و إلاّ فذلك العالم ليس فيه نموّ أبدان ولا تحلل موادّ على النحو الذى يكون فى الدنيا . بل هـو عالم خلود وبقاء و اللذائذ فيه لذائذ سعادة ، والآلام آلام شقاء ، فكل ما فى ذلك العالم إنما يقع بينه وبين ما فى عالمنا نوع مشابهة لااتفاق ولا مجانسة، فهذا كله يدل على أن طعام النارشىء يوافق النشأة الآخرة .

٨ـ (وجوه يومئذ ناعمة)

شروع ببيان حديث أهل الجنة ، وقدّم حكاية حال أهل النار لأنه أدخل فى تهويل الغاشية، وتفخيم حديثها، ولان حكاية حسن حال أهل الجنة بعدحكاية سوء حال أهل النار ممايزيد المحكى حسناً وبهجة .

ولم تعطف هذه الوجوه الناعمة على تلك الوجوه المغمومة مـع أنها مـن حديث الغاشية، ايذاناً بكمال التباين بين الوجوهين، وتنبيهاً إلى كمال البينونة بين أصحابهما وبين حالى الفريقين ومآلهما ، وليكون ذلك عزلاً عن هذه الوجوه الناعمة وتلك الوجوه المنكرة ، ولا جامعة بينهما ، و إيماءاً إلى عدم الانعطاف بين الوجوهين ، هذه ناعمة ناضرة ضاحكة مستبشرة مبيضة ، وتلك وجـوه خاشعة مودة ذليلة مهينة باسرة عليها غبرة تـرهقها قترة ، و هـذه ناعمة ظاهـر البهجة و السرور ، وتلك منكسرة مغمومة ، فأين وجوه من وجـوه وشتان بين أصحابهما ؟ إذ فريق فى الجنة ونعيمها ، وفريق فى السعير وعذابها .

وقيل : لم تعطف الوجوه الناعمة على ما قبلها خلاف ما فى سورة القيامة: « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة و وجوه يومئذ باسرة » : ٢٢ ـ ٢٤)

لانه أراد ههنا ماأجمل في قوله عزوجل : «هل أتاك حديث الغاشية» .

قوله تعالى : « ناعمة » من النعمومة كناية عن البهجة بسبب العيش الرغيد والرفاه ، عن السرور بسبب رضا الله تعالى عنها الظاهر على البشرة ، أومن النعمة أى متنعمة .

وفيه إثارة الغبطة في المؤمنين بما يعرفونه ، ويتأثرون به إقبالاً وإرتياحاً ورغبة مضافاً إلى حقيقة الآخرة الايمانية .

٩- (لسعيها راضية)

مستأنف بيانى سيق لبيان سبب ناعمية تلك الوجوه المبيضة يوم القيامة فكأنه قيل : لماذا كانت هذه الوجوه ناعمة يومئذ ؟ فقيل : لانها يومئذ راضية عماسعت في تحصيل العقيدة الحقة ، و إتيان الاعمال الصالحة ... في الحياة الدنيا حين ترى عاقبتها الحسنى ، وثمارها الدائمة يوم القيامة . وفي ايثار اللام بدل « عن » مالايخفى على القارىء الخبير.

١٠- (في جنة عالية)

شروع ببيان أوصاف ديار أصحاب الوجوه الناعمة ومساكنهم ومايتنعمون فيها من النعم بعد أن وصفها بالرضا عن سعيها .

و في تنكير «جنة» و وصفها بالعلوّ دلالة على قدرها ، وعظمة شأنها ، و كثرة خيرها و كمال أمنها ، و شتى جهاتها لايقدر قدرها ، ولا يكتنه كنهها .

١١- (لاتسمع فيها لاغية)

وصف آخر للوجوه الناعمة بوصف جزائها .

وفي تلخيص البيان قال : « وهذه إستعارة - أى لاتسمع فيها كلمة ذات لغو ، فلما كان صاحب تلك الكلمة يسمى لاغياً بقولها سميت هى لاغية على المبالغة في وصف اللغو الذى فيها ، وقال بعضهم : معنى ذلك : لاتسمع فيها

نفس حالفة على كذب ولا قاطعة برفثلان الجنة لالغو فيها ولا رفث ولا فحش ولا كذب»

١٢- (فيها عين جارية)

صفة ثالثة للجنة ، و فى تنكير « عين » دلالة على التنويع والكثرة ، ف « عين » إسم جنس يشمل للجميع ، فليست صنفاً خاصاً أوعين واحدة ، بل يريد عيوناً فى غاية الكثرة كقوله تعالى : « علمت نفس » الانفطار : ٥)

قال الله تعالى : « ان المتقين فى جنات وعيون » الذاريات : ١٥)

١٣- (فيها سرر مرفوعة)

وصف رابع ، عرضاً لمافى هذه الجنة العالية من ألوان النعيم ، و فى الوصف من التشريف و التكريم ، و فى الجمع من التكثير و التنويع مالا خفاء فيه.

١٤- (وأكواب موضوعة)

وصف خامس للجنة، وفى جمع « أكواب » وهى القدح المعدة على حافات العيون الجارية لأهل الجنة العالية إشارة إلى أنها هى التى تحمل الشراب لهم كلما أرادوا الشرب وجدوها .

١٥- (ونمارق مصفوفة)

صفة سادسة للجنة العالية ، و فى إنتهاء الجموع وتنكير وصفها دلالة على تنويع الوسائد ، وتكثير الطراحات المتنوعة عليها ، فان النمارق هى الوسائد التى يتصل بعضها ببعض على هيئة مجالس الملوك فى الحياة الدنيا، فان أرادوا جلسوا عليها، وإذا شاؤا استندوا إليها، واذا أحبوا أجلسوا على بعضها، واستندوا إلى بعض فعلوا .

١٦- (وزرابى مبثوثة)

وصف سابع للجنة ، وفى ايثار « زرابى » بصيغة إنتهاء الجموع و وصفها

بالبثاثة مالا يخفى كما ان فى ذكر تلك الا وصاف السبعة من إثارة الرغبة فى الايمان و السعى فى صالح الا عمال ، و الغبطة فى المؤمنين مالا يخفى .

وفى ذكرها أيضاً تصوير لترف أهل الجنة يقربه من عقولهم، فيستطيعون به إدرا كه وفهمه ، و إلاّ فان نعيم الجنة مما يسمو على الكفر و يعلو فوق متناول الادراك ، فالاشياء التى عدّدها الله جل وعلا تتشابه مع نظائرها التى فى هذه الحياة بأسمائها، و أما حقائقها وذواتها فليست مثلها ، ولا قريباً منها، إذليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلاّ الأسماء ...

قال الله تعالى : « و اتوابه متشابهاً » البقرة : ٢٥)

وقال : «فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» السجدة : ١٨)

١٧- (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت)

مستأنف بيانىسيق لتقرير ما فصّل من حديث الغاشية ، وماهو مبنىّ عليه من البعث الذى هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لايستطيعون إنكاره ، و الاستفهام إنكارىتوبيخى لهم جهدأمر البعث تساؤل ينطوى على التنديد والتعجب عما إذا لم يكونوا يرون فى خلق الابل، وعلى الامر بالنظر فى مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته ...

إلفات لهؤلاء المشركين المكذبين بالغاشية إلى قدرة الله عزوجل تلك القدرة القادرة على أن تعيدهم إلى الحياة بعدالموت ، و أن تردّهم إلى الله تعالى للحساب و الجزاء ، و فى إلفاتهم إلى الابل و إلى فخامتها وقوتها ، و ما أودع الخالق فيها من قوى قادرة على حمل الاثقال و المشى فى الرمال ، و إلى الصبر على الجوع والعطش ـ كل هذا يكشف عن صانع عظيم ، عليم حكيم ، خلق فسوّى وقدر فهدى ، ولان أوّل ما يلفت النظر إلى الابل هو قاماتها العالية و

رقابها المرفوعة ، فقد ناسب ذلك أن يلفتوا إلى السماء و إلى هذا العلو الشاهق الذى لا حدود له ...

و الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام على سبيل التفريع .

قوله تعالى : « الابل » واحدها بعير ، ولا واحد لها من لفظها كالرهط والقوم والنساء.

ان تسئل : ان الفيل أعظم من الابل فى الاعجوبة ، فهلاّ خص الابل بالذكر ، ومثّل به فى القدرة الالهية ؟؟؟

تجيب : خص الابل بالذكر لانها كانت غالب دوابهم و أفضلها و أعمها نفعاً و كثرة انسهم بها فى السفر والحضر ، وحملها والشرب منها وأكلها ولبسهم من أوبارها و جلودها ، وتفرّد خصائصها من بين الحيوانات من قوتها و ضخامتها و ضلاعة تكوينها و ذلولها بحيث يقودها الصغير فتنقاد و عظم نفعها و خدمتها و قلة تكاليفها فى مرعاها و مشربها و صبرها و كيفية خلقتها و هيئتها .

نعم خص الابل بالذكر لانها خلق عجيب وتركيبها غريب ، فانها فى غاية القوة و الشدة وهى مع ذلك تلين للحمل الثقيل ، وتنقاد للقائد الضعيف و تؤكل و ينتفع بوبرها ويشرب لبنها ، تبرك لتحمل وتنهض بما تحمل مع الصبر على السير و الجوع والعطش ، ولهذا وجّه الله تعالى أنظار المخاطبين ، فنبّهوا بذلك إلى تدبر خلق الابل وهى بين أيديهم ، فلا تحتاج منهم إلى نقلة ولا علم جديد .

و قوله تعالى : « كيف » فى موضع نصب بما بعده كقوله تعالى : « كيف تكفرون بالله» و كلمة « كيف» معلقة لفعل النظر ، والجملة فى حيّز الجرعلى أنها بدل إشتمال من الابل .

فالمعنى : أينكرون ما ذكر من البعث و أحكامه ، ويستبعدون وقوعه من

قدرة الله عزوجل فلاينظرون إلى الابل التى هى نصب أعينهم يستعملونها كـل حين إلـى أنها كيف خلقت خلقاً بديعاً معدولاً بـه عـن سنن خلقة سائر أنواع الحيوان فى عظم جثتها و شدة قـوتها ، و عجيب هيئاتها اللائقة بتأتـى ما يصدر عنها من الأ فاعيل الشاقة كالنوء بالا وقار الثقيلة ، وجـرّ الاثقال الفادحة إلـى الاقطار النازحة ، و فى صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظمأها لتبلغ العشر فصاعداً ، و إكتفائها باليسير و رعيها لكل مايتيسر من شوك وشجر ، وغير ذلك ممالا يكاد يرعاه سائر البهائم ، و فى انقيادها مع ذلك للانسان فـى الحر كـة والسكون ، و البروك والنهوض حيث يستعملها فـى ذلـك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير و كبير.

۱۸- (و الى السماء كيف رفعت)

إلفات نظر إلى السماء المرفوعة بلا عمدير اه الانسان ، تدليلا على القدرة القادرة على البعث بدءالموت للحساب و الجزاء .

۱۹- (و الى الجبال كيف نصبت)

إلفات نظر إلى الجبال الثابتة الراسية أوتـاداً للارض لئلاتميد بـأهلها ، فلو لاها لمادت بهم مضافاً إلى ما فيها من المنافع والمعادن ، فالجبال من عجائب شاهدة على وجود الله عزوجل وعظمته وقدرته ...

وفى الالفات تنديد بالجا حدين الذين كانوا يتغافلون عن مشاهد عظمة الله تعالى و قدرتـه ، و يتصامون علـى الوقـوف عـن الدعوة إليه ، وعلـى الكفر بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وعلى إنكار البعث للحساب و الجزاء .

۲۰- (و الى الارض كيف سطحت)

إلفات نظر إلى الارض الصالحة لسكنى الانسان ، و المشى فى منا كبها ، و الاقامة عليها و التصرف فيها بالنقل و الانتقال والصناعة ...

ومما يحسن لفت النظر إليه ان المشاهـد التى احتوتها الايـات الاربـع

من المشاهد الواقعة تحت حسّ المخاطبين ونظرهم، و المالئة أذهانهم بعظمتها ونفعها، وهو مما جرى عليه النظم القرآني لانه أدعى إلى الانتباه و أدعى إلى النفوذ، فخصّ تلك المخلوقات بالذكر لان الناظر منهم يفكر في أقرب الاشياء اليه، فهو يرى بعيره الذي يمتطيه، ثم إذا هو رفع رأسه فوق رآى السماء ثم إذا التفت يمنة ويسرة رآى ما حواليه من الجبال، فاذا مرّ ناظريه أمامه أوتحته رآى الارض، فالعربي يرى ذلك كل يوم، ومن ثم أمره الله تعالى بالتدبر فيها.

وقيل: ان الله عزوجل نبّه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه، و السماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والارض التي تحت قدمه على قدرة خالق ذلك وصانعه، و انه هو الرب العظيم الخالق المالك المتصرف، و انه الاله الذي لايستحق العبادة سواه.

و ان هذه تدبيرات كلية مستندة إلى الله عزوجل بلا ريب فيه، فهو رب السماء والارض و مابينهما، فهو رب العالم الانساني يجب عليهم أن يتخذوه رباً ويوحّدوه ويعبدوه و أمامهم الغاشية وهويوم الحساب والجزاء.

٢١- (فذكر انما أنت مذكر)

شروع ببيان أقصى مهمة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و تحديد وظيفته و حصرها بالتذكير بالله جل وعلا، و إلفات العقول و الأفكار، والقلوب و الالباب إلى قدرته و تدبيره، وإلى علمه و حكمته، و إلى ماله جل وعلا من نعم سابغة على عباده على طريق الامر مع الاشارة إلى التعليل لهذا الأمر، فلا بد من التذكير المستمر و الانذار الدائم رجاء أن يستجيبوا و يؤمنوا من غير إكراه ولا إلجاء.

وفي حذف المفعول دلالة على عموم المهمة ...

٢٢- (لست عليهم بمصيطر)

تقدير تطميني للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و تأكيد تعليلي لما قبله، وتحقيق لمعنى الانذار، بأن هذا هو قصارى مهمته صلى الله عليه وآله وسلم فهو مذكر، وليس مسئولاً عن جحودهم و كفرهم، عن ضلالهم و طغيانهم، وعن عنادهم وعصيانهم ... ولا مكلفاً بالسيطرة عليهم وإجبارهم على الايمان، ولا مسلطاً على من رفض الاسلام ولم ينصب له العداء.

و في هذا إطلاق للانسان وتحرير لذاته و شخصيته وأفكاره من أي سلطان إلاّ سلطان عقله و ضميره، و في هذا تكريم للانسان وإعتراف بمكانه في الوجود و انه لاوصاية عليه من أحد حتى الانبياء والرسل ...

انهم ليسوا أوصياء عليه، و إنما هم هداه يرفعون لعينيه مشاغل الهدى في طريق حياته، فانشاء سار في الطريق الذي يكشف عنه هذا النور، و إن شاء أخذ الطريق الذي اختاره له عقله، وارتضاه ضميره و لوكان كفراً وضلالاً فتلك مشيئته التي شاءها لنفسه، فليس عليك هداهم، و إنما عليك ذكراهم إذ لاتملك من أمر قلوبهم شيئاً حتى تقهرها على الايمان، فانما القلوب بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

٢٣- (الا من تولى وكفر)

إستدراك بان ذلك لايعني عدم مسئولية المعرضين عن دعوة الله عزوجل الكافرين برسالة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فانهم سينالهم عذاب الله الاكبر، و في الاستدراك وعيد من جهة، وتطمين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من جهة اخرى.

قيل: ان الاستثناء هنا إستثناء من عموم الاحوال التي تدخل في السيطرة الواقع عليها النفي، أي لست مسيطراً على الناس إلاّ في حال واحدة، وهي حال من تولى و كفر، فانه في هذه الحال واقع تحت سلطان العذاب الذي أنذرته به ... وهذا العذاب في يدالله، يعذب به هؤلاء الذين تولّوا و كفروا فالسلطان الواقع

على الانسان هنا ، هوسلطان الله عزوجل وليس الرسول ﷺ إلا منذراً بهذا السلطان محذراً منه .

٢٤ـ (فيعذبه الله العذاب الاكبر)

وصف العذاب بهذه الصفة التي تحصر غاية العذاب وصوره كلهافيه ـ لان كل ما عرفه الناس في الدنيا من عذاب هوعذاب دون هذا العذاب قدراً وأثراً ، فهو العذاب الاكبر كبراً مطلقاً لاحدود له .

٢٥ـ (ان الينا ايابهم)

تقرير لمصير المعرضين عن الدعوة الحقة ، ومآل أمر الكافرين بالله تعالى، وتأكيد لتعذيب الله جل وعلا إياهم بالعذاب الاكبر، وتسلية لقلب رسول الله ﷺ وإزالة أحزانه وآلامه لتكذيبهم إياه و إصرارهم على معاندته .

ولا يخفى على القارىء الخبير ما بين الاياب و الرجوع من الفرق : ان الاياب هو الرجوع إلى منتهى المقصد ، والرجوع يكون لذلك ولغيره ألاترى انه يقال : رجع إلى بعض الطريق ، ولا يقال : آب إلى بعض الطريق ، ولكن يقال ان حصل في المنزل ، ولهذا قال أهل اللغة : التأويب أن يمضي الرجل في حاجته ثم يعود ، فيثبت في منزله .

و قال أبو حاتم : التأويب أن يسير النهار أجمع ليكون عندالليل فيمنزله وأنشد : البايتون قريباً من بيوتهم ـ ولو يشاؤن آبوالحي أو طرقوا و هذا يدل على أن الاياب: الرجوع إلى منتهى القصد، ولهذا قال تعالى: «إن إلينا إيابهم» كأن القيامة منتهى قصدهم لأنها لامنزلة بعدها .

٢٦ـ (ثم ان علينا حسابهم)

التراخي في الرتبة لافي الزمان ، فان الترتب الزماني بين إيابهم وحسابهم لا بين كون إيابهم إلى الله عزوجل، وحسابهم عليه تعالى، فانهما أمران مستمران و في تصدير الجملتين بحر في التأكيد ، وتقديم خبرها المجرور وعطف الثانية

على الاولى بحرف التراخي المفيدة لبعد زمن الحساب من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب مالا يخفى .

وفي ايثار ضميرى التكلم مع الغير تعظيم ، و في الآيتين الكريمتين ما يجمع بين الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ، والخوف و الرجاء مالا يخفى على المتدبر الخبير .



﴿ الاعجاز ﴾

و من البيّن اننا لانستطيع أن نجيىء بجميع نواحى إعجاز كل سورة من السور القرآنية لطول مداها ، فنكتفى بوجهين من وجوه إعجاز هذه السورة إجمالا :

أحدهما : هو الفاصلة وهى ظاهرة قرآنية واضحة المعالم فى الصورة التى جاء بها القرآن الكريم ، والتى بها إنفرد عن أن يكون نثراً أو يكون شعراً على نحو ماكان عليه الادب العربى ...

و ان الفاصلة قد جعلت القرآن المجيد نحواً جديداً من أنحاء الكلام العربى ، فاذا كان الكلام العربى قبل نزول القرآن هو الشعر و النثر فانه بعد نزول القرآن أصبح الكلام العربى : شعراً ونثراً وقرآناً .

و قد اعتبر العلماء هذا الاسلوب الذى جاء به القرآن الكريم إعجازاً قائماً بذاته لانه نقض العادة ، و خرج على المألوف ، و هذا شأن المعجزة !

وقال الرمانى فى رسالته : «النكت فى إعجاز القرآن » :

«فان العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة ... منها : الشعر ومنها السجع ، ومنها الخطب ، ومنها الرسائل ، و منها المنثور الذى يدور بين الناس فى الحديث . فأتى القرآن المجيد بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها

منزلة فى الحسن تفوق كل طريقة ...

ولولا ان الوزن يحسن الشعر لنقصت منزلته فى الحسن نقصاناً عظيماً...

ولذلك من جاء بغير الوزن المعروف فى الطباع الذى من شأنه أن يحسّن بما يفوق الموزون فهو معجزة » يريد الرمانى أن يقول : ان هذا القرآن الكريم مع خلوّه من الوزن الملتزم الذى يحسّن الكلام و الذى يجعل للشعر هذه المنزلة ذات الأثر القوى فى النفوس ـ القرآن مع خلوّه من هذا فقط علا بحسنه على كل حسن ، وفاق مع تجرده من الزخرف و الحلى كل كلام مزخرف محلّى...وبهذا كان معجزاً.

هذا وقد تصرّف القرآن الكريم فى الفاصلة تصرفاً معجزاً لايتسع له جهد البشر، ولو اجتمعوا له ... وان الفاصلة فى القرآن المجيد ألوان و طعوم تكاد تتعدد ألوانها وطعومها بعدد أى القرآن الكريم ...

فكل فاصلة مقطع من البيان ، و نغم من الألحان، وآية من آيات الاعجاز فى إتصالها بالآية و فى إنفرادها عنها ، و فى توازنها مع غيرها أو إستقلالها بذاتها ...

ان فى هذه السورة فواصل تتجلى روعة القرآن ، تبين إحكام نسجه ، و تلاحم بناؤه على صورة تبهر العقول ، و تأخذ بمجامع القلوب كلها يشهد شهادة قاطعة لاتقبل الجدل ولا الشك على أن هذا القرآن الكريم ليس من تلقاء نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا هو من قول البشر، و إنما هو ذكر من الله عزوجل أنزله على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو المذكر به .

ومن الفواصل : فواصل متوازية :

وهى التى تتفق فيها الفاصلتان فى الوزن و حرف السجع كقوله تعالى : « فيها سرر موضوعة و أكواب موضوعة » الغاشية : ١٣ـ١٤)

فالفاصلتان : مرفوعة و موضوعة متوازيان .. وزناً وقافية ..

و منها : فواصل متوازنة :

وهى التى تتفق فيها الفاصلتان فى الوزن دون غيره .. كقوله تعالى : « و نمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة » الغاشية : ١٥-١٦)

فالكلمتان : مصفوفة و مبثوثة متفقتان وزناً مختلفتان سجعاً.

ومنها : فواصل مطرفة :

و هى التى تتفق فيها الفاصلتان فى حرف السجع دون الوزن .. كقوله تعالى : « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر » الغاشية : ٢١-٢٢)

فالفاصلتان : مذكر ومصيطر مختلفتان وزناً متفقتان سجعاً .

فلا تجد الأذن من تلك الفواصل إلاّ حسناً مجدّداً ، ولا يطعم اللسان منها إلاّ طيبات متنوعة ، فتدبر جيداً و اغتنم جداً .

ثانيهما : ما جاءت السورة به من الناحية الاجتماعية لم يكن معهوداً فى العالم ولم يعهد على وجهه الكامل حتى اليوم و هو نفى السلطة الدينية فى الدين الاسلامى ، و قد كانت لجميع الملل و النحل قادة يتحكمون فى أمر العقائد و شئون الآخذين بها بأيديهم كتبها ، و تحت تصرفهم شرحها و بيانها لايفتات عليهم من ليس منهم ، ولايتطال إلى تعديل عوجهم كائن من كان فى قوامهم و كانوا يتسلطون على النفوس و العقول و الافكار ، و يسيطرون على الاهواء و الميول ، و بينما الامم على تلك الحال و إذاً بالقرآن يخاطب العقول بصوت جهورى : « كل نفس بما كسبت رهينة » المدثر : ٣٨)

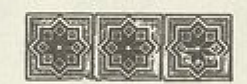
« و أن ليس للانسان إلاّ ما سعى و أن سعيه سوف يرى » النجم : ٣٩ - ٤٠)

« لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » البقرة : ٢٥٦)

«لست عليهم بمصيطر» الغاشية : ٢٢)

« وما أنت عليهم بجبار » ق : ٤٥)

فقرّر القرآن الكريم بهذه النصوص أن لا سيطرة دينية للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن غيره .



﴿التكرار﴾

وقد افتتحت السورتان بحرف «هل» : أحدهما - سورة الانسان. ثانيهما- سورة الغاشية .

وقوله تعالى : « وجوه يومئذ » : ٢) و « وجوه يومئذ » : ٨) ليس بتكرار لان أصحاب الاولى هم الكفار والمجرمون، وأصحاب الثانية هم الابرار والمؤمنون، وكان القياس أن تكون الثانية بالواو للعطف، لكنها جائت على وفاق الجمل قبلها وبعدها، وليس معهن واو العطف ألبتة .

ونشير فى المقام إلى صيغ تسع لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الا ستقصاء فى بحث اللغة - الصيغ التى جاءت فى هذه السورة و فى غيرها من السور القرآنية :

١- جاءت كلمة (الضرع) على صيغها فى القرآن الكريم نحو: ثمان مرات:

١ - ٣- سورة الانعام : ٤٢ و ٤٣ و ٦٣) ٤- سورة المؤمنون: ٧٦) ٥- ٧- سورة الاعراف : ٥٥ و ٩٤ و ٢٠٥) ٨- سورة الغاشية : ٦)

٢- « « « (السمن) « « « « : أربع مرات:

١- سورة الغاشية:٧)٢- سورة الذاريات:٢٦) ٣و٤- سورة يوسف:٤٣و٤٦)

٣- « « « (الوجه) « « « « : ٧٨ مرة:

٤- « « « (اللغو) « « « « : ١١ مرة:

٥- « « (نمارق) « « « : مرة واحدة:

وهى فى سورة الغاشية: ١٥)

٦- « « (زرابى) « « « :مرة واحدة:

وهى فى سورة الغاشية: ١٦)

٧- « « (السطح) « « « :مرة واحدة:

وهى فى سورة الغاشية: ٢٠)

٨- « « (العذاب) « « « :٣٧٣ مرة:

٩- « « (الأوب) « « « : ١٩ مرة:

« التناسب »

و اعلم أن البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة و ما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها :

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة « الذاريات » فالمناسبة بينهما فبامور :

أحدها : انه لما ابتدئت سورة « الذاريات » و انتهت بانذار الظالمين الكافرين باليوم الموعود : «إنما توعدون لصادق و ان الدين لواقع ـ فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروامن يومهم الذى يوعدون» : ٥ـ٦٠)

ثانيها : لماكان فى السورة السابقة ما يدلّ على ان النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قد ظلّ يشعر به من ألم وحزن من عدم إستجابة معظم الناس، وما كان قد ظلّ يكلف نفسه به من جهد يكاد يفوق الطاقة البشرية إلى حدّ الأذى و الشقاء فى سبيل هدايتهم و إقناعهم، جاء فى هذه السورة ما يطمئن للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ويقرر له بانه ليس مسيطراً ولا إجباراً ولا مسئولاً على الناس ، و بأن قصارى مهمته التذكير والتبليغ.

ثالثها : انه لما اشير فى السورة السابقة إلى ماوعده الله عزوجل من البعث و

الحساب و الجزاء على طريق التأكيد بالاقسام الربانية مع حملة شديدة على المكذبين الجاحدين وتنويه بالمتقين و صالح أعمالهم و مصائرهم فى الآخرة جائت هذه السورة بالتذكير بالآخرة و عيداً للكافرين و بشرى للمؤمنين.

وغيرها من التناسب فعلى القارىء الخبير التأمل.

وأما الثانية : فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصحفاً فبامور أيضاً :

أحدها ـ لما ختمت سورة «الاعلى» بالحديث عن الآخرة والترغيب فيها، و انها خير من الدنيا و ما فيها لانها الحياة الخالدة الباقية التى تستحق أن يعمل الانسان لها ويؤثرها على الدنيا، و ايثار الحق على الباطل، والايمان على الكفر، و العظيم على الحقير، والباقى على الفانى، ولكن حب الدنيا ومتاعها قد غلب على أكثر الناس، فصرفوا هممهم كله إلى زخارف الدنيا، ولم يعطوا الحياة الآخرة شيئاً من وجودهم، فجاؤا إلى يوم القيامة مفلسين معدمين ليس فى أيديهم زاد لها، بل كل مايحملون هوأوزار و آثام وضلالات ...

إفتتحت هذه السورة بالحديث عن الغاشية وهى القيامة و عن أهوالها و أحوال أهلها تذكيراً للناس بها، و تنبيهاً لهم إلى مايلقى المجرمون فيها من عذاب ونكال، و مايلقى المؤمنون فيها من جنة ونعيم ...

ثانيها ـ لما اشير فى سورة «الاعلى» إلى أهل الذكر و الفلاح، وأصحاب التزكى و الصلاة ... و إلى أهل الاعراض و الفساد و التلوث بالمعصية و الطغيان ... و إلى أهل الجنة و النار إجمالاً بسط الكلام فيها فى هذه السورة.

ثالثها ـ لما اشير فى سورة «الاعلى» إلى مهمة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهى تذكير الناس بما اوحى إليه مقيداً بالنفع، وتقرير مواقف الناس إزاء الدعوة بانهم فيها على طائفتين :

فريق سعيد : وهم الذين يخشون ربهم ، فتنفعهم الذكرى ، وهم يؤثرون الآخرة على الدنيا و فريق شقي : و هم الذين لايخشون ربهم ، فلا تنفعهم الذكرى ، وهم يؤثرون الحياة الدنيا على الاخرة .

أخذت هذه السورة بوصف أحوال الفريقين يوم القيامة فللاشقياء والفجار، وعبيد الدنيا والكفار ، و تبعة الاهواء والفساق يومئذ وجوه يظهر عليها الذل والهوان ، والخزى والانكسار .. تلفحها النار الحامية ... وللاتقياء و الابرار، و أتباع الحق والأخيار يومئذ وجوه ناعمة من أثر السرور بالرفاه والرغد، وهم فى الجنة العالية ...

وأما الثالثة : فان السورة بنيت على فصلين متناظرين :

أحدهما ـ فى الانذار بيوم القيامة ، و وصف مصيره، وأحوال المؤمنين والكفار فيه .

ثانيهما ـ فى لفت نظر الناس إلى بعض مشاهد الخلق والكون الدالة على ربوبية الله تعالى وقدرته، وفيه معنى التنديد بالكفار مع بيان النبى الكريم ﷺ و كونها للتبليغ و التذكير ليست لاكراه الناس .

فآيات الفصل الثانى و إن بدت فصلا مستقلا عن الفصل السابق ، ولكنها ليست منقطعة عنه ، فان ذلك الفصل وصف لمصائر الناس يوم القيامة ، فجاء هذا الفصل للتنديد بالجاحدين منهم الذين يتغافلون عن مشاهد عظمة الله جل وعلا وقدرته و يتصاممون عن الدعوة إليه، ويكفرون بنبيه ﷺ و إنذارهم وتهوين موقفهم على النبى ﷺ .

وتفصيل ذلك ان السورة لما ابتدأت بسؤال موجه إلى المخاطب السامع أوإلى النبى الكريم ﷺ تنبيهاً وإسترعاءاً عما إذا كان قد علم ما سوف يكون فى يوم القيامة الذى يدهم الناس أخذت بوصف الناس فى ذلك اليوم تذكيراً بالآخرة ، و وعيداً للكافرين وبشرى للمؤمنين ، ولاثارة الخوف فى الكافرين ،

و الغبطة فى المؤمنين بما يعرفونه ويتأثرون به إقبالا و إرتياحاً ورغبة أوانقباضاً و إشمئزازاً بالاضافة إلى حقيقة الاخرة الايمانية .

فبعد ما فرغ من وصف الغاشية وبيان حال الفريقين عقّبه باشارة إجمالية إلى التدبير الربوبى الذى يفصح عن ربوبيته عزوجل المقتضية لوجوب عبادته، ولازم ذلك حساب الاعمال وجزاء المؤمن بايمانه والكافر بكفره .

و بعبارة اخرى ان الله تعالى لما ذكر أحوال المعاد عاد إلى الاستدلال على المبدأ ، فان من دأب القرآن الكريم انه يرجع إلى تذكير الاصول عود إلى بداية .

ان تسئل : و أى المناسبة بين السماء و الابل و الجبال والارض حتى جمع بينها ؟

تجيب : ان الله تعالى لما ذكر أمر أهل الدارين ومآل أمرهم ، و وصف الجنة بما وصف تعجب من ذلك الكفار فكذبوا وأنكروا، فذكّر هم الله عزوجل عجائب صنعه ومشاهد قدرته، فخو طبوا أولاً بما هومر كوز فى خزانة.. خيالهم، ولاريب ان جلّ هممهم مصروفة بشأن الابل ، وأنها كثيرة فيهم، ومنها يأكلون ويشربون ، ومن أصوافها وأو بارها ينتفعون ، وعليها فى متاجرهم وسفرهم ، فنصب الله تعالى لهم دليلا من مصنوعاته يمكنهم أن يستدلوابه على كمال حكمة الصانع ونهاية قدرته لم يكن شىء أحضر صورة فى متخيلهم من الابل ، فنصبها لهم ، ولا ريب انها من أعاجيب مصنوعات الله تعالى صورة وسيرة .

ثم ان أصحاب المواشى لشدة حاجتهم إلى الماء المستعقب للكلا صار جلّ نظرهم إلى السماء التى منها ينزل المطر ، ثم إلى الجبال التى هى أقرب إلى السماء ، وأسرع لوقوع المطر عليها و حفظ الثلج الذى منه مادة العيون والآبار عند اقلاع الامطار على أنها مأ منهم ومسكنهم فى الاغلب ، ثم إلى الارض التى فيها ينبت العشب وعليها متقلبهم ومرعاهم .

وبالجملة ان السورة إفتتحت بمشهد العذاب قبل مشهدالنعيم لانه أقرب إلى جوّ (الغاشية) وظلها ثم ذكرت آثار الشقاء تصب من الوجوه الخبيثة اللعينة وشدتها في النار ، ثم وصفت النار وعذابها لهؤلاء الاشقياء ، ثم اخذت بذكر آثار السعادة التى تفيض من وجوه السعداء وذكر ما فى الجنة من الرخاء والمتاع ، ثم بوصف الجنة ومناعمها المتاحة لهؤلاء السعداء ، ثم وجهت نظر الانسان وقلبه إلى أبدع صنائع الله تعالى تكفى وحدها أن يعرف بها صانعها ، و أياًكان حظّ الانسان من العلم والحضارة لان كل المشاهد داخلة فى إدراكه وعالمه موحية له بما ورائها الصنعة :

الاول : خلق الابل .

الثانى : رفعة السماء .

الثالث : نصب الجبال .

الرابع : سطح الارض .

ثم وجّهت الخطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و بيّنت مهمته فقالت: «فذكّر» ثم أشارت إلى تعليل الأمر : «إنما أنت مذكر» ثم أكّدت الانذار وقررته : « لست عليهم بمصيطر » بأن هذه وظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على وجه التحديد ، و هذا دوره فى هذه الدعوة ، فليس له ولاعليه شيء وراءه فعليه أن يذكر الناس ، ثم وبّخت و وعّدت من أعرض عن الذكر بالعذاب ، فقالت : « إلا من تولى وكفر » ثم أكّدت التعذيب ، فقالت : « ان إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم » .

وفيهما من التسلية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم و إزالة أحزانه وآلامه لتكذيبهم إياه وإصرارهم على معاندته مالا يخفى .

قيل : قدم الشراب على الطعام فى قوله تعالى : «تسقى من عين آنية ليس

لهم طعام إلاّ من ضريع» الغاشية: ٥-٦) لان الماء يناسب النارمناسبة الضدين أو الشبيهين من حيث بساطتهما أو لانهم إذا أثر فيهم حرّ النار غلب عليهم العطش وكان الماء عندهـم حينئذ أهـم ، ثـم إذا أثـرت فيهم الحرارتـان أرادوا أن يدفعوا ألم الاحساس بها بما يزيد العذاب على البدن ، هذا مع أن الـواوليست للترتيب .



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم و المتشابه﴾

قال بعض المفسرين: إن قوله عزوجل: «لست عليهم بمصيطر» الغاشية:٢٢) منسوخ بآية السيف وهى قوله تعالى: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد» التوبة: ٥)

أقول: ان الآية الكريمة بصدد بيان نفى سيطرة النبى الكريم ﷺ على القلوب، و تحديد لمسئوليته ﷺ فى التبليغ لا فى التأثير، و كلاهما لايقبلان النسخ.

وذلك ان عدم مسئولية رسول الله ﷺ تجاه عدم قبول دعوته من هؤلاء البغاة الكفرة، و العتاة الفجرة، والطغاة الفسقة حيث هو مسئول عن البلاغ و الاداء أما التأثير والقبول فهذا شيء لايمسّه.

قال الله تعالى: «فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاّ البلاغ» الشورى: ٤٨)

فى المجمع: وقيل: معناه لست عليهم بمتسلط الآن حتى تقاتلهم إن خالفوك وكان هذا قبل نزول آية الجهاد ثم نسخ بالامر بالقتال.

ثم قال الطبرسى رضوان الله تعالى عليه: «والوجه الصحيح انه لانسخ فيه لان الجهاد ليس باكراه للقلوب، و المراد انك إنما بعثت للتذكير وليس عليك من ترك قبولهم شيء» إنتهى كلامه ورفع مقامه الشريف.

وقال بعض المفسرين: ان الاستثناء إستثناء متصل، و المعنى: لست

بمسلّط إلاّ على من تولى و كفر، فـأنت مسلط عليه بالجهـاد والله يعذّ به بعد ذلك العذاب الاكبر، فلانسخ فى الاية على هذا التقدير.

وقال بعضهم - فى الايـة الكريمة - : لاوجه للنسخ فيها ، فان الحكم - المقيد بزمان نفياً أو إثباتاً ، وحصره فيـه يرتفع الحكم بانقضاء الزمـان ، وأما المقام فـان الآيات التالية تـدل على حدوث أمر آخر، ووظيفة اخرى للنبى - الكريم ﷺ فى رسالته على سبيل الاجمال إذ قال عزوجل : « **إلا من تولى و كفر** فيعذبه الله العذاب الاكبر...»

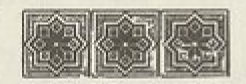
فالآيات فى معنى قوله تعالى : « فان تولوا فخذوهم و اقتلوهم حيث وجد تموهم - واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً» النساء : ٨٩-٩١).

وقوله عزوجل : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصر كم عليهم» التوبة : ١٤)

ولكن بعد مضى الزمان .

وقال بعض المفسرين:ان قوله جل وعلا : «ليس لهم طعام إلاّ من ضريع» الغاشية : ٦):آية متشابهة ، إذ لانعرف معنى الضريع ، ولاالمراد به .

أقول : وما سبق فى بحث اللغة والبيان ، وما سيأتى فى تحقيق الاقـوال والتفسير ما يرفع التشابه عن معناه ، فراجع وانتظرو تأمل جيداً .



﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١- (هل أتاك حديث الغاشية)

في قوله تعالى : « هل أتاك ... » أقوال :

١- عن قطرب: أي قدجاءك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة. على أن «هل» بمعنى «قد» كقوله تعالى : «هل أتى على الانسان...»

٢- قيل : أي لم يأتك حديث هذه الداهية ، ولم يكن هذا من علمك ولا من علم قومك ، و قد أتاك الآن فاستمع قصتها و خبرها . و عن إبن عباس : أي لم يكن أتاك حديث الساعة قبل ذلك على هذا التفصيل المذكور ههنا .

٣- قيل : أي هل بلغك نبأ يوم القيامة وعلمت قصصه، و اننا سنعلمك شأنه الخطير وهذا اسلوب من الكلام لايراد منه حقيقة الاستفهام ، بل يراد منه تعجيب السامع مما سيذكر بعد وتشويقه إلى إستماعه و توجيه فكره إلى أنه من الأحاديث التي من حقها أن تتنا قلها الرواة و يحفظها الوعاة .

٤- عن الكلبي: انها خرجت مخرج الاستفهام لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى : إن لم يكن أتاك حديث الغاشية فقدأتاك .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها فتأمل جيداً.

وفي قوله تعالى: «الغاشية» أقوال :

١- عن إبن عباس وإبن زيد وقتادة والحسن: الغاشية من أسماء يوم القيامة

عظّمه الله تعالى وحذّره عباده لانه يغشى الناس ويعمهم ، فالغاشية كناية عن يوم القيامة حيث يدهم الناس و يغشاهم بأهوالها بغتة أو يشملهم ، سميت بذلك لانها تغشهم بشدائدها و أهوالها وتحيط بهم بأفزاعها ...

٢ـ قيل : الغاشية من أوصاف الساعة مبالغة في الغشي : الستر الشامل ، و ذلك لان الساعة تغشى الناس حشراً كما تغشاهم إماتة في قيامتها وتغشى الكفار منهم عذاب النار وهي في الاصل : الغطاء . فالساعة تغشى الكفار بالبلاء و الاهوال و الكروب، و تغشى الفجار باللفح في الوجوه و الشواظ و النحاس...

٣ـ قيل : الغاشية : النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلائق كلهم ... و قيل هي الداهية التي تغشى الناس وتغمرهم بأهوالها وشدائدها ...

٤ـ عن إبن عباس أيضاً وسعيدبن جبير ومحمدبن كعب: الغاشية: هي النار التي تغشى وجوه الكفار بالعذاب و أزواجهم لقوله تعالى : «و تغشى وجوههم النار» إبراهيم : ٥٠)

٥ـ قيل الغاشية هي : أهل النار يغشونها و يقتحمون فيها لقوله عزوجل: « يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم » العنكبوت : ٥٥)

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ولكن التعميم غير بعيد .

٢ـ (وجوه يومئذ خاشعة)

في «وجوه» أقوال :

١ـ عن إبن عباس : اريد بالوجوه وجوه اليهود والنصارى .

٢ـ قيل : اريد بالوجوه كبراء الكفار والفجار من الامراء والحكام و الرؤساء والمترفين تقول : جائني وجوه بني تميم أي ساداتهم ...

٣ـ عن يحيى بن سلام و مقاتل و إبن زيد: اريد بالوجوه وجوه الكفار كلهم لأنها تكبّرت عن عبادة الله تعالى .

٤- قيل: اريد بالوجوه أصحابها كلها، وذلك ان الضمائر والافكار والصفات والافعال الراجعة إليها لاتناسب إلاّ الذوات، وعبّر عنها بها لأنها نحو العرض و الحساب، و إستقبال الساعة لهم بوجوهها كلها، و ان هذه الوجوه تشمل لوجه الظاهر و الباطن، و من الباطن: وجه العقل والصدر و القلب والسر والخفى و الاخفى، وجوه سبعة تغشاها الساعة، فكلها خاشعة، فالخشوع هوالضراعة سواء كان فى الظاهر أم فى الباطن مالم يقرن مما يدل على الاول، و إن كان هو الاكثر إستعمالاً إذاً فغاشية الساعة تغشى الوجوه كلها، فتصبح خاشعة كلها.

أقول: وعلى الثالث جمهور المحققين.

و فى قوله تعالى: «خاشعة» أقوال:

١- عن سفيان: أى ذليلة بالعذاب إذ كل متضائل ساكن خاشع يقال: خشع فى صلاته إذا تذلل و نكس رأسه وخشع الصوت: خفى قال الله عزوجل: «وخشعت الاصوات للرحمن» طه: ١٠٨).

وعن إبن زيد وقتادة: أى ذليلة فى النار.

٢- قيل: أى ذليلة بالغم عند أهوال الساعة و شدائدها، و عند دخول النار و عذابها.

٣- عن إبن عباس: أى تخشع فى موقف العرض و الحساب، و لكن لاينفعها عملها.

أقول: و الثانى هوالانسب بظاهر السياق من حيث إنقسام الناس يومئذ على فريقين: فريق الكفر والطغيان، و فريق السعى والايمان.

٣- (عاملة ناصبة)

فى الاية الكريمة أقوال:

١- عن إبن عباس وسعيدبن جبير و زيدبن أسلم وأبى الضحاك: أى أصحاب

تلك الوجوه الخاشعة هم الذين اتعبوا أنفسهم فى الدنيا على معصية الله تعالى و على الكفر كعبدة الاوثان و الرهبانيين و القسيسين من أهل الكتاب و اصحاب الصوامع و الكنائس و غيرهم من أهل البدع والسنن السيئة و الآراء الباطلة و مردة الاهواء والأبالسة ...

فلا يتقبّل الله عزوجل منهم إلاّ ما كان خالصاً له تعالى ، و إن اتعبوا أنفسهم فى الصوم الدائب والتهجد الدائم مع إتباعهم أهوائهم ...

٢ـ عن قتادة : أى تكبّرت تلك الوجوه فى الدنيا عن طاعة الله تعالى، وقد كانت تعمل و تتعب فى العمل على خلاف ما أمرها الله تعالى به .

فأعملها الله عزوجل و أنصبها فى النار بجرّ السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة فى العرصات فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

وعن سعيدبن جبير أيضاً والحسن : أى لم تعمل لله تعالى فى الدنيا ولم تنصب له، فأعملها وأنصبها فى جهنم،فوقع منها عمل فى الدنيا ولكن الله تعالى لايقبله.

وعن الكلبى : أى يجرّون على وجوههم فى النار .

وعن إبن عباس والكلبى أيضاً والضحاك: أى أصحاب تلك الوجوه يكلّفون على إرتقاء جبل من حديد فى جهنم فينصبون فيها أشد ما يكون من النصب بمعالجة السلاسل و الاغلال والخوض فى النار كما تخوض الابل فى الوحل ، و إرتقائها دائبة فى صعود من نار وهبوط فى حدور منها ، و إلى غير ذلك من عذابها .

٣ـ قيل : هم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم و أعمالكم مع أعمالهم يمرقون من من الدين كما يمرق السهم من الرمية»

وهم يعملون فى الحياة الدنيا ويسعون فى أعمالهم بالتعب و المشقة، و النصب: هوالتعب الذى ينتج عن العمل الشاق، ولكنهم لاينتفعون فى الاخرة من

أعمالهم شيئاً لانهم لم يقدموا عليها الولاية وهي الدعامة الاولى في قبول الاعمال عندالله تعالى لقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «بني الاسلام على خمس : الصلاة و الزكاة والحج والصوم والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية» فاتعبوا في أعمال لاتجديهم في الاخرة فصارت هباء .

٤- عن عكرمة والسدى : أي وجوه عاملة متعبة في الحياة الدنيا بسوء الاعمال والمعاصي ...

و التذت بها وتنعمت ، فهي نصب منها في الدار الآخرة ، فعملوا في الدنيا ما يؤديها إلى النار وهمومها ، فاتصلت صفتهم في الدنيا بصفتهم في الآخرة . و الناصبة : التاعبة

٥- قيل: أي عمل أصحاب هذه الوجوه للدنيا وحدها ، فلم يعملوا للآخرة شيئاً ، فأجهز عليهم عملهم .

و ذلك انهم لم يقصدوا بأعمالهم وجه الله تعالى ، بل كانوا يجتهدون في مشاقة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويسعون في الارض فساداً ويهلكون الحرث و النسل بالفتنة والفساد و الجناية والفحشاء ...

فكانوا يعملون في دنياهم لهواهم ، فتحصدون نصبها وتعبها يوم القيامة ، ويتعبون أنفسهم لخلاصها من شدائدها وعذابها ولات حين مناص إذمضى دور الخلاص كما مضى دور العمل ، فهم بأعمالهم السيئة في الدنيا وقود لنار جهنم في الاخرة، فآثار الخيبة وحبط الاعمال على وجوههم بادية .

٦- قيل : على تقدير ذات نصب وتعب بالسلاسل و الاغلال و أنواع العذاب يوم القيامة .

و ذلك ان هذا الرهق الذي غشي تلك الوجوه الخاشعة، فأصحابها في نصب دائم وعمل مضن ، لاينقطع من موقفهم : موقف العرض والسؤال ، وموقف القضاء والحساب، وموقف عرض مخازيهم عليهم إلى وضع الاغلال في أعناقهم إلى سحبهم

على وجوههم فى جهنم إلى صرخات الويل والثبور التى تملا الآفاق من حولهم، فكل هذا و كثير غيره من الاحوال والاهوال ... تنطبع على وجـوههم آثارهـا قتاماً وعبوساً ورهقاً ...

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ، و هوالمؤيد بالروايات الآتية، و الانسب بظاهر السياق وقرينة المقابلة فى صفة أهل الجنة إذ يقول فيها: «لسعيها راضية» فعملها فى الحياة الدنيا و نصبها فى الدار الآخرة ، و ان الانسان يعمل فى الدنيا ليسعد به ويظفر بالمطلوب ، ولكن قديحبط عمله بفقد شرط القبول : من الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم واليوم الآخر و الولاية ...

فلا تنفعه أعماله كنفس الصلاة بلا وضوء من غير عذر، فلايعود إلى الكفار والمجرمين، والفجار و الظالمين من عملهم إلاّ التعب بخلاف أهل الجنة فانهم لسعيهم الذى سعوا فيه فى الدنيا راضون لما يسوقهم إلى الجنة و نعيمها ، و ان الدنيا دارعمل و الآخرة دار جزاء .

ولا يخفى على القارىء الخبير: ان فـى معنى هـذا القول أكثر الاقـوال الاخر فتأمل جيداً واغتنم جداً .

٤ـ (تصلى ناراً حامية)

فى الاية الكريمة أقوال :

١ـ عن إبـن عباس : أى قـدحميت النار فهى تتلظى علـى أعـداء الله و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ـ قيل: أى ان هؤلاء يلزمون الاحراق بالنار التىهى فىغاية الحرارة و نهاية الحراقة من صلى النار: قاسى حرّها، حامية أى متناهية فىالحر من قولهم: حميت النار إذا اشتدّ حرّها .

٣ـ عن إبن عباس أيضاً والحسن وقتادة : أى يصيب تلك الوجوه صلاء نار جهنم وحرّها الشديد .

٤- قيل : أى قد أوقدت نار جهنم واحميت المدة الطويلة ، و منه حمى النهار وحمى التنور حمياً فيهما أى إشتدّ حرّه .

٥- قيل : اريد بحمى النار انها دائمة الحمى ، و ليست كنارالدنيا التى ينقطع حميها بانطفائها .

٦- قيل : اريد بالحامية انها حمى من إرتكاب المحظورات و إنتهاك المحارم كما قال النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «ان لكل ملك حمى و ان حمىالله محارمه ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه »

٧- قيل : انها نفسها عن أن تطاق ملامستها أو ترام مماستها كما يحمى الاسد عرينه .

٨- قيل : أى انها حامية حمى غيظ وغضب مبالغة فى شدة الانتقام ، ولم يرد حمىجرم و ذات كما يقال: قد حمىفلان إذا اغتاظ وغضب عند إرادة الانتقام وقد بيّن الله تعالى هذا المعنى بقوله : «تكاد تميّز من الغيظ» الملك : ٨)

أقول: والاول هوالمؤيد بالآيات القرآنية ، من غيرتناف بينه وبينأكثر الاقوال الاخر .

٥- (تسقى من عين آنية)

فى «آنية» أقوال :

١- عن إبن عباس والحسن ومجاهد والسدى و إبن زيد: أى قدبلغت إناها وحان شربها وطال حرّها وبلغ غايته فى شدة الحرارة وتناهت .

٢- عن إبن زيد أيضا : أى من عين حاضرة .

٣- عن الحسن أيضاً : أى أنى طبخها منذيوم خلق الله تعالى ، فأوقدت عليها جهنم مذخلقت فدفعوا إليها ورداً عطاشاً .

٤- قيل : أى لها أنين من شدة حرّها و تناهيه، فلو وقعت نقطة منهاعلى جبال الدنيا لذابت .

وذلك ان أصحاب تلك الوجوه إذا عطشوا في جهنم و طلبوا مايطفىء غلتهم جيىء لهم بماء من ينبوع بلغ من الحرارة غايتها فهو لايطفىء لهباً ولا ينقع غلة بل يزيد عطشاً ويوجد إلتهاباً في قلوبهم .

و قيل : الآني : الذي قد انتهى حرّه من الايناء بمعنى التأخير .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها .

٦- (ليس لهم طعام الا من ضريع)

في «ضريع» أقوال :

١- عن إبن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة : الضريع : نبت ذوشوك لاصق بالارض تسميه قريش الشبرق إذا كان رطباً ، وتسميه الضريع إذا كان يابساً لاتقربه دابة ولا ترعاه بهيمة ، وهو سم قاتل وهوأخبث الطعام و أبشعه.

وقال قتادة : قريش تسميه في الربيع الشبرق ، وفي الصيف الضريع .

وقيل : ان أهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس .

وقال أبوذؤيب الهذلي : رعى الشرق الريان حتى إذا ذوى - وصارضريعاً بان عنه النحائص .

٢- عن إبن عباس أيضاً : الضريع شيء يرمي به البحر من أقوات الانعام لاالناس فاذا وقعت فيه الابل لاتشبع و هلكت هزلا .

وقال الخليل: الضريع : نبات أخضر منتن الريح يرمى بهالبحر .

٣- عن إبن عباس أيضاً و إبن زيد: الضريع : هوشجرة من نارجهنم حملها القيح والدم أشد مرارة من الصبر فذلك طعامهم ، ولوكانت فيالدنيا لاحرقت الارض و ماعليها ، ولها شوك من النار لاتطفىء أبداً.

٤- قيل : ان الضريع بعينه لاينبت فيالنار ولا ان الكافرين و أذنابهم يأكلونه ، فالضريع من أقوات الانعام لامن أقوات الناس ، و إذا وقعت الابل فيه لم تشبع وهلكت هزلاً ، فأراد ان هؤلاء يقتاتون بما لايشبعهم ، وضرب الضريع

له مثلا : انهم يعذّبون بالجوع كما يعذّب من قوته الضريع.

٥- قيل: ان الضريع طعام غثّ ردىء يحملهم على الضراعة والذلة والمهانة عند تناوله لما فيه من الخشونة والمرارة والحرارة.

٦- عن الحسن أيضاً و سعيدبن جبير: الضريع هوالزقوم.

٨- عن الحسن أيضاً: الضريع هو بعض ما أخفاه الله تعالى من العذاب، فلا أدرى ماالضريع؟ ولا أسمع فيه من الصحابة شيئاً، فلا نعلم ماهو؟.

٨- عن الحسن أيضاً و أبى الدرداء: ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة، فيذكرون انهم كانوايجيزون الغصص فى الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الله سبحانه ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لاهنيئة ولا مريئة كلما ادنوه إلى وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها، فاذا وصل إلى بطونهم قطعها، فذلك قوله عزوجل: «سقواماء حميماً فقطع أمعاءهم».

٩- قيل: أى نبات شوكى لاغذاء فيه حتى ان الانعام لاترعاه حينما ييبس حيث يصبح سماً قاتلا وقيل: هونوع من الشوك لاترعاه دابة لخبثه لانه سام قاتل حسب ماهو فى الدنيا.

١٠- قيل: ان الضريع طعام أهل النار يضرعهم ويذلّهم ويبكيهم بدل أن يفرحهم ويغنيهم، وسمى بالضريع لانه يشبه الطعام وليس به.

١١- قيل: الضريع هو من طعام أهل النار لايعرف له شبيه فى الحياة الدنيا، و هوشرّ طعام و أخبثه وأبشعه، ولهذا وصفه الله تعالى بأنه «لايسمن ولا يغنى من جوع» أى انه لاتتقبله الاجسام، ولا تتفاعل معه كما انه لايشبع جوع الجياع ولو كان معروفاً عند العرب لما وصف هذا الوصف الكاشف.

١٢- عن الكلبى: الضريع فى درجة ليس فيها غيره و الزقوم فى درجة اخرى.

١٣- قيل : ان الضريع و الزقوم نبتان من النار أوجوهر لاتأكله النار و كذلك سلاسل النار و أغلالها وعقاربها وحياتها، ولو كانت على مانعلم مابقيت على النار ، ووجود النبت فى النار ليس ببدع من قدرة الله تعالى كوجود بدن الانسان والعقارب والحيات فيها .

١٤- عن عبدالله بن كيسان وأبى جعفر النحاس: الضريع هو طعام يضرعون عنده و يذلّون، ويتضرّعون منه إلى الله عزوجل طلباً للخلاص منه، فسمّى بذلك لأن آكله يضرع فى أن يعفى منه لكراهته و خشونته على أنه مشتق من الضارع و هو الذليل ذوضراعة ، فمن شربه تلحقه الذلة و الضراعة لما فيه من المرارة و الحرارة والخشونة .

وقيل : انهم إذا أحسّوا بالجوع وطلبوا الطعام أتى لهم بالضريع وهوذلك المرعى السوء الذى لاتعقد عليه السائمة شحماً ولحماً و إن لم تفارقها إلى غيره ساءت حالها والمراد بهذا كله انه يؤتى لهم بردىء الطعام .

١٥- قيل : الضريع : هو وادفى جهنم .

١٦- قيل : الضريع هو عرق أهل النار وما يخرج من فروج الزوانى .

١٧- قيل : ان للنار دركات، وللعذاب درجات، و أهلها على طبقات، فمنهم من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من طعامه غسلين، ومنهم من شرابه الحميم ، و منهم من شرابه الصديد ، ولكل باب منهم جزء مقسوم .

وقيل أطعمتهم جهنمية مختلفة ، و أشربتهم الحميمية متنوعة ...

أقول: وعلى الاخير أكثر المحققين ، وهو المستفاد من الآيات النازلة فى أطعمة أهل النار ، و أشربة أصحاب الجحيم ، و أمكنة أهل جهنم ، من غير تناف بين هذا القول وبين بعض الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

٧- (لايسمن ولا يغنى من جوع)

فى الآية الكريمة أقوال :

١- قيل: ان المراد بالاية انه ليس طعامهم من جنس طعام الانس بل هو شوك ترعاه الابل و تتولع به ثم تهلك هزلا .

٢- قيل: اريد انه لاطعام لهم أصلا لان الضريع ليس بطعام البهائم فضلا عن مطاعم الانس، وهذا من قبيل قولك: ليس لفلان ظل إلاّ الشمس تريد نفى الظل تماماً على سبيل التوكيد.

٣- قيل: أى لايدفع ضراً ولايجلب نفعاً.

٤- قيل: أى لايحصل به مقصود ولاينفع به محذور إذليس له فائدة الطعام التى لأجلها يؤكل فى الدنيا.

٥- روى ان كفار قريش قالوا على سبيل التعنت إذ سمعوا قوله تعالى: «ليس لهم طعام إلاّ من ضريع» ان الضريع لتسمن به إبلنا فنزلت: «لايسمن ولا يغنى من جوع» فلا يخلوا إما أن يتكذبوا ويتعنتوا بذلك، فردّ الله تعالى قولهم: بنفى السمن والشبع بأن ليس فيه منفعة الغذاء ولا الاسماع و دفع الجوع، و إما أن يصدقوا.

فالمعنى: ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعهم إنما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع.

وقيل: نبههم الله تعالى بعد تسليم ان ضريعهم مسمن على أن ضريع جهنم ليس كذلك.

أقول: وعلى الثالث أكثر المفسرين وفى معناه الرابع.

٨- (وجوه يومئذ ناعمة)

فى «ناعمة» أقوال:

١- قيل: أى هادئة منشرحة من السرور والنعيم، ومنعمة فى أنواع اللذات ظاهر عليها آثار النعمة والسرور.

٢- قيل: أى حسنة مضيئة مشرقة.

٣- قيل: الوجوه الناعمة هي التي ترى عليها نضرة النعيم، وبشاشة الرضوان، فتترقرق على صفحتها وضاءة البشاشة و يجرى فى أديمها رونق البهاء و الصفاء .

٤- قيل: أى ناضرة ضاحكة مستبشرة مبيضة، ظاهر البهجة و السرور من النعومة .

٥- قيل: أى متنعمة يبدو عليها النعيم ويفيض منها الرضوان والرضى من النعمة .

٦- قيل: أى ذات نعمة وبهجة وحسن إذ نعمت بما عاينت من عاقبة أمرها وجزاء صالح أعمالها ...

أقول: ولكل وجه يمكن جمعها فى وجه .

٩- (لسعيها راضية)

فى الآية الكريمة أقوال :

١- قيل: أى لعملها الذى عملت فى الحياة الدنيا من طاعة ربها ، و صالح أعمالها راضية إذ أثنت عليها كقولهم : ما أحسن ما عملت ، ولقد وفقت إلى الحق والصواب فيما فعلت .

٢- قيل: أى لجزاء سعيها فى الآخرة راضية ، وذلك إذا ترى محلها ومنزلتها فى الكرامة و الثواب مما لامزيد عليه من الجزاء .

٣- قيل: أى لعملها الصالح فى الدنيا، وجزائه فى الآخرة عن كليهما راضية، فراضية عن أعمالها حين رأتها يوم القيامة بأحسن وجه حين تجسّمت وراضية عن جزائها من الكرامة عندالله عزوجل ورضوانه فى جنات النعيم .

أقول: والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

١٠- (فى جنة عالية)

فى «عالية» أقوال :

١- قيل: أى مرتفعة على غيرها من الامكنة لان الجنة فوق السموات السبع ، و أنها أعلى منازل ...

٢- قيل: أى عالية القدر لان فى الجنة ما تشتهيه الأ نفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون .

٣- قيل : أى مرتفعة القصور والدرجات و هم فى الغرفات آمنون.

٤- قيل: اريد بالعلوّ علوّ درجات أهلها ، وذلك ان منزلة بعضهم أعلى من الآخرين ، فان النعيم الذى يتمتع به السابقون من الانبياء و الا وصياء والشهداء والصالحين أعلى منزلة و أرفع قدراً مما يتمتع به الذين اتبعوهم باحسان ، وهكذا ...

٥- قيل: اريد بالعلو علوّ نعيمها، لان نعيم الجنة بعضه أرفع درجة من بعضه .

وقيل: ان المراد بعلوّها إرتفاع درجاتهاوشرفها وجلالتها وغزارة عيشها، فان فيها حياة لاموت معها، ولذة لايشوبها ألم ، و سروراً لايداخله حزن ولاغم ، ولهم فيها فوق مايشاؤن .

٦- قيل: ان علوّ الجنة على وجهين : علوّ الشرف و الجلالة ، وعلوّ المكان والمنزلة بمعنى انها مشرفة على غيرها ، وهى أنزه ماتكون، و الجنة درجات ومنازل بعضها أرفع من بعض، وبعضها فوق بعض كما ان للنار دركات بعضها أسفل من بعض .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها .

١١- (لاتسمع فيها لاغية)

فى «لاغية» أقوال :

١- عن إبن عباس : أى لاتسمع فى الجنة كذباً ولابهتاناً ولا باطلا ولا

أذى ولا كفراً بالله سبحانه .

٢- عن قتادة: أى لاتسمع فيها إثماً ولا شاتماً ولا كلاماً ساقطاً غيرمرضى.

٣- قيل : أى لاتسمع فيها كلمة هذر لايعتدبها لاسفافها وسقوطها .

وقيل : لغو الكلام : ضجيجه ورذيله .

وقيل : نفس ذات لغو : هذيان من الكلام.

٤- عن مجاهد : أى لاتسمع فيها شتماً.

و قيل : أى ليس فيها قائل لغو .

٥- عن الحسن : أى ليس فيها معصية .

٦- قيل : أى لاتسمع فيها كلمة ذات لغو فان الجنة خالية عن أيّة لاغية فيتلاقى أهلها مع بعض ومع خزنتها بكل حنان وإحترام ، فان كلماتهم حكمة و حركاتهم حكمة نظراتهم حكمة وتنعماتهم حكمة ، فليس فيها للغو مكانة ، و للهذر منزلة ولا للهو محلّ .

٧- عن الفراء : أى لاتسمع فيها حالفاً يحلف بكذب .

٨- عن الفراء أيضاً : أى لاتسمع فى كلامهم كلمة لغو لان أهل الجنة لايتكلمون فيها إلاّ بالحكمة ، و حمد الله تعالى على مارزقهم من النعيم الدائم .

٩- قيل : أى لاتسمع فيها سخافة و جهالة ، ولا حماقة و نذالة .

وقيل: أى لاتسمع فيها كلمة ساقطة لافائدة فيها .

١٠- عن الكلبى : أى لايسمع فى الجنة حالف بيمين برّة ولا فاجرة .

أقول: وفى الاقوال بيان لبعض المصاديق ، فالتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق لأن النكرة فى سياق النفى تفيد العموم .

١٣- (فيها سرر مرفوعة)

فى «مرفوعة» أقوال :

١ـ عن إبن عباس: أى رفيعة السمك .

وقال : إن ألواحها من ذهب مكلّلة الزبرجد والدر والياقـوت مـرتفعة السمك مالم يجىء أهلها ، فاذا أراد أن يجلس عليها تـواضعت لـه حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى موضعها.

والسرر جمع السرير وهو مجلس السرر .

٢ـ قيل: أى عالية القدر ، ورفيعة الرتبة، وعظيمة الشأن و المنزلة .

٣ـ قيل : رفعتها باعتبار رفعة شأن صاحبها وجلالة القاعد عليها ، و فـى ذلك تشريف وتكريم للمكان لكرامة المكين .

٤ـ قيل : أى موضـونـة كقوله تعالـى : « سررمصفوفة » بعضها فـوق بعض . ٥ـ قيل : أى مخبوءة لهم من رفع الشيء إذاخباه

٦ـ قيل : أى الاسرة المنصوبة التى لها جلال وجمال لايوصف .

٧ـ قيل: أى مرفوعة ذاتاً وقدراً ومحلا .

٨ـ قيل : أى كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين .

٨ـ قيل: أى مرفوعة عن الارض ، و كان إرتفاعها قـدر مابين السماء و الارض ليرى ولى الله ملكه حوله ، فاذا جلس عليها المؤمن رآى جميع مـا أعطاه الله من النعيم ورآى من فى الجنة ، وإذا أراد أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت لـه. وقيل : انما رفعت ليرى المؤمنون بجلوسهم عليها جميع ماحولهم من الملك .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها .

١٤ـ(و أكواب موضوعة)

فى «أكواب» أقوال :

١ـ قيل : جمع كوب وهو إبريق .

٢ـ قيل:أىان مخصوصة لاعروةولاخرطوم لها يتخذبها الشراب.والابريق

هـو ماله عروة وخرطـوم والكوب إنـاء ليس له عـروة ولاخرطوم و هي من الكيزان .

٣ـ قيل : هي أواني الشراب من الذهب والفضة والجواهر وهي القدح .

٤ـ قيل : الاكواب : جمع كوب قدح لاعروة له رمـزاً إلى سعتها ولان العروة تجمع القذارات تحتها وليس جمع الكوبة وهي الطبل الذي يلعب به .

أقول: وعلى الثاني جمهور المفسرين مستدلين عليه بقوله تعالى: «بأكواب و أباريق» الواقعة : ١٨) للمقابلة بين الاكواب والاباريق ، فلو كانت الاكواب أباريق لما ذكر هي بعد في كلام واحد .

وفي «موضوعة» أقوال :

١ـ قيل : أي موضوعة على حافات العيون الجاريـة ، معدّة ليشرب بها ، فكلما أراد المؤمن من شربها وجدها مملؤة .

٢ـ قيل : أي موضوعة بين أيدي أصحابها ، حاضرة فلا يحتا جون إلى أن يدعوابها ، فيشربون بها مايشتهونـه من الاشربـة ، و يستمتعون بالنظر إليها لحسنها .

٣ـ قيل : أي موضوعة عن حدّ الكبار إلى التوسط والاعتدال ، فأوساط بين الصغر والكبر .

٤ـ قيل : أي مقدّرة على قدر الشرب .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخـر .

١٥ـ (و نمارق مصفوفة)

في «نمارق» أقوال :

١ـ عن إبن عباس وعكرمـة وقتادة و الضحاك والسدي و الثوري : أي و

سائد وطراحات يجلس عليها على هيئة مجالس الملوك فى الدنيا، و نمارق جمع: نمرقة وهى الوسادة وهى المسند أو المخدة .

٢ـ عن إبن عباس أيضاً : أى مرافق. ٣ـ عن إبن عباس أيضاً: أى مجالس

أقول: وعلى الاول جمهور المفسرين .

وفى «مصفوفة» قولان :

أحدهما ـ قيل : وضعت الوسادة فى المجلس بحيث يتصل بعضها ببعض على هيئة المجالس الفاخرة فى الدنيا .

ثانيهما ـ قيل : أى وسائد صغيرة بعضها جنب بعض، فأينما أرادوا أن يجلسوا جلسوا على بعضها و أسندوا إلى بعض فعلوا .

أقول: و التعميم غير بعيد .

١٦ـ (وزرابى مبثوثة)

فى «زرابى» أقوال :

١ـ عن قتادة: أى البساط الفاخرة. وعن أبى عبيدة : الزرابى : البسط . فالزرابى نوع من الأبسطة الفاخرة .

٢ـ قيل : الزرابى : أى العراض الفاخرة .

٣ـ عن إبن عباس والضحاك والفراء: أى بسط طنافس لها خمل رقيق .

أقول: والمعانى متقارب .

وفى «مبثوثة» أقوال :

١ـ قيل : أى مفروشة.

٢ـ قيل : أى ممدودة .

٣ـ عن قتادة والقتبى : أى مبسوطة متفرقة فى المجالس بحيث يرى فى كل مجلس من مجالسهم منها شىء كما يرى فى بيوت المترفين وذوى الثراء فى الحياة الدنيا ، فبثّها : بسطها للقعود عليها .

٤ـ قيل: أى منتشرة متناثرة على أرض الجنة العالية كأنها النجوم للزينة و الراحة سواء .

٥ـ عن عكرمة : أى بعضها فوق بعض .

٦ـ عن الفراء : أى كثيرة أى هيهنا و هيهنا لمن أراد الجلوس عليها .

أقول: وعلى الثالث أكثر المفسرين .

١٧ـ (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت)

وفى «الابل» أقوال :

١ـ عن الثعلبى : الابل هنا السحاب .

٢ـ عن المبرد : الابل هنا القطع العظيمة من الحساب تحمل المطر .

٣ـ قيل : الابل : البعير وهى تشمل الناقة والجمل ولا واحد لها من لفظها كنساء وقوم وجمعها الآبال .

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

١٨ـ (و الى السماء كيف رفعت)

فى «رفعت» أقوال :

١ـ قيل : أى رفعت رفعاً رحيق المدى عن الارض بلا عمد فلايمسكها ، وما فيها شموس و أقمار ونجوم فوقنا إلاّ الله تعالى .

٢ـ قيل : أى رفعت فلاينا لها شىء .

٣ـ قيل : أى كيف رفعها الله تعالى فوق الارض وجعل بينهما هـذا الجو الذى به قوام الخلق وحياتهم ثم إلى ما خلقه فيها من بدائع الخلق من الشمس و القمر والكواكب ، وعلّق بها منافع الخلق وأسباب معايشهم .

٤ـ قيل: أى رفعت فوق الارض بكواكبها اللامعة النافعة، وزينت بالشمس والقمر وسائر النجوم الزواهر بما فيها من المنافع لاهل الارض ، و قد جعل دونها الهواء الذى يضطر إليه فى تنفّسه .

أقول: و على الاول أكثر المحققين مع تقارب الاقوال معنى.

٢٠- (و الى الارض كيف سطحت)

فى «سطحت» أقوال :

١- قيل : أى سطحت فى رؤية العين لا فى الواقع ، فالمعنى : كيف مهدت واستقر عليها كل شىء حتى الانهار والبحار .

٢- قيل : أى إنبسط بعض أجزائها الاخـرى لتكون مهاداً للناس و بساطاً ممدوداً ، و بهذا تـذلل لهم ، و تستجيب لحركتهم عليها : «هوالـذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها» الملك : ١٥)

فلو كانت كلها أسنمة كأسنمة الابل أو رقاباً كرقابها لما أمكن الانتفاع بها و السير فيها .

٣- قيل : أى بسطت ومدت للاقامة عليها والمشى فـى مناكبها ، فمهدت على ما يقتضيه صلاح امور ساكنيها و إنتفاعهم بما فى ظاهرها من المنافع و ما فى باطنها من المعادن ...

٤- قيل : سوّيت ومهّدت فصلحت لسكنى الانسان وسهـل فيها النقل و الانتقال و أغلب التصرفات الصناعية التى للانسان .

أقول: والمعانى متقارب والمآل واحد .

٢١- (فذكر انما أنت مذكر)

فى الاية الكريمة : أقوال :

١- عن الجبائى وأبى مسلم: أى فذكر الناس بهذه الادلة القاطعة والبراهين الواضحة ، و أمرهم بالاستدلال بها ونبّههم عليها .

٢- قيل : أى فذكـر الناس بالآيـات التكوينية و التدوينية و بما أنعم عليهم من النعيم ... وبما يجب عليهم إزائها من العبادة والشكر ...

٣ـ قيل : أي فعظ قومك و خوّفهم بما أرسلت به إليهم ، و بالبشرى و الانذار ... ثم لاتذهب نفسك عليهم حسرات إن لم يؤمنوا .

أقول: و التعميم هوالانسب بظاهر الاطلاق .

٢٢ـ (لست عليهم بمصيطر)

فى «بمصيطر» أقوال :

١ـ عن إبن عباس و مجاهد وقتادة : أى لست عليهم بجبار بأن تخلق الايمان فى قلوبهم .

٢ـ عن إبن زيد : أى لست بالذى تكرههم على الايمان .

٣ـ قيل : أى لست بمسلط عليهم فتقتلهم إن خالفوك أو تتعهد أحوالهم و تكتب أعمالهم .

٤ـ قيل : أى لست لك سيطرة تشريعية تسنّ الاحكام، ولا تكوينية تهدى من تحبّ أو تجبرهم على الهدى إذ لاتملك من أمر قلوبهم شيئاً تقهرها على الايمان ، فانما القلوب بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء .

٥ـ قيل: أى لست بمسؤل عن جحودهم و كفرهم، فانك إنما بعثت للتذكير وليس عليك من ترك قبولهم شيء .

٦ـ قيل : أى لست بجبار وقاهر تقهرهم بسلطان قوىّ ، وبقوّة قاهرة على أن يؤمنوا بالله ويستجيبو الماتدعوهم إليه .

أقول: ولكل وجه فتأمل جيداً .

٢٣ـ (الا من تولى و كفر)

فى الآية الكريمة أقوال :

١ـ عن الحسن : أى إلاّ من أعرض عن الذكر ولم يقبل منك و كفر بالله وبما جئت به ويئست من هدايته فكل أمره إلى الله تعالى فدعه وشأنه .

٢- قيل: أي إلاّ من تولى و كفر فلست له بمذكر لانه لايقبل منك، فكأنك لست تذكره فانه لاينتفع بالذكرى.

٣- قيل: أى لكن من أعرض عن الوعظ والتذكير و كفر بالقرآن ورسالتك فلك عليه سيطرة الجهاد والدفاع وهو العذاب الاصغر.

٤- قيل: إستثناء من المفعول المحذوف من قوله: «فذكر» على تقدير: فذكر الناس إلاّ من تولى منهم عن الذكرة و كفر إن تذكرته لغو لافائدة فيها، و معلوم ان التولى و الكفر إنما يكون بعد التذكرة، فالمنفى بالاستثناء هو التذكرة بعد التذكرة كأنه قيل: ذكّرهم و أدم التذكرة إلاّ لمن ذكّرته فتولى عنها و كفر، فليس عليك إدامة تذكرته، بل أعرض عنه، فقوله: «فذكر - إلى - فيعذبه الله العذاب الاكبر» فى معنى قوله: «فذكر إن نفعت الذكرى- يصلى النار الكبرى» الا على: ١٢)

٥- قيل: ان الاستثناء من ضمير «عليهم» و المعنى: لست عليهم بمتسلط إلاّ على من تولى منهم عن التذكرة وأقام على الكفر فسيسلطك الله عليه ويأمرك بالجهاد فتقاتله فتقتله.

أقول: و الثالث هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر.

٢٤- (فيعذ به الله العذاب الاكبر)

فى «العذاب الاكبر» أقوال:

١- قيل: هو أهوال يوم القيامة و فزعها وشدائدها.

٢- قيل: هو عذاب البرزخ فى القبر.

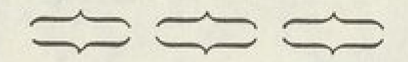
٣- قيل: هو العذاب فى زمن ظهور المهدى عليه السلام و العذاب الاصغر هو الجهاد والدفاع فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و بعده إلى قيام المهدى عليه السلام و العذاب الاوسط هوفى البرزخ.

٤- قيل : أى عذاب جهنم بنارها، والاصغر هو عذاب الدنيا بالقتل والاسر أو غنيمة للاموال إلى نحو اولئك من صنوف البلاء التى ينزلها بهم من الجوع والقحط ..

٥- قيل : هو الخلود فى النار ولا عذاب أعظم منه. وقيل : هوعذاب الدرك الاسفل .

٦- قيل : هو القتل والاسر والجوع والقحط .

أقول : و على الرابع أكثر المحققين و هو المؤيد بظاهر السياق فتأمل جيداً .



﴿التفسير و التأويل﴾

١- (هل أتاك حديث الغاشية)

هل أتاك أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم حـديث يوم القيامة و قصتها التى تغشى ذوات الكفرة والمستكبرين بأهوالها بغتة ، وتشمل للسفلة والمجرمين بفزعها، وتغمر وجوه الفجرة والمفسدين بشدائدها فجأة ، وتحيط بالفسقة و المستبدين بعذابها ونارها ؟؟؟!!! فاستمع وقد أتتك الآن .

و كل ما أحاط بالشيء من جميع الجهات فهو غاش له .

قال الله عزوجل : «فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم» الدخان : ١٠-١١)

وقال : « وإن جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهـم و من تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون» العنكبوت : ٥٤ ـ ٥٥)

وقـال: « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلـة مالهم من الله من عاصم كأنما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً اولئك أصحاب ـ النارهم فيها خالدون» يونس : ٢٧)

وقال: « إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها » الكهف : ٢٩)

وقال: « وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم» ابراهيم : ٤٩-٥٠)

وقال: «و كذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش و كذلك نجزى الظالمين » الاعراف : ٤٠ ـ ٤١)

٢- (وجوه يومئذ خاشعة)

فوجـوه الكفار والمجرمين، وجوه الفجـار والظالمين ، ووجوه الفساق و المفسدين تظهر عليها آثار الخزى والهوان ، والذلة والانكسار يـوم القيامـة : عند أهوال الساعـة وشدائدهـا ، عند الموقف والحساب ، وعند دخول النـار و العذاب ، لجرمهم وجـنايتهم ، لكفرهم ومعصيتهم ، لاستكبارهم وترك طاعتهم ، ولظلمهم وضلالتهم ...

قال الله عزوجل : «يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشّعاً ابصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافـرون هذا يوم عسر» القمر: ٦ـ ٨)

وقال : « فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الـذى يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعةأبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذىكانوا يوعدون» المعارج : ٤٢-٤٤)

وقال : «فلمارآوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الـذى كنتم به تدعون» الملك : ٢٧)

وقال : «ولو ترى إذ المجرمون نا كسوا رؤسهم عند ربهم » السجدة ، ١٢)

وقال: «يوم يكشف عن ساق ويدعون إلـى السجود فلايستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» القلم: ٤٢-٤٣)

وقـال : « ومن خفت موازينه فـاولئك الذين خسروا أنفسهم فـى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون » المومنون : ١٠٣-١٠٤)

وقال: «وترى الظالمين لمارآوا العذاب يقولون هل إلى مردٍّ من سبيل و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى»الشورى:٤٤-٤٥)

٣- (عاملة ناصبة)

إتعب أصحـاب تلك الوجوه الخاشعـه : من العتاة و الكفرة ، والطغـاة و الفجرة ، و البغاة و الفسقة ، و العصاة و الظلمة ... هم إتعبوا أنفسهم فى الحياة-

الدنيا فى أعمال لاتجديهم ولا تنفعهم فى الدار الآخرة ، إذ كانوا يعملون فيها صالحات من غير ايمان ولاتقوى ... فصارت هباء منثوراً لايثابون عليها.

قال الله تعالى : «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة واولئك أصحاب النارهم فيها خالدون» البقرة: ٢١٧)

وقال: «ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغيرحق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم اولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخرة ومالهم من ناصرين - ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهباً ولو افتدى به اولئك لهم عذاب أليم ومالهم من ناصرين» آل عمران : ٢١ و٢٢ و٩١)

وقال : « إنما يتقبّل الله من المتقين» المائدة : ٢٧)

وقال : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر اولئك حبطت أعمالهم» التوبة : ١٧)

وقال : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلاّ النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون» هود : ١٥-١٦)

وقال : « قل هل ننبّئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً » الكهف : ١٠٣-١٠٥)

وقال : «لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» الفرقان : ٢١-٢٣)

وقال : « اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً » الاحزاب : ١٩)

وقـال : « والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم ذلك بـأنهم كرهوا ما أنزل‌الله فأحبط أعمالهم - ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مـا نزّل‌الله سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم إسرارهم فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم و أدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله و كرهوا رضوانه فـأحبط أعمـالهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٨-٢٨)

وما ورد فى المقام فمن بعض المصاديق ...

٤- (تصلى ناراً حـامية)

تدخل أصحـاب تلك الوجوه الشقية من الكفار ، والوجـوه الخبيثة من المنافقين ، والوجـوه الذليلة من المستكبرين نارجهنم ، تقاسى هذه الوجـوه حرّها ، وتكوى وتعذّب بها ، ناراً ذات صفة خاصة على خلاف المعهود من نار الدنيا ، ناراً لاتبقى ولاتذر لوّاحة للبشر، ناراً شديدة الحرارة لايعرف كنهها، و ناراً دائمة الحمى ليست كنار الدنيا التى ينقطعها حميمها بانطفائها .

فيلزم هؤلاء الاشقياء الاحراق بها ، ويخلدون فيها ، فتكوى بها جباههم.

قال‌الله عزوجل : « وأما من خفت موازينه فامه هاوية وما أدراك ماهيـة نار حامية » القارعة : ٨-١١)

وقال : « فأنذرتكم ناراً تلظى لايصليها إلاّ الاشقى الذى كذّب و تـولى » الليل : ١٤-١٦)

وقال : « ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيها ولا- يحيى» الاعلى : ١١-١٣)

وقال : « وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين» الانفطار : ١٤-١٦)

وقال : « يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بهاجبـاههم و جنوبهم و ظهورهم» التوبـة : ٣٥)

٥- (تسقى من عين آنية)

تسقى أصحاب تلك الوجوه الذليلة في جهنم من عين قد إنتهى غليانها و بلغ الغايـة و النهايـة حرّها ، تغلى في بطون أصحابهـا كغلى الحميم فقطع أمعاءهم ...

قال الله تعالى: «وخاب كل جبارعنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرّعه ولايكاد يسيغه و يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ» إبراهيم : ١٥-١٧)

وقال : « هـذه جهنم التى يكذّب بهـا المجرمون يطوفون بينها و بين حميم آن » الرحمن : ٤٣-٤٤)

وقال : « ثم إنكم أيها الضالون المكذبـون - فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم» الواقعة : ٥١ - ٥٥)

وقال : « وسقوا ماء حميماً فقطّع أمعاءهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٥)

٦- (ليس لهم طعام الا من ضريع)

ليس لاصحاب هؤلاءِ الوجوه المهينة الخبيثة في نار جهنم طعام إلاّ من ضريع وهو نوع طعام جهنمى لاهلها .

كما ان الزقـوم و الغسلين نوعان آخران من طعام جهنم لاهلهـا على دركاتها وطبقاتهم ...

قال الله تعالى : « ان شجرة الزقوم طعام الاثيم » الدخان : ٤٤)

وقال : «ثم انكم أيها الضالـون المكذبون لآكلـون من شجرمن زقـوم فمالئون منها البطون » الواقعة : ٥١-٥٣)

وقال: «ولا طعام إلاّ من غسلين لا يأكله إلاّ الخاطئون» الحاقة ٣٦-٣٧)

وذلك ان للنار دركات ، وللعذاب درجات ، و أهلها على طبقات...

قال الله عزوجل : « وان جهنم لموعدهم أجمعين لهـا سبعة أبـواب لكل

باب منهم جزء مقسوم » الحجر : ٤٣ ـ ٤٤)

وقال : « ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار » النساء : ١٤٥)

فمن غير بعيد أن يكون الضريع وشجرة الزقوم والغسلين من نبات جهنم أو من جوهر لاتأكله نارها مع غاية حرّها ، ونهاية حراقتها ، كما ان سلاسل جهنم وأغلالها و عقاربها وحياتها لا تأكلها نارها ، إذ لوكانت من جنس ما نعلم لمابقيت فيهاإلابالتصريف والتصرف فيها، فدلنا الله جل وعلاعلى الغائب بالحاضر عندنا ، فالاسماء متفقة ، والمعانى مختلفة .

و كذلك مـا فى الجنة من حورها وقصورها ، من درّها ومرجانهـا ، من سريرها وغلمانها ، من أشجارها ، و أنهارها ، من عسلها و لبنهـا ، من خمرها و ماءها ، ومن فروشها وحليّها ...

وعلى أيّ ما كان فانالله تعالى هو يبقى النبات فى النار ليعذب بها الكفار والمتكبرين والفجار والمجرمين، والفسّاق والمفسدين ، و البغاة والمستبدين والطغاة و الظالمين ... ليدوم عليهم العذاب كمـا هو عزوجل يبقى أهلها فيهـا ليدوم عليهم العذاب .

قالالله تعالى : « وذرنى والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليـلا ان لدينا أنكالا وجحيماً وطعاماً ذاغصّة وعذاباً أليماً » المزمل : ١١ـ١٣)

وقال : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » النساء : ٥٦)

٧ـ (لايسمن ولايغنى من جوع)

لايسمن هذا الضريع من طعـام جهنمى آكليه من أهلها ، ولايشبعهم من جوع يصيبهم .

نظير قوله تعالى : « انطلقوا إلى ظل ذى ثـلاث شعب لاظليل ولايغنى من اللهب » المرسلات : ٣٠ـ٣١)

٨- (وجوه يومئذ ناعمة)

وجوه يوم القيامة يظهرعليها آثار النعمة ، وتبدو منها علائم الرضا و الرضوان: من البهجة والبشاشه ، من البياض والصفاء ، ومن الحسن والسرور...

فتضيىء وتشرق ، ويفيض منها الرضا لما نعمت بما عاينت من عاقبة أمرها وصالح عملها، ثم تنعم بما تجد ، وتحمد بما عملت ، فتجد عقباه خيراً ، وتستمتع بهذا الشعور الروحى الرفيع شعور الرضا عن عملها حين ترى رضاالله جل وعلا عنها، و ليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ويرضى عاقبته ثم يراها ممثلة فى رضاالله الكريم وفى النعيم المقيم وتلك الوجوه وجوه أهل التقوى و اليقين : قال الله عزوجل : «ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم» المطففين : ٢٢-٢٤)

وقال: « وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة» عبس : ٣٨-٣٩)

وقال : «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » القيامة : ٢٢-٢٣)

وقال : « وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمةالله هم فيها خالدون - يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين الذين استجابوالله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم و اتقوا أجرعظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم» آل عمران : ١٠٧ و١٧٠-١٧٤)

وقال: «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عندالله واولئك هم الفائزون يبشّرهم ربهم برحمة منه ورضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجرعظيم» التوبة : ٢٠-٢٢)

وقال: « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها

وعدالله حقاً» لقمان : ٨-٩)

وقال: «إلاّ عبادالله المخلصين اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم» الصافات : ٤٠ - ٤٣)

وقال : « يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » الفجر: ٢٧-٣٠)

٩- (لسعيها راضية)

قدرضي أصحاب تلك الوجوه الناعمة يوم القيامة عن سعيهم في الحياة الدنيا: من الايمان والطاعة ، من التقوى وصالح الاعمال ، من الاصلاح والاحسان ، من الصدق و الصفاء ، من الاكتمال والفلاح ، من إتباع الحق والعقل ، ومن التجنب عن الكفر والمعصية ، عن الطغيان و فساد الاعمال : من الافساد والبغي ، عن - الكذب والاستبداد ، عن الانحطاط والخسران، وعن إتباع الهواء والنفس الامارة بالسوء ...

وقد رضوا عن جزائهم في الآخرة ، من الجنة ونعيمها و رضوان الله تعالى أكبر من ذلك .

قال الله تعالى: «ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً كلا نمدّ هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظوراً» الاسراء : ١٩-٢٠)

وقال : « وأن ليس للانسان إلاّ ما سعى وأنّ سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى» النجم : ٣٩-٤١)

وقال: « وما لاحد عنده من نعمة تجزى إلاّ ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى» الليل : ١٩-٢١)

وقال : « فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية » الحاقة : ١٩-٢١)

وقال: « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه» البينة: ٧-٨)

وقال: » فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية » القارعة: ٦-٧)

وقال: «ليدخلنهم مدخلا يرضونه» الحج: ٥٩)

وقال: «فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون» الانبياء: ٩٤)

وقال: « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم» التوبة: ٧٢)

١٠- (فى جنة عالية)

أصحاب تلك الوجوه الناعمة السعيدة مستقرّون فى جنة عالية حساً ومعنى لايكتنه كنهها، عالية قدرها ومنزلتها لايستطيع الواصفون وصفها، عالية شرفها وجلالتها لايقدر قدرها، عالية شأنها و خيرها، عالية أمنها وشتى جهاتها ... ورفيعة غزارة عيشها إذ فيها حياة طيبة لاموت معها، ولذة لايشوبها ألم، وسرور لايعتريه حزن، ولهم فيها ما يشتهون.

قال الله عزوجل: « وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ » هود: ١٠٨)

ويقال لهم يوم القيامة: « ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون» الاعراف: ٤٩)

وقال: «من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون » النحل: ٩٧)

وقال: « وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذّ الاعين وأنتم فيها خالدون »

الزخرف : ٧١)

١١- (لاتسمع فيها لاغية)

لايسمع أصحاب تلك الوجوه الناعمة فى الجنة كلمة لغو، ولا كـذب ولا تأثيم، ولاقول غيرمرضى عند أهل الفضل والشرف، ولا مالايفيد من القول، فان الجنة منـازل أنبياءالله تعـالى وأوليائه عليهم السلام، ومسـاكن أهل التقوى واليقين، وقدكانت مجتمعهم فى الحياة الدنيا مبرّأة من اللغو والباطل، والهذيان والكذب وما إليها من السواقط ...

إذ قال الله عزوجل فيهم : «والذين هم عن اللغو معرضون» المؤمنون :٣) و قال : «و الـذين لايشهدون الزور و إذا مرّوا باللغو مرّوا كرامـاً» الفرقان : ٧٢)

وقال : «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» القصص : ٥٥)

وإذا كانت هذه حالهم فى الحياة الدنيا فكيف منازلهم ومستقرهم فى الدار الآخرة وهم فى جوار رب العالمين.

قـال الله تعالى : «لايسمعون فيهـا لغواً ولا تأثيماً إلاّ قيلا سلاماً سلاماً» الواقعة : ٢٥-٢٦)

وقال : «لايسمعون فيها لغواً ولا كذّاباً» النباء : ٣٥)

وقال : «لايسمعون فيها لغواً إلاّ سلاماً» مريم : ٦٢)

١٢- (فيها عين جارية)

فى تلك الجنة العـالية تجرى من تحتها عيون كثيرة متفجرة متنوعة، إذ لكل إنسان تقيّ سعيد عين بـل عيون فى بستانه فى الجنة تجرى كمـا يريـد صاحبها صافيـة، وفى جريانهـا ومناظرها من الحسن واللذة والمنفعة والبهجة والمسرة للنفوس، ومن قرّة للعيون ما لايكون فى الواقفة.

قال الله عزوجل : «لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية

تجرى من تحتها الانهار» الزمر: ٢٠)

وقال : «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوّئنهم من الجنة غرفاً تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون» العنكبوت : ٥٨-٥٩)

وقال : «عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً» الانسان : ٦)

وقال : «ان المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون انا كذلك نجزى المحسنين» المرسلات : ٤١-٤٤)

وربما يفتخر الانسان بحديقته الدنياوية الكدرة الفانية وبجرى نهرها كفرعون طاغى مصر وأذنابه وقد كان يقول : «أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى» الزخرف : ٦١) فكيف حديقة الجنة الابدية غير المنكدرة ونهرها .

١٣- (فيها سرر مرفوعة)

فى الجنة العالية لاصحاب الوجوه الناعمة سرر مرفوعة سمكها، يتكىء عليها أصحابها : من اهل التقوى واليقين، من أهل السعادة والصراط المستقيم، ومن أهل الصلاح و الفوز المبين، فيتكؤن عليها، وينظرون بجلوسهم عليها ما حولهم من الملك والنعيم، من الغلمان والحور العين، و من الفواكه و الماء المعين ...

قال الله عزوجل : «وقيل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب و أباريق و كأس من معين» الواقعة : ١٤-١٨)

وقال: «ان المتقين فى جنات ونعيم - متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين» الطور : ١٧-٢٠)

وقال : «ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين» الحجر : ٤٥-٤٧)

وقال : «ان الابرارلفى نعيم على الأرائك ينظرون» المطففين : ٢٢ ـ ٢٣)

١٤ـ (و أكواب موضوعة)

و أوان مخصوصة ليس لها خرطوم ولا عروة يتخذبها للشراب موضوعة على حافات العيون الجارية مهيّاة للشراب ، فكلما أرادوه وجدوها موضوعةبين أيديهم حاضرة معدّة للشراب مقدرّة على قدر الشراب .

قال الله تعالى : «ويطاف عليهم بآنية من فضة و أكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدّروها تقديراً» الانسان : ١٥ـ١٦)

١٥ـ (و نمارق مصفوفة)

ولأصحاب الوجوه الناعمة فى الجنة العالية وسائدلايقدرقدرها ولايستطيع الواصفون بوصفها ، وهى التى وضع بعضها بجنب بعض ، يستند إليها أصحابها ، و إذا شاؤا أجلسوا على هيئة المجالس الفاخرة فى الحياة الدنيا .

١٦ـ (وزرابى مبثوثة)

ولهم فيها بسط فاخرة وطنافس مخملة رقيقة بسطت للقعود عليها كماترى فى الفاخرة فى الحياة الدنيا ناعمين ، ولكن شتان بينهما .

١٧ـ (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت)

أفلا ينظر هؤلاءِ المنكرون بالبعث والقضاءِ، و اولئك المكذبون بالحساب و الجزاءِ نظر إعتبار إلى الابل كيف خلقت على هذا النحو المتناسب لوظيفتها، المحقق لغاية خلقها ، المتناسق مع بيئتها و وظيفتها ؟

أفلا تدلّ خلقتها و تكوينها على إبداع المبدع المتفرد بصنعه و تدبيره وتقديره ؟ أخلقت مصادفة ؟ أم خلقها الانسان ؟ أوهى نفسها ؟

أفلا ينظرون إليها نظر إعتبار كيف خلقت للأثقال و حملها إلى البلاد البعيدة وبروكها لتحمل ونهوضها بما حملته ، و سخرت لكل من قادها حتى الصبى الصغير و اعطبت الصبرعلى العطش عشرة أيام فأكثر ، و جعلت ترعى كل

نبات حتى المفاوز دون غيرها من الدواب ...

وان الآية الكريمة في الاشارة الاجمالية إلى القدرة المطلقة الالهية على النشأة الاخرى نظير قوله تعالى : « أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الاخرة ان الله على كل شيء قدير » العنكبوت : ١٩-٢٠)

١٨- (و الى السماء كيف رفعت)

أولا ينظر هؤلاء المستكبرون و المكذبون بالبعث و الجزاء نظر إعتبار إلى السماء يشاهدونها كل لحظة ليلا ونهاراً كيف رفعت فوقهم بغير عمد يرونه، و قد زينت بزينة الكواكب والشمس و القمر ... ولا يمسكها ولا ما فيها إلا الله عزوجل .

ومن جعل فيها هذه البهجة والجمال ! أفهم رفعوها؟ أم رفعت هي مصادفة! أو رفعت هي نفسها؟ أم لابدلها من رافع قادر ومبدع حكيم وممسك مدبر؟ والامر لايحتاج إلى علم ولا إلى كدّ ذهن بل النظر المعتبر وحده يكفي .

قال الله عزوجل : «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج» ق : ٦)

وقال : «الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش و سخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبّر الامر يفصّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون» الرعد : ٢)

وقال: «ان الله يمسك السموات و الارض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» فاطر : ٤١)

١٩- (و الى الجبال كيف نصبت)

أولا ينظر هؤلاء الكافرون المنكرون بالبعث و الحساب نظر تدبر إلى أنواع الجبال وإختلافها شتّى جهاتها التي ينزلون في أقطارها ، و ينتفعون

بمعادنها و عيونها و أشجارها و ما فيها من الحرارة و البرودة ، و من الاسرار و العجائب ...

أفلا يتدبرون كيف نصبت على الارض أو تاداً لها نصباً رصيناً راسخة بحيث لاتزول ؟ ولولا الجبال لمادت الارض بأهلها؟

أفلا يتفكرون فيها كيف اقيمت أعلاماً للسائرين ، و ملجأ للحائرين ؟

أفلا يتدبرون فيها كيف وضعت وضعاً ثابتاً لاميدان فيه ولا اضطراب ؟؟؟

أنصبت تلك الجبال مصادفة ! أوهم نصبوها ! أم هي نصبت نفسها ! أولها مبدع مدبر حكيم ، و خالق عليم خبير؟ و هو الذى نصبها لئلا تميد الارض بأهلها .

قال الله تعالى: «وجعلنا فى الارض رواسى أن تميدبهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلا لعلهم يهتدون» الانبياء : ٣١)

وقال : «وجعل لكم من الجبال أكناناً» النحل : ٨١)

وقال: «وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين» الشعراء : ١٤٩)

وقال : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها و غرابيب سود » فاطر : ٢٧)

وقال : «ألم نجعل الارض مهاداً و الجبال أوتاداً» النبأ : ٦-٧)

٢٠- (و الى الارض كيف سطحت)

أولا ينظر هؤلاء الجاحدون بالبعث و الجزاء نظر إعتبار إلى الارض التى يضربون فيها ، ويتقلبون عليها كيف بسطت بسطة هذه حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق ... من الحياة و السير والعمل عليها ؟ فيستدلون بها على وحدانية الله عزوجل وعظمته وحكمته وقدرته و تدبيره ... فان ذلك من عجائب تشهد على وجود الصانع ، و انها أدل دليل على الخالق المختار القادر الحكيم .

أفلا يتفكرون فيها و بسطها من أبسطها ؟ أبسطت هذه مصادفة ؟ أم أبسطت هي نفسها ؟ أوهم أبسطوها ؟ أم لها صانع حكيم عالم و مدبر قادر و هو الله عزوجل أبسطها و وسعها ، ولولا ذلك لما صح الاستقرار عليها والا نتفاع بها ، و فيها دلائل واضحة وبراهين ساطعة على توحيده .

ولو تفكّروا فيها لعلموا أنها صنعة لاتوجد إلاّ بموجد عظيم ، ولا تحفظ إلاّ بحافظ قدير ، و ان لهم صانعاً خلقهم و أوجدهم ، و هوالذى يميتهم ثم يحييهم للحساب والجزاء ، ولأدركوا ان القادرعلى خلق هذه المخلوقات الذى سوّاها و حفظها و وضعها علىقواعد الحكمة ، هوقادرأن يبعث الانسان في يوم يوفى فيه كل عامل جزاء عمله ، و أن ينشيء النشأة الآخرة من غير أن يعرفوا طريق إنشائها . فلا ينبغي أن يكون جهلهم بكيفية يوم البعث سبباً لجحدهم و إنكارهم به قال الله تعالى : «و هو الذى مدّ الارض و جعل فيها رواسى و أنهاراً و من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» الرعد : ٣)

وقال : «الذى جعل لكم الارض فراشاً و السماء بناء و أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوالله أنداداً و أنتم تعلمون » البقرة : ٢٢)

وقال : «أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم» الاسراء : ٩٩)

وقال : «الذى جعل لكم الارض مهداً و سلك لكم فيها سبلا ـ ان فىذلك لاولى النهى منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة اخرى » طه : ٥٣ ـ ٥٥)

وقال : «والارض مددناها و ألقينا فيها رواسى و أنبتنا فيها من كل شيء موزون ـ و انا لنحن نحيي و نميت ونحن الوارثون» الحجر : ١٩ـ٢٣)

وقال : «أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بل وهو الخلاق العليم» يس : ٨١)

٢١- (فذكر انما أنت مذكر)

فذكر أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم الناس و داوم فى ذكراك بالآيات الآفاقية والانفسية، و بالآيات التدوينية النازلة إليك التى تفسّرها وتضمها وزيادة، وبما أنعم الله عزوجل عليهم من النعم الظاهرة والباطنة كلها دلائل توحيده وكمال قدرته وعظمته ، و غاية علمه وحكمته وتدبيره فى شئون عباده ، و ابعثهم على النظر فى ملكوت السموات والارض ، إنما انت مذكر لهم فى كل حال آمنوا أم لم يؤمنوا ، فان التذكير هو مهمتك الاقصى .

فان آمنوا فقدا هتدوا إلى ما تسوق إليه الفطرة البشرية والعقل السليم ، فسعدوا وفازوا، و إن أعرضوا و كفروا فخالفوا عما تقتضيه الفطرة و اتبعوا أهواءهم فشقوا وهلكوا، فهم طلاقة العنان حيث غلبت عليهم الشهوات، واستولت على عقولهم الاهواء وحب الدنيا و متاعها ، فعنانهم بيد شهواتهم الطليقة، فيميلون إلى كل شىء إلاّ الحق .

قال الله تعالى : «ما على الرسول إلاّ البلاغ» المائدة : ٩٩)

وقال: «فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها و أكثرهم الكافرون» النحل : ٨٢-٨٣)

وقال : «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون» الانفال : ٢)

وقال : «و إذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة و اذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون» الزمر : ٤٥)

وقال : «ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزّة و شقاق» ص: ١-٢)

وقال : «والذين كفر وايتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام» محمد ﷺ : ١٢)

٢٢- (لست عليهم بمصيطر)

لست أيها الرسول ﷺ مسلطاً قط على الكفار والمكذبين، على الفجار والمستكبرين ، على الفسّاق والمستبدين ، على الطغاة والمجرمين، وعلى البغاة والمعاندين ...

بحيث تجبرهم على ماتريده : من الايمان و الصلاح ، و التقوى و الفلاح ، والعزة والكمال ، و الطاعة و النجاة ...

فلا تلجأهم على الايمان ، ولا تكرههم على صالح الاعمال ... لانك لم تؤت قوة الاكراه على الايمان والطاعة ...

فان الانسان له حرية في الاعتقاد و العمل ، ولك الدعوة والارشاد و البلاغ ...

قال الله عزوجل : «وما أنت عليهم بجبار» ق : ٤٥)

وقال : «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» يونس : ٩٩)

وقال : «لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ» البقرة : ٢٥٦)

٢٣- (الا من تولى وكفر)

لست بمسلط على الناس إلاّ من أعرض عن الايمان و الطاعة، عن التذكير والموعظة ، وعن الدعوة الحقة و الهداية ، و كفر بالله جل وعلا ورسوله ﷺ وكتابه وباليوم الآخر ، فستتسلط عليه لامحالة .

و الآية الكريمة في معنى قوله تعالى : «فان تولوا فخذوهم و اقتلوهم حيث وجدتموهم - و اولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً» النساء : ٩٠-٩١)

و قوله : «قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم و يخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين» التوبة : ١٤)

٢٤- (فيعذبه الله العذاب الاكبر)

فيعذّب الله جل وعلا المعرض عن الحق و الرشاد ، و الكافر بالله تعالى يوم القيامة العذاب الاكبر بأنواعه فى جهنم بعد أن عذّبه فى الحياة الدنيا بأنواع العذاب من القتل والاسر، و القحط و الجوع ، و الهلاك والدمار ، و الخزى والفرار ... بطرق مختلفة ...

قال الله تعالى: «فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ـ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم و يخزيهم وينصركم عليهم و يشف صدور قوم مؤمنين ـ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله يعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ـ و إن يتولوا يعذّبهم الله عذاباً أليماً فى الدنيا والآخرة» التوبة : ١٢ و ١٤ و ٥٥ و ٧٤)

وقال : «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزى فى الحياة الدنيا و يوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب ـ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها اولئك ماكان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم» البقرة ٨٥ و١١٤)

وقال : «بل زين للذين كفروا مكرهم وصدّوا عن السبيل و من يضلل الله فماله من هاد لهم عذاب فى الحياة الدنيا و لعذاب الآخرة أشق و ما لهم من الله من واق» الرعد : ٣٣ ـ ٣٤)

وقال : «و كذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد و أبقى أفلم يهدلهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات لاولى النهى» طه : ١٢٧ ـ ١٢٨)

وقال: «ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون» السجدة : ٢١)

وقال : «وغدوا على حرد قادرين ـ كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون» القلم : ٢٥ـ٣٣)

٢٥- (ان الينا ايابهم)

لهؤلاء الاشقياء و المعرضين ، و الجهلاء والكافرين... يوم القيامة ذلك العذاب الاكبر ـ مضافاً إلى عذاب دنيوى ـ لان إلينا يومئذ رجوعهم ، فلا مفرّ لهم ولا خلاص لهم من الويل و العذاب الذى اوعدوابه ، فلا يهمنك أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم ، فانهم و إن عاندوك وآذوك و خالفوك فى حياتك و بعد موتك ، فمصير جميعهم إلى حكمنا .

قال الله تعالى: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أويصيبهم عذاب أليم ـ و يوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا» النور : ٦٣ـ٦٤)

وقال : «ان إلى ربك الرجعى» العلق : ٨)

وقال : «واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق و ظنوا أنهم إلينا لايرجعون فأخذ ناه وجنوده فنبذنا هم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار و يوم القيامة لاينصرون و أتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين» القصص ـ ٣٩ـ٤٢)

و الحكم مستمر المدى فى الفراعنة و أذنابهم. و المستبدين و أحزابهم ، والمستكبرين و أتباعهم فى كل وقت من طوال الاعصار ...

٢٦- (ثم ان علينا حسابهم)

ثم ان علينا يومئذ حسابهم و جزائهم على ما كسبوا فى الحياة الدنيا من الكفر و العصيان ، و التكذيب و الطغيان ... فنجازيهم بها .

قال الله تعالى : «و كأين من قرية عتت عن أمر ربها و رسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذّبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها و كان عاقبة أمرها خسراً أعدّ الله لهم عذاباً شديداً» الطلاق : ٨ـ٩)

وقال : «و كفى بنا حاسبين» الانبياء : ٤٧)

وقــال : « اولئك لـهـم سوء الحساب و مـأواهـم جهنم و بئس المهاد » الرعد : ١٨)

وقـال: « ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون » يونس: ٧٠)

وقال : «هل يجزون إلاّ ما كانوا يعملون» سباء : ٣٣)

﴿جملة المعانى﴾

٥٩٦٨- (هل أتاك حديث الغاشية)

هل أتاك أيها الرسول ﷺ نبأ يوم القيامة ، و قصته التى تغشى أهل الكفر و الطغيان بأهوالها و فزعها بغتة ، و من القصة ما تستمع الآن :

٥٩٦٩- (وجوه يومئذ خاشعة)

وجوه الكفار و المكذبين يوم القيامة تظهر عليها آثار الخزى و الذلة عند أهوال الساعة وشدائدها ، وعند الموقف و عرض الحساب ،وحين دخول النار و العذاب بها .

٥٩٧٠- (عاملة ناصبة)

أتعب أصحاب الوجوه الذليلة أنفسهم فى أعمال لاتجديهم فى الآخرة .

٥٩٧١- (تصلى ناراً حامية)

تدخل أصحاب تلك الوجوه المنكسرة من الكفار و أذنابهم ناراً شديدة الحرارة فيلزمونها .

٥٩٧٢- (تسقى من عين آنية)

تسقى أصحاب تلك الوجوه الكفرة يوم القيامة من عين جهنم قد انتهى حرّها تغلى فى بطونهم كغلى الحميم فتقطع أمعاءهم .

٥٩٧٣- (ليس لهم طعام الا من ضريع)

ليس لهم فى الآخرة طعام من ضريع وهو نوع طعام جهنمى لأهلها .

٥٩٧٤ (لايسمن ولا يغنى من جوع)

لايسمن هذا الطعام آكليه ، ولايشبعهم من جوع يصيبهم .

٥٩٧٥- (وجوه يومئذ ناعمة)

وجوه سعيدة يوم القيامة يظهر عليها آثار النعمة و البهجة و الحسن و السرور...

٥٩٧٦- (لسعيها راضية)

قدرضى أصحاب تلك الوجوه الناعمة يوم القيامة عن سعيهم فى الحياة الدنيا، حين يرونه و آثاره و مآل أمره وجزائه .

٥٩٧٧- (فى جنة عالية)

هم مستقرون فى جنة ، رفيعة درجاتها ، هنيئة عيشها ، و طيبة حياتها ، غير مشوبة بألم وحزن سرورها ...

٥٩٧٨- (لاتسمع فيها لاغية)

لايسمع أصحاب تلك الوجوه الناعمة فى الجنة العالية كلمة لغو ولامالا فائدة فيه .

٥٩٧٩- (فيها عين جارية)

فى تلك الجنة العالية لكل مؤمن صالح عين تجرى كما يريد صاحبها من الينابيع صافية ، و فى منظرها مسرّة للنفوس ، و قرّة للعيون.

٥٩٨٠- (فيها سرر مرفوعة)

لهم فى الجنة العالية سرر رفيعة السمك .

٥٩٨١- (و أكواب موضوعة)

ولهم فيها أوان مخصوصة ، موضوعة على حافات العيون الجارية مهيّأة للشراب ، فكلما أرادوا وجدوها حاضرة بين أيديهم .

٥٩٨٢- (و نمارق مصفوفة)

ولهم فيها وسائد لايقدر قدرها ، يستند إليها أصحابها .

٥٩٨٣- (وزرابى مبثوثة)

ولهم فيها بسط فاخرة ، رقيقة بسطت للقعود عليها .

٥٩٨٤- (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت)

أفلا ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث و الحساب و الجزاء نظر اعتبار إلى الابل كيف خلقت بهذه الصورة العجيبة فى أعضائها و قواها و أفاعيلها ؟ و من سخّرها لهم ، وهم ينتفعون من ركوبها وحملها ، من ضرعها و جلدها ، و من وبرها وحتى من بولها وبعرتها ؟

٥٩٨٥- (و الى السماء كيف رفعت)

أولا ينظر هؤلاء المنكرون إلى السماء كيف رفعت بغير عمد يرونه ؟

٥٩٨٦- (و الى الجبال كيف نصبت)

أولا ينظرون نظر إعتبار إلى الجبال كيف نصبت نصباً رصيناً راسخةبحيث لاتزول ، و إلى مافيها من المعادن و مايجرى منها من العيون ؟؟؟

٥٩٨٧ (و الى الارض كيف سطحت)

أولاينظرون نظرتدبر إلىالارض كيف بسطت بسطاً بتسوية حسبمايقتضيه السير والعمل والحياة على ظهرها ؟

٥٩٨٨- (فذكر انما أنت مذكر)

فذكر الناس أيها البنى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بآياتى ، و عظهم بحججى و أدم و استقم ، لانك رسول من رب العالمين لابدلك من تذكير هم فى كل حال ، وهو وظيفتك آمنوا أم لا .

٥٩٨٩- (لست عليهم بمصيطر)

لست أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم على الناس بمسلط بحيث تجبرهم على ما تريده من الايمان و صالح الاعمال ...

٥٩٩٠- (الا من تولى و كفر)

ولكنك ستسيطرعلى من أعرض عن الذكر و كفر بالله تعالى بالجهاد والدفاع.

٥٩٩١- (فيعذبه الله العذاب الأكبر)

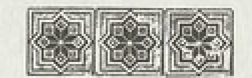
فيعذّب الله تعالى المعرض عن الحق، والكافر بالله جل وعلا يوم القيامة العذاب الاكبر بأنواعه فى جهنم، مضافاً إلى مايعذبهم من القتل والاسر والهلاك والدمار ... فى الحياة الدنيا.

٥٩٩٢- (ان الينا ايابهم)

لان إلينا يوم القيامة رجوعهم، فلا مفرّ لهم، ولاخلاص لهم من الويل و العذاب الاكبر الذى اوعدوابه.

٥٩٩٣- (ثم ان علينا حسابهم)

ثم ان علينا يومئذ حسابهم فنجازيهم يوم القيامة بما كانوا يعملون فى الحياة الدنيا.



﴿ بحث روائى ﴾

فى تفسير ابن كثير الدمشقى: عن عمرو بن ميمون قال : مرّ النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم على إمرأة تقرأ : « هل أتاك حديث الغاشية » فقام يستمع و يقول : « نعم قد جائنى » .

و فى روضة الكافى: باسناده عن محمد بن سليمان عن أبيه عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قلت : « هل أتاك حديث الغاشية » قال : يغشاهم القائم بالسيف، قال : قلت : «وجوه يومئذ خاشعة » قال : خاضعة لاتطيق الا متناع قال : قلت : « عاملة » قال : عملت بغير ما أنزل الله قال : قلت : « ناصبة » قال : نصبت غير ولاة الامر قال : قلت : « تصلى ناراً حامية » قال : تصلى نار الحرب فى الدنيا على عهد القائم، و فى الآخرة نار جهنم.

وفيه: عن أبى عبدالله عليه السلام - فى حديث - و فى قول الله عزوجل : « هل أتاك حديث الغاشية » قال : الذين يغشون الامام إلى قوله عزوجل : «لايسمن ولا يغنى من جوع » قال : لاينفعهم ولا يغنيهم ، لاينفعهم الدخول ولا يغنيهم القعود .

وفيه: باسناده عن عمرو بن أبى المقدام قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال أبى : قال أمير المؤمنين عليه السلام : كل ناصب و إن تعبّدو اجتهد منسوب إلى هذه الاية : « عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية »

وفى تفسير ابن كثير : عن أبى عمران الجونى يقول : مرّ عمر بن

الخطاب بدار راهب قال : فناداه ! يا راهب فأشرف قال : فجعل عمر ينظر إليه ويبكي فقيل له : يا أمير المؤمنين مايبكيك من هذا ؟ قال : ذكرت قول الله عزوجل في كتابه : «عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية» فذاك الذي أبكاني.

أقول: نعم تنصب يومئذ وجوه غير ولاة الامر الذين غصبوا حقهم، والبكاء لايفيد من غير إعتبار ، ولم يكن هو و أذنابه من أهله ، و إلاّ لما تصدوا على مالا يليقون به ، ولا من أهله .

وفي الجامع لاحكام القرآن : و روى عن الحسن قال : لما قدم عمر بن الخطاب الشام أتاه راهب شيخ كبير متقهّل عليه سواد ، فلما رآه عمر بكى ، فقيل له : يا أمير المؤمنين مايبكيك ؟ قال : هذا المسكين طلب أمراً فلم يصبه و رجا رجاءاً فأخطأه .

قوله : «متقهل» من القهل : كفران الاحسان .

وفي ثواب الاعمال : باسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : كل ناصب و إن تعبّد و اجتهد يصير إلى هذه الغاية : «عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية» .

وفي تفسير القمي : باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : كل من خالفكم و إن تعبّد و اجتهد منسوب إلى هذه الآية : «وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية».

وفي الاحتجاج : في حديث عن الامام المجتبى سبط المصطفى الحسن بن علي عليهما السلام كان يتكلم على جمع كثير في مجلس معاوية بن أبي سفيان عليهما الهاوية والنيران - قال عليه السلام : و أما أنت ياعتبة (عقبة خ) بن أبي سفيان فوالله ما أنت بحصيف فاجاوبك ولا عاقل فاعاتبك ، و ما عندك خير يرجى ، ولاشرّ يخشى ، وما كنت ولو سببت علياً لاعيربه عليك لانك عندي لست بكفو لعبد علي بن أبيطالب ، فأرد عليك و اعاتبك، ولكن الله عزوجل ولأبيك ولامك وأخيك

بالمرصاد، فأنت ذرية آبائك الذين ذكرهم الله فى القرآن فقال: «عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية - إلى قوله - من جوع»

وفى بشارات الشيعة: لابن بابويه رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: خرجت أنا و أبىذات يوم إلى المسجد، فاذاً هو بأصحابه بين القبر و المنبر، قال: فدنا منهم و سلّم عليهم، و قال: والله انى لاحبّ ريحكم وأرواحكم، فأعينوا على ذلك بورع و إجتهاد، واعلموا أن ولايتنا لاتدرك إلاّ بالورع و الاجتهاد، و من ائتم منكم بقوم فيعمل بعملهم أنتهم شيعة الله، و أنتم أنصار الله، و أنتم السابقون الاولون، والسابقون الآخرون، السابقون فى الدنيا إلى محبتنا، و السابقون فى الآخرة إلى الجنة، ضمنت لكم الجنة بضمان الله عزوجل و ضمان النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

و أنتم الطيبون و نسائكم الطيبات، كل مؤمنة حوراء، و كل مؤمن صديق، قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: ابشروا وبشروا فوالله لقدمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساخط على امته إلاّ الشيعة، ألا و إن لكل شىء عروة وعروة الدين الشيعة، ألا و إن لكل شىء شرفاً و شرف الدين الشيعة، ألا و إن لكل شىء سيداً وسيد المجالس مجالس الشيعة، ألا و ان لكلشىء إماماً و امام الارض أرض تسكنها الشيعة، ألا وإن لكل شىء شهوة وشهوة الدنيا سكنى شيعتنافيها، والله لولا ما فىالارض منكم ما استكمل أهل خلافكم الطيبات، مالهم فىالآخرة من نصيب، و إن تعبّد واجتهد منسوب إلى هذه الآية: «عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية».

وفى العلل: باسناده عن أبى إسحق الليثى عن الامام محمد بن على الباقر عليه السلام - فىحديث طويل قال أبو إسحق -: وأجد من أعدائكم ومن ناصبكم من يكثر من الصلاة و من الصيام، و يخرج الزكاة و يتابع بين الحج و العمرة، و يحض على الجهاد و يأثر على البرّ وعلى صلة الأرحام، و يقضى حقوق إخوانه

ويواسيهم من ماله و يتجنب شرب الخمر و الزنا و اللواط و سائر الفواحش؟ وإن ناصب على ما هو عليه مما و صفته من أفعالهم لواعطى ما بين المشرق و المغرب ذهباً و فضة أن يزول عن محبة الطواغيت و موالاتهم إلى موالاتكم ما فعل ولازال، ولو ضربت خياشيمه بالسيوط فيهم، ولو فعل فيهم ما ارتدع ولا رجع، و إذا سمع أحدهم منقبة لكم وفضلا إشمأز من ذلك، و تغيّر لونه ورآى كراهة ذلك في وجهه بغضاً لكم و محبة لهم، قال:

فتبسم الباقر عليه السلام قال: يا إبراهيم ههنا هلكت: «العاملة الناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية» و من ذلك قال عزوجل: «و قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً».

وفي المجمع: عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك أمرّ من الصبر، و أنتن من الجيفة، و أشدّ حراً من النار سمّاه الله الضريع.

وفي تفسير القمي: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: يابن رسول الله خوّفني فان قلبي قد قسا، فقال عليه السلام: يا بامحمد إستعد للحياة الطويلة فان جبرئيل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قاطب، وقد كان قبل ذلك يجيىء وهو متبسم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً؟ فقال: يا محمد قد وضعت منافخ النار فقال: و ما منافخ النار يا جبرئيل؟ فقال: يا محمد ان الله عزوجل أمر بالنار، فنفخ عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم نفخ عليها ألف عام حتى إحمرت ثم نفخ عليها ألف عام حتى إسودّت، فهي سوداء مظلمة، لوأن قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها ... الحديث.

وفي الكافي: باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئله الابرش

الكلبي عن قول الله عزوجل : «يوم تبدّل الارض غير الارض» قال : تبدل خبزة يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب قال الابرش : ان الناس لفى شغل عن الاكل ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هم فى النار لايشتغلون عن أكل الضريع و شرب الحميم فى العذاب ، فكيف يشتغلون عنه فى الحساب.

وفيه: باسناده عن زرارة قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل : «يوم تبدل الارض غير الارض» قال : تبدل خبزة نقية يأكل الناس منها ، حتى يفرغوا من الحساب ، فقال له قائل : انهم لفى شغل يومئذ عن الاكل و الشرب ؟ فقال : ان الله عزوجل خلق إبن آدم أجوف لابدله من الطعام والشراب ، أهم أشد شغلا يومئذ أم فى النار ؟ فقد إستغاثوا والله عزوجل يقول : «و إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب».

وفى تفسير القمى: فى قوله تعالى : «وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية» قال : يرضى الله بما سعوا فيه ، وفى قوله : «لاتسمع فيها لاغية» قال: الهزل و الكذب.

وفيه: باسناده عن إبن عباس فى قوله تعالى : «فيها سرر مرفوعة» قال : ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت تجرى من تحتها الانهار «وأكواب موضوعة» : يريد الأباريق التى ليس لهاآذان ، و «ونمارق مصفوفة» قال : البسط والوسائد «و زرابى مبثوثة» قال : كل شيء خلقه الله فى الجنة له مثال فى الدنيا إلاّ الزرابى فانه لايدرى ماهى.

وفى المجمع: وعن عاصم بن ضمرة عن على عليه السلام انه ذكر أهل الجنة ، فقال : يجيئون فيد خلون ، فاذا أساس بيوتهم من جندل اللؤلؤ «سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة و زرابى مبثوثة» ولو لا ان الله تعالى قدّرها

لهم لالتمعت أبصارهم بما يرون ويعانقون الازواج، ويقعدون على السرر ويقولون: «الحمد لله الذى هدانا لهذا».

وفى تفسير ابن كثير: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال ـ أومن تحت جبال ـ المسك «فيها سرر مرفوعة» أى عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين، قالوا فاذا أراد ولى الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له «وأكواب موضوعة» يعنى أوانى الشرب معدة مرصدة لمن أرادوها من أربابها.

وفيه: عن اسامة بن زيد يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألاهل من مشمر للجنة، فان الجنة لاحصرلها، هى ورب الكعبة نور يتلالأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام فى أبد فى دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية؟ قالوا: نعم يا رسول الله: نحن المشمرون لها؟ قال: قولوا: إن شاء الله قال القوم: إن شاء الله.

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله تعالى: «أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وقال صلى الله عليه وآله وسلم: يأكل أهل الجنة ويشربون، ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس.

وفى الدر المنثور: عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله فاذا قالوها عصموا منى دمائهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ: «فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر»

وفى الجامع لأحكام القرآن: وروى ان علياً عليه السلام أتى برجل إرتدّ،

فاستتابه ثلاثة أيام فلم يعاود الاسلام ، فضرب عنقه و قرأ : « إلاّ من تولى و كفر » .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : «لست عليهم بمصيطر» قال : بحافظ ولا كاتب عليهم .

وفيه: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : «إلاّ من تولى و كفر» يريد من لم يتعظ ولم يصدّق وجحد ربوبيتي و كفر نعمتي ، «فيعذبه الله العذاب الاكبر» يريد الغليظ الشديد الدائم «إن إلينا إيابهم» يريد مصيرهم «ثم إن علينا حسابهم» يريد جزاءهم .

وفيه: قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : كل امة يحاسبها إمام زمانها ، و يعرف الأئمة أولياءهم و أعداءهم بسيماهم ، و هو قوله : « و على الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم» .

وفي نهج البلاغة : و سئل مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي ابن أبيطالب عليه السلام : « كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟ قال : كما يرزقهم على كثرتهم، قيل : فكيف يحاسبهم ولا يرونه ؟ قال : « كما يرزقهم ولايرونه» .

وفي بصائر الدرجات : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام : «و على الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم». قال: نحن أصحاب الاعراف من عرفنا فمآله إلى الجنة، ومن أنكرنا فمآله إلى النار .

أقول: وقد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة بأسانيد عديدة تؤيد ذلك منها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» .

ومنها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ان علياً عليه السلام هو قسيم الجنة والنار» و

غير هما من الروايات التى أوردناها فى محلها المناسب فى هذا التفسير .

وفى التهذيب : ـ فى الزيارة الجامعة ـ قال الامام على عليه السلام: فيهافالراغب عنكم مارق و اللازم لكم لاحق ، والمقصر فى حقكم زاهق ، والحق معكم و فيكم ومنكم و إليكم ، و أنتم أهله ومعدنه ، و سرائر النبوة عندكم ، فاياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم ، و فصل الخطاب عندكم .

وفى أمالى الطوسى رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سئلنا الله أن يهبه ، فهو لهم و ماكان لنا فهو لهم ثم قرأ أبوعبدالله عليه السلام: «إن إلينا إيابهم ثم ان علينا حسابهم» .

وفى الكافى : باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال : يا جابر إذا كان يوم القيامة بعث الله عزوجل الاولين و الآخرين لفصل الخطاب دعى أمير المؤمنين عليه السلام فيكسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلة خضراء تضيىء ما بين المشرق و المغرب و يكسى على عليه السلام مثلها ثم يصعدان عندها ثم يدعى بنا ، فيدفع إلينا حساب الناس فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار ثم يدعى بالنبيين ، فيقامون صفين عند عرش الله جل وعز حتى يفرغ من حساب الناس ، فاذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بعث الله رب العزة علياً عليه السلام فأنزلهم منازلهم من الجنة و زوجهم فعلىّ والله يزوج أهل الجنة فى الجنة ، و ماذاك لأحد غيره كرامة من الله عز ذكره فضلا فضله الله، ومنّ به عليه وهو والله يدخل أهل النار النار ، وهو الذى يغلق على أهل الجنة إذا دخلوا فيها أبواباً لأن أبواب الجنة إليه و أبواب النار إليه .

وفيه: باسناده عن سماعة قال : كنت قاعداً مع أبى الحسن الاول عليه السلام و الناس فى الطواف فى جوف الليل ، فقال لى : يا سماعة إلينا إياب هذا الخلق ، وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عزوجل حتمنا على الله عزوجل

فى تركه لنا ، فأجابنا إلى ذلـك و مـاكان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم ، فأجا بوا إلى ذلك و عوضهم الله عزوجل .

وفى الاحتجاج : ـ فى حديث يذكر فيه الامام أمير المؤمنين على عليه السلام أحوال أهل القيامة يقول ـ : و الناس يومئذ علـى طبقات و منازل ، فمنهم مـن يحاسب حساباً يسيراً و ينقلب إلى أهله مسروراً ، ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب لانهم لم يتلبسوا من أمر الدنيا بشىء ، و إنما الحساب هناك علـى من تلبس بها ههنا ، و منهم من يحاسب على النقير و القطمير ويصير إلى عذاب السعير .



﴿ بحث فقهي ﴾

قد إستدل بعض المفسرين من الفقهاء بقوله عزوجل: «لاتسمع فيها لاغية» الغاشية : ١١)

على حرمة التكلم فى الحياة الدنيا بكلمات لافائدة فيها ، حيث ان المنفى فى الجنة منهى فى الدنيا ، و لذلك يوصف المؤمنون فى الدنيا بالا جتناب عن اللغو كاجتنابهم عنه فى الجنة قال الله تعالى: «و الذين هم عن اللغو معرضون» المؤمنون : ٣)

وقال : « والذين لايشهدون الزور و إذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً » الفرقان : ٧٢)

وقال : « و إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعما لنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغى الجاهلين» القصص : ٥٥)

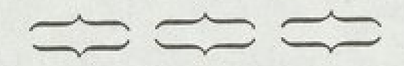
و فى الايات الكريمة من تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى على الفقيه الخبير ، فلوازم الايمان نفياً و إثباتاً أو فعلا و تركاً واجبة كأصل الايمان .

و الحكم ثابت فى الكتابة أيضاً .

و استدل بعض المحققين من الفقهاء بقوله تعالى :

« أفلا ينظرون إلى الابـل كيف خلقت ـ و إلـى الارض كيف سطحت »
الغاشية : ١٧-٢٠)

على وجوب النظر والاجتهاد فى مقدمات الاصول الا عتقادية، و عدم جواز التقليد فيها ولا فيها .



بحث مذهبي

وقد استدل بعض محققى المفسرين بقوله تعالى: «وجوه يـومئذ خاشعة ـ وجوه يومئذ ناعمة ...» الغاشية : ٢ـ٨)

على المعاد الجسمانى والروحانى معاً ، إذ لاوجه للروح ، فلو كان البعث روحانياً فقط لكان ذكر الوجوه لها لغواً، كما ليس للجسم بلا روح ألم ولالذة... فليس لذبذبة بعض المذبذ بين وجه، إذ زعم ان قوله جل وعلا: «ان إلينا إيابهم» الغاشية : ٢٥)

يدل على المعاد الروحانى فقط، بأن الاياب: هوالرجوع إلى المكان الذى خرج منه الانسان كالمسافر يئوب من سفره ، و فى هذا إشارة إلى أن البعث هو عوده إلى الحياة التى فارقها الانسان فى رحلته التى بدئت بالموت .

أقول: وليس هذا إلاّ تصرفاً فى معنى اللغة و تأويله، و قد إتفق المحققون من أصحاب اللغة على أن الاياب هو الرجوع إلـى منتهى القصد ، و الـرجوع يكون لذلك ولغيره ألا ترى انه يقال : رجع إلى بعض الطريق ، ولا يقال : آب إلى بعض الطريق ولكن يقال : إن حصل فى المنزل.

وان الاية الكريمة: «ان إلينا إيابهم» تشير إلى منتهى منزلهم، وهوالقيامة إما الجنة وإما النارلانها لامنزل بعدهما، فكأنهامنتهى قصدهم، مضافاً إلى أن الآيات القر آنية التى تـدل على المعاد الجسمانى والروحانى معاً أكثر مماجاء فى غيره من

الاصول الاعتقادية ، و ان الروايات الواردة فيهما معاً أكثر من أن تحصى ، و عليه جمهور الحنفاء والمحققين قديماً وحديثاً ، و قدسبق من البحث مستقصى فى هذا التفسير فراجع.

وقد استدل بعض المفسرين بقوله تعالى : « وإلى الارض كيف سطحت » الغاشية : ٢٠) على عدم كروية الارض .

وقال بعضهم : سطحت ظاهر فى أن الارض سطح وعليه علماء الشرع لا كرة كما قال أهل الهيئة ، وإن لم ينقض ركناً من أركان الشرع.

وقال بعض المحققين من المفسرين : ليس فى السطح دلالة على عدم كرية الارض لانها فى النظر مسطحة ، وقد تكون فى الحقيقة كرة إلا أنها لعظمها لاتدرك كريتها ، فسطح الارض لاينافى كرويتها .

«الابل وخصائصها»

قال الله عزوجل : «أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت» الغاشية : ١٧)

ان الله تعالى يأمر الانسان تلويحاً ، و يحثه ظاهراً على النظر في خلقة الابل ، فعلينا النظر و التأمل ، فانها ليست آية لاصحابها فحسب ، بل هي آية لهم ولمن سواهم أن ينظروا إليه كيف خلقت ؟

هذه الكيفية العجيبة الفريدة بين سائر الحيوان ، فلا بدمن البحث على مايقتضيه سنام الاختصارعلّنا نعرف البعض من عظمة هذه الخلقة العجيبة :

الابل ـ بكسر الباء الموحدة و قد تسكن تخفيفاً ـ : الجمال وهو إسم واحد ـ كقوم و رهط ـ يقع على الجمع وليس بجمع ولا إسم جمع ، إنما هو دال على الجنس ، وجمعه : الآبال كالاقوام ، فليس لها واحد من لفظها ، و يقال للذكر والانثى منها : بعير إذا أجذع ، ويجمع على أبعرة و بعران .

قال الله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليه السلام : «و نزداد كيل بعير ـ و لمن جاء به حمل بعير» يوسف : ٦٥ و ٧٢)

ويوجد منها أنواع شتى ، أشهرها الا فريقي ذوالسنام الواحد ، والاسيوى ذوالسنامين ، و يسميها العرب العوامل ، و توجد في شمال إفريقا وأواسط آسيا كثيراً ...

و ان الابل من الحيوانات ذات الثدى المجترة أسنانها أكمل ، و معدتها

أبسط تركيباً مما لاخواتها من فصيلتها ، وهى من الحيوانـات العجيبة صورة و سيرة ، و إن كان عجبها سقط مـن أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها و انسهم بها أو لعدم نظرهم نظر إعتبار إليها .

و انها حيوان عظيم الجسم، سريع الانقياد، ينهض بالحمل الثقيل، ويبرك به حتى يقال : تأخذ زمامه فأرة فتذهب به إلى حيث شاءت ، و يتخذ على ظهره بيت يقعد فيه الانسان مع مأكوله و مشروبه و ملبوسه وظروفه و وسائده كأنه فى بيته ، و يتخذ للبيت سقف ، و هويمشى بكل هذه ...

و جعلها الله عزوجل طـوال الاعناق لتنوء بالاثقال ، و تستعين بها على النهوض بالحمل الثقيل .

وعن بعض الحكماء: انه حدّث عن الابل، وعن بديع خلقها، وكان قدنشأ بأرض لا إبل فيها ، ففكر ساعة ، ثم قال : يوشك أن تكون طوال الأعناق ، و حيث أراد الله تعالى بها أن تكون سفائن البر صبرهـا على إحتمال العطش حتى ان ظمأهـا لير تفع إلى العشر ، و جعلها ترعى كـل شيء نابت فى البرارى و المفاوز مما لاير عاه سائر البهائم ...

و قدروى عن سعيد بن جبير انه قال : لقيت شريحا القاضى ذاهباً فقلت له: أين تريد ؟ فقال : اريـد الكناسة ، فقلت : مـا تصنع بـالكناسة ؟ قـال : أنظر إلـى الابـل كيف خلقت و قـال تعالـى : « و عليها و علـى الفلك تحملون » قـرنها بالفلك التى هـى السفائن لانها سفن البر التى تحمل الاثقال إلـى البلاد البعيدة .

قال ذوالرمة : سفينة برّ تحت خدى زمامها .

و انها أكمل الحيوان و أنفعه وأجمعه لصالح المعيشة و الراحة حيثانها ركوب لاصحابها بأحمالهم ، ومنها شرابهم و إدامهم ، و من أو بارها وجلودهـا

ثيابهم وفرشهم : كمواد أولية للحياة ، ثم ان لها خصائص تخصّها بين الحيوان، فهى على عظم منافعها قليلة التكاليف ، صابرة على الجوع و العطش و الكدح ، وربما تصبر الابل عن الماءِ عشرة أيام تأكل مالا يأكله سائر الحيوان ، و هى على قوتها وضخامتها ذلول يقودها الصغير فتنقاد له، وتنهض بحملها وهى بار كة بخلاف سائر الحمولة و بامكانها الصبر على الجوع والعطش لمدة اسبوع و أن تمشى يومياً خمسين فرسخاً ، تمشى فى الرمضاءِ، و فى الثلوج ، المغطية للطريق ولا تضل الطريق، حتى فى الليلة الظلماءِ ، ولا تنسى الطريق الذى مشته لمرة واحدة .

و انها إذا سلكت طريقاً فى الليلة الظلماءِ ، ففى المرة الثانية تقدر على سلوك ذلك الطريق من غير إرشاد مرشد . ولا تعليم معلّم حتى أن الناس إذا إختلفوا فى ذلك الطريق و قدّموها و تبعوها وجدوا الطريق المستقيم عند متابعتها .

وقال الفخر الرازى : كنت مع جماعة فى مفازة فضللنا الطريق، فقدّموا جملا و تبعوه وكان ذلك الجمل يمشى ينعطف من تل إلى تل ، و من جانب إلى جانب حتى وصل الطريق ، فتعجبنا من قوة تخيله .

وللابل مميزات كثيرة :

منها : ان الجمل المروض يقارن الحصان فى السرعة، و رؤى من أشخاصه ما يمشى ٢٠٠/ كيلومتراً فى ١٢/ ساعة ، و هى مسافة لايستطيع الحصان قطعها فى تلك المدة ، و يستطيع الانسان أن يسافر إلى مسافة ٦٥٠/ كيلو متراً على جمل واحد فى أربعة أيام .

ومنها : ان الله تعالى جعل الحيوان الذى يقتنى به أصنافاً شتى ، فتارة يقتنى ليؤكل لحمه، و تارة ليشرب لبنه وتارة اخرى ليحمل الانسان فى الأسفار

و رابعة لينقل أمتعة الانسان من بلد إلى بلد ، و خامسة ليكون به زينة و جمال .

قال الله تعالى : «و الا نعام خلقها لكم فيها دفء و منافع و منها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون و حين تسرحون و تحمل أثقالكم إلى بلدلم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم» النحل : ٥-٧)

وهذه المنافع بأسرها حاصلة فى الابل ، و إن شيئاً من سائر الحيوانات لاتجتمع فيه هذه الخصال وغيرها ...

ومنها : انه فى كل واحد هذه الخصال أفضل من الحيوان الذى لا توجد فيه إلاّ هذه الخصلة لأنها ان جعلت حلوبة سقت ، فأروت الكثير و إن جعلت اكولة أطعمت وأشبعت الكثير ،و إن جعلت ركوبة أمكن يقطع بها من المسافات المديدة مالا يمكن قطعه بحيوان آخر و ذلك لما ركّب فيها من القوة على مداومته على السير و الصبر على العطش و الا جتزاء من العلوفات بما لايجتزى حيوان آخر ، وإن جعلت حمولة استقلّت بحمل الا حمال الثقيلة التى لايستقلّ بها سواها .

ومنها : ان هذا الحيوان كان أعظم الحيوان و قعاً فى قلوب العرب ، و لذلك جعلوا دية قتل الانسان إبلا وكان ملوكهم إذا أرادوا المبالغة فى إعطاء الشاعر الذى جاء من المكان البعيد أعطوه مأة بعير لان إمتلاء العين منه أشد من إمتلاء العين من غيره ولذلك قال : « ولكم فيها جمال » النحل: ٦)

ومنها : ان لهذا الحيوان قناعة فى الغذاء و صبراً على الماء حتى انها لتمكث على عشرة أيام بلا غذاء ولا ماء لاتكل ولا تعيى فيها لكثير من طوائف الانسان فوائد جليلة بحيث لايمكنهم الاستغناء عنها يأكلون لحومها و يشربون ألبانها و يلبسون صوفها و يسافرون على ظهورها فى الصحارى السهلة أما فى

البلاد الجبلية، فلا تكاد تغنى شيئاً، فانها لاتستطيع الهبوط إلى الوهاد ولا الصعود إلى النجاد للحد المطلوب .

و الفحل لاينز و إلاّ مرّة واحدة فى السنة ، و يطول فيها مكثه ، و ينزل فيها مراراً كثيرة ، ولذلك يعقبه فتور و وهن ، و الانثى تلقح إذا مضى لها ثلاث سنين و لذلك سميت حقة لانها إستحقت ذلك .

و قالوا : ان الجمل أشد الحيوان حقداً و فى طبعه الصبر و الصولة ، و ان الجمل الذكر صعب الخلق إذا كان أوان السفاد ولا يدع إنساناً ولا جملا يدنو منه إلاّ عقره ، و الجمل الذكر خاصة يكره قرب الفرس و يقاتله أبداً .

و ان الجمل الذكر لاينز وعلى امه، و إن إضطره أحد إلى ذلك كرهته، وحكى ان رجلا ستر ناقة بثوب ثم أرسل ولدها عليها ، فلما عرف ذلك قطع ذكره ثم حقد على صاحبه حتى قتله ، وآخر فعل مثل ذلك ، فلما عرف انهامه قتل نفسه .

وليس لشيء من الفحول مثل ماللجمل عند هيجانه إذ يسوء خلقه و يظهر زبده و رغاؤه ، فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل و يقلّ أكله ، و يخرج الشقشقة وهى الجلدة الحمراء التى يخرجها من جوفه ، و ينفخ فيها فتظهر من شدقه لايعرف ماهى .

و كل الحيوان له مرارة إلاّ الابل ، ولذلك كثرصبرها و انقادت ، و إنما يوجد على كبدها شيء يشبه المرارة وهى جلدة فيها لعاب يكتحل به ينفع من العشاء العتيق و من طبعها: أنها تستطيب الشجر الذى له شوك ، وتهضمه أمعاؤها ولا تستطيع فى غالب الاوقات أن تهضم الشعير .

وقيل : إذا وقع بصر الجمل على سهيل مات لوقته . ولحمه يزيد فى الباه والا نعاظ بعد الجماع ، و بول الابل ينفع من ورم الكبد و يزيد فى الباه ، ومخ ساق الجمل إذا تحملت به المرأة فى قطنة أوصوفة بعد الطهر ثلاثة أيام وجومعت

فانها تحمل و إن كانت عاقراً .

وقال أهل التعبير : من رآى انه ملك منها هجمة فى منامه فانه يدل على أنه يحكم على جماعة ذوى أقدار و يملك مالاً طائلا ، و من رآى انه ملك إبلا فى منامه نال عقبى حسنة و سلامة فى دينه و معتقده لقوله جل وعلا : «أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت» فان قال : رأيت جمالاً فر بمادل على الاعمال السيئة لقوله تعالى : «ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط» و لقوله تعالى : «انها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالت صفر» و إن قال : رأيت نعاماً و أنا أسرحها فى المنام ، فانه يدل على تذليل الامور الصعاب ، و ظهور النعمة عليه لقوله عزوجل : «و الانعام خلقها لكم فيها دفء و منافع و منها تأكلون - إلى قوله - تسرحون»

ومن رآى أنه يرعى إبلا عراباً، ولّى على قوم من الاعراب ، و من رآى إبلا كثيرة فى بلد فانها تدل على أمراض و حروب ، ومن رآى انه يملك إبلا نال مقدرة و سطوة .

وغير ذلك من مميزات الابل الكثيرة و خصائصها الموجودة فيها و كلها يوجب على كل عاقل أن ينظر إلى خلقتها وتكوينها و تركيبها و خصالها ، و يستدل بذلك على وجود الصانع الحكيم و قدرته و حكمته و تدبيره ... ففيها جماع ما فى مختلف الحيوان و زيادات تخصها ، فلا عجب أن تعدفى عداد السماء و الجبال والارض من آيات الله البينات التى تدل على وجوده وقدرته ، و ان وراء الكون إرادة و تصميماً دون صدفة ولا فوضى .

ثم ان عرب البادية لما كانوا من أعرف الناس بأحوال الابل فى صحتها و سقمها و منافعها و مضارها حضّهم على النظر إلى ماحضر لديهم قطعاً للاعذار و تقريباً للانظار ، فلا أحد إلاّ ويعيش براهين على وجود الله عزوجل لايستطيع

التحلل عنها حتى العرب البادية الذين يعيشون أنفسهم بآبـالهم و هـي كل ما يملكونه حياتهم .

فلما تقدم حسن من أن يؤمـر الانسان تلويحاً بالتأمل فـي خلقتها فقال تعالى : «أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت»

وفى محاسن البرقى : باسناده عن عمر بن أبان عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «للابل عزّ لأهلها»

وفى رواية : عن عروة البارقى : ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : «الابل عزّ لأهلها والغنم بركة ، و الخير معقود فى نواصي الخيل إلى يوم القيامة»

وفى رواية : «لا تسبّوا الابل فان فيها رقوء الدم ومهر الكريمة» أى انها تعطى فى الديات ، فتحقن بها الدماء و تمنع مـن أن يهراق دم القاتل ، و تجعل صدقات لزواج النساء الصالحات ...

وفى رواية : «لاتسبّوا الابل فانها من نفس الله تعالى» أى مما يوسع الله جل وعلا به على الناس .

وفى رواية : قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم : «الناس كابل مأة لاتجد فيها راحلة» أى ان المرضى من الناس قليل . وقيل : أى ان الزاهد فى الدنيا الكامل فى الزهد فيها، والرغبة فى الاخرة قليل كقلة الراحلة فى الابل .

وفى فروع الكافى : باسناده عن هشام بن الحكم عن أبى عبدالله عليه السلام قال: لويعلم الحاج ماله من الحملان ما غالى أحد ببعير .

أقول : ان هذه الرواية و مايليها قدوردت لكراهة المغالات فـى أثمان الابل .

وفـى المحاسن : باسناده عن صفوان الجمّال قال : أرسل إليّ المفضل إبن عمر أن اشتر لأبى عبدالله عليه السلام جملا، فاشتريت جملا بثمانين درهماً فقدمت

على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي : أتراه يحمل القبة ، فشددت عليه القبة فركبته و استعرضته ثم قال : لـو يعلم الناس كنه حملان الله علـى الضعيف ما غـالـوا ببهيمة .

وفيه: باسناده عن صفوان الجمال قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : إشتر لي جملا وليكن أسود فانها أطول شيء أعماراً ثم قال: لو يعلم الناس كنهه حملان الله على الضعيف ماغالوا ببهيمة .

﴿الابل وتكلمها﴾

ولما كان تكلم الابل بين يدى رسول الله الخاتم ﷺ معجزة من معجزات الرسول ﷺ فجدير لنا الاشارة الاجمالية إلى حقيقة المعجزة :

وهى الامر الخارق للعادة الذى يحصل على يدنبى ورسول و ولىّ من الله جل وعلا .

و ذلك ان الله تعالى خصّ بهم صلوات الله عليهم أجمعين قوة النفس لتؤثر فى هيولى العالم بازالة صورة و ايجاد صورة .

وذلك ان الهيولى منقادة لتأثير النفس العالية الشريفة المفارقة مطيعة لقواها السارية فى العالم و فى وسعها أن تزيل جبلا عن مكانه وتذيب جوهراً فيستحيل ماء و يجمد جسماً سائلا فيستحيل حجراً و نسبة هذه النفس القوية العالية إلى سائر النفوس كنسبة الشمس إلى السراج .

و دخول إبراهيم الخليل عليه السلام فى النار وصيرورتها برداً وسلاماً وخروج ناقة صالح النبى عليه السلام من الجبل بلاسبق وجوده فيه وشرب قومه منها بدل الماء و إنقلاب عصى موسى الكليم عليه السلام حية تسعى و إدخاله يده فى جيبه و خروجها بيضاء من غير سوء و إبراء عيسى روح الله عليه السلام الاكمه والابرص و إحياء الموتى باذن الله تعالى و تكلم الابل و تسبيح الحصاة لدى رسول الله الأعظم على شرع سواء .

ولا يستطيع أحد أن ينكر المعجزات غير جماعة الماديين الذين وقفوا

من العلم الطبيعي مع ماوصل إليه منذ مأة سنة، ولو كان هؤلاء الماديون يستعرضون أمامهم ماهدى إليه ألوف من العلماء الباحثين فى المباحث النفسية فى مشارق الارض و مغاربها أمثال الأساتذة وليم كروكس و روسل ولاس واللورد افبرى واكسون و تندل و بار كس ولودج ومورغان وغيرهم من الانجليز و كاميل فلا مريون والدكتور داريكس والدكتور جيبية و الا ستاذ شارل ريشيه من الفرنسيين وغيرهم من العلماء الايطاليين و الآلمانيين والروس وغيرهم لرأوا ان كل هؤلاء إعترفوا بالنفس القوية الحاكمة على المادة و فى إستطاعتها فى شروط مخصوصة إبطال عمل تلك النواميس و أحداث ظواهر جديدة خارقة للنظام الطبيعي المادى.

نعم يصعب على المحبوس فى قفس الحس أن يتصور ذلك وعذره انه لم يقرأمنه شيئاً أوانه هاله أمر الطبيعة المحسوسة فوقف عندها و ترك ماوراء ذلك لاصحاب الا فئدة القوية و العقول الطامحة و قدوردت الروايات الكثيرة عن طريق العامة والشيعة الامامية الاثنى عشرية فى تكلم الابل بمواضع عديدة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نشير الى مايسعه المقام:

١- فى المناقب عن جابر الانصارى و عبّادة بن الصامت قالا: كان فى حائط بنى النجّار جمل قطم لايدخل الحائط أحد إلاّ شدّ عليه فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحائط و دعاه فجاءه و وضع مشفره على الارض و نزل بين يديه فخطمه ودفعه إلى أصحابه.

فقيل: البهائم يعرفون نبوتك؟ فقال: ما من شيء إلاّ وهو عارف بنبوتى سوى أبى جهل وقريش فقالوا: نحن أحرى بالسجود لك من البهائم قال: إنّى أموت فاسجد و اللحى الدى لايموت.

وجاء جمل آخر يحرّك شفتيه ثم أصغى إلى الجمل و ضحك ثم قال: هذا

يشكو قلّة العلف وثقل الحمل يا جابر إذهب معه إلى صاحبه فأتنى بـه قلت :
والله ما أعرف صاحبه قال : هو يدلّك قال : فخرجت معه إلى بعض بنى حنظلة
و أتيت به إلى رسول الله ﷺ فقال : بعيرك هذا يخبرنى بكذا و كذا قـال :
إنما كان ذلك لعصيانه ففعلنابه ذلك ليلتين فـواجهه رسول الله ﷺ و قال :
إنطلق مع أهلك فكان يتقدّمهم متذلّلا فقالوا : يـا رسول الله أعتقناه لحرمتك
فكان يدور فى الأسواق و الناس يقولون : هذا عتيق رسول الله .

قوله : « جمل قطم » قطمه : عضّه القطم : اشتهى الضراب و النكـاح أو
السمن .

٢ـ فى الخرائج عن سلمان الفارسى قال : كنت قاعداً عند النبى ﷺ
إذ أقبل أعرابى فقال : يا محمد أخبرنى بما فى بطن ناقتى حتى أعلم ان الـذى
جئت به حق و اؤمن بالهك و أتّبعك فالتفت النبى ﷺ إلى علـى عليه السلام فقال :
حبيبى علىّ يدلّك فاخذ عليه السلام بخطام الناقة ثم مسح يده على نحرها ثم رفع طرفه
إلى السماءِ و قال : «اللهم انى اسئلك بحق محمد و أهـل بيت محمد وبأسمائك
الحسنى وبكلماتـك التامّات لمّا إنطقت هـذه الناقـة حتـى تخبر بما فـى
بطنها» .

فاذا الناقة قد إلتفت إلى علىّ عليه السلام وهويقول: يا على (يا أمير المؤمنين خ)
انه ركبنى يوما و هو يريد زيارة إبن عمّ له فلما انتهى بى إلى واد يقال لـه :
وادى الحسك نزل عنّى و أبـركنى فـى الوادى و واقعنى ، فقال الا عرابى : و
يحكم أيّكم النبى ﷺ هذا أو هذا ؟

قيل : هذا النبى و هذا أخوه و وصيّه فقال الاعرابى : أشهد أن لا إله إلا الله
و انك رسول الله وسئل النبى ﷺ أن يسئل الله ليكفيه ما فى بطن ناقته فكفاه
و أسلم وحسن اسلامه .

٣ـ فى بحار الانوار بالاسناد عن عبدالله بن عمر قـال : كنا جلوساً عند

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ دخل أعرابى على ناقة حمراء فسلّم ثم قعد، فقال بعضهم : ان الناقة التى تحت الاعرابى سرقها قال: أقم بيّنة فقالت الناقة التى تحت الاعرابى: والذى بعثك بالكرامة يارسول الله ان هذا ما سرقنى ولا ملكنى أحد سواه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أعرابى ما الذى قلت حتى انطقها الله بعذرك ؟ قال : قلت :

«أللهم انك لست برب استحدثناك ولا معك إله أعانك على خلقنا ولامعك رب فيشر كك فى ربوبيتك أنت ربنا كما تقول و فوق مايقول القائلون أسئلك أن تصلى على محمد و آل محمد و أن تبر أنى ببراءتى»

فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : والذى بعثنى بالكرامة يا أعرابى لقد رأيت الملائكة يكتبون مقالتك ألا و من نزل به مثل ما نزل بك فليقل مثل مقالتك وليكثر الصلاة علىّ.

٤- و فى بصائر الدرجات عن الامام أبى عبدالله عليه السلام قال : قالت الناقة ليلة نفروا بالنبى لرسول صلى الله عليه وآله وسلم : لاوالله لا أزلت خفاً عن خفّ ولو قطعت إرباً إرباً.

٥- فى الاختصاص بالاسناد عن أبى‌عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم قاعداً إذ مرّ به بعير فبرك بين يديه و رغاً فقال عمر : يا رسول الله أيسجد لك هذا الجمل ؟

فان سجدلك فنحن أحق أن نفعل فقال: لابل اسجدوالله أن هذا الجمل يشكو أربابه و يزعم انهم انتجوه صغيراً و اعتملوه فلما كبر و صار أعون (أعور خ) كبيرا ضعيفاً أرادوا نحره ولو أمرت أحداً ان يسجد لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.

٦- فى **مسند أحمد** والحاكم عن عبدالله بن جعفر انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم دخل حائطاً لبعض الانصار فاذا فيه جمل فلما رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذرفت عيناه فمسح

النبى صلى الله عليه وآله وسلم سنامه فسكن ثم قال : من ربّ هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الانصار فقال : هولى يا رسول الله فقال : ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملّكك الله اياها فانه شكى الىّ انك تجيعه و تذيبه .

٧- **روى الطبرانى** عن جابر قال : خرجنامع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة ذات الرقاع حتى إذا كنا بحرّة واقم أقبل جمل يرفل حتى دنامن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يرغو على هامته فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أن هذا الجمل يستعدينى على صاحبه يزعم انه كان يحرث عليه منذسنين حتى أعجزه و أعجفه و كبر سنّه أراد نحره اذهب يا جابر إلى صاحبه فأت به قال : ما أعرفه قال :

انه سيد لّك عليه قال : فخرج بين يدى معنقا حتى وقف بى مجلس بنى خطمة فقلت : أين رب هذا الجمل قالوا : هذا لفلان بن فلان فجئته فقلت: أجب رسول الله فخرج معى حتى إذا جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان جملك يزعم انك حرثت عليه زمانا حتى إذا أجربته و أعجفته و كبر سنّه أردت أن تنحره قال : والذى بعثك بالحق ان ذلك لكذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم : ما هكذا جزاء المملوك الصالح ثم قال : تبيعه ؟

قال : نعم فا بتاعه منه ثم أرسله صلى الله عليه وآله وسلم فى الشجر حتى نصب سنامه وكان إذا إعتلّ على بعض المهاجرين والا نصار من نواضحهم شيء أعطاه إياه فمكث كذلك زماناً .

٨- **فى الاختصاص** بالاسناد عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لمامات على بن الحسين عليه السلام جاءت ناقة له من الرعى حتى ضربت بجرانها القبر و تمرّغت عليه ان أبى كان يحجّ عليها و يعتمر ولم يقرعها قرعة قط .

رقعة عمر بن الخطاب

الى مردة الجن فى تذليل الابل

فى بحار الانوار : بالاسناد عن إبن عباس قال : كان رجل على عهد عمر وله إبل بناحية آذربايجان قد استصعبت عليه فشكا إليه ما ناله و ان معاشه كان منها فقال له : اذهب فاستغث بالله تعالى فقال الرجل : مازلت أدعوالله و أتوسّل إليه و كلّما قربت منها حملت عليّ فكتب له عمر رقعة فيها :

« من عمر أمير المؤمنين إلى مردة الجن و الشياطين أن يذ لّلوا هذه المواشى له»

فأخذ الرجل الرقعة و مضى فقال عبدالله بن عباس : فاغتممت غماً شديداً فلقيت علياً عليه السلام فأخبرته بما كان فقال عليه السلام :

والذى فلق الحبّة و برأ النسمة ليعودنّ بالخيبة فهدأ ما بى وطالت عليّ شقّتى وجعلت أترقب كل من جاء من أهل الجبال فاذا أنا بالرجل قدوافى و فى جبهته شجّة تكاد اليد تدخل فيها فلما رأيته بادرت إليه فقلت : ماوراك ؟

فقال : انى صرت الى الموضع و رميت بالرقعة فحمل عليّ عدد منها فهالنى امرها ولم يكن لى قوّة فجلست فرمحتنى احدها فى وجهى فقلت: اللهم اكفنيها و كلّها تشدّ عليّ و تريد قتلى فانصرفت عنيّ فسقطت فجاء أخى فحملنى و

لست أعقل فلم أزل أتعالج حتى صلحت و هذا الأثر في وجهي فقلت له: صر الى عمر و أعلمه فصار اليه و عنده نفر فاخبره بما كان فزبره فقال له: كذبت لم تذهب بكتابي فحلف الرجل لقد فعل فأخرجه عنه قال ابن عباس: فمضيت به الى امير المؤمنين عليه السلام فتبسّم ثم قال: ألم اقل لك؟ ثم اقبل على الرجل فقال له: اذا انصرفت الى الموضع الذى هي فيه فقل:

«اللهم انى اتوجّه اليك بنبيّك نبي الرحمة و اهل بيته الذين اخترتهم على علم على العالمين اللهم ذلّل لى صعوبتها و اكفني شرّها فانك الكافى المعافى و الغالب القاهر»

قال: فانصرف الرجل راجعا فلما كان من قابل قدم الرجل و معه جملة من المال قد حملها من أثمانها الى امير المؤمنين عليه السلام و صار اليه و انا معه فقال عليه السلام: تخبرني أو أخبرك؟ فقال الرجل: يا امير المؤمنين بل تخبرني قال: كأني بك و قد صرت اليها فجاءتك ولاذت بك خاضعة ذليلة.

فاخذت بنواصيها واحدة واحدة فقال الرجل: صدقت يا امير المؤمنين كأنك كنت معي هكذا كان فتفضّل بقبول ما جئتك به فقال: امض راشدا بارك الله لك و بلغ الخبر عمر فغمّه ذلك و انصرف الرجل و كان يحجّ كل سنة و قد أنمى الله ماله فقال امير المؤمنين عليه السلام:

كل من استصعب عليه شيء من مال او اهل او ولدا و أمر فليبتهل الى الله بهذا الدعاء فانه يكفى مما يخاف الله ان شاء الله.

أقول: قوله: «فهدأ» اى سكن ما بى من الاضطراب. و قوله: «فزبره» اى انتهره.

﴿القرآن الكريم و الجبال﴾

قال الله عزوجل : «و إلى الجبال كيف نصبت» الغاشية : ١٩)

و قد أشار جل وعلا فى مواضع عديدة من القرآن الكريم إلى تكوين الجبال و كونها أوتاداً للارض ، و مالها من الحركات و التسبيح و السجدة ، و الخشوع و الخشية ، و عرض الأمانة عليها ، و ما فيها من المنابع و العيون الجارية و الانهار ، و إلى اختلاف ألوانها و آثارها و منافعها و فوائدها للانسان و غيره ...

وفى ذلك كله آيات واضحة و دلائل قاطعة و براهين متقنة على توحيد الربوبية و القدرة المطلقة و الحكمة البالغة و التدبير العام ، فلم تنصب الجبال هذا النصب الرصين الراسخ صدفة ، وما أنصبت هى نفسها ، و ما أنصبها الانسان، و إنما أنصبها الله تعالى وحده و هو الخالق المتعال ، و الصانع الحكيم ، والمدبر الخبير و القادر العليم ، فالامر لايحتاج إلى تحصيل علوم ولا إلى كدّ ذهن ، بل التوجه التام و النظر المعتبر وحده يكفى .

قال الله تعالى : «ألم نجعل الارض مهاداً و الجبال أو تاداً » النباء : ٦ ـ ٧)

وقال : «و الجبال أرساها» النازعات : ٣٢)

وقال : «وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى

أتقن كل شيء» النمل : ٨٨)

وقال : «و اذكر عبد ناداود ذا الأيد إنه أوّاب إنا سخّرنا الجبال معه يسبحن بالعشيّ والاشراق» ص : ١٧ـ١٨)

وقال : «و سخّرنا مع داود الجبال يسبحن و الطير و كنا فاعلين» الانبياء : ٧٩)

وقال : «ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوّبى معه» سبأ : ١٠)

وقال : «ألم ترأن الله يسجد له من في السموات و من في الارض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدواب و كثير من الناس» الحج : ١٨)

وقال: «إنا عرضنا الأمانةعلىالسموات والارض والجبال فأبين أنيحملنها» الا حزاب : ٧٢)

وقال : «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الا مثال نضر بها للناس لعلهم يتفكرون» الحشر : ٢١)

و قال : «و ألقى في الارض رواسى أن تميدبكم و أنهاراً و سبلا لعلكم تهتدون» النحل : ١٥)

وقال : «ومن الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها وغرابيب سود» فاطر : ٢٧)

وقال : «وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين» الشعراء : ١٤٩)

وقال : «و تنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين» الاعراف : ٧٤)

وقال : «و كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين» الحجر : ٨٢)

وقال : «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً و منالشجر

ومما يعرشون ـ والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً و جعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون» النحل : ٦٨ـ٨١)

واعلم أن الجبل: إسم لكل وتد من أوتاد الارض إذا عظم وطال جمعه: جبال. و ما جاء في القرآن الكريم يدل على تكوّن الجبال حين تكوّن الارض ، وأما كيفية تكوّنها، وما تكوّنت من المواد فقد اختلفت فيها كلمات العلماء إختلافاً كثيراً نشير إلى أهمها عندهم وإن كان لاأصل لها عندنا:

ومن الفلاسفة: من قال : هذه الجبال إنما تولّدت لان البحار كانت فى هذا الجانب من العالم، فكان يتولد من البحر طين لزج ثم يقوى تأثير الشمس فيها ، فينقلب حجراً كمانشاهد فى كوز الفقاع ثم ان الماء كان يغور ويقلّ فيتحجّر البقية فلهذا السبب تولّدت هذا الجبال ، و قالوا : و إنما كانت البحار حاصلة فى هذا الجانب من العالم لأن أوج الشمس و حضيضها متحرّكان، ففى الدهر الأقدم كان حضيض الشمس فى جانب الشمال ، و الشمس متى كانت فى حضيضها كانت أقرب إلى الارض ، فكان التسخين اقوى .

و إن شدة السخونة توجب إنجذاب الرطوبات ، فحين كان الحضيض فى جانب الشمال كانت البحار فى جانب الشمال و الآن لما إنتقل الأوج إلى جانب الشمال و الحضيض إلى جانب الجنوب إنتقلت البحار إلى جانب الجنوب فبقيت هذه الجبال فى الشمال .

ومن الحكماء : من قال: ان السبب الاكثرى فى تولّد الأحجار وتكوّن الجبال، وقد ينعقد الماء السيّال حجراً إما لقوّة معدنية محجرة أو لأرضية غالبة على ذلك الماء فاذا صادف الحرّ العظيم طيناً كثير الرخا ، إما دفعة و إما على

مرور الأيام تكوّن الحجر العظيم ، فاذا ارتفع بأن يجعل الزلزلة العظيمة طائفة من الارض تلاً من التلال أويحصل من تراكم عمارات تخرّبت ثم تحجّرت أويكون الطين المتحجّر مختلف الاجزاء فى الصلابة و الرخاوة ، فتنحفر أجزاؤه الرخوة بالمياه والرياح ، و تغور تلك الحفر بالتدريج غوراً شديداً و تبقى الصلبة مرتفعة أو بغير ذلك من الأسباب فهو الجبل .

وقديرى بعض الجبال منضودة ساقاً فساقاً كأنها ساقات الجدار فيشبه أن يكون حدوث مادّة الفوقانى بعد تحجّر التحتانى ، و قد سال على كل ساف من خلاف جوهره ماصار حائلا بينه وبين الآخر ، و قد يوجد فى كثير من الأحجار عند كسرها أجزاء الحيوانات المائية ، فيشبه أن تكون هذه المعمورة قد كانت فى سالف الدهر مغمورة فى البحر ، فحصل الطين اللزج الكثير و تحجّر بعد الانكشاف ولذلك كثر الجبال ، و يكون انحفار مابينهما بأسباب تقتضيه كالسيول و الرياح ...

و من العلماء الحديثة : من يقول :

١ـ جبال تكوّنت بانخلاع قشرة أرضية، و ذلك لان القشرة الارضية كابدت بسبب إنقباض النواة الارضية بالبرودة عدة إنفعالات كالتجعد ، فنشأت من هذه الانفعالات جبال كثيرة جبال الجورا والالب و البرينية والحملايا ... و هناك جبال كانت نتيجة إنخسافات ، و يوجد فى الاقطار ما كانت فى السابق جبالاً شماء فصارت الآن على غاية الانبساط.

٢ـ جبال تكوّنت بانخفاض الارض من حولها ، و هذه الجبال تكون عادة قليلة الارتفاع مثل :

جبال ديمس و إرتفاعها ٢٥٨٨/ متراً و جبال لاون و إرتفاعها ١٨١/ متراً .

٣- جبال تكوّنت بتراكم المواد فوق بعضها أهمها الجبال التى تكوّنت من تراكم مواد البراكين المجاورة لها، و من تلك الجبال جبال ألاندو و الانتيل بأمريكا، و منها ما يصل إلى إرتفاع عظيم جداً مثل جبل شبوراز و الذى بلغ إرتفاعه ٦٣١٠/ متراً و بلغ إرتفاع جبل كليما نجار و بافريقا ٦١٠٠/ متراً.

٤- جبال تكوّنت بالرياح و الثلاجات تدريجاً.

٥- جبال سقطت من السماء على الارض.

٦- جبال تدفقت على الارض نتيجة البركانات ...

٧- جبال تجمدت على الارض إثر الأمواج الناتجة عن دوران الارض و إصطكاكها بالفضاء المجاور البارد، و تعم الأمواج أمواج الجوية السماوية و جوفية الارض وسطحيتها، فالامواج إذاً تشمل كل صنوف الجبال ...

ومنهم: من يقول: لما كان فى بدء خلق الارض زلزلة ورجفة و إضطراب عظيم فى الارض، صارت هذه الامور أسباباً لحدوث تلك الجبال، فلما حدثت إستقرّت الارض، و سكنت فلهذا لايحدث بعدها مثلها.

وغير ذلك من الاقاويل كلها ظن و تخريص: «وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون» الجاثية: ٢٤)

و على أىّ تقدير: ان الله عزوجل خلق الجبال على أقسامها لحكم و مصالح لاتحصى كما انه تعالى خلق الارض لذلك، و أما كيفية تكوينها وموادها فما لنا بها من علم.

فى الخصال: باسناده عن الحسين بن زيد قال: بلغنى ان الله عزوجل خلق الجبل من أربعة أشياء:

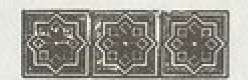
من البحر اعظم المحدق بالدنيا، و من النار، و من دموع ملك يقال له: إبراهيم، و من بثرطيبة.

أقول: و فى الرواية مالايخفى على من له الدراية .

وفـى العلل - فى خبر الشامـى - : سئل أمير المؤمنين عليه السلام مما خلقت الجبال ؟ قال : من الامواج ... الحديث .

أقول: وما يستفاد من الآيـات القرآنية و الروايات الـواردة فى خلق **الجبال** : انه كان قريباً من خلق الارض .

قال الله عزوجل : «قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فـى يومين و تجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها و بارك فيها وقدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين» فصلت: ٩-١٠)



﴿ الجبال واقسامها ﴾

وقد قسّم علماء الفن الجبال على إختلاف اشكالها ، و تباين ضروبها ، و تفنن أحجارها، و تنوّع أصنافها على أربعة أقسام :

أحدها : جبال صخرية لاتنبت شيئاً كجبال تهامة، و أكثر جبال فوق الارض ليست إلاّ صخوراً صلدة، وأحجاراً صلبة لاينبت عليها إلاّ في بعضها يسيراً.

ثانيها ـ جبال ذات النبات صخورها رخوة، وطينها لينة وترابها ورملها، و حصياتها ملس متلبدات ساف فوق ساف متماسك الأجزاء كثيرة النبات و الأ- شجار و الحشائش كجبال طبرستان (مازندران) و جبال لكام و جبال فلسطين وغيرها .

ثالثها ـ: جبال لطيفة الهواء و هي على قسمين :

أحد هما : تصبّ منها الرياح اللينة في بعض الأوقات ...

ثانيهما : تصبّ منها الرياح دائماً كجبال (باميان) في بلاد الشرق، فتدبر في أسبابها ، و أما القسم الاول الذي تهب في بعض الاوقات كجبل الثلج الذي بدمشق، و الذي ببلاد (داور) من جبال (غور) و جبال (دماوند) و ذلك ان الثلج الذي فوق تلك الجبال بذوبانه يتحلل إلى أجزاء بخارية لطيفة ، فيرتفع في الجو ويلطف الهواء فتهبّ نسمات لطيفة تشرح الصدر ويدفع ذلك البخار الهواء التي إلى الجهات الخمس ، و تلك الرياح لاتكون إلاّ عند ذوبان الثلج ، فـاذا لـم

يكن ذلك كانت رياحها على حسب حال جوّها ومناخها، فالرياح متقلبات ليست دائماً معتدلات ...

رابعها - : جبال نارية يرى في أعاليها دائماً دخان معتكر ساطع في الهواء مرتفع في الجو و ذلك النار من باطن الارض أو من نفس الجبال .

وقالوا: ان البراكين تبلغ مابين /٢٢٣ جبلا - إلى - /٣٠٠ جبلافمنها دائمة الثوران و هذه قليلة ، و التي تثور بين آونة و اخرى ، و التي هي جامدة ساكنة دائمة و من شاهد فوهة جبل النار (البركان) المسمى بـ(فزوف) و هو ثائر فانه يشاهد الحمم تسيل على جوانبه و الحجارة الضخمة تقذف في جوّه ، و هناك جبل ناريسمى (كوتو پاكسى) فقد ثار عام/٨٧٧ ام فكانت الحمم ترتفع تدريجياً ، و تتجمى في فوهته حتى إذا ملاتها سالت من جميع جوانبها ، فكان الناظر لها يرى مشهداً رهيباً رائعاً مهولاً .

وأكبر فوهة لبركان الجبال فوهة بركان (كيلويا) فقطرها ميلان ومحيطها نحو سبعة أميال ، وهي على إرتفاع أربعة آلاف قدم ، و في داخلها بحيرة هائلة فيها حمم، ومواد مصهورة كثيرة وهذه البحيرة تكون على عمق /٨٠٠ قدم عن شفه الفوهة غالباً، وعمق البحيرة نحو /١٤٠٠ قدم .

فاذا أظلم الليل إنعكست تلك الأشعة المتطايرة من حمم تلك البحيرة العظيمة على الغيوم ، فكستها لوناً قرمزياً قانياً بديع الجمال حسن الاشكال، و الحمم لاتزال تجتمع و ترتفع في جوف الفوهة حتى تصل إلى الشفه ، و هناك الهول المهول ، فتفور تلك الحمم و تنحدر إنحدار السيول الجارفات أو تنفجر من الجوانب ...

فانظر كيف تنفجر الانهار من الجبال تارة أنهار نارية، و اخرى أنهار مائية، وفي تلك الانهار النارية تنحدر الحمم هناك من الفوهة بسرعة عظيمة وذلك لانها مواد مصهورة ذائبة ثم بعد ذلك تجمد قليلا فتكوّن قسرة جامدة و الحمم

الجديدة تجرى من تحتها .

وقد تنفجر القسرة فروع مجار صغيرة و أنهار الحمم قد تبلغ سبعين ميلا فاعتبروا يا اولى الابصار كما أمركم الله جل وعلا به فى قوله : «و إلى الجبال كيف نصبت» الغاشية : ١٩)

وفيها نار و ثلج ، و شجر وحيوان ، و هواء وماء ، و نعيم و عذاب حميم، وفيها كنوز ذهبية و مواد معدنية وبدائع حكمية... فهل نصبت الجبال و وقعت تلك الحالات المختلفة لها صدفة !!!

وان الجبال باعتبار أشكالها على أقسام مختلفة :

فمنها : طويـل جـداً و تكون كـالسلاسل الحقيقية ، بعضها يتلو بعضاً كجبال البيرينية مثلا انظر جبال (اوربا) وبعضها يكون سلاسل متوازية .

ومنها : ما يكون فى كل سلسلة من سلاسل رأس مرتفع تخرج منه النار.

وقالوا : ان من الجبال ماهى فى دور الطفولة كجبال (الانديس) باوروبا، و لاتزال ترتفع و تنمو كأنها حيوان ، و كجبال (الالب) .

ومنها : مابلغ أشدّه كجبال (البرنيس) باوروبا .

ومنها : ماشاخت و هرمت كجبل (المقطم) بمصر وجبال (الفوزجيش) .

ومنها : ما أخذت سبيلها إلى الفناء كجبال (وايلس) باوروبا . وغيرهـا من إختلاف الجبال فى الاشكال و الا لوان و الارتفاع والمعادن ...

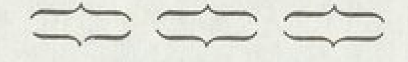
وفـى كتاب الـأقاليـم والبلدان : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من قرأ: «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ـ إلى ـ و كذلك تخرجون» كتب له من الحسنات بعدد كل ورقة ثلج تقع على جبل سيلان»

قيل : و ما السيلان يا رسول الله ؟ قـال : جبل بأرمنية وآذربايجان عليه عين من عيون الجنة و فيه قبر من قبور الانبياء .

وفى البحار: قال أبو حامد الاندلسى : على رأس هـذا الجبل عين عظيمة

مع غاية إرتفاعه، ماؤه أبرد من ماء الثلج كأنما يشبه بالعسل لشدة عذوبته، و بجوف هذا الجبل ماء يخرج من عين يصلق البيض لحرارته، يقصدها الناس لمصالحهم، وبحضيض هذا الجبل شجر كبير ومراع وشيء من حشيش لايتناوله إنسان ولاحيوان إلاّ مات لساعته.

وقال القزويني : ولقد رأيت الخيل والدواب ترعى في هذا الجبل، فاذا قربت من ذلك الحشيش نفرت و ولّت منهزمة كالمطرودة.



﴿ارتفاع الجبال وحكمها﴾

قال الله عزوجل : «ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء و أمواتاً و جعلنا فيها رواسى شامخات و أسقينا كم ماء فراتاً» المرسلات : ٢٥-٢٧)

الرواسى الشامخات : الجبال المرتفعات الرواسخ الثابتات ...

وقد جاءت الاشارة بمواضع عديدة فى القرآن الكريم إلى إرتفاع الجبال وحكمه لابدلكل إنسان من النظر و التدبر فيها جداً ، و نحن نذكر هنا بعض ما حققناه فى إرتفاع الجبال قبل ذكر بعض الآيات الكريمة فى حكمه وأسراره:

وقد تبلغ إرتفاع بعض الجبال إرتفاعاً عظيماً تحيّر بها العقول ، و قد انتهى إرتفاع أعلى الجبال عن سطح البحر إلى ٩٠٠٠/ متراً كجبال (همالايا) :

٢- و بلغ إرتفاع جبل كانتشجنجا بآسيا إلى ٨٥٨٠/ متراً:)

٣- و بلغ إرتفاع جبل الابيض باوروبا إلى ٨٤١٠/ متراً:)

٤- و بلغ إرتفاع جبل اكو نكاجا بآمريكا إلى ٦٨٣٤/ متراً:)

٥- و بلغ إرتفاع جبل البروز باوروبا إلى ٦٥٣٠/ متراً:)

٦- و بلغ إرتفاع جبل شمبورازوبآمريكا إلى ٦٢٥٣/ متراً:)

٧- و بلغ إرتفاع جبل كليما نجار بآفريقا إلى ٦١٠٠/ متراً:)

٨ـ و بلغ إرتفاع جبل دماوند بمازندران (ايران) إلى /٥٦٢٨ متراً:)

٩ـ و بلغ إرتفاع جبل بوبو كاتبلت بآمريكا الوسطى إلى /٥٤١٠متراً:)

١٠ـ و بلغ إرتفاع جبل ادارات بآسيا إلى /٤٩١١ متراً:)

وهكذا إلى أن ينتهى الارتفاع إلى /٢٠٠ متراً و أقل.

ولتلك الجبال: طوالها وقصارها حكم و أسرار إلهية و مصالح لعباد الله عزوجل لانستطيع باحصاء جميعها في المقام من جهة لانا على جناح الاختصار، ولقصور علمنا عن تمامها من جهة اخرى ...

قال الله تعالى: «قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين و جعل فيها رواسى من فوقها و بارك فيها» فصلت: ٩ ـ ١٠)

وقال: «خلق السموات بغير عمد ترونها و ألقى فى الارض رواسى أن تميدبكم» لقمان: ١٠)

وقال: «أمن جعل الارض قراراً و جعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً إله مع الله بل أكثرهم لايعلمون» النمل: ٦١)

وقال: «وهوالذى مدّ الارض و جعل فيها رواسى و أنهاراً و من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» الرعد: ٣)

وغيرها من الايات القرآنية في المقام ...

ومن تلك الاسرار والحكم: ان الارض فى سيرها حولها، و دورتها على مدارها كالسفينة في جريها على وجه الماء فكما ان لولم يكن فى السفن أجرام ثقيلة تضطرب، ولا تستقرّ على وجه الماء فتميل من جانب إلى جانب بأدنى الاسباب، ولكن إذا وضعت فيها أجرام ثقيلة إستقرت على حال واحدة،

فكذلك الارض ، فلولم يكن عليها هذه الجبال لاضطربت ، ولا تقرّ فى سيرها على مدارها .

ومنها : ان الجبال تمنع عن وقوع الزلزلة و تعدلها .

ان تسئل : ان الجبال لاتمنع عنها إذنرى ان الزلزلة تقع أكثر فى حوالى الجبال من غيرها فكيف تمنع عن وقوعها ؟

تجيب : انه لولا الجبال فى الارض التى تكون أكثر إستعداداً لوقوع الزلزلة كان فسادها أكثر .

و ان أكثر الجبال فى الارض المستعدة للزلزلة يمنعها عن وقوعها أو تعدلها .

قال الله عزوجل : « ألم نجعل الارض مهاداً و الجبال أوتاداً » النباء : ٦ ـ ٧)

ومن غير بعيد أن تكون مد خليّة الجبال لعدم إضطراب الارض بسبب إشتباكها و إتصال بعضها ببعض فى أعماق الارض بحيث تمنعها عن تفتّت أجزائها و تفرّقها ، فهى بمنزلة الأوتاد المغروزة المثبتة فى الابواب المركبة من قطع الخشب الكثيرة بحيث تصير سبباً لالتصاق بعضها وعدم تفرّقها ، و هذا معلوم ظاهر لمن يحفر الآبار فى الارض ، فانها تنتهى عند المبالغة فى حفرها إلى الاحجار الصلبة ، و أنت ترى أكثرقطع الارض واقعة بين جبال محيطة بها، فكانها مع ما يتصل بها من القطعة الحجرية المتصلة بها من تحت تلك القطعات كالظرف لها تمنعها عن التفتت والا ضطراب عند عروض الاسباب الداعية إلى ذلك.

ومن المتحمل : انه لما كانت فائدة الوتد أن يحفظ الموتود فى بعض المواضع عن الحركة والاضطراب حتى يكون قاراً ساكناً وكان من لوازم ذلك السكون فى بعض الاشياء صحته الاستقرار على ذلك و التصرف عليه ، وكان من

فائدة وجود الجبال أن لاتكون الارض مغمورة بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار و التصرف عليها .

لاجرم كان بين الاوتاد و الجبال الخارجة من الماء فى الارض إشتراك فى كونهما مستلزمين لصحة إستقراره مانعين من عدمه لاجرم حسنت نسبة الايتاد إلى الصخور و الجبال ...

و أما إشعاره بالميدان فلان الحيوان كما يكون صادقاً عليه انه غير مستقر على وجه الارض بسبب إنغمارها فى الماء لو لم يوجد الجبال كذلك يصدق على الارض انها غير مستقرّة تحته و مضطربة بالنسبة إليه ، فلولا الجبال لكانت الارض مضطربة مائدة بالنسبة إلى من على و جهها لعدم تمكّنه من الاستقرار عليها .

ومنها : ان الامطار بسقوطها على قمم الجبال تتجمد لان الحرارة فى المرتفعات منخفضة جداً عما هى عليه على سطح البسيطة ، فتتراكم تلك الثلوج على رؤوس الجبال مدة الشتاء حتى يأتى الصيف ، فتذيب الشمس جزءاً منها ، فيسيل لسفوح الجبال، فتتكون البحيرات وتخرج منها الانهار العظيمة الضرورية لحفظ حياة الانسان و الحيوان و النبات ، قد اقتضت حكمة المبدع العظيم حفظاً للمياه فى الانهار دائماً أن يسلط على تلك الكتل الثلجية الكبيرة عوامل طبيعية تقذفها على سفوح الجبال شيئاً فشيئاً ، فكلما إنخفضت سالت قليلا قليلا .

فتحفظ المياه فى الانهار بهذه الوسيلة طول السنة، ولولاها لجفّت الانهار معظم شهور السنة و قاسى الانسان من جراء ذلك مالا يمكننا تصوره من البلاء و الجهد .

ومنها : قال الله عزوجل : «ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها و غرابيب سود» فاطر : ٢٧)

ان الله تعالى جعل الجبال على ما يهتدى به الانسان إلى طرقه و مقاصده فلاتميد جهاتها المشتبة بأهلها ، ولا تميل بهم ، فيتيهون فيها عن طرقهم و مقاصدهم ...

وقال : «و ألقى في الارض رواسى أن تميد بكم و أنهاراً و سبلا لعلكم تهتدون وعلامات» النحل : ١٥-١٦)

ومنها : ان الجبال بيوت لكثير من الناس ، فيأوون إليها ويسكنونها و يكونون آمنين فيها، وبيوت للنحل يخرج من بطونها شراب، وفيه شفاء للناس أفلا ينظرون إليها نظر إعتبار ؟

أفلا يشكرون آلاء الله تعالى ؟

و هو يقول : « و كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين» الحجر : ٨٢)

ويقول: «وجعل لكم من الجبال أكناناً» النحل : ٨١)

ويقول: «وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا الله ولا تعثوافى الارض مفسدين» الاعراف : ٤٧)

ويقول : «وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين فاتقوا الله و أطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون » الشعراء : ١٤٩ - ١٥٢)

ويقول : «و اوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر و مما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » النحل : ٦٨-٦٩)

ومنها : الكهوف و المغارات والأودية و الأهوية و الأشجار و الجداول والانهار و العيون الكثيرة ...

منها عذوبة و ملوحة ، ومنها حموضة دعفوصة ، ومنها كبريتية ونفطية و

دهنية، ومنها حارّة حامية ومنها باردة ...

وفي ذلك كله حكم و أسرار وصلاح ونفع عام للانسان و الحيوان و النبات و الجو ...

وذلك ان البخارات المتصاعدة منها في الجو إذا اختلطت أجزاؤها مع الهواء و تموّجت إلى الجهات دبغتها و ملحتها و منعتها من العفن و التغيير و الفساد، فلولا ذلك لهلكت الحيوان المستنشقة للهواء بعضها دفعة و اخر تدريجاً .

ومنها : ان بعض الجبال تهبّ منها رياح ليّنة دائماً ، و منها ما تهبّ منها رياح باردة في أوقات مختلفة ...

أما الاولى : فجبال ببلاد باميان ، فتخرج من أسفلها عيون كثيرة ، و حولها مروج كثيرة، و تجرى إلى تلك المروج أنهار وجداول من غير أن ترى عليه ثلوج و أمطار، ولكن تهبّ منها رياح لينة دائمة، وبها ينتفع الناس و الحيوان من السباع و الوحوش والانعام و الطير إذ كان هذا الجبل بعيداً عن البحار .

وأما الثانية : فهى جبال تكون عليها ثلوج، فتهبّ عند ذوبان الثلوج ، و ذلك انه يتحلل من تلك الرطوبات أجزاء لطيفة تصير بخاراً، وترتفع في الهواء فيدفعها إلى الجهات الخمس أو إلى جهة دون جهة، مثل جبل الثلج الذى بدمشق، والذى ببلاد داور من جبال غور، وجبل دماوند بمازندران وماشا كلها من الجبال .

ومنها : ما فيها من المعادن المختلفة المتنوعة المتلونة من الذهب و الفضة، و الحديد والنحاس والرصاص و الجصّ و الفحم الحجرية، ومن الزئبق و السرب والزجاج والألماس و الياقوت و العقيق، و من الاحجار القيمية وغيرها من أنواع المعادن حتى عدّ منها نحو أكثر من ألف نوع كلها مختلفة الطباع

والشكل واللون والطعم و الرائحة و الثقل و الخفة ، و الصلابة و الرخاوة و اللينة والخشونة والنفع و الضرر وغيرها من الخواص ...

ومنها : ان الجبال كالمسنيات للبحار و البريدات لها، وهي راسية في الارض أصولها شامخة في الجوروؤسها ، و يهتدى بها أصحاب السفائن و الملاّح والقوافل البرية في السواحل ...

قال الله عزوجل:«وجعلنا في الارض رواسي أن تميدبهم وجعلنا فيهافجاجاً سبلا لعلهم يهتدون» الانبياء : ٣١)

ومنها : ماهو من المشرق إلى المغرب، ومنها ماهو من الشمال إلى الجنوب، ومنها ماهو منحرفة بين تلك الجهات ...

و في كل ذلك حكم و أسرار إلهية و مصالح لانعرف واحداً من الآلاف ...

أفلا ينظر الانسان إلى الجبال؟ ولا يتدبر في خصائصها ؟ ولايسئل نفسه : أهي وجدت صدفة ؟

أم أوجدت هي نفسها و خصائصها ؟ أو أوجدها إنسان؟ أم لها ولهذا العالم الشاسع خالق مدبر، صانع مبدع، قادر حكيم عليم ...؟

في البحار : قال القزويني : في قرية من قرى قزوين جبل حدّثني من صعده ان عليه صورة كل حيوان من الحيوان على إختلاف أجناسها ، وأنواعها، وصور الآدميين على أنواع أشكالها عدد لاتحصى ، و قد مسخوا حجارة و فيها الراعي متكئاً على عصاه و الماشية حوله كلها حجارة ، و امرأة تحلب بقرة و قد تحجّر و الرجل يجامع إمرأته ، و قد تحجّر و امراة ترضع ولدها و هلمّ جراً هكذا ...

أقول: ونظير تلك الاحجار المنقوشة المتشكلة الطبيعية ما في بعض جبال كيلان من قرى دماوند بمازندران ، و قد سمعت من بعض أهاليها

سنة : ١٣٨٩ ه ق ان السيد العلامة الطباطبائى صاحب تفسير (الميزان) قد سافرسنة إلى هناك و كان يجمع بعض تلك الاحجار وأمثالها من محالها قريباً من بلدة كيلان.

وفى البحار : دخل رجل من همدان على جعفر الصادق عليه السلام فقال له الامام عليه السلام : من أين أنت ؟ قال : من همدان ، فقال : أتعرف جبلها «راوند» ؟

قال له الرجل : جعلت فداك انه « أروند » قال : نعم ان فيه عيناً من عيون الجنة .

ولا يخفى: ان الجبل كان مسمى بكلا الاسمين، والصحيح من إسمه هو «راوند» و إنما صدّقه الامام عليه السلام لانه هكذا أعرف عندهم .

وقال علماء الفن : ان أغلب الجبال بصورة سلسلة أطولها على وجه الارض هى جبال (آندس) حيث انها تتسلسل من سواحل بحر (كاريبيان) إلى نحو (هرن) من أقصى نطقة جنوبية آميريكية ، ولكن أطول منها جبال فى البحار تسمى بجبال أطلس وسط حيث انها تبتدء من (ايسلند) و تمتدّ إلى قطب الجنوب ، و هى بين اوروبا وآفريقا من جانب ، و آمريكا الشمالى و الجنوبى من جانب آخر .

وشكلها قريباً شبيه بحرف إنجليزى « S » وطولها نحو ٢٠٠٠٠, كيلو متراً وهذه الجبال ترتفع من سطح اقيانوس من كيلومترٍ إلى كيلومترين غالباً، و قديكون إرتفاعها من سطح البحار ٢١٠٠, متراً كما فى جزيرة (پيكو) فى (آزورس) ببرتقال .

وقد يكون البر كان فى بعض الجزائر نحو (ماوانا) يرتفع من سطح البحار نحو ٤٢٠٠, متراً ، و قد خفى منها ٤٨٠٠, متراً فى الاقيانوس فيكون إرتفاعها نحو ٩٠٠٠, متراً . كجبال البر: «هيما لايا»

و من العجائب ان بعض براكين الجبال البحرية لم يظهر من الماء و لايرى كالبركان الذى يكون نحو سواحل كاليفرنيا و عمقه ٦٠٠ متراً و ثورانه يوجب حمى مياه البحر و يبخر مياه حواليه ، و تتشكل بصورة سحاب ثقال ...

ففى البحار جبال شامخة و براكين عجيبة... فعلى كل إنسان ذى مسكة أن يتفكر و يعتبر ثم ليقض ما هو قاض.

و فى دعاء جوشن الكبير : « يا من فى الجبال خزائنه ... »



﴿الجبال والتوحيد﴾

قال الله عـزوجل: «و إلى الجبال كيف نصبت» الغاشية:١٩)

ومن البديهى ان بدء الخلق حقيقة واقعة يمتنع إنكارها، ولا يمكن لأحد تعليلها بغير وجود الله تعالى ووحدانيته لان وجود هذا الكون المشاهد يلجىء الانسان للاقرار بوجوده جل وعلا، ولا يمكن على هذا النحو الـذى يظهر فيه التدبير و القصد بغير الاقرار بوجود الله تعالى ووحدانيته إذآثار صنعته ملجئة للاقرار بوحدانيته، فعليها آثار التقدير الواحد و التدبير الـواحـد، و الخالـق الواحد و التصميم الواحد و الوجود الواحد .

وفيها من التناسق المطلق ما يجزم بالارادة الواحـدة المنشئة للنامـوس الواحد ، و أما إعادة الخلق فان الاقرار ببدء الخلق على هذا النحو الذى يظهر فيه التقديـر و التدبير والقصد و التنسيق يلجأ الانسان للتصديق باعـادة الخلق ليلقوا جزاء هم الحق علـى أعمالهم فىدار الفناءِ التى لايتمّ فيها الجزاء الخلق على الاعمال، و إن كان تقع فيها المكافأة، فهذا التنسيق الواضح فى خلقة الكون يقتضى إن يتم تمامه بالتنسيق المطلق بين العمل و الجزاءِ و هذا لايتمّ فىالحياة الدنيا، فلابد إذن من التصديق بحياة اخرى يتحقق فيها التناسق والكمال، فـاذا أقرّ الانسان بمبدىء الحياة ، فيجب عليه بمعيدها .

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: فانظر

إلى كثرة هذه الجبال وطول هذه القلال، فالويل لمن أنكر المقدّر وجحد المدبّر»

ومن البديهي : ان الكون بكل جزئه برهان قاطع لامردّ له على وجود خلاّق عظيم، لايستطيع أحد أن ينكره أو يتخلى عنه ، أو يتغافل نداءه حيث يناديتا بصرخاته المدوية، و نحن سامعون بكافة ما و هبنا من وسائل الادراك ، و ان العلم والعقل والنظر والكون بكافة مافيه، والعلماء المزاولون للعلوم التجريبية:

هؤلاء يصدقون ان هناك رباطاً عريقاً بين العلم وفكرة الصانع القادر المتعال ، وهم يعيشون مع هذه الفكرة طوعاً أو كرهاً !

أفليس يقول العلم : كل حادث بحاجة ماسّة إلى محدث ؟

أليس العقل يحيل حدوث شيء دون علة تعاصره ؟

أليس العلم - لايزال يفتّش عن علل الحوادث - الخفيّة ؟

أفليس إذا كان الكون حادثاً - كما يدلّ عليه ذاته وآثاره - فهو بحاجة إلى محدث ؟

أهذه خرافة ميتا فيزيقية تتنا فى العلم ؟

و ان دراسة العلوم بعقل منفتح تجعل الانسان يسلّم بضرورة وجود الله جل وعلا و الايمان به .

ويقول وولتر اوسكار لندبرج - و هوعالم الفسيولوجيا و الكيميا الحيوية استاذ فسيو لوجية و كيميا حيوية زداعية بجامعة منيسوتا - : «للعالم المشتغل بالبحوث العلمية ميزة على غيره - إذا استطاع أن يستخدم هذه الميزة فى إدراك الحقيقة حول وجود الله - فالمبادىء الأساسية التى تستند إليها الطريقة العلمية التى تجرى بحوثه على مقتضاها - هى ذاتها دليل على وجود الله».

ويقول كارل هايم : «ان عجائب الصنع ورموزه البديعة تضطرنا إلى الاعتقاد بوجود خالق حكيم وراء المادة - لأنها تجوّزه فحسب !» .

ويقول آلبرت انيشتاين: «ان فى هذا الكون المرموز المجهول قدرة عاقلة

قادرة - يدل عليها نفس الكون بما فيه»

ويقول مارلين بوكس كريدر - وهوعالم فيزيائى و استاذ فى علم الحياة فى كالج «نازارن» الشرقى - وهوعضو جمعية علم الحياة فى آمريكا والمتخصص فى متابوليسم وجريان الدم - : «اننى بصفتى مداو ما فى التحقيقات العلمية - لا أشك أبداً فى وجود الله الخالق المتعال - اننانشاهد الكون على نظام بارع دقيق، فنستدل بذلك على خلاّق له عليم - فنظام قوانين الكون بالغ إلى درجة يفسح لنا مجال الانباء عن حركات السيارات والاقمار الصناعية و كيفياتها قبل حركاتها - و نتمكن كذلك على ضوء المعادلات الرياضية - من بيان و تفسير كثيرمن الحوادث الطبيعية.»

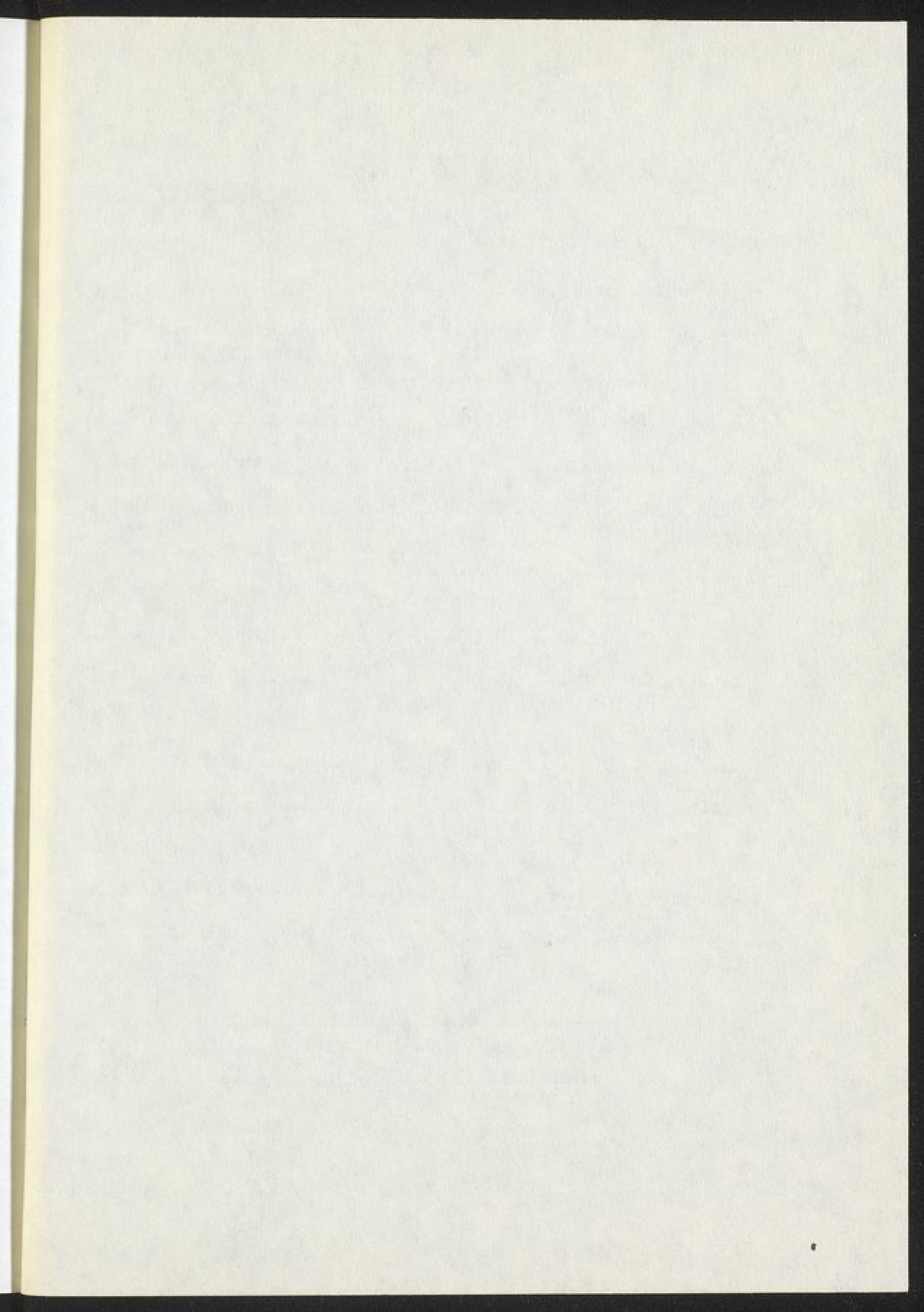
وقال بعض الحكماء : ان طبيعة الارض طبيعة واحدة، فحصول الجبل فى بعض جوانبها دون بعض لابدو أن يكون بتخليق القادر الحكيم.

وقال بعض المتكلمين : ان أحوال الجبال تدل بوضوح على وجود الصانع الحكيم.

وذلك انه لما يحصل فى الجبال من معادن الفلزّات السبعة ومواضع الجواهر النفيسة، و قد يحصل منها معادن الزاجات و الأملاح، وقد تحصل معادن النفط والقير والكبريت...

فكون الارض واحدة فى الطبيعة، و كون الجبل واحداً فى الطبيعة، و كون تأثير الشمس واحداً فى الكل يدل دلالة ظاهرة على أن الكل بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة الممكنات والمحدثات.

تمت سورة الغاشية والحمدلله الاولى والاخرة
وصلى الله على محمد و أهل بيته الطاهرة



سُورَةُ الْفَجْرِ آيَاتُهَا ثَلَاثُونَ آيَةً وَهِيَ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ
﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ
الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ
رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ
﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ
﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ
حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ
بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ
عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً
مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

«فضلها و خواصها»

روى الصدوق: رضوان الله تعالى عليه فى ثواب الاعمال باسناده عن داودبن فرقد عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إقرؤا سورة «الفجر» فى فرائضكم و نوافلكم، فانها سورة الحسين بن على عليهما السلام، من قرأها كان مع الحسين عليه السلام يوم القيامة فى درجته من الجنة ان الله عزوجل عزيز حكيم.

أقول: رواه الطبرسى فى المجمع، و البحرانى فى البرهان، و الحويزى فى نور الثقلين، و المجلسى فى البحار.

وفى البرهان: بالاسناد عن داودبن فرقد قال: أبوعبدالله عليه السلام: إقرؤا سورة «الفجر» فى فرائضكم و نوافلكم فانهاسورة الحسين بن على عليهما السلام وارغبوا فيها رحمكم الله فقال له أبو اسامة و كان حاضرالمجلس: كيف صارت هذه السورة للحسين خاصة؟ فقال: ألا تسمع إلى قوله تعالى: «يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى»

إنما يعنى الحسين بن على عليه السلام فهوذوالنفس المطمئنة الراضية المرضية و أصحابه من آل محمد صلوات الله عليهم الرضوان عن الله يوم القيامة وهوراض عنهم، و هذه السورة فى الحسين بن على عليهما السلام و شيعته وشيعة آل محمد خاصة من أدمن قراءة الفجر كان مع الحسين فى درجته فى الجنة ان الله عزيز حكيم.

أقول: رواه الكراجكى فى كنز الفوائد والمجلسى فى البحار.

و ذلك ان كل اناس يوم القيامة مع إمامهم : الكفار والمنافقين والفجار والمجرمين ، مع أئمة الكفر والنفاق و أئمة الفجور والطغيان ...في الدرك الاسفل مـن النار .

و أهـل الحق و الايمان ، وأهـل التقوى و اليقين ...وهم الشيعة الامامية الا ثنى عشرية مع أئمتهم المعصومين أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين فى جنات النعيم .

قال الله عزوجل : «يوم ندعوا كل اناس بامامهم» الاسراء : ٧١)

وقال : «قال ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤ لاء أضلو نا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون» الاعراف : ٣٨)

وقال : « وقالـوا ربنا إنـا أطعنا سادتنا و كبراؤ نا فأ ضلـونـا السبيلا » الاحزاب : ٦٧).

وقال : «و جعلناهـم أئمة يهدون بأمـر ناوأوحينا إليهم فعل الخيرات و إقام الصلاة و ايتاء الزكاة و كانوا لناعابدين» الانبياء : ٧٣)

وقال: «ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و الصالحين وحسن اولئك رفيقاً» النساء : ٦٩)

وفى تفسير ابن كثير الدمشقى : عن جابر قـال : صلّى معاذ صلاة فجاء رجل فصلّى معه فطوّل فصلى فى ناحية المسجد ثم انصرف ، فبلغ ذلـك معاذاً فقال : منافق ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسئل الفتى ، فقال : يـا رسول الله جئت اصلى معه فطول عليّ فانصرفت وصليت فى ناحية المسجد فعلفت نـاقتى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفتانا أنت يا معاذ؟ أين أنت من «سبح اسم ربك الاعلى» و «الشمس و ضحاها» و «الفجر» و «الليل إذا يغشى» ؟

وفى المجمع : ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من قرأها فى ليال عشر غفرالله له و من قرأها سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة .

وفى البرهان: روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: من قرأ هذه السورة غفرالله له بعدد من قرأها ، وجعل له نوراً يوم القيامة و من كتبها وعلقها على وسطه و جامع زوجته حلالا و رزقهالله ولداً ذكراً قرة عين .

وفيه: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أدمن قرائتها جعل الله له نوراً يوم القيامة ومن كتبها وعلقها على زوجته رزقه الله ولداً مباركاً .

وفيه: وقال الصادق عليه السلام : من قرأها عند طلوع الفجر أمن من كل شىء إلى طلوع الفجر فى اليوم الثانى ، و من كتبها و علقها على وسطه ثم جامع زوجته يرزقها الله تعالى و لداً يقر به عينه ويفرح به .

أقول: ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة لأهل الشفع والوتر من أصحاب النفس المطمئنة ما جاء فى تلك الروايات، وما نحن فيها بمترددين، فعلى الشاكين الايمان و اطمئنان النفس بالعلم و العمل حتىيروا آثارالقرآن الكريم وآثار كل سورة من سوره فى أنفسهم فطوبى ثم طوبى لمن اهتدى بنور هذا الوحى السماوى وجعله شفاء لنفسه وعمل بمافيه ورآى آثاره فيها...



﴿الغرض﴾

غرض السورة بيان بأن الله عزوجل رقيب يراقب أعمال عباده : خيرها و شرها ، صغيرها و كبيرها ، و ظاهرها وخفيها ...

على طريق الاقسام الربانية و التأكيد ، بأن هذا من البداهة بحيث لايحتاج إلى قسم ولا توكيد لان فيما فعله الله جل وعلا بالاولين : من البغاة و المستكبرين ، من الطغاة و المستبدين ، و من العصاة والمجرمين ... دليلا قاطعاً و شاهداً على ذلك .

مع تصوير مشاهد ما يكون عليه الطغاة من قوم عاد و ثمود و فرعون ، و أخذهم بسوط العذاب فى الحياة الدنيا ، و فيها إنذار لكل من سلك مسلكهم، فمن طغى وسعى فى الارض فساداً ، فيأخذه الله تعالى بسوط العذاب فى الدنيا ، وبنار جهنم وعذابها فى الآخرة .

ثم صوّر مسائر مشركى قريش و إستكبارهم و عنادهم و قسوتهم عند مواجهة الاسلام بمكة المكرمة ، و حالة تكالبهم على جمع المال بكافة الطرق: من الربا و التطفيف و الغصب و غيرها التى تورث القلوب كزازة وقساوة ، و قد كان الضعفاء من اليتامى و المساكين أجوياع كما هى صمة الجاهليات فى كل وقت فى طوال الاعصار ... تنديداً بحب المال و الا ستغراق فيه.

و إستباحة البغى و الظلم فى سبيله ، و عدم البر بـاليتيم و المسكين ، و دحضاً لظن ان اليسر و العسر فى الرزق إختصاص من الله تعالى بقصدالتكريـم و الاهانة .

و فى ختام السورة تصوير لمواقف الناس يوم القيامة للعرض و الحساب و حسرة الطغاة بما فعلوا فى الـدنيا ، و تهيئاً جهنم لا صحابها ، و تهيئاً الجنة لأهلها .



«النزول»

سورة «الفجر» مكية نزلت بعد سورة «الليل» و قبل سورة «الضحى» وهى السورة العاشرة نزولا و التاسعة والثمانون مصحفاً.

و تشتمل على ثلاثين آية، سبقت عليها ٢٢٨/ آية نزولا ، و ٥٩٩٣/ آية مصحفاً تحقيقاً.

و مشتملة على ١٣٩ كلمة ، وقيل : ١٢٧ كلمة : و قيل ١٣٦ كلمة ، و قيل : ١٣٧ كلمة و قيل : ١٩٣ كلمة ، و على ٥٠٩ حرفاً ، و قيل : ٥٦٦ حرفاً وقيل : ٥٧٧ حرفاً : و قيل ٥٩٧ حرفاً ، و قيل : ٥٩٩ حرفاً على ما فى بعض التفاسير .

فى الكشاف : روى انها لما نزلت : « كلا إذا دكت الارض دكاً دكاً» إلى قوله ـ : «ولا يوثق و ثاقه أحد» تغيّر وجه رسول الله ﷺ وعرف فى وجهه حتى إشتدّ على أصحابه ، فأخبروا علياً عليه السلام فجاء فاحتضنه من خلفه و قبله بين عاتقيه ، ثم قال : يا نبىالله بأبى أنت وامى ! ما الذى حدث اليوم ؟ وما الذى غيّرك؟ فتلا عليه الآية ، فقال عليه السلام: كيف يجاء بها؟ قال: يجيىء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام،فتشرد شردة لوتركت لاحرقت أهل الجميع .

وفى الجامع لأحكام القرآن : قال مقاتل : نزلت « كلابل لاتكرمون

اليتيم» فى قدامة بن مظعون ، و كان يتيماً فى حجرامية بن خلف كان يدفعه عن حقه .

وفى أمالى الصدوق: رحمة الله تعالى عليه باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية : «وجيىء يومئذ بجهنم» سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أخبرنى الروح الأمين ان الله لا إله غيره إذا جمع الأولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام أخذ بكل زمام مأة ألف ملك من الغلاظ الشداد لها وهدة تغيظ وزفير و انها لتزفر الزفرة ، فلولا ان الله عزوجل أخرهم إلى الحساب لأهلكت الجمع .

ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق البر منهم و الفاجر ، فما خلق الله عزوجل عبداً من عباده ملكاً ولانبياً إلاّ نادى رب نفسى نفسى ، و أنت يا نبى الله تنادى امتى امتى ثم يوضع عليها صراط أدقّ من حدّ السيف عليه ثلاث قناطر :

أما واحدة فعليها الأمانة و الرحم ، و أما الاخرى فعليها الصلاة ، و أما الاخرى فعليها عدل رب العالمين لا إله غيره فيكلفون الممر عليه ، فتحبسهم الرحم و الامانة ، فان نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين جل وعز وهو قوله تبارك و تعالى : « ان ربك لبالمر صاد » و الناس على الصراط ، فمتعلق و قدم تزل و قدم تستمسك و الملائكة حولهم ينادون:

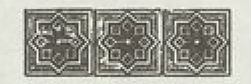
يا حليم اغفر و اصفح وعد بفضلك وسلم سلم ، و الناس يتها فتون فيها كالفراش ، فاذا نجى ناج برحمة الله عزوجل نظر إليها ، فقال : الحمد لله الذى نجانى منك بعد إياس بمنّه ، و فضله ان ربنا لغفور شكور .

أقول: رواه القمى فى تفسيره ، والكلينى فى روضة الكافى .

وفى شواهد التنزيل: للحاكم الحسكانى الحنفى بالاسناد عن

عبدالرحمن بن سالم عن أبى عبدالله جعفربن محمد عليه السلام فى قوله تعالى : « يـا أيتها النفس المطمئنة » إلى آخر السورة قال : نزلت فى على عليه السلام .

وفى **أسباب النزول للسيوطى** : أخرج إبن أبى حاتم عن بريدة فى قوله: «يا أيتها النفس المطمئنة» قال : نزلت فى حمزة .



﴿القراءة﴾

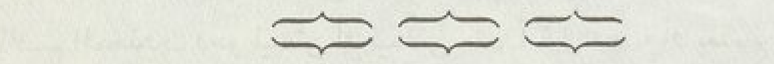
قرأ حمزة «الوتر» بكسر الواو و الباقون بفتحها ، وهما لغتان بمعنى واحد كالحبر و الحبر ، و الفتح لغة الحجازيين ، و الكسر لغة تميم ، و قرأ أبوجعفر و نافع و أبو عمرو «أكرمنى» و «أهاننى» بالياء وصلا ، وبغيرها وقفاً، و الباقون بغير الياء و كسر النون فى الحالين ، و قرأ إبن كثير و بعض القراء من غير السبعة «يسرى» و «الوادى» بالياء فى الحالين على الأصل فى «يسرى» لانها ليست بمجزومة فتثبت فيها الياء ، و قرأ نافع و أبو جعفر و أبو عمر و « بالوادى » بالياء وصلا فقط ، و قرأ نافع و أبو عمر و « يسرى » بالياء وصلا فقط لان الياء لام الفعل ، فحذفها لرعاية الفواصل لجريانها مجرى القوا فى ، فاذا لم يوقف فلا يحذف .

و قرأ إبن عامر و أبو جعفر «فقدّر» بالتشديد من باب التفعيل، والباقون بالتخفيف لقوله تعالى : «ومن قدر عليه رزقه» الطلاق : ٧)

و قرأ إبن كثير و أبوجعفر و أبوعمر و « ربى » بفتح الياء فى موضعين ، و الباقون بكسر الباء و سكون الياء فيهما ، و قرأ أبو عمر و «يكرمون» و «لا يحضون» و «يأكلون» و «يحبون» كلها على ياء الغيبة لانه تقدّم ذكر الانسان ، و المراد به الجنس و الكثرة ، فعبّر عنه بلفظ الجمع ، ولا يمتنع فى موارد الكثرة أن يحمل اللفظ على اللفظ تارة وعلى المعنى تارة اخرى، والباقون

بتاء الخطاب على تقدير : قل لهم :... و قرأ عاصم وحمزة «لاتحاضون» من باب التفاعل على حذف إحدى التائين تخفيفاً ، و الباقون «لاتحضون» ثلاثياً .

و قرأ حمزة وعاصم «لايعذَّب» بفتح الذال مبنياً للمفعول من باب التفعيل، و «لايوثق» بفتح الثاء مبنياً للمفعول ، و الباقون بكسرهما مبنياً للفاعل.



﴿الوقف والوصل﴾

«والفجر» للعطف وكان أبو عمرو يقف على «والفجر» و نظائره من ذوات الراء بنقل حركة الراء إلى ما قبلها .

و «عشر لا» و «الوتر لا» لما تقدم ، و «يسرج» لمكان الاستفهام الطالب للصدر ولمكان الجواب الآتي للقسم السابق ، و قيل : لجواز أن يكون جواب القسم المحذوف وهو ليبعثن أو ليعذبن مقدراً قبل «هل» أو بعده .

و «حجرط» لتمام الاستفهام السابق ، ولا ستفهام التالي ، و «بعاد لاص» للنعت التالي و «ص» علامة الوقف المرخص ، و هو الذي يرخص فيه الوقف للضرورة ، و «العماد لاص» كالسابق ، و «البلاد لاص» لمكان العطف التالي ، و «بالواد لاص» كالمتقدم ، و «الأوتاد لاص» للوصف الآتي ، و «البلاد لاص» لمكان الفاء التفريعية التالية ، و «الفساد لاص» لمكان فاء النتيجة التالية .

و «عذاب ج» لاحتمال التعليل ، و إحتمال أن يكون قوله تعالى : «ان ربك لبالمرصاد» جواب القسم ، فما بينهما إعتراض ، و «لبالمرصاد ط» لفاء التفصيل التالي ومدخولها ، و «أكرمن ط» لتمام التفصيل السابق ، والا بتداء بالتفصيل التالي .

و «أهانن ج» لان «كلا» يحتمل أن يكون بمعنى «إلا» ، وأن يكون بمعنى «حقا» للردع ، و «اليتيم لا» لمكان العطف التالي و «المسكين لا» و «لماً لا» لما سبق ، و «جماً طى» لتمام الكلام و الأخذ بالتهويل ، و «ى» علامة العشر و

توضع عند إنتهاء عشر آيات .

و «دكاً لا» للعطف التالى ، و «صفاً ج» لاحتمال العطف و الا ستئناف ، و قيل : لتمام التهويل والاخذ بالوعيد بالعطف ، و «الذكرى ط» لتمام الكلام فى الوعيد و ان ما بعده مستأنف كأنه قيل : كيف يتذكر ، و «لحياتـى ج» لتمام الحسرة و التفريع بالفاء .

و «أحد لا» للعطف التالى ، و «أحد ط» لتمام المفرّع ، و إستئناف التالى بالنداء ، و «المطمئنة ق» للخطاب الآتى ، و «مرضية ج» لتمام الكلام السابق ، و التفريع التالى ، و «عبادى لا» للعطف و البيان .

﴿اللغة﴾

١١- الفجر-١١٣٠

فجر الشيء يفجره فجراً - من باب نصر - : شقه شقاً واسعاً .

الفجر : ضوء الصباح و هوشق عمود الصبح ، فجره الله لعباده فجراً : إذا أظهره فيأفق المشرق منتشراً يؤذن باد بار الليل المظلم وإقبال النهار المضيء، قال الله تعالى: «والفجر» الفجر: ١)

من المادى الفجر : أصله الشق و التفتح فيالشيء و تفجّر الماء : سال وجرى و تفجّر الصبح : صار ذافجر و إنفجر : إنكشف و طريق فجر: واضح ، والفجار - بكسر الفاء و تخفيف الجيم - : الطرق .

الفجر إثنان : فجر كاذب وهو مستطيل ويبدو أسود معترضاً ويقال له : ذنب السرحان، وفجر صادق وهو مستطير ويبد وساطعاً و أشار إليه قوله تعالى: «و كلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر» البقرة : ١٨٧)

فيملا الافق ببياضه وهو عمود الصبح ويطلع بعد ما يغيب الاول وبطلوعه يدخل النهار و به يتعلق حكم الصوم و الصلاة .

الفجر - بفتح الفاء و الجيم - : العطاء و الكرم و الجود يقال : «هومن

أهل الفجر لامن أهل الفجور»

ومن المعنوى الفجور : وهو الانبعاث والفتح فى المعاصى والمحارم و الميل عن الحق ، و الفاجر يطلق على العاصى والكافر و جمعه الفجّار والفجرة قال الله تعالى : «وان الفجار لفى جحيم» الانفطار : ١٤)

وقال : «اولئك هم الكفرة الفجرة» عبس : ٤٢)

وقال : «ليفجر أمامه» القيامة : ٥)

أى يمضى فى آثامه و يؤخر التوبة أو يكفر بما أمامه وهو البعث .

وقيل : «لاتحملوا الفروج على السروج فتهيجو هن للفجور» يراد بذلك النساء .

فى المفردات : الفجر : شق الشىء شقاً و اسعاً ـ و منه قيل : للصبح فجر لكونه فجر الليل ، و الفجور : شق ستر الديانة .

٤٧- العشر-١٠١٢

عشر يعشر عشراً ـ من باب نصر ـ : أخذ و احداً مـن عشرة وعشر : زاد واحداً على تسعة.

لعل المادة تبدأ من العدد بمافيه من معنى الكثرة ، فالعشرة عندهم أول العقود ولا بعد فـى هـذا فقد عـرفـوا بقلة الحساب و تكـون العشرة صورة الكثرة .

و العشرة : هى العدد الكامل فصارت العشيرة إسماً لكل جماعـة الرجل الذى يتكثّر بهم ، و العشيرة : القبيلة و القريب و الصديق قـال الله تعالى : «و أنذر عشيرتك الاقربين» الشعراء : ٢١٤)

و جمعها : عشراء و عشيرات و عشائر ، و عاشره : صارله كعشرة فى المصاهرة.

و يزيد هذا الأصل قرباً انهم جعلوا العشور مصدر عشر - بالتخفيف - للنقصان و التعشير - بالتضعيف - للزيادة و التمام و قالوا : العشير : الجزء من أجزاء العشرة و قالوه كذلك للمعاشر وللقريب و للصديق و لزوج المرأة و العشرة : المخالطة و المعشر : كل جماعة أمرهم واحد والجمع معاشر .

وهكذا كثر فى المادة دوران العشرة ، و قيل : العشرون جمع العشرة على تخريج لهم فى ذلك لانطيل به و كانت العشراء من الخيل و الابل التى مضى لحملها عشرة أشهر ثمّ توسّعوا حتى قيل لكل حامل : عشراء و جمعها عشار فقد وردت المادة للعدد و أجزاؤه وللعشرة و المعاشرين .

قال الله تعالى : «تلك عشرة كاملة» البقرة : ١٩٦)

وقال : «فله عشر أمثالها» الانعام : ١٦٠)

ومن العدد المعشار بمعنى العشر فقال : «و ما بلغوا معشار ما آتيناهم» سباء : ٤٥)

و قال : «و إذا العشار عطلت» التكوير : ٤)

جمعه : عشراء و ورد من معانى المعاشرة قال تعالى : «و عاشروهن بالمعروف» النساء : ١٩)

المعشر : الجماعة قال تعالى : «يا معشر الجن» الرحمن : ٢٢)

عاشره : خالطه و صاحبه ، و تعاشر القوم : تخالطوا و تصاحبوا .

العاشر : الواقع بعد التاسع فى العدد و العاشوراء : عاشر المحرم والتا- سوعاء : تاسع المحرم .

العشر : جزء واحد من عشرة جمعها : عشور و أعشار .

و العشر : القطعة من كـل شيء كسر إلـى عشر قطع و العشّار : أخـذ العشر وجمعه : عشارون .

٣١- الشفع -٧٩٩

شفع العدد والصلاة و يشفع شفعاً ـ من باب منع ـ : صيّر هما زوجاً أى أضاف إلى الواحد ثانياً و إلى الركعة الاخرى .

يقال : أشفع أم وتر أى أزوج أم فرد و الشفع : ضد الوتـر أى ضد الفرد قال الله تعالى : «و الشفع والوتر» الفجر : ٣)

الشفعة : هى طلب مبيع فى شركته بما بيع به ليضمه إلى ملكه و هو من الشفع .

شفع له عند آخر : طلب التجاوز عن سيئته كأنه ضم نفسه إليه معيناً له، فهو شافع وشفيع ومنه الشفاعة عندالله تعالى قال : «لا يملكون الشفاعة إلاّ من إتخذ عند الرحمن عهداً» مريم : ٨٧)

الشفاعة مصدر أى سئوال فى التجاوز عن الذنوب من الذى وقعت الجناية فى حقه .

وجمعها : الشفعاء قـال تعـالـى : «أفهـل لنا مـن شفعاءِ فيشفعوا لنا» الاعراف : ٥٣)

فى المفردات : الشفع فم الشىء إلى مثله و الشفاعة : الا نضمام إلى آخر ناصراً له وسائلا عنه و أكثر مايستعمل فى إنضمام من هو أعلى حـرمة و مرتبة إلى من هو أدنى .

٧- الوتر - ١٦٤٠

وتره حقه يتره إياه وتراً - من باب ضرب - : نقصه إياه.

قال الله تعالى: «والله معكم ولن يتركم أعمالكم» محمد ﷺ : ٣٥)

وفي الحديث: «إعمل من وراء البحر فان الله لن يترك من عملك شيئاً» أى لاينقصك.

وفي الحديث: «من جلس مجلساً لم يذكرالله فيه كان عليه ترة» أى نقصاً.

الترة كالعدة و الهاء فيها عوض من الوا و المحذوفة.

وفي الحديث: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله و ماله» أى نقص.

يقال: وترته إذا نقصته فكأنك جعلته و تراً بعد أن كان كثيراً.

و أصل ذلك أن يقال: وتره إذا قتل قريبه و حميمه و هذا من الوتر للفرد فكأنه بقتله حميمه يتركه فرداً ولا ريب ان في هذا نقصاً للعصبية و للعزة.

الوتر - بفتح الواو و كسرها - : الفرد ضد الشفع قال الله تعالى: «والشفع والوتر» الفجر: ٣)

أوتر القوم إيتاراً: جعل شفعهم وتراً و فرداً.

وتترى أصلها: وترى أبدلت الوا وتاء كما في التقوى من الوقاية قال الله تعالى: «ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء امة رسولها كذبوه» المؤمنون: ٤٤)

من تتابع الاشياء و بينها فترات لان بين كل رسولين فترة.

يقال: جاء القوم تترى أى واحداً بعد واحد و فريقاً بعد فريق و بين

الجائى و سابقه فترة و مهلة ، و تواتر الاشياء تواتراً : تتابعت .

الوتيرة : طلب الثار ، و مازال على وتيرة واحدة أى على طريقة واحدة مطردة يدوم عليها .

الموتور: الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه ومنه الحديث : «أناالموتور» أى صاحب الوتر الطالب بالثار .

الموتور : الذى لا أهل له ولا مال فى الجنة .

فى المفردات : الوتر فى العدد خلاف الشفع .

٢٧- ارم -٢٧

ارم ما على المائدة يأرمه أرماً ـ من باب ضرب ـ : أكله فلم يدع شيئاً و أرم ما على الارض : لم يترك فيها أصلا ولا فرعاً .

يقال : أرم المال : إذا فنى ، و ارض أرمة : لا تنبت شيئاً .

أرم : ليّن وشدّ ، و أرم : قطع ، و أرم عليه : عضّ عليه ، و أرم الحبل : إذا فتله فتلا شديداً .

الارم : حجارة تنصب علماً فى المفاوز ما بها ارم أى مابها أحد جمعه : آرام و أروم ، و ارم ذات العماد : دمشق و قيل : الاسكندرية و قيل : موضع بفارس .

فى المفردات : وقوله تعالى : «إرم ذات العماد» إشارة إلى أعمدة مرفوعة مزخرفة .

١٢- الصخر -٨٤٢

صخر يصخر صخراً - من باب منع - : سخر و التصخير : التسخير .
أصخر المكان : كثر فيه الصخر ومكان صخر : كثير الصخر ، والجمع :
الصخر والصخور و صخرات و الصاخر : صوت وقع الحديد على الحديد .
الصخر : الحجر العظيم الصلب واحدته : صخرة .
قال الله تعالى : «وثمود الذين جابوا الصخر بالواد» الفجر : ٩)
وقال : «إذ أوينا إلى الصخرة» الكهف : ٦٣)

٩٧- السوط -٧٥٧

ساطه يسوطه سوطاً - من باب نصر - :خلطه.
وفى حديث فاطمة عليها السلام : «مسوطة لحمها بدمى ولحمها» أى ممزوجة و
مخلوطة السوط بمعنى الجلد الذى يضرب به سمى بذلك لانه إذا ضرب به خلط
الدم باللحم ، يقال : ساط فلان دابته : ضربها بالسوط .
قال الله تعالى : «فصبّ عليهم ربك سوط عذاب» الفجر : ١٣)
وذلك إما أن يكون السوط بمعنى الجلد الذى يضرب به أو السوط الخلط
بمعنى المخلوط أى صبّ عليهم خليطا من أنواع العذاب .
وساط الامر : قلّبه ، و إستوط أمره : إضطرب .
وفى الحديث: «إنى أخاف عليكم منه المسوط» يعنى الشيطان كأنه يحرّك
الناس للمعصية ويجمعهم فيها .
و جمع السوط : السياط والا سواط ، و فى الحديث : «لوددت أصحابى

تضرب رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا»

وفى نهج البلاغة : قال الامام عليه السلام : «لتساطن سوط القدر»

يقال : «ساق الامور بسوط واحد» أى باسلوب واحد .

السويطاء : مرقة كثيرة الماء تساط أى تخلط و تضرب .

٣٨- الرصد و المرصاد - ٥٦٦

رصده يرصده رصداً و رصداً - من باب نصر - : قعد له على الطريق يرقبه فهو راصد.

الرصد : الحرس قال الله تعالى : «فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً» الجن : ٢٧)

أى حرساً يحرسون الرسول ويقال : جعله رصداً : أى حافظاً معداً و المرصد والمرصاد مكان الرصد .

قال الله تعالى : «و اقعدوا لهم كل مرصد» التوبة : ٥)

وقال : «إن ربك لبالمرصاد» الفجر : ١٤)

أى لاملجأ ولا مهرب منه وجمعه : مراصد .

أرصد يرصد إرصاداً : ترقب و انتظر أو أعدّ .

قال الله تعالى: «و إرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل» التوبة : ١٠٧)

أى ترقباً أو إعداداً لمن حارب الله و رسوله .

وفى حديث القدسى: «من حارب لى ولياً فقد أرصد لمحاربتى» أى إستند لمحاربتى و أرصد الجيش للقتال والفرس للطراد و المال اداء الحق : أعدّه لذلك الرصيد : الحيّة التى ترصد المادة على الطريق لتلسع .

راصده : راقبه . تراصد الرجلان : راقب كل صاحبه .

فى المفردات: الرصد : الاستعداد للترقب .

٥٠- الجم -٢٦٦

جمّ الماء و غيره يجمّ جماً و جموماً و جماماً - بالتثليث الاخير - من باب نصر وضرب - : كثر و إجتمع وجمّ الماء إذا كثر فى البئر و إجتمع بعد ما استقى ما فيها .

الجم : الكثير من كل شيء . قال الله تعالى : «و تحبون المال حباً جمّاً» الفجر : ٢٠)

أى كثيراً ، و قال الامام على بن أبيطالب عليه السلام : «ان هيهنا لعلماً جمّاً» إستجمّ الماء: كثر وإجتمع وقال الشاعر: إن تغفر اللهمّ تغفر جمّاً - وأىّ عبدلك لا ألمّاً)

ويقال : «جاؤا جماً غفيراً» أى جاؤا بجماعتهم الشريف و الوضيع ولم يتخلّف أحد و كانت فيهم و الجمّاء الغفير : جماعة الناس .

الجمّة : البئر الكثيرة الماء و الجميم : ما غطّى الارض من النبات .

الجمّاء : التى لاقرن لها والجمّة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين، ومنه الحديث : «لعن الله المجمّمات من النساء» وهن اللاتى يتخذن شعور هن جمّة تشبيهاً بالرجال .

٢٥- الدك -٤٨٤

دكّ الحائط يدكّ دكّاً - من باب نصر - : فتّته ودقّه وهدمه حتى سوّاه

بالارض ، و أصل الدك : الكسر وحط المرتفع بالبسط والتسوية .

يقال : دكّت الارض: فتّت أجزاؤها وسوّى صعودها وهبوطها و كذلك دكّ الجبل .

قال الله تعالى : «كلا إذا دكّت الارض دكاً دكاً» الفجر : ٢١)

الدكّة : إسم مرّة من دك إستعمل للمبالغة في قوله تعالى : «فدكتا دكة واحدة» الحاقة : ١٤) .

الدكة : المكان المرتفع الذى يقعد عليه الناس والجمع دكك والدكان مثله .

الدكاء : الارض المسوّاة قال الله تعالى : «فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء» الكهف : ٩٨)

وناقة دكاء : لاسنام لها تشبيهاً بالارض الدكاء .

الدك: الازدحام، ومنه حديث الامام على عليه السلام : «ثم تداككتم علىّ تداكك الابل الهيم على حياضها» أى إزدحمتم.

٢٨- الاطمئنان -٩٢٥

طمأن ظهره يطمئن طمأنة - من باب دحرج - : حناه و خفضه

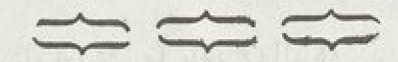
وطمأن الشيء : سكّنه .

قال سيبويه : أصل طمأن : طأمن فقلب فصار طمأن ، و خالفه أبو عمرو و غيره .

و التحقيق انه من باب دحرج ثم نقل إلى باب إفعيلال - كاشمئزّ - على ما اختلف فيه أيضاً .

إطمأنَّ إلى كذا إطمئناناً و طمأنينة : سكن وآمن له وهو مطمئن .
الطمأنينة : مصدر و إسم وهي توطين و تسكين يحصلان للنفس على ما ادركته .

قال الله تعالى : «يا أيتها النفس المطمئنة» الفجر : ٢٧)
وقال : «فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة» النساء : ١٠٣)
في المفردات: الطمأنينة و الاطمينان : السكون بعد الانزعاج .



﴿ النحو ﴾

١ـ (والفجر)

الواو للقسم ، و «الفجر» مجرور بها ، متعلق بمحذوف على تقدير : اقسم بالفجر .

٢ـ (وليال عشر)

الواو للعطف ، و «ليال» جمع ليلة من منتهى الجموع ، أصلها : ليالى ، و حذفت الياء ، و عوّضت عنها التنوين ، عطف على « الفجر » و « عشر » صفة لـ«ليال»

٣ـ (والشفع و الوتر)

الواو ان للعطف ، و « الشفع » و « الوتر » مجروران بالعطف على «الفجر» .

٤ـ (و الليل اذا يسر)

الوا وللعطف ، و «الليل» مجرور بالعطف على «الفجر» و «إذا» ظرف عامله محذوف أى اقسم به إذا يسر ، و «يسر» فعل مضارع ، أصله : يسرى فحذفت الياء لرعاية الفواصل إكتفاء عنها بالكسرة .

٥ـ (هل فى ذلك قسم لذى حجر)

فى «هل» وجوه : أحدها ـ ان «هل» على بابها من الاستفهام الذى معناه

تقرير الواقع كقولك : ألم أنعم عليك إذا كنت قد أنعمت .

ثانيها ـ ان «هل» هنا في موضع «ان» على تقدير : ان في ذلك قسماً لذي حجر. ف«هل» على هذا في موضع جواب القسم .

ثالثها ـ انها بمعنى «بل» فالمراد بذلك التأكيد لما اقسم به و اقسم عليه .

والمعنى : بل في ذلك مقنع لذي حجر .

والجواب على هذا : «ان ربك لبا لمرصاد» أو مضمر محذوف .

و «في ذلك» متعلق بمحذوف ، و هو خبر مقدم ، و «قسم» مبتداء مؤخر ، و «لذي» اللام جارّة و مدخولها مجرور بها بمعنى صاحب ، اضيف إلى «حجر» متعلق بمحذوف وهو نعت ا «قسم» وقد جوّز هنا الابتداء بالنكرة لكون خبرها ظرفاً مقدماً ولا تصافها بالوصف التالي .

٦ـ (ألم تركيف فعل ربك بعاد)

الهمزة إستفهامية ، و «لم» حرف جحد ، و «تر» فعل مضارع ، مجزوم بحرف الجحد على حذف الياء ، خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و «كيف» إستفهام عن الحال وهوإسم مبنيّ لشباهته بالحروف، وفتحت لالتقاء الساكنين والتخفيف، و «فعل» فعل ماض ، و «ربك» الرب فاعل الفعل ، اضيف إلى كاف الخطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً ، و «بعاد» متعلق به «فعل» على زيادة الباء للتأكيد مع تقدير : قوم أي بقوم عاد .

٧ـ (ارم ذات العماد)

في «إرم» وجوه: أحدها ـ انها بدل من «عاد» ف «إرم» في موضع جر.

ثانيها ـ انها في موضع جر أيضاً عطف بيان ا «عاد» و منع الصرف للعلمية و التأنيث ، و الدليل على تانيثها و صفها بقوله عزوجل : «ذات العماد» و قيل :

«إرم» إسم قبيلة على تقدير : إرم صاحب ذات العماد لان ذات العماد مدينة .

و قيل : ذات العماد وصف كما تقول : القبيلة ذات الملك .

وقيل : إسم مدينة فيكون التقدير : بعاد صاحب إرم .

وهي لاتنصرف ـ سواء كانت إسم قبيلة أو أرض أو مدينة أم إسم امهم كما قيل ـ للتعريف و التأنيث .

ثالثها ـ قديقرأ «بعاد إرم» بالاضافة ، فلا يحتاج إلى تقدير كما قد يقرأ إرم ذات العماد بالجرّ على الاضافة ، و «إرم» إسم امهم أو إسم بلد تهم على تقدير : بعاد أهل إرم كقوله تعالى : «و اسئل القرية» و قيل : بمنزلة قولهم : زيد بطة لانه لقب اضيف إليه الاسم فلا تقدير. ولا يكون و صفاً لأنه غير مشتق.

و «ذات» صفة لـ «إرم» اضيف إلى «العماد» وهي جمع الجمع لانه جمع عمد ـ بفتح العين و الميم ـ و العمد جمع عمود ، و ليس في كلام العرب على هذا الوزن إلاّ أديم و أدم ، و أفيق و أفق ، و إهاب و أهب و زاد الفراء كلمة خامسة وهي : قضيم وقضم .

٨ـ (التي لم يخلق مثلها في البلاد)

«التي» موصولة في موضع جرّ نعتاً ثانياً لـ «إرم» أولعاد و «لم» حرف جحد و «لم يخلق» فعل مضارع مبنيّ للمفعول ، مجزوم بحرف الجحد، و«مثلها» ناب مناب الفاعل ، و الجملة صلة الموصول ، و «في البلاد» جمع البلد متعلق بـ «لم يخلق» وفي ضمير «مثلها» وجوه : أحدها ـ راجع إلى «عاد» أي إرم التي لم يخلق مثل عاد في بلد من البلاد .

ثانيها ـ راجع إلى القبيلة على ان ارم إسم قبيلة و المعنى : انه لم يخلق مثل هذهالقبيلة في البلاد قوة وشدة وعظم أجساد و طول قامة وبطشاً و أيد.

ثالثها ـ راجع إلى المدينة .

٩- (و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد)

الوا وللعطف ، و «ثمود» عطف على «بعاد» على تقدير : و كيف فعل ربك بثمود ، و فتح «ثمود» لانه غير منصرف للتعريف و العجمية ، و هي إسم قبيلة و «الذين» موصولة في موضع جرّ نعتاً لـ«ثمود» و«جابوا» فعل ماض نحو: قالوا، وهو صلة الموصول، و «الصخر» جمع صخرة ، مفعول بها ، و «بالواد» متعلق بمحذوف ، وهو صفة للصخر وقيل : حال . وقيل : تقدير : «بالواد» : بوادى القرى .

١٠- (وفرعون ذى الاوتاد)

الوا و للعطف و «فرعون» معطوف على «بعاد» و قيل : على «ثمود» و «فرعون» غير منصرف أيضاً للتعريف و العجمة ، و «ذى» في موضع جرّ ، نعتاً لـ«فرعون» اضيف إلى «الاوتاد» و هي جمع وتد .

١١- (الذين طغوا في البلاد)

«الذين» موصولة ، و في موضعها وجوه : أحدها ـ الجرّ نعتاً لعاد وثمود وفرعون لانهم جميعاً من الطغاة الباغين الذين إستبدوا با لبلاد.

ثانيها ـ النصب على الذم .

ثالثها ـ الرفع على تقدير : همالذين طغوا ...

رابعها ـ الجرّ صفة لـ«فرعون» و أحزابه فقط و اكتفى بذكره عن ذكرهم .

و «طغوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب ، أصله : طغيوا ، فانقلبتالياء ألفاً لثقل الضمة عليها ، و إنفتاح ما قبلها ، ثم حذفت الالف لالتقاء الساكنين ، و الفعل صلة الموصول ، و «فىالبلاد» متعلق بـ«طغوا» .

١٢- (فأكثروا فيها الفساد)

الفاء للعطف على سبيل التفريع ، و «أكثروا» فعل ماض من باب الافعال،

عطف على «طغوا» و «فيها» متعلق بـ«الفساد» لانه مصدر يتعلق به ما يتعلق بفعله، و ضمير التأنيث راجع إلى «البلاد» و «الفساد» مفعول به .

١٣- (فصب عليهم ربك سوط عذاب)

الفاء للتفريع ، و «صب» فعل ماض من باب المضاعف نحو : مدّ ، و «عليهم» متعلق بـ«صب» و ضمير الجمع راجع إلى عاد و ثمود و فرعون، و قيل: راجع إلى فرعون و أحزابه ، و «ربك» فاعل الفعل و «سوط» مفعول به ، اضيف إلى «عذاب»

١٤- (ان ربك لبا لمرصاد)

«إن» حرف تأكيد ، و «ربك» إسمها ، و اللام في «لبالمرصاد» للتأكيد ، و«بالمرصاد» متعلق بمحذوف، وهو خبر لحرف التأكيد، و«المرصاد» والمرصد: إسم مكان يرصد منه و يرقب . و قيل : الباء بمعنى في .

وفي جواب القسم وجوه : أحدها ـ ان هذه الجملة المؤكدة هي الجواب .

ثانيها ـ انه محذوف وهو : «ليعذبن» يدل عليه قوله تعالى: «ألم تر كيف فعل ربك ـ إلى فصب عليهم ربك سوط عذاب»

ثالثها ـ هو قوله تعالى : «هل في ذلك قسم لذى حجر»

رابعها ـ انه محذوف وهو: لتبعثن .

وقيل : على تقدير : ليقبضن على كل ظالم أو لينتصفن كل مظلوم من ظالمه أما رأيت كيف فعلنا بعاد ...

١٥- (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن)

الفاء للتفريع ، و «أما» تفصيلية لحال الانسان إذا اوتي من نعم الدنيا أو حرم، و قيل :إفصاح عما أجمله في قوله تعالى: «ان ربك لبالمرصاد» و «الانسان»

مبتداء و المراد به النوع بحسب الطبع الاولى ، فاللام للجنس دون الاستغراق، و «إذا» ظرف ، و عـامله محذوف أى كائناً إذا ... و «مـا» شرطية ، و قيل : زائدة ، و «ابتلاه» الفعل فعل ماض من باب الافتعال ، وضمير الوصل فـى موضع نصب ، مفعول به، راجع إلى «الانسان» و «ربه» فاعل الفعل .

و«فاكرمه» الفاء للعطف، والفعل فعل ماض من باب الافعال، وفاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «ربه» و ضمير الوصل فى موضع نصب ، مفعول به، عطف على «إبتلاه» و «ونعمه» الواو للعطف ، و الفعل فعل ماض من باب التفعيل عطف علـى «إبتلاه» و ضمير الـوصل فى مـوضع نصب ، مفعول بـه ، راجـع إلى «الانسان»

«فيقول» الفاء جزاء ا «إذا» و قيل : جواب ا «أما» و«يقول» فعل مضارع ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «الانسان» جواب الشرط ، و الظرف وجوابه خبر من «الانسان» و «ربى» الرب المضاف إلى ياءِ التكلم مبتداء ، و «أكرمن» الفعل فعل ماض من باب الافعال ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الرب ، و النون للوقاية على حذف ياءِ التكلم فى موضع نصب ، مفعول به ، و تـدل علـى الياءِ كسر النون ، و حذفت الياء تخفيفاً ، و الجملة خبر المبتداء ، ثـم الجملة بتمامها مقولـة القول ، ثـم الجملة بتمامها جـواب الشرط ، ثـم الجملة مـن الشرط والجزاءِ خبر«الانسان» .

١٦- (و أما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن)

إعراب الاية الكريمة ظاهر من سابقها .

١٧- (كلا بل لاتكرمون اليتيم)

«كلا» حرف ردع و زجر ، و «بل» حرف إضراب ، و «لا» حرف نفى ، و «تكرمون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب الا فعال، خطاب لاهل الكفر والطغيان ، و «اليتيم» مفعول به .

١٨- (ولا تحاضون على طعام المسكين)

الواو حرف عطف ، و «لا» حرف نفي ، و «تحاضون» فعل مضارع من باب التفاعل ، على حذف إحدى التائين، فحذفت لد لالة الكلام عليها، والفعل المنفي عطف على «لاتكرمون» أي لايحض بعضهم بعضاً .

و في «على طعام المسكين» وجهان : أحد هما - ان الطعام بمعنى الاطعام فيكون إسماً اقيم مقام المصدر كقولك : سلّمت عليه سلاماً أي تسليماً ، و أعطيته‌عطاء أي إعطاء ، و كلّمته كلاماً أي تكليماً .

و إقامة الاسم مقام المصدر كثير في كلامهم .

ثانيهما - على تقدير : إطعام طعام المسكين ، فحذف المضاف ، و اقيم المضاف إليه مقامه .

و «على طعام المسكين» متعلق بـ «لاتحاضون»

١٩- (و تأكلون التراث أكلا لماً)

الواو للحال، و «تأكلون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب في موضع نصب ، حال من ضمير الجمع في «تكرمون» و من المحتمل أن تكون الواو للعطف، و «تأكلون» عطف على «لا تكرمون» من قبيل عطف المثبت على المنفي، و «التراث» مفعول به ، و أصله : الوراث من ورث ، فا بدلت الواو تاءاً كالتجاه و التقاة ، و «أكلا» مفعول مطلق ، و «لماً» صفة لـ «أكلا» أي أكلا شديداً .

٢٠- (و تحبون المال حباً جما)

الواو للعطف ، و «تحبون» فعل مضارع من باب الافعال ، عطف على «تأكلون» و «المال» مفعول به ، و «حباً» منصوب على المصدرية ، و في مجيىء المصدر الثلاثي مكان المزيد فيه إذ كان اللازم أن يقال : إحباباً مالا يخفى على الأديب الأريب ، و «جماً» نعت لـ «حباً» .

٢١- (كلا اذا دكت الارض دكاً دكاً)

«كلا» حرف ردع و زجر، و «إذا» ظرف زمان، و «دكت» فعل ماض مبنيّ للمفعول، و «الارض» فاعل نيابى، و تاء التأنيث فى الفعل باعتبار تأنيث فاعله النيابى مجازاً، و «دكاً» منصوب على المصدرية، و «دكاً» تأكيد للاول كما يقال: قطعته قطعة قطعة.

٢٢- (و جاء ربك و الملك صفاً صفاً)

الواو للعطف، و «جاء» فعل ماض، و «ربك» فاعل الفعل على حذف المضاف أى أمر ربك، و «و الملك» الواو للعطف و «الملك» عطف على «ربك» ومن المحتمل أن تكون الواو للعطف، و «الملك» و إن كان واحداً ولكن المراد ههنا معنى الجماعة.

و «صفاً» منصوب على المصدر في موضع الحال، و «صفا» تأكيد للاول أى مصطفين صفوفاً مرتبة أو ذوى صفوف كثيرة.

٢٣- (و جيى يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان و أنى له الذكرى)

الواو للعطف، و «جيىء» فعل ماض مبنيّ للمفعول، عطف على ما قبله، و قيل: الواو للاستيناف.

و «يومئذ» الاول ظرف يتعلق بـ «جيىء» و قيل: بدل من «إذا» فى «إذا دكت الارض» و العامل فيه: «يتذكر» و «بجهنم» في موضع رفع، لانه مفعول مالم يسم فاعله، فناب مناب الفاعل، و قيل: المصدر المقدر هو مفعول مالم يسم فاعله.

و يجوز أن يكون العامل فى «إذا» «يقول» وفى «يومئذ» «يتذكر» و قيل: جواب «إذا» محذوف بعد «صفاً» أو بعد قوله: «بجهنم» أى ما كان من الاهوال ... و فى «يومئذ» الثانى وجهان:

أحدهما - بدل من «يومئذ» الاول.

ثانيهما ـ متعلق بـ «يتذكر» وهو فعل مضارع من باب التفعل، و «الانسان» فاعل الفعل، «و أنى» الواو للحال ، «و أنى» للاستفهام فى المكان و الحال نحو: أنى زيد بمعنى: أين هـو ؟ و كيف هو؟ و بمعنى متى الا ستفهامية نحو: أنـى القتال ؟

و معناه هنا النفى أى لاينفعه تذكرة ذلك.

و قيل: على حذف المضاف أى و من أين له منفعة الذكرى، ولا بد من حذف المضاف، و إلاّ فبين، «يومئذ يتذكر» و «أنى له الذكرى» تناف.

و «أنى» فى موضع رفع على الابتداء و«له» متعلق بمحذوف، و «الذكرى» خبره.

٢٤ـ (يقول يا ليتنى قدمت لحياتى)

«يقول» فعل مضارع ، فـاعله ضمير مستتر فيه ، راجـع إلى «الانسان» و «يا» ههنا للتنبيه ، و تحتمل النداء و «ليت» حرف تمنّ ، و النون للوقايـة ، و الياء للتكلم فى موضع نصب على أنها إسم لـ «ليت» فانها من أخوات «ان»

ان تسئل: لم نودى «ليت» و إنما ينادى من يعقل؟

تجيب: ان العرب تقول عند التعجب و عند الامر الشديـد تقع فيه: يا حسرتا و يا عجبا ، فيكون أبلغ من قولك : العجب من هـذا قال الله تعالـى : «يا حسرة على العباد» يس : ٣٠)

و «قدّمت» فعل ماض للتكلم وحده من باب التفعيل ، فـى موضع رفع ، خبر لحرف التمنى ، و «لحياتى» الجار مع المجرور المضاف إلـى يـاء التكلم متعلق بفعل التقديم و الجملة مقولة للقول .

و قيل: اللام فى «لحياتى» بمعنى الوقت أى وقت حياتى فـى الدنيا ، و قيل: بمعنى «فى» .

٢٥- (فيومئذ لايعذب عذابه أحد)

الفاء للجزاء لقوله عزوجل: «إذا دكت الارض» و «يومئذ» ظرف متعلق بما بعده، و «لا» حرف نفي، و«يعذّب» فعل مضارع من باب التفعيل، منفي بحرف النفي، و «عذابه» مفعول به، و الضمير راجع إلى الله تعالى، و «أحد» فاعل الفعل. على تقدير: لايعذب أحد أحداً عذاباً مثل عذاب الله، و قيل: «عذابه» منصوب على المصدر، و المصدر مضاف إلى الفاعل.

٢٦- (ولا يوثق و ثاقه أحد)

الواو للعطف، و «لا» حرف نفي، و «يوثق» فعل مضارع من باب الا فعال منفي بحرف النفي، معطوف على «لايعذب» و «وثاقه» مفعول به، و الضمير راجع إلى الله تعالى و إن لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه، و «أحد» فاعل الفعل على تقدير: و لا يوثق أحد أحداً و ثاقاً مثل و ثاق الله جل و علا.

٢٧- (يا أيتها النفس المطمئنة)

«يا» حرف نداء و «أية» مرفوعة بحرف النداء، و «ها» تنبيهية، و «النفس» نعت ل «أية» و «المطمئنة» نعت ل «النفس» لان النفس مؤنث تصغيرها نفسية.

٢٨- (ارجعي الى ربك راضية مرضية)

«إرجعي» فعل أمر، خطاب للنفس، و «إلى ربك» متعلق ب «إرجعي» و الخطاب للنفس، و «راضية» منصوبة على الحال، و «مرضية» منصوبة على الحال أيضاً، و أصل «مرضية» مرضوية، فقلبت الواو ياء لان الواو و الياء إذا اجتمعتا في كلمة واحدة، والاولى منهما ساكنة، سواء كانت واواً أوياء قلبت الواو ياء و ادغمت الياء في الياء، و ذلك قياس مطرد عند الصرفيين طلباً للخفة.

٢٩- (فادخلي في عبادي)

الفاء للتفريع، و «ادخلي» فعل أمر، خطاب للنفس المطمئنة، و «في

عبادى» العباد : جمع العبد، اضيف إلى ياء التكلم لله وحـده، والجار والمجرور متعلق بـ «ارجعى»

٣٠- (و ادخل جنتى)

الـواو للعطف، و «ادخلى» عطف علـى «إرجعى» و «جنتى» مفعول بها، اضيف إلى ياء التكلم لله وحده.

﴿البيان﴾

١- (والفجر)

فى الأقسام بالفجر إنباء عن شرفه و تفخيم لشأنه . و تنبيه لما فيه من فوائد دينية ودنيوية لما يحصل فيه من إنقضاء الليل و ظهور الضوء و ما يترتب على ذلك من المنافع كانتشار الناس وسائر الحيوان من الطير والوحش لطلب الرزق و المعاش ...

و قد عبّر عن أوّل النهار بالفجر لشق عمود الصبح و هو أول مطلع النهار فى جلد الليل الاسود ، فجره الله عزوجل لعباده فجراً إذ أظهره الله تعالى فى افق المشرق مبشراً باد بار الليل المظلم و إقبال النهار المضيىء و فيه إشارة إلى تفجر النور من أحشاء هذا الظلام الموحش، الذى يطبق على الوجود و يلفه فى رداء ثقيل، أشبه بالأكفان التى يلف فيها الموتى... و إشارة إلى بعث جديد للحياة ودعوة مجددة للاحياء أن يكتحلوا بهذا النور و أن يأخذوا موا قفهم فيه على طريق السعى و العمل ...

و اللام فى «الفجر» تحتمل الجنس ، فيشمل لفجر كل يوم ، و تحتمل العهد ، فيشير إلى فجر يوم معين.

٢- (وليال عشر)

قسم ثان فى هذه السورة الكريمة من الاقسام الخمسة ، أقسم بالليالى العشر، و فى تنكير هما دون بقيّة ما اقسم به إختصاص هذه الليالى بفضيلة ليست

لغيرها ، فلم يجمع بينها وبين غيرها بلام الجنس ، ولم تعرف بلام العهد لان في التنكير زيادة تفخيم على ماله تفخيم معرّفاً باللام . ففي تنكير هما تفخيم زائداً على مافي غير هما ، فلو عرفت الليالي فلم تستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير .

وقيل : نكرت الليالي لانها ليال معدودة من ليال السنة .

وقال أهل البيان : ولو عرفت بناء على أنها ليال معلومة جاز إلاّ ان التعظيم المستفاد من التنكير يفوت التناسب بين اللامات إذ ذاك ، فعدم اللام خير من وجودها مخالفة للباقية .

٣ـ (والشفع والوتر)

قسم ثالث و رابع أقسم الله جل وعلا بالشفع والوتر تفخيماً لشأنهما، كأنه تعالى قال: و اقسم بالشفع والوتر عظيمي الشأن .

وفي الاقسام بهما تذكير بالعدد لما في ضبط المقادير به من عظيم النعمة من الله تعالى ، مضافاً إلى عظمة شأنهما ذاتية .

٤ـ (والليل اذا يسر)

قسم خامس من الا قسام الخمسة التي أقسم الله عزوجل بتلك الازمنة تدليلا على تصرمها و إنقضائها ، و ان الازمنة كالا حوال لاتدوم ، مضافاً إلى تفخيم شأنها ، وفيها ما يبعث على النظر والتدبر و التفكر مما يكشف عن قدرة الخالق وحكمته ، وعظمة الصانع وعلمه ، وجلالة الرب وتدبيره .

وفي الاقسام بالليل السارى تنبيه إلى إقباله وإدباره وتعاقب الليل والنهار بتدبير مدبر حكيم ، عالم بما في ذلك من المصالح لعباده ...

ولعل التعبير عن حركة الليل بالسرى إشارة إلى أنه يتحرك في مسيرته و الأحياء نيام لايشعرون به كما يتحرك الذين يسيرون فيه دون أن يشعر بهم أحد ، فاللام في «الليل» للجنس فالمراد به مطلق الليل وآخره ، فذكره بعد

الليالى العشر من قبيل ذكر العام بعد الخاص ، لأنه تعالى أقسم بالليالى العشر أولاً على الخصوص ثم اقسم ثانياً بالليل على طريق العموم .

و تحتمل اللام العهد أيضاً قيل : اريد بالليل السارى ليلة المزدلفة على طريق الاسناد المجازى لان السارى فيها هو الحاج .

وقيل : هذا من باب ليل نائم ونهار صائم ومنه قوله تعالى: «بل مكر الليل والنهار »

فى تلخيص البيان : للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه قال : «وهذه إستعارة و المراد بسرى الليل دوران فلكه و سيران نجومه حتى يبلغ غايته و يستوفى قاصيته ويستخلف النهار موضعه» إنتهى كلامه و رفع مقامه الشريف.

وقيل : ان فى تقييد الليل بالسير تنبيهاً على ما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة و وفور النعمة .

٥- (هل فى ذلك قسم لذى حجر)

تحقيق للواقع وتقرير لفخامة شأن المقسم بها ، وكونها اموراً جليلة حقيقة بالاعظام والا جلال عند اولى الاسباب على طريق الاستفهام لتأكيد المقسم عليها كما تقول: لمن يحاجك فى أمر ثم تقيم له الحجة الناصعة التى تثبت ما تدعى ، هل فيما ذكرت لك كفاية ومرادك انى قد ذكرت لك أقوى الحجج و أبينها ، فلست تستطيع جحد ما قلت بعد هذا .

و المعنى : أليس فيما تقدم من الاقسام كفاية ومقنع لمن لديه عقل لما فيها من حجة كافية فى الدلالة على وجود الله تعالى وقدرته وعظمته .

وفى الاقسام تنبيه على أن الاقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الاخبار على طريقة قوله عزوجل : «و انه لقسم لو تعلمون عظيم» الواقعة : ٧٦)

وقوله تعالى : «ذلك» إشارة إلى الامور المقسم بها ، و التذكير بتأويل ما ذكر أو إلى الاقسام بها .

ومعنى البعد فيها ايذان بعلو رتبة المشار إليه و بعد منزلته فـي الفضل و الشرف.

ولا يخفى على الأريب من أهل المعانى والبيان ما بين القسم والحلف من الفرق :

وذلك ان القسم هو : أبلغ من الحلف لان معنى قـولنا : اقسم بالله أنـه صار ذاقسم بالله جل وعلا، والقسم : النصيب ، و المراد ان الذى اقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه و دفع عنه الخصم بالله تعالي ، و الحلف من قولك: سيف حليف أى قاطع ماض، فاذا قلت : حلف بالله ، فكأنك قلت قطع المخاصمة بـالله فالاول أبلغ لانه يتضمن معنى الآخر مع دفع الخصم ففيه معنيان، و قولنا: حلف يفيد معنى واحداً وهو قطع المخاصمة فقط، وذلك ان من أحرز الشىء باستحقاق فى الظاهر فلا خصومة بينه وبين أحد فيه ، و ليس كل من دفع الخصومـة فى الشىء ، فقد أحرزه و اليمين إسم للقسم مستعار و ذلك أنهم كانـوا إذا تقاسموا على شىء تصافقوا با يما نهم ثم كثر ذلك حتى سمى القسم يميناً .

و إنما سمى العقل حجراً لانه يمنع الانسان من تعاطى مالا يليق بـه من الافعال والاقوال و العقائد ، و يحميه من الضلال و الضياع ، ومنه الحجر على السفيه صيانة لما له في تطرفاته الحمقاء ... ومنه سميت الحجرة لانها تحجر من بداخلها ، و تحميه من الحر والبرد ، ومن أيدى اللصوص و نظرات المتلصصين... ولعل الاستفهام هنا دعوة إلى أصحاب العقول أن ينظروا فى تلك الاقسام التى تمجد من شأن الزمن ، و تجعل من كل قطعة منه آية من آيات القدرة الالهية لايـراهـا إلاّ أصحاب العقول ، ولا يـدرك سرّ القسم بها إلاّ اولـو الأبصار و البصائر...

وفى دعوة العقول إلى النظر و الملاحظة لسير الزمن وحـر كاته بالليل إشارة إلى أن الليل هو الوقت الذى تهدأ فيه النفس ، و تسكن الجوارح، فيجد

العقل فيه فرصته للانطلاق ، و القدرة على التأمل والتفكير ...

كما أن أكثر النـاس يغفلون عـن الليل ، ولا يـرونـه إلاّ قبراً يحتوى أجسامهم ، فلا يكون لهم وجود فيه ، ولا يكون لعقولهم تعامل معه فى حين أنه يمثل جزء كبيراً من حياتهم يعادل نصف هـذه الحياة ... و انـه لخسران عظيم للانسان أن يدع هذا النصف من عمره يـذهب هباء ، فكيف بمن يخسر عمره كله و يضيع فرصته ؟

٦- (ألم تر كيف فعل ربك بعاد)

شروع بذكر ثلاث امم من الامم السالفة على طريق الاجمال لأنهم أعلام فى القوة و الشدة و الطغيان و التجبر ... وفى القصص تذكير بعذاب الله تعالـى الذى حلّ فى الحياة الدنيا بالطغاة المستبدين، و البغاة المستكبرين ، والعصاة المتمرديـن من هـؤلاء الامم ، و منهم عاد علـى طريـق الا ستفهام التقريـرى التهديدى .

خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم تنبيهاً للكفار و المجرمين علـى ما فعله الله عزوجل بالامم السابقة لما كفرت بالله تعالى و بأنبيائه عليهم السلام ، و قـد كانت أطول أعماراً و أشد قوة و بطشاً .

وفى إضافة الفعل: «فعل» إلى «ربك» ايحاء طمأنينة وانس وراحة للمؤمن، و دمار وعاهة للكافر.

وهـذا إستشهاد بعلمه صلى الله عليه وآله وسلم بمايـدل عليه مـن تعذيب عاد و أضرابهم المشاركين لقومه صلى الله عليه وآله وسلم فى الطغيان و الفساد على طريقة قوله تعالى : «ألم تر إلى الذى حاجّ إبراهيم فى ربه» البقرة : ٢٥٨)

والمعنى : ألم تعلم علماً يقينياً كيف عذّب ربك عاداً و نظائرهم ، فيعذب هؤلاء المشركين و أذنابهم أيضاً لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر و الضلالة، من الاستكبار و المعصية ، و من الجرم و الجناية ؟؟؟

٧- (ارم ذات العماد)

عطف بيان من «بعاد» زيادة تعريف بهم، متصفاً بوصف ايذاناً بأنهم عاد الاولى على تقدير المضاف أى سبط إرم أو أهل إرم، و هم ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالا عمدة.

وقيل: «ذات العماد» وصف لمدينة إرم.

وقيل: وصف لمساكن قبائل عادبن إرم التى كانت خياماً تقوم على الا عمدة

وقيل: كناية عن الغنى و الترف الذى ساقهم إلى التجبر و العصيان، و التمرد و الطغيان... و غيرها من الاقوال التى ستأتيك إن شاء الله تعالى.

٨- (التى لم يخلق مثلها فى البلاد)

صفة ثانية لقوم عاد على طريق التقرير و البيان بنفى المثيل لهم فى القوة و الشدة و عظيم التركيب و الخلقة فى بلد من بلاد العالم... و فى ايثار الفعل بصيغة المضارع مبنياً للمفعول مالا يخفى على أهل المعانى و البيان فتأمل جيداً و اغتنم جداً.

٩- (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد)

قصة ثانية من القصص الثلاث التى جاءت فى هذه السورة الكريمة على طريق الا جمال، و فيها دليل على ما أنعم الله عزوجل به عليهم من القوة والعقل و حسن التدبير، لما فى وصفهم بجوب الصخر على طريق الموصول و الصلة ايماء إلى شديد القوة وحسن التدبير لهم.

١٠- (و فرعون ذى الاوتاد)

قصة ثالثة من القصص، و فى وصف «فرعون» بذى الاوتاد ايماء إلى كثرة جنوده و أذنابه، و خيامهم التى يضربونها فى منازلهم أو لتعذيبهم بالاوتاد على ماورد: ان فرعون كان يعذّب الاسرائيليين بتسطيحهم على ظهورهم و وجوههم

إلى حرارة الشمس ، وتربط أيديهم و أرجلهم بأوتاد ويترك المعذّب حتى يموت في حرارة الشمس .

وفى تلخيص البيان: قال : «« هذه إستعارة والمراد فرعون ذى الملك المتفرد و الأمر المتوطد ، و الأسباب المتمهدة التى إستقر بها بنيانه ، و تمكن سلطانه كما تثبت البيوت بالأوتاد المضروبة و الدعائم المنصوبة»

١١- (الذين طغوا فى البلاد)

وصف لهؤلاءِ الجبابرة المستكبرين ، و الطاغية المستبدين ، و الباغية المتمردين الذين سبق ذكرهم آنفاً: من عاد و ثمود وفرعون بأقبح الأوصاف... وفى وصفهم بالطغيان على طريق الصلة و الموصول دلالة على أنهم بلغوا فى التجاوز غايته ، و فى الا ستبداد نهايته ...

ومحل الجملة إماجرٌ على الصفة للمذكورين ، و إما نصب على تقدير : أعنى أو رفع على تقدير : «هم» أى طغى كل طائفة منهم فى بلادهم و استبدوا بالعباد ...

١٢- (فأكثروا فيها الفساد)

تقرير لنتيجة طغيان المستكبرين و عتو أذناب المستبدين ، و تجاوز حواشى الملوك الباغية ، و تمرد متفدى السلاطين الطاغية، و هضم متملقى الحكام الجابرة حقوق الناس بانه هو السبب لفساد البلاد و تضييع حقوق المواطنين و تقوية المترفين وتضعيف المستضعفين ، و صدّ الناس عن التكامل الا نسانى و تلوثهم بأدناس المعاصى ، و ارجاس الفحشاءِ من باب: الناس على دين ملوكهم، ففسادهم بفسادهم وصلاحهم بصلاحهم ...

ولا يخفى مابين الطغيان و العتو من الفرق : ان الطغيان هو : مجاوزة الحدفى المكروه مع غلبة و قهر ومنه قوله عزوجل : « إنا لما طغى الماء » الحاقة : ١١)

يقال : طغى الماء إذا جاوز الحد فى الظلم ، و أما العتو فهو المبالغة فى المكروه فهو دون الطغيان ، و منه قوله تعالى: «و قد بلغت من الكبر عتياً» مريم : ٨)

وقالوا : كل مبالغ فى كبر أو كفر أو فساد فقد عتا فيه ، و منه قوله عزوجل : «ريح صرصر عاتية» الحاقة : ٦)

أى مبالغة فى الشدة ، و يقال : جبار عات أى مبالغ فى الجبرية ، و منه قوله تعالى : «فعتت عن أمر ربها» الطلاق : ٧)

يعنى أهلها تكبروا على ربهم فلم يطيعوه .

١٣ـ (فصب عليهم ربك سوط عذاب)

بيان لعاقبة الفساد فى البلاد ، الوليد من الطغيان بأن عاقبة الفساد هى العذاب بأنواعه ...

وفى التعبير عن إنزال العذاب بالصب ايذ ان بكثرته و إستمراره وتتابعه، فانه عبارة عن إراقة الشيء المائع أو جار مجراه فى السيلان كالرمل و الحبوب و افراغه بشدة و كثرة و إستمرار ونسبته إلى السوط باعتبار تشبيهه فى نزوله المتتابع المتداركعلى المضروب بقطرات الشيء المصبوب أو السوط بمعنى خلط أنواع العذاب عليهم .

وقال الشاعر :

ألم تر ان الله أظهر دينه　　وصبّ على الكفارسوط عذاب.

و «سوط عذاب» كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب ، وأصل ذلك السوط هو عذابهم الذى يعذّبون به ، فجرى لكل عذاب إذكان فيه عندهم غاية العذاب .

وفى تنكير «عذاب» من التنويع و التفخيم و التهويل مالا يخفى .

وقيل : و قد شبه جل وجلا ما أو قعه بهؤلاء الجبابرة من صنوف العذاب،

و ماصبّه عليهم من ضروب الهلاك و الدمار - بالسوط من قبل أن السوط يضرب به في العقوبات ، والله عزوجل يوقع العذاب بالامم عقوبة لها على ما يقع منها من أنواع التفريط في أوامر دينه .

فصب سوط العذاب كناية عن التعذيب المتتابع المتواتر الشديد، وخصّ تعالى بالذكر لانه يشير إلى تكرار العذاب.

وفي تلخيص البيان : قال : «و هذه من مكشوفات الاستعارة ، والمراد بها العذاب المؤلم و النكال المرمض لان السوط في عرف عادة العرب يكون على الأغلب سبباً للعقوبات الواقعة والآلام الموجبة ، و قال بعضهم : يجوز أن يكون معنى سوط عذاب أي وقع عذاب يخالط اللحوم و الدماء ، فيسوطها من قولهم : ساط القدر يسوطها سوطاً إذا حرك ما فيها ، و خلطه فالسوط على هذا القول ههنا مصدر وليس باسم» .

١٤- (ان ربك لبالمرصاد)

جملة مؤكدة بتأكيدين ، و هي جواب القسم ، و ما بين القسم و جوابه إعتراض ، وفيها تمثيل لارصاده جل وعلا بالعصاة ، و انهم لايفوتونه ، و ايذان بأن مشركي قريش سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب و النكال كما ينبيء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة إلى ضمير النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

وقيل : ان الجملة تعليل لتعذيب هؤلاء الجبابرة ، و كونه سبحانه على المرصاد إستعارة تمثيلية شبّه فيها حفظه عزوجل لاعمال عباده بمن يعقد على المرصاد يرقب من يراد رقوبه ، فيأخذه حين يمرّ به ، و هو لايشعر فالله تعالى رقيب يرقب أعمال عباده حتى إذا طغوا و أكثروا الفساد أخذهم بأشد العذاب ، وفي إضافة الرب إلى كاف الخطاب «ربك» تلويح إلى أن سنة العذاب جارية في امته صلى الله عليه وآله وسلم على ماجرت عليه في الامم الماضين .

٥- (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن)

متفرع على ما قبله فيه و تقسيم وتفصيل لأحوال الانسان فى حالتى السعة و الضيق و اليسر و العسر، و عرض لصودة من تفكير الانسان و تلقيه فى حالتى الغنى و الفقر و النعيم و البؤس ، و عرض لخطائه فى تفكيره فيهما ، مع تقدير ان ذلك امتحان ربانى .

ففى الاولى يظن الانسان : ان الله تعالى إنما يسّر له ذلك عناية به ورفعاً لقدده و إهتماماً بشأنه .

وقيل : ان الآية الكريمة و تاليها عرض عام لظنون المنحرفين من الناس وسلوكهم بصودة مطلقة ، و لقد انطوى فيها تلقين جليلة مستمرة المدى.

فالمرء ينبغى ألاّ تبطره النعمة و اليسار ، فيخرج عن حدّه بالخيلاء و الغرور و زعم إختصاص الله إياه بالحظوة كما انه لاينبغى أن يداخله غم و يأس إذا ما حلّ فيه ضيق وعسر، فيعتبر ذلك نقمة و إهانة إختصه الله بهما ، فكثيراً ما يكون فى الثروة والرخاء بلاء و كثيراً ما يكون فى الفقر والخصاصة راحة نفس و سلامة دين وعرض .

ومن الواجب أن يرى كل من الفريقين كذلك أنهما إزاء إختبار ربانى، و أن على الميسور أن يشكرالله ويقوم بواجبه نحوه ونحو الناس وخاصة ضعفاء هم و ذوى الحاجة منهم ، و أن على المعسر أن يصبر و يصابر ، و من تلقيناتها أنّ جعل المال أكبر الهمّ وقصارى المطلب، و استباحة البغى و الظلم فى سبيل الحصول عليه وحرمان المحتاجين و الضعفاء من المساعدة و العطف و البر بتأثير حب المال - من الأخلاق الذميمة التى يجب على الانسان و على المسلم من باب أولى إجتنابها و الترفع عنها .

ولعل من تلقيناتها أيضاً تقرير كون الغنى والفقر و اليسر والعسر، والسعة والضيق عرضين تابعين لنواميس الكون وقابليات الناس وظروفهم ، و لايصح أن

يظن ظان أنهما إختصاص ربانى بقصد التكريم أو الاهانة و رفع القدر أو حطه.

فالكلام متصل بما قبله فكأنه قيل : انه تعالى بصدد مراقبة أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالهم خيراً و شراً ، فأما الانسان فلايهمه ذلك لان مطمح أنظاره ومرصد أفكاره الدنيا و لذائذها ...

و المراد بالانسان هو النوع بحسب الطبع الاولى ، فاللام للجنس دون الاستغراق .

وقوله تعالى : «فاكرمه ونعمه» الفاء تفسيرية ، تفسير للابتلاء لان الاكرام و التنعيم من الابتلاء ، والمراد بالاكرام و التنعيم الصوريان، وإن شئت فقل : الاكرام و التنعيم حدوثاً لابقاء أى ان الله جل وعلا أكرمه وآتاه النعمة ليشكره و يعبده لكنه جعلها نقمة على نفسه تستتبع العذاب .

وقوله تعالى : «فيقول ربى أكرمن» جواب لقوله : «فأما» و ما بينهما إعتراض للايذان من أول الأمر بأن الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح إختلال قوله المحكى .

وان الجملة: «فيقول ربى أكرمن» حكاية عمايراه الانسان بحسب الطبع الاولى ، و ان الظاهر فى نسبة التدبير إلى الله تعالى فى قوله : «ربى أكرمن» ولا يقول به الوثنيون و المنكرون للصانع مبنىّ على إعترافه بحسب الفطرة به جل وعلا ، و إن استنكف عنه لساناً ، مع رعاية المقابلة مع قوله : «إذا ما ابتلاه ربه» .

١٦- (و أما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن)

تقرير لحالة الانسان الثانية بأنه يظن ان الله جل وعلا إنما اختصّه بالفقر و البؤس حطّاً من قدره و إهانة له فى نظر الناس، وردّ عليه بما يخيّل و تنديد به بأن ذلك ليس كما يظن فى حالته هذه ونفى ردعى لهذا الظن وإنما هو إمتحان ربانى ليظهر موقفه من الله تعالى و الناس فى حالتى اليسر والعسر والنعيم و

البؤس والضيق والسعة ...

وفي هذه الحالة يحاج هذا الانسان الغافل الكفور ... يحاج ربه و يلقاه متسخطاً متبرماً متهماً خالقه بأنه لم يعرف قدره و لم يؤدله ما هو جدير به ، و انه ليس أقل من فلان و فلان من أصحاب الغنى و الثراء !!

وهذا ضلال موردبأهله، و مؤدٍ إياهم موارد التهلكة ... فالامتحان بالفقر والضيق و الشدة كالامتحان بالغنى و الثراء و النعم ...

فاذاكان الامتحان بالغنى يضع الانسان أمام شهوات عارمة و أهـواء غالبة تحتاج لقهرها إلى رصيد عظيم من العزم و قـوة الارادة ، فان الامتحان بالفقر و الشدة يضع الانسان أمام عدويريد أن تزعزع ايمانه و يغتال صبره لحكم ربـه و رضاه بما قضى الله فيه.

ان في الآيتين الكريمتين تقريراً لصفات الكفار و كثير مـن المسلمين في طوال الاعصار وفي كل وقت ومكان حيث يظنون ان ما أعطاهم الله عزوجل لكرامتهم و فضيلتهم عندالله تعالى ، و ربما يقولون بجهالتهم : لولم نستحق هذا لم يعطنا الله : «أنطعم من لويشاء الله أطعمه» يس : ٤٧)

و كذا إن قتر عليهم يظنون ان ذلك لهوانهم علـى الله ، فـانما الكرامة عندهم و الهوان بكثرة الحظ فـي الدنيا و قلته ، و أمـا المؤمنون الصالحون فالكرامة عندهم أن يكرمهم بطاعته و تـوفيقه المؤدى إلـى حظ الآخرة و إن وسّع عليهم في الدنيا حمدوه و شكروا له .

فأكثر الناس إطلاقاً في الحالين مخطىء مرتكب أشنع وجوه الغفلة لان إسباغ النعمة في الدنيا على أحد لايدل على أنه مستحق لـذلك ، ولـودلّ على هذا لما رأيت عاصياً مـوسعاً عليه في الـرزق ، ولا شاهدت كافراً ينعم بصنوف النعم ...

ولعل من حكمة الله عزوجل في بسط الـرزق على بعض الناس، وتضييقه

على بعض آخر ـ ان وجدان المال سبب للانغماس في الشهوات ، و أنه قاطع عن الاتصال بالله تعالى ، و أن فقدانه وسيلة لتمحيص المرء و إبتلائه ليكون من الصابرين الذين وعدوا بالجنة .

فانظروا إلى قول النبى الكريم ﷺ فيما كان يدعوبه ربه من قوله : «اللهم أحيني مسكيناً، و أمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين» تدركوا سر ذلك .

إلى أن من يمتحنهم الله عزوجل باسباغ النعمة عليهم يظنون أن الله تعالى قد اصطفاهم على عباده و رفعهم فوق سائر خلقه ، ثم يزال بهم شيطان الغواية حتى يذهبوا مع أهوائهم كل مذهب ، ويسيروا في طريق شهواتهم المهلكة إلى أبعد غاية لا يرجعون إلى ربهم ، ولا يدركون أن ما عنده خير و أبقى.

ان تسئل : لما ذا سمى كلا الأمرين : بسط الرزق و تقديره إبتلاء ؟

تجيب : لان كل واحد منهما محك إختبار للعبد، فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر ؟

و إذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع ؟

فالحكمة فيهما واحدة إذ قال الله عزوجل : «و نبلوكم بالشر والخير فتنة» الانبياء : ٣٥)

و ان تسئل : هلا قيل : «أهانن» بدل «فقدر علىّ» كما قيل : «فأكرمه» أو يقال : «فأهانه» بدل «فقدر عليه» و ذلك من مقتضى المقابلة ؟

تجيب : لان البسط من الله تعالى لعبده أكرام ، و أما التقدير عليه فانما هو حرمان العبد ، و هذا ليس باهانة له لان الا خلال بالتفضل و الاكرام ليس باهانة بل ترك كرامة .

ان تسئل : كيف ذمّ الله تعالى الانسان على قوله عزوجل: «ربى أكرمن»

مع أنه صادق فيما قال: لان الله جل وعلا أكرمه بدليل قوله سبحانه: «فاكرمه و نعمه» كيف و أن هذا تحدث بالنعمة وهو مأمور به ؟

تجيب : ان المراد به أن يقول ذلك مفتخراً على غيره ومتطاولا به عليه و معتقداً إستحقاق ذلك على ربه كما في قوله جل وعلا حكاية من قارون : «إنما اوتيته على علم عندى» القصص : ٧٨)

و مستدلا به على علوّ منزلته في الدار الآخرة ، و كل ذلك منهى عنه ، و أما إذا قاله على وجه الشكر و التحدث بنعمة الله عزوجل فليس بمذموم ولا منهى عنه إذ قال الله تعالى : «و أما بنعمة ربك فحدّث» الضحى: ١١)

وان تسئل : كيف قال الله عزوجل في الجملة الاولى: «فأكرمه» ولم يقل في الجملة الثانية فأهانه ؟

تجيب : لأن بسط الرزق إكرام لانه إنعام وإفضال من غير سابقة، وقبضه ليس باهانة لأن ترك الانعام و الافضال لايكون إهانة بل هو واسطة بين الاكرام و الاهانة ، فان المولى قد يكرم عبده و قد يهينه ، و قد لايكرمه ولا يهينه ، و تضييق الرزق ليس إلاّ عبارة عن ترك إعطاء القدر الزائد ألا ترى انه يحسن أن تقول : زيد أكرمنى إذا أهدى لك هدية ، ولا يحسن أن تقول : أهاننى إذا لم يهدلك .

ويظهر من مجموع الآيتين امور :

منها : ان ايتاء النعم و الامساك عنه جميعاً من الابتلاء و الامتحان الالهى حيث كرّر الابتلاء و أثبته في صورتى التنعيم و الامساك عنه كما قال الله عزوجل : «و نبلوكم بالشر و الخير فتنة» الانبياء : ٣٥)

لا كمايراه الانسان .

ومنها : أن ايتاء النعم بما أنه فضل ورحمة إكرام إن لم يبدّ لها الانسان

نقماً على نفسه .

ومنها : ان الآيتين معاً تفيدان ان الانسان يرى سعادته في الحياة هي التنعم في الدنيا بنعم الله تعالى وهو الكرامة عنده و الحرمان منه شقاء عنده و الحال أن الكرامة هي في التقرّب إليه تعالى بالايمان و العمل الصالح سواء في ذلك الغنى و الفقر ، و أيّ وجدان و فقدان فانما ذلك بلاء و إمتحان .

١٧- (كلا بل لاتكرمون اليتيم)

ردع و زجر لأكثر الناس في مقالتهم السخيفة في كلتا الحالتين : ان الكرامة هي في الغنى و التنعم ، و في الفقر و الحرمان هوان و مذلة بأنه ليس الامر كما زعم لافي هذا ولا في هذا ، فليس الاكرام بالغنى ولا الاهانة بالفقر .

و المعنى: لم أبتل الانسان بالغنى لكرامته عليّ ، ولا بالفقر لهوانه عليّ لمحض الامتحان .

ففيه ردّ على ما يقوم في نفوس كثير من الناس من تلك المفاهيم الخاطئة فيما يبتليهم الله عزوجل به من غنى أو فقر ، فليست التوسعة في الرزق بالتي تعطى العبد حجة بأنه من المكرمين عند الله تعالى ، ولا التضييق في الرزق بالذي يدل على إهانة الله تعالى لمن قدر عليه رزقه ...

إن هذا و ذاك كلا هما إمتحان و إبتلاء ، وليس كما يظن الجاهلون بأن الله عزوجل إنما يرزق الناس في الدنيا بحسب مكانتهم عنده ، فيوسّع على أوليائه ، و يضيّق على أعدائه ، و أن هؤلاء الذين أفقرهم الله تعالى لوكانوا من المكرمين عنده لما ضيق عليهم في الرزق ، و لما وضعهم بموضع الحاجة إلى الاغنياء ، و هذا ما يشير إليه قوله عزوجل في فضح منطقهم الفاسد حكاية عنهم: «أنطعم من لويشاء الله أطعمه» يس : ٤٧)

فهذا منطق ضال و رأى فاسد سقيم ، و لقد أحالهم هذا الفهم الضال إلى حيوانات لاتعرف غير ما تملا به بطنها من طعام ، فلقد جفّت فيهم عواطف الانسانية ، و انتزعت من قلوبهم مشاعر الرحمة ...

وقوله تعالى : «بل لاتكرمون اليتيم» إخبار عما كانوا يصنعون من منع اليتيم الميراث و أكل ماله إسرافاً و بداراً أن يكبروا ، ومن تحقيرهم إياه وإزدراء به من غير رعاية حقوقه على طريق الاضراب الذى يؤكد الردع بذكر بعض التنعم الذى لايجامع الكرامة ألبتة كعدم إكرامهم اليتيم بأكل تراثه ومنعه منه، وعدم التحريض على إطعام المساكين حباً للمال... فالفطرة الانسانية لاترتاب فى أن لاكرامة فى غنى هذا شأنه.

و المعنى : بل هناك شر من هاتين المقالتين السخيفتين سبق ذكرهما ، وهو ان الله تعالى أكرمهم بكثرة المال فهم لايؤدّون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد و المبرّة ...

وفى الاضراب مضافاً إلى أصل الردع تقريع ، و لتشديد هذا التقريع وقع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، و فيه إنتقال من بيان سوء أقوالهم إلى بيان سوء أفعالهم على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، و من الافراد إلى الجمع ايذاناً باقتضاء ملاحظة جنايتهم السابقة لمشافهتهم بالتوبيخ تشديداً للتقريع و الشمول ، و إشارة إلى ما يستحق به الهوان، وهو حرمان اليتيم من تراث أبيه ـ كما كانوا يحرمون صغار الاولاد من الارث ـ و تركه صفر الكف بلغ به الجهد مابلغ كما تؤيده الاية التالية : «و تأكلون التراث ...»

و ان الخطاب فى صدد عدم إكرام اليتيم ... موجه إلى السامعين إطلاقاً، فالمتبادر ان المقصودين بالتنديد هم الذين يظنون تلك الظنون الخاطئة ويفعلون هذه الافعال الكريهة ، و إلفات لنظرهم إلى خطيئات اخرى هم واقعون فيها وتنديد

بهم من أجلها ، و فى الجملة أمر تلويحى باكـرامهم اليتيم ، و الحكم مستمر المدى .

وقد خصّ اليتيم بالذكر لانه لا كافل له يقوم بأمره ، و لذلك قد إحتوى القرآن الكريم آيات كثيرة فيما يجب لليتيم من حفظ حق ورحمة وبر ، و فى النهى عن أكل ماله و ايذائه و التحايـل عليه ، و لماكان اليتيم علـى الاكثر ضعيفاً فاقد المعين و الكافل و المشفق ، كانت العناية القرآنية به متسقة مـع روح البر و الحق و العدل التى إنطوت فى المبادىء القرآنية والدعوة الاسلامية منذ البدء كما هو كذلك شأن البر بالفقراء و المساكين و مساعدة المحتاجين و إطعامهم . .

ولعل فى كثرة ماجاء فى حق اليتيم صورة لما كان اليتيم معرضاً لـه قبل البعثة من صنوف الهضم و الـأذى و الاهمال و الحرمـان أيضاً ، فكانت هـذه الصرخات القرآنية المدوية، و الحث المستمر فـى سبيل رفـع الغبن و الظلم الواقع ، و لقد كان اليتامى معرضين خـاصة لضياع إرثهم و أكله مـن قبل الاوصياء و الاولياء على ما تلهم آيات كثيرة :

منها : قوله عزوجل: «وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدّلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ـ و ابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولاتأكلوها إسرافاًوبداراً أن يكبروا ـ ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً» النساء : ٢ و ٦ و ١٠)

١٨ـ (ولا تحاضون على طعام المسكين)

تأنيب ثان ردعىّ للذين يضنون علـى المساكين و المحتاجين ، وخـاصة بما هم فى حاجة إليه من الطعام الذى فيه حفظ حياتهم ، ولا يحضّ بعضهم بعضاً

علـى ذلـك ، و منشأه حب المـال كما تشير إليه الـآيـة الـآتية : « و تحبون المال...»

و إستشهاد ثان بأن التوسعة قد تؤدّى إلى الخسران مالم يقم الانسان بما يجب عليه من إكرام اليتيم و التحاض على طعام المسكين .

ان تسئل : لماذا ذكر التحاض على الطعام، ولم يكتف بالا طعام فيقول : و لم تطعموا المسكين ؟

تجيب : ليبيّن الله عزوجل ان أفراد الامة الاسلامية متكافلون ، و انـه يجب أن يوصى بعضهم بعضاً بالامر بالمعروف و النهى عن المنكر مع إلتزام كل بفعل ما يأمر به أو ينهى عنه .

١٩- (و تأكلون التراث أكلا لماً)

تأنيب ثالث ردعىّ للذين يشتد فيهم الشره إلى أكل المال دون تفريق بين حق و باطل و حلال و حرام و طيب و خبيث ...

و تقرير لسبب إهمالهم أمر اليتيم و خلوّ قلوبهم من الرحمة بالمسكين، و هو الشره وحب المال الذى يملك عليهم مشاعرهم و يجعلهم يستجيبون أكل الميراث اطلاقاً فلم يكن هذا الاهمال ولا ذاك الخلوّ زهداً فى لذائذ الحياة و تخلصاً من متاعها وعكوفاً على شئون أنفسهم .

وقوله تعالى : «اكلا لماً» كناية انهم كانوا يأكلون إنصباءهم مما لهم من حق فى هذا الميراث ، و إنصباء باقى الورثة مع مالذوى القربـى و اليتامى والمساكين من حق فيه ، فيجمعون بين الحلال و الحرام و يأكلون جميعه غير مستبقين شيئاً لما افترض الله تعالى عليهم فى هذا الميراث الذى جاءهم من غير كدّ ولا عمل، فهو ليس لهم وحدهم، و إنما هو أشبه بلقطة يلتقطونها من عرض الطريق ، و انه من حق من يحضرهم ، وهـم يمدّون أيديهم إلى هذا المال أن ينال نصيباً منه إذا كان من أهل العوز و الحاجة .

و هـذا مـا يشير إليه قـولـه عـزوجـل : « و إذا حضر القسمة اولـو القربى و اليتامـى و المساكين فارزقوهـم منه و قولـوا لهم قولاً معروفـاً » النساء : ٨)

على أن المراد بالقسمة هنا قسمة الميراث ، و المراد برزق اولى القربى و اليتامى و المساكين من هذا الميراث ـ هـو إعطاؤهـم نصيباً منه غير مقدّر بقدر محدود ، و إنما هو فضل و إحسان ...

ولقد أنكروا هذا الحق ، و أكلوا الميراث كله !!!

٢٠- (و تحبون المال حباً جماً)

تقرير تعليلى على طريق العطف لعدم إكـرامهم اليتيم ، و عـدم تحاضهم على طعام المسكين وأكلهم التراث حلالها و حرامها، لان حب الدنيا رأس كل خطيئة .

مع كون الجملة تأنيب رابع ردعـى على طريق ذكـر العام بعد الخاص لشمول حب المال الميراث و غيره دون تفريق بين حلال وحرام .

و قيل : و فـى وصف الحب بالجم دلالـة على أن حب المال و تعلق القلب بتحصيل ما يسدّ الخلة منه غير مكروه ، بل مندوب إليه لبقاء نظام العالم على أن كل السلامة و جلّ الفراغ فى الترك كما هو دأب المتوكلين .

قال الشاعر :

ان السلامة من ليلى و جارتها   أن لا تمرّ على حال بواديها .

و قيل : فهذه أدلة ترشد إلى أنكم لستم علىٰ ما ادعيتم من صلاح وإصلاح ولا أنكم على ملة إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

٢١- (كلا اذا دكت الارض دكاً دكاً)

ردع لأهل الدنيا عن أفعالهم القبيحة بعدد عهم عن مقالتهم السخيفة فى

حالتى السعة و الضيق ، و تنبيه زجرى لما سوف يكون يوم القيامة حيث تندك الارض إندكاكاً شديداً مرة بعد مرة، وردّ لانكبابهم على حب الدنيا وإنكار على شرههم إليها ، فلا ينبغى لهم أن يتركوا إكرام اليتيم و التحاض على إطعام المسكين ، و يأكلوا مال غيره دون حق حرصاً على حب الدنيا ومتاعها كما انه لاينبغى لهم أن يقولوا ما تفوّ لوا فى حالتى الغنى و الفقر .

و ان ذلك ليس هو طريق الفلاح و النجاة ، بل هو طريق الخسران و الهلاك ، و ان ذلك ليبد و لهم جلياً و اضحاً : «إذا دكت الارض دكاً دكاً» .

و فى الجملة و عيد على طريق الاستيناف تعليلا للردع ، و إخباراً عما يقع يوم القيامة من الا هوال العظيمة و الا وصاف العجيبة من إندكاك الارض...

و الغرض من ذلك إما وصف لشدة الانهيار و التدمير الذى يحلّ فى الارض يوم تقوم الساعة ، و إما وصف لهول هذا اليوم و أثر فى الارض .

وفى التعبير عن يوم القيامة بدكّ الارض «دكاً دكاً» إشارة إلى أن مابين أيديهم من متاع الحياة الدنيا سيتحول إلى حطام و أنقاض ، فيكون بعضاً من هذه الارض التى لايبقى على وجهها شيء، مخلّفا و راءه الويل لهم ، و الحساب العسير على ما أكلوا من حقوق ، و ما ضيعوا من واجبات ...

و فى تكرار «دكا» إشارة التتابع أى دكاً بعددك .

٢٢- (و جاء ربك و الملك صفاً صفاً)

وصف ثان من أوصاف يوم القيامة ...

ان تسئل : كيف قال الله عزوجل : «و جاء ربك» و الحركة و الا نتقال من خواص الكائن فى جهة دون جهة ؟

تجيب : هذا على حذف المضاف ، على تقدير : «و جاء أمر ربك» تمثيلا لظهور آيات إقتداره و تبييناً لآثار قهره و سلطانه ، و جعل مجييء أمره جل

وعلا مجيئاً له تفخيماً لشأن أمره.

وفي تعبير الرب «ربك» بدل من «الله» أو غيره من أسمائه الحسنى ايذان إلى أن أمر الحساب و الجزاء من شؤون الربوبية .

وقيل : ان نسبة المجيىء إلى الله تعالى من المجاز العقلي .

٢٣- (و جيىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان و أنى له الذكرى)

في ايثار الفعل : «جيىء» مبنياً للمفعول، و تكرير الظرف «يومئذ» وايثار الفعل المستقبل : « يتذكر » الدال على الاستمرار من التهويل ما لايخفى .

وقوله تعالى : «و أنى له الذكرى» إعتراض جيىء به لتحقيق انه ليس يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في أوانه ...

إذفات الأوان وحم القضاء ، فلا تفيد الذكرى لمن تذهب غفلته ، و تأتي يقظته يوم ذاك .

٢٤- (يقول ياليتني قدمت لحياتي)

مستأنف بياني وقع جواباً عن سؤال نشأمنه كأنه قيل : ماذا يقول عند تذكره ؟

فقيل : يقول : ياليتني عملت في الحياة الدنيا لأجل حياتي في الدار الآخرة لانها دار حيوان .

تقرير للندم الذي تذكر يوماً لاينفعه الندم الذي يملاء القلب حسرة و كمداً و انه النظر اليائس المتحسر إلى سقاء وقد اريق كل ما فيه في وسط صحراء ليس فيها قطرة ماء !!

فلن يغني التمني عنه ، ولا الندم يفيده شيئاً .

وفي قوله تعالى : «لحياتي» إشارة إلى أن هذه الحياة - حياة الآخرة - هي حياة الانسان حقاً و ان الحياة الدنيا ليست إلا معبراً إلى هذه الحياة .

وفى الاية الكريمة إثارة الندم والخوف فى الانسان و حمله على الارعواء قبل فوات الفرصة .

٢٥- (فيومئذ لايعذب عذابه أحد)

تقرير لمآل أمر الكافر وبيان لعاقبة أمر المفرط الجانى جسمياً كناية عن أليم العذاب و شدته بعد ذكر عذابه الروحى، و انه لا عذاب يضاهيه ولا عقاب يماثله، فأين عذاب من عذاب؟ و عقاب من عقاب ؟؟؟

و فيه من الوعيد الشديد و هول عذاب الله تعالى يوم القيامة مالا يخفى على المتأمل الخبير .

٢٦- (ولا يوثق و ثاقه أحد)

كناية عن هول آخر من أهوال يوم القيامة ، وعن نوع آخر من عذابه ، لا يشهد الناس قيداً محكماً و ثيقاً كهذا القيد الذى يقيّدهم الله تعالى به يومئذ، فلا يجدون سبيلا للافلات و الهرب ..

٢٧- (يا أيتها النفس المطمئنة)

شروع بذكر مصير المؤمنين الصالحين ذوى النفوس الطيبة المطمئنة فى الآخرة للمقابلة بمصير الكافرين المفسدين ، و الباغين الآثمين ، ذوى النفوس الخبيثة المنكرة فيها مما جرى عليه الاسلوب القرآنى كثيراً ، وهى قوية رائعة بهتا فها و تلقينها وروحها ، حيث تنطوى على الاشارة بطمأنينة النفس ، وماسوف يلقاه صاحبها من التكريم والرضاء عندالله عزوجلّ .

فحكاية لاحوال من اطمأن بذكرالله تعالى و طاعته وعبوديته وعاقبتها إثر حكاية أحوال من اطمأن بالدنيا و متاعها و أعرض عن ذكرالله تعالى .

ولعل مما تنطوى عليه و يتصل بموضوع الآيات السابقة و خاصة الآيتين: (١٥-١٦)

تلقين التخلق بخلق الاطمئنان و الرضى و عدم الاضطراب بتبدل ظروف

الحياة عسراً و يسراً ، و كون هذا هو ما يجب أن يكون عليه الانسان العاقل في حالتي العسر و اليسر، و هذا الخلق من أقوى المشجعات على مواجهة أحداث الحياة بقلب قوي ونفس رضية ، و التغلب على صعابها ، و من اوتيه فقد اوتي خيراً كثيراً و صار جديراً بهذا النداء الرباني المحبب النافذ إلى الاعماق ...

وواضح ان الآيات تلهمان مثل هذا الخلق وأثره لايكون إلاّ فيمن شع في نفسه الايمان ، و استشعر بعظمة الله تعالى و قدرته الشاملة ، و أسلم النفس و الأمر إليه ، ولم يتوان مع ذلك في القيام بواجبه نحوه و نحو الناس على كل حال .

ووصفت النفس بالاطمئنان لانها تترقى في معارج الاسباب و المسببات إلى المبدإ المؤثر بالذات فتستقرّ دون معرفته و تستغني به في وجودها و سائر شؤنها عن غيره بالكلية .

و ان هذا النداء الكريم الالهي الذي يدعو به الله عزوجل أهل ودّه من وسط هذا البلاء الخانق ، المحيط بالناس يوم القيامة ـ هو قارب النجاة ، الذي يخفّ مسرعاً إلى تلك السفينة الغارقة في هذا البحر اللجي ، فيحمل هؤلاء الذين أكرمهم الله بفضله و إحسانه ، فنجاهم من شر هذا اليوم ، ولقاهم نضرة و سروراً ...

ان هذا النداء الذي يجيىء على فجاءة وسط هذا البلاء لهو أوقع أثراً ، و أبلغ في إدخال المسرة على النفس من أن يجيىء مسبوقاً بمقدمات تشير إليه، وتبشّر به ...

و النفس المطمئنة : هي النفس المؤمنة التي لايستبد بها القلق في أيّ حال من أحوالها في السراء أو الضرّاء إنها في حال واحدة أبداً من الرضا بما قسم الله جل وعلالها ...

فهي في السراء شاكرة حامدة، و في الضراء صابرة راضية، فلا الغنى يطغيها، و يخرج بها عن طريق الاستقامة ، ولا الفقر يسخطها و يعدل بها عن الاطمئنان إلى قضاء الله عزوجل فيها ، و حكمه عليها ...

انها نفس مطمئنة ثابتة على حال واحدة في ايمانها بالله عزوجل ورضاها بما قسم لها ، و هذا الاطمئنان و ذلك الرضا ، لا يجد هما إلاّ المؤمنون بالله تعالى المتوكلون عليه ، المفوضون امورهم إليه ...

فالاطمئنان الذى تصيبه بعض النفوس ، و يكون صفة غالبة عليها ، هـو ثمرة الايمان الوثيق بالله القائم على اصول ثابتة من المعرفة بالله سبحانه وتعالى وقاله جلّ شأنه من سلطان مطلق متمكن، قائم على كل ذرة في هذا الوجود، وأنّه لايقع في هذا الوجود شيء إلاّ بتقديره سبحانـه ، و بمقتضى حكمته و علمه و علله .

قيل : وقد نودى الانسان هنا بنفسه ولم يناد بذاته لأن النفس هي جوهره السماوى ، وهى التى كانت موطن الايمان و الاطمئنان ...

وهي لهذا استحقت أن ترجع إلى ربها، و أن تنزل منازل رضوانه، إذلم تغرق في تراب الارض، ولم تضع معالمها فيه ، كما ضاعت نفوس الضّالين والغاوين...

٢٨- (ارجعي الى ربك راضية مرضية)

و صفان آخران للنفس، و هي راضية بما لقيها به ربها من إكرام وإحسان ومرضية إذرضى عنها ربها بما قدمت من أعمال طيبة ...

وفي الجمع بين صفة الرضا للنفس، و الرضا من الله عزوجل عنها - إشارة إلى أن هذا الرضا الذى تجده النفس هو رضا دائـم متصل لانه مستمد من رضا الله تعالى عنها ، و انه ليس مجرد شعور يطر قها أو خاطر يطوف بها ثـم يذهب هذا الشعور ، و يغيب هذا الخاطر مع موجات الخواطر و المشاعر التى تموج في كيان الانسان ...

كلا انه رضا لاينقطع أبداً ...

و قيل : توصيف النفس بالراضية لأن إطمئنانها إلى ربها يستلزم رضاها بما قدّر ، و قضى تكويناً أو حكم به تشريعاً ، فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية ، و إذا رضى العبد عن ربه رضى الرب عنه إذ لايسخطه تعالى إلاّ خروج العبد من زىّ العبودية ، فاذالزم طريق العبودية استوجب ذلك رضى ربه، ولذا عقّب قوله : «راضية» بقوله : «مرضية» .

٢٩- (فادخلى فى عبادى)

تفريع على قوله عزوجل: «إرجعى إلى ربك» وتقرير لجميل عاقبة أصحاب النفس المطمئنة و هتاف بهم بأن مكانهم هو بين عباد الله الصالحين، و فيه دلالة على أن صاحب النفس المطمئنة فى زمرة عبادالله عزوجل حائز مقام العبودية ، و ذلك انه لما اطمأنّ إلى ربه إنقطع عن دعوى الاستقلال ، و رضى بما هوالحق من ربه ، فرآى ذاته و صفاته و أقواله و أفعاله ملكاً طلقاً لربه تعالى ، فلم يرد فيما قدّر وقضى ولا فيما أمر ونهى إلاّ ما أراده ربه ، و هذا ظهور العبودية التامة فى العبد ، ففى قوله عزوجل : « فادخلى فى عبادى » تقرير لمقام عبوديتها .

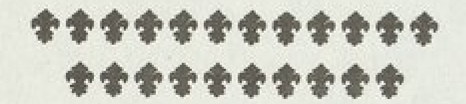
وهذا نسبة تشريف وتعظيم وتكريم .

٣٠-(وادخلى جنتى)

دعوة إلى مستقر النفس المطمئنة وتعيينه، فتأخذ مكانها بين عبادالله الصالحين الذين أضافهم الله جل وعلا إليه ، و جعلهم فى مقام كرمه و إحسانه ، و أدخلهم جنته التى أعدّها لهم، فلتأخذ هى مكانها معهم من تلك الجنة ، ولتنعم بماينعم به عبادالله المكرمون من نعيم لم تره عين، ولم تسمع به اذن، ولم يخطر على قلب بشر ...

جعلنا الله عزوجل منهم و ألحقنابهم انه أهل التقوى و أهل المغفرة بحق محمد و أهل بيته المعصومين صلوات عليهم أجمعين.

وفى إضافة الجنة إلى ضمير التكلم : «جنتى» تشريف خاص، ولا يوجد فى كلام الله تعالى إضافة الجنة إلى نفسه سبحانه إلاّ فى هذه الآية الكريمة.



﴿الاعجاز﴾

و اعلم ان السورة التى تقرأها هى أول سورة اشير فيها إلى قصة عاد و ثمود إجمالا تمهيداً لما يأتى تفصيله، و ثانى سورة اشير فيها إلى قصة فرعون إذ جاء ذكره فى سورة «المزمل» إذقال تعالى: «إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلا»: ١٥-١٦)

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم هو الاخبار عن القرون السالفة و الامم البائدة و الشرائع الدائرة بما كان لايعلم منه القصة الواحدة إلاّ الفذمن أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك مع إختلاط غثّها بسمينها ، فأوردها القرآن المجيد على وجهها ، و أتى بها على نصّها يعترف العالم منهم بصحتها و صدقها ، و ان مثلها لم ينلها بتعليم .

وقد علموا أن محمداً رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان امّيّاً لايقرأو لايكتب ولا اشتغل بمدارس ، ولا بتعلم من أحد ، وهو كان غير غائب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم : « و ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك » العنكبوت : ٤٨)

وقد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسئلونه صلى الله عليه وآله وسلم فينزل إليه من القرآن الكريم ما يتلوه عليهم كقصص الانبياء مع قومهم ، وخبر موسى والخضر ويوسف و إخوانه ، و أصحاب الكهف وذى القرنين و لقمان و إبنه ، و ما إليها من

القصص ... و بدء الخلق و ما في التوراة و الانجيل و الزبور وصحف إبراهيم و موسى مماكان العلماء يصدّقونه ، و ما كانوا قادرين على تكذيب ما جاء به الوحي السماوي ، فالسعيد منهم كان يؤمن به ، والشقي منهم كان يحسد ، و يضلّ عن سواءِ السبيل و مع هذا ما حكى عن واحد من النصارى و اليهود مع شدة عداوتهم له ﷺ ، و حرصهم على تكذيبه ، و طول إحتجاجه عليهم بما في كتبهم و تقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم ، و كثرة سئوالهم له ﷺ و تعنيتهم إياه عن اخبار أنبيائهم و أسرار علومهم و محتويات كتبهم كسئوالهم عن الروح و ذي القرنين و أصحاب الكهف وعيسى و حكم الرجم و ما حرّم إسرائيل على نفسه، وماحرّم عليهم من الانعام و ما إليها من الأسئلة ...

أجابهم محمد رسول الله الخاتم ﷺ عن ذلك كله بوحي إلهي من القرآن الكريم، وما أنكره عليه أحد منهم، بل كان أكثرهم يصرح بصحة نبوته ﷺ و يعترف بعناده وحسده و لجاجه ... كأهل نجران و إبن صوريا وإبني أخطب و غيرهم ...

«فلما جاء هم ماعرفوا كفروا به - الذين آتينا هم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناء هم و إن فريقاً منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون» البقرة : ٨٩ـ١٤٦)

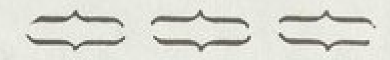
و جدير أن تنظر كيف جاء بها على طرق مختلفة ، و أنحاء متفاوتة ، و أساليب متباينة ، و نظام متمايزة ، و تراكيب متشعبة، كل واحد إذا رأيته قلت: هو الغاية و إذا انتهيت إليه حسبته النهاية .

و في ذلك إظهار لعظيم القدرة ، و تبيان لمعجز القوة ، و باهر السطوة ، و انه مرتبة إلهية ، و منزلة إلهامية تعجز عنها البشر ، و تضعف دونها القوى و القدر .

ومنه تعرف أحد وجوه تكرار القصص : إجمالها و تفصيلها ، و سر ذلك

الاستمرار ، وهذا باب واسع عظيم من معجزاته، و سر جليل من أسرار بلاغاته، ثم إذا ترددت قصص القرآن الكريم إختلفت العبارات عنها حتى تكاد كل واحدة تنسى فى البيان صاحبتها ، و تناصف فى الحسن وجه مقابلتها ،ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها .

ثم انظر كيف جمع الله عزوجل بين عاد وثمود و فرعون فى سياق قصة واحدة . فكان من إعجاز النظم القرآنى أن يجمع عذابهم ، و ما أخذ به كل فريق منهم فى إناء واحد، وأن يصبّه عليهم جميعاً، فاذا وقع بهم أخذ كل فريق لون العذاب المسلط عليه !!!



﴿التكرار﴾

فى المقام بيان امور :

أحدها ـ ان السور التى إفتتحت بواو القسم خمس عشرة سورة :

١ـ سورة الصافات. ٢ـ سورة الذاريات. ٣ـ سورة الطور. ٤ـ سورة النجم.

٥ـ سورة المرسلات. ٦ـ سورة النازعات ٧ـ سورة البروج. ٨ـ سورة الطارق.

٩ـ سورة الفجر . ١٠ـ سورة الشمس . ١١ـ سورة الليل . ١٢ـ سورة الضحى .

١٣ـ سورة التين . ١٤ـ سورة العاديات . ١٥ـ سورة العصر .

مضافاً إلى سوريس، وص، والزخرف، وق، والقلم، والقيامة والبلد .

ثانيها : ان السور التي يشتمل كل واحد منها على ثلاثين آية ثلاث سور:

الاولى : سورة السجدة .

الثانية : سورة الملك .

الثالثة : سورة الفجر .

ثالثها : و قد اشير فى القرآن الكريم إلى قصة عاد ـ و هم قوم هود ـ نحو : ٢٤/ مرة ، و إلى قصة ثمود ـ و هم قوم صالح ـ نحو : ٢٦/ مرة ، و إلى قصة فرعون طاغى مصر وقومه نحو : ٧٤/ مرة على طريقى الاجمال و التفصيل حسب حكمة التنزيل بسبب تكرر المناسبات و المواقف لاهداف عديدة :

منها : تثبيت النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و دعوته إلى التأسى .

ومنها : إنذار الكفار وتذكيرهم ماحل بمن سبقهم من الطغاة المستكبرين، و البغاة المستبدين ، و العصاة المجرمين .

ومنها : عبرة و عظة و إلزام و إفحام للآخرين ... لان الناس يتأثرون بالامثال و الاحداث و القصص التى تتكرر مالا يتأثرون بذكرها مرة واحدة .

وغيرها من الاهداف و العلل التى أوردناها فى محلها فراجع .

رابعها ـ قال الله عزوجل : «فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه» الفجر : ١٥)

و قال بعدها : «و أما إذا ما ابتلاه» : ١٦) لان التقدير فى الثانى أيضاً : و أما الانسان فاكتفى بذكره فى الاول ، و الفاء لازم بعده لان المعنى: مهما يكن من شيء فالانسان بهذه الصفة لكن الفاء أخر ليكون على لفظ الشرط و الجزاء، و سرّ الشرط و الجزاء بيان فهم الانسان حكمة الله عزوجل فيه ، و أنه خاطىء فى نسبة الاهانة إلى الله تعالى ، بل أهان الانسان نفسه بعدم إكرام اليتيم، وعدم التحاض على طعام المسكين عند الفقد ، و أكل التراث من غير حق كل ذلك لحب المال و الحرص على الدنيا و متاعها ...

خامسها ـ و قد تكرر فى القرآن الكريم كثيراً حكاية ما سوف يصدرمن الكفار و مقترفى الآثام من ندم و حسرة على ما فعلوه حينما يرون مصيرهم الرهيب يوم القيامة بأساليب مختلفة و نظام متنوعة متمايزة... كما تكرر الانذار بأنه لن يغنى فى الآخرة أحد عن أحد، و المتبادر ان تلك الأساليب مع ما تنطوى عليه من حقيقة ايمانية مغيبة قد استهدفت فيما استهدفته من إثارة الندم و الخوف فى هذه الفئة و حملها على الارعواء قبل فوات الفرصة و الندم حيث لاينفع الندم، و كذلك تكرر فيه ذكر و قوف الناس بين يدى الله جل وعلا يوم القيامة ، أو مجيئه لذلك ، و إصطفاف الملائكة حوله فى مشهد الحساب و الجزاء يوم القيامة بأساليب متنوعة ...

منها : ما فى هذه السورة الكريمة : « كلا إذا دكت الارض دكاً دكاً - ولا يوثق و ثاقه أحد» : ٢١-٢٦)

و المتبادر أن هذا مع ماينطوى عليه من حقيقة ايمانية مغيبة قد استهدف التأثير بالسامعين بخطورة المشهد القضائى الأخروى العظيم لان الله منزه عن مفهوم المجيىء و الرواح و الوقوف و الجلوس ، وغير ذلك من أفعال الخلق و صفاتهم ، و المتبادر ان حكمة التنزيل إقتضت هدا الاسلوب للتقريب والتمثيل لان الناس قد اعتادوا فى الحياة الدنيا عقد مجالس قضائية لمحاكمة الفجار و المجرمين ، و الكفار و المستكبرين ، و الفساق و المتمردين ... و عقوباتهم ، و قد يكون الشأن فى هذا هو مثل وصف الجنة والنار بأوصاف إعتادها الناس فى الدنيا للتقريب و التمثيل و التأثير فى السامعين .

سادسها - و نحن نشير فى المقام إلى صيغ إحدى عشرة لغة - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة - جائت فى هذه السورة و فى غيرها من السور القرآنية :

١- جاءت كلمة (الفجر) على صيغها فى القرآن الكريم نحو : ٢٤ مرة :

٢- « « (العشر) « « « : ٢٨ مرة :

٣- « « (الشفع) « « « : ٣١ مرة :

٤- « « (الوتر) « « « :ثلاث مرات:

١- سورة الفجر:٣) ٢- سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم :٣٥) ٣- سورة المؤمنون:٤٤)

٥- « « (إرم) « « « :مرة واحدة:

وهى فى سورة الفجر : ٧)

٦- « « (الفجر) « « « :ثلاث مرات:

١- سورة الفجر: ٩) ٢- سورة الكهف: ٦٣) ٣- سورة لقمان : ١٦)

٧- « « (السوط) « « « :مرة واحدة:

وهى فى سورة الفجر : ١٣)

٨- « « (الرصد) « « « :ست مرات:

١- سورة الفجر : ١٤) ٢ و٣- سورة الجن: ٩ و٢٧) ٤ و٥- سورة التوبة

٥و١٠٧) ٦- سورة النبأ : ٢١)

٩- « « (الجم) « « « :مرة واحدة:

وهى فى سورة الفجر : ٢٠)

١٠- « « (الدك) « « « :سبع مرات:

١-٣- سورة الفجر: ٢١) ٤- سورة الاعراف: ١٤٣) ٥ و٦- سورة الحاقة:

١٤) ٧- سورة الكهف : ٩٨)

١١- « « (الاطمئنان) « « « : ١٣ مرة:

﴿ التناسب ﴾

و اعلم أن البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة و ما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة و ما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها :

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة «الليل» فلما اشير فى سورة «الليل» إلى إختلاف مساعى الناس حسب العقيدة و العمل و تحزبهم بحزبين : حزب الرحمن و هم أهل التقوى و الاحسان ، و أهل الهداية و الرضوان ، و حزب الشيطان وهم أهل البخل والكفر، وأصحاب الشقاء والاعراض عن الحق من أهل الدنيا و أبنائها ...

جاءت هذه السورة للتقرير بأن الله عزوجل رقيب يراقب أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم... على طريق الاقسام الربانية، والتأكيد، فالله تعالى غير غافل عن سعيهم الشتى : خيره و شره ، صالحه و فاسده ، صغيره و كبيره ، ظاهره و خفيه ... مع الاشارة إلى مآل أمر الحزبين يوم القيامة : إما الجنة و نعيمها ، و إما جهنم و عذابها .

وأما الثانية : فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصحفاً فامور :

أحدها ـ انه لما اشير فى سورة الغاشية إلى العذاب الدنيوى لأهل

الكفر و الطغيان و انذروابه تلويحاً ، استشهد عليه فى هذه السورة بما فعل بعاد و ثمود وفرعون الطاغين ...

ثانيها - ان القسم الذى فى أول هذه السورة كالدليل على صحة ما تضمنته خاتمة السورة السابقة من الوعد والوعيد .

ثالثها - ان هذه السورة إمتداد لعرض آيات من قدرة الله عزوجل التى اشير إليها فى السورة السابقة ، و ما أخذ به المكذبين بالحياة الآخرة الذين لم يؤمنوا بالله تعالى ، ولم يصد قوابما جاء هم على يد رسل الله جل وعلا من آيات مبصرة ...

رابعها - انه لما ذكر فى السورة السابقة الوجوه الخاشعة و الوجوه الناعمة لسعيها راضية ، أخذ فى هذه السورة بذكر طوائف من المكذبين المتجبرين الذين وجوههم خاشعة، وطوائف من الذين وجوههم ناعمة وأنفسهم مطمئنة راضية مرضية.

خامسها - انه لما جاءت سورة الغاشية بتذكير الناس بالآخرة و عيداً للكافرين ، و بشرى للمؤمنين ، و بالاشارة إلى تبعة الكفر و عاقبة الايمان ، اشير فى هذه السورة إلى القرون السالفة و الامم البائدة من قوم عاد و ثمود و فرعون و أحزابه المتجبرين المفسدين فى الارض ، فجائتهم التبعة، فصبّ عليهم سوط العذاب فى الحياة الدنيا و عيداً لمشركى قريش ، و متجبرى هذه الامة .

سادسها - ان الله تعالى لما ختم سورة الغاشية بأن إياب الخلق إليه و حسابهم عليه إفتتح هذه السورة بتأكيد ذلك المعنى إذ اقسم انه لبالمرصاد.

و أما الثالثة : فلما إفتتحت السورة بالاقسام الربانية المؤكدة: «والفجر- لذى حجر» : ١-٥)

أخذت بذكر بعض قصص الامم السالفة من قوم عاد و ثمود و فرعون الذين عاندوا الله تعالى و رسله و لجّوا فى طغيانهم ، فصبّ الله جل وعلا عليهم بسوط العذاب إخباراً بأنه غير غافل عن سعى العباد ليكون فى ذلك زجر لهؤلاء المكذبين الطاغين ، و تثبيت للمؤمنين الذين اتبعوا الرسول ﷺ و نصروه ، و تطمين لقلوبهم بأن أعدائهم سيلقون ما يستحقون من الجزاء والنكال كما أن هؤلاء السالفين لم يتر كواسدى : «ألم تر كيف فعل ربك بعاد ـ ان ربك لبالمرصاد» : ٦ـ١٤)

فمناسبة قصة عاد وثمود وفرعون لما قبلها هى انها تعرض قضية من القضايا التى تستحق من العقل أن يناقشها، و أن يستحضر وجوده كله لها، وذلك بعد أن استدعى هذا الاستدعاء القوى الذى شدّ إليه بالقسم لينظر فى الزمن ، و ماتلد آناته و لحظاته من عجائب ...

و ان القضية التى يدعى إليها العقل هنا هى سنة من سنة الله عزوجل فيما يأخذ به أهل الزيغ و الضلال من بأساء و ضراء فى الحياة الدنيا ، و ما أعدّ لهم فى الآخرة من نار جهنم و عذابها ...

وفى عاد و ثمود و فرعون يتمثل وجه كريه من وجوه الكفر والضلال و العتو ... و قد أخذهم الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ، فاقتلعهم من جذورهم ، و قطع نسلهم ، و أتى ما بنوا و شيّدوا ...

ان الله تعالى لما ذكر انه بمرصد من أعمال عباده : خيرها و شرها ، صالحها و فاسدها ، صغيرها و كبيرها ، ظاهرها و خفيها ...

أخذ بذكر شأن من شئون الانسان : «فأما الانسان ـ فيقول ربى أهانن»: ١٥ ـ ١٦)

بأن منهم من لايهتمّ إلاّ بأمر الدنيا و شهواتها ، و وبّخه على قلة

إهتمامه بأمر الآخرة و فرط تماديه فى إصلاح المعاش، و غفلته عن إصلاح المعاد .

كأنه قيل : نحن مترقبون لمجازاة الانسان على ماسعى ، فأما هو فانه لايهمه إلاّ الدنيا و متاعها ، فان وجدراحة فرح بها ، و إن مسّه ضرّ كند .

فاذا أنعم الله تعالى عليه و أوسع له الرزق ظن انه قد إصطفاه ورفعه على من سواه ، و جنبه منازل العقوبة ، فيذهب مع هواه ويفعل ما يشتهى ، ولا يبالى أكان ما يصنع خيراً أم شراً فيطغى و يفسد فى الارض ، و إذا ضيق عليه الرزق يقول : ربى قد أهانني ، و من أهانه الله تعالى صغرت قيمته لديه و منزلته عنده ولم يكن له عناية بعمله ، فكيف يؤاخذه بما يصدر منه من شر أو يكافئه على ما يصنع من خير فلا شكره يكافأ باحسان و كفره يجازى بعقوبة، فينطلق يكسب عيشه بأىّ وسيلة عنّت له، ولا تحجزه شريعة ولا يقف أمام قانون ، فيسلك سبيل الجبارين و يبخس الحقوق و يفسد نظام المجتمع البشرى .

ولا يزال أكثر أحوال الناس هكذا كما وصف الله تعالى، فأرباب السلطان و الثروة ، أصحاب المقام و الرئاسة ، و أهل الاشتهار والحكومة الجابرة يظنون أنهم فى أمن من عقاب ربهم ، ولايذكرونه إلاّ بألسنتهم ، ولا يعرف له سلطان على قلوبهم ، و الفقراء المستضعفون ، و الا ذلاء المحتاجون ... صغرت نفوسهم عند أنفسهم لايبالون ماذا يفعلون ؟

ثم ردّ عليهم بذكر ماهو سبب إهانتهم و زجرهم عما كانوا يرتكبون من المنكرات من قسوة قلوبهم ، و إستهانتهم بشئون اليتامى و المساكين و تكالبهم على جمع المال من حلال و حرام و حبهم بمتاع الدنيا : «كلا بل لا تكرمون اليتيم ـ و تحبّون المال حباً جماً» : ١٧-٢٠)

ثم هدّدهم الله جل وعلا بما سير و ونه من إندكاك الارض ، و أهوال يوم

القيامة ، و تبعة كفرهم و طغيانهم ، و ما يأتيهم من الندم و الحسرة ، هذا لمن انحطّ و شقى بسوء إختياره فى الحياة الدنيا: «كلا إذا دكت الارض دكاً دكاً- ولا يوثق وثاقه أحد» : ٢١-٢٦)

و أما السعيد فأخذت السورة فى ختامها بذكر حاله : و هو الذى إرتقى و اكتمل و سمت نفسه إلى مدارج الكمال و مراتب الفلاح ، فاطمأنّ إلى معرفة خالقه ، و استعلى برغائبه إلى المطامح الروحية، و رغب عن اللذات الجسمانية، فكان فى الغنى شاكراً لايتناول إلاّ حقه ، و فى الفقر صابراً لايمدّ يده إلى مالغيره فكان راضياً فى الحياة الدنيا ، فلا محالة هو مرضى فى الدار الآخرة ، و كان داخلا فى زمرة الصالحين المكرمين من عباد الله جل وعلا فى الجنة العالية، رزقنا الله جل وعلا إياها بحق محمد و آله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .



﴿الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أومنسوخاً.

و أما التشابه فقيل: إن قوله تعالى: «و جاء ربك و الملك صفاً صفاً» الفجر: ٢٢)

آية متشابهة يحكمها قوله جل و علا: «ليس كمثله شيء» الشورى: ١١)

و إلى ذلك يرجع ماورد في الروايات الآتية: ان المراد بمجيئه تعالى مجيىء أمره سبحانه.

﴿تحقيق فى الاقوال﴾

١- (والفجر)

فى «الفجر» أقوال :

١- عن إبن عباس و عكرمة و الحسن و مجاهد و السدى و الجبائى : هو فجر الصبح و هو إنفجار الظلمة عن النهار فى كل يوم.

و ذلك ان أصل الفجر هو : الشق الواسع سواء كان فى الخير أم كان فى الشر ، و منه الفجور فانه شق و اسع لستر العفاف ، و من شقه الخير شق ظلام الليل و اسعاً يتبين خيط الابيض من الخيط الاسود ، ثم يتوسع إلى إنمحاء ظلم الليل كلها ، فالمراد بالفجر جنسه يشمل لكل فجر من كل ليلة ، فالفجر هو الوقت الذى ينشق فيه الضوء و ينفجر النور ، و قد أقسم الله جل وعلا به لما يحصل فيه من إنقضاء الليل المظلم وظهور الضوء ، وما يترتب على ذلك من منافع كانتشار الناس و سائر الحيوان من الطير و الوحش لطلب الرزق .

٢- عن إبن عباس أيضاً : الفجر : هو النهار كله ، و عبّر عنه بالفجر لأنه أوّل له .

٣- عن إبن عباس أيضاً : الفجر هو صلاة الفجر ، و إنما أقسم الله تعالى بها لأنها تصلى فى مفتتح النهار و تجتمع لها ملائكة النهار و ملائكة الليل إذ قال الله عزوجل : «ان قرآن الفجر كان مشهوداً» أى تشهده ملائكة الليل و ملائكة النهار بقراءة القرآن أو بقرائته فى الصلاة .

٤ـ عن عكرمة : اريد بالفجر الصلاة التي تفعل عند فجر يوم النحر .

٥ـ عن إبن عباس ومجاهد والسدي أيضاً و الضحاك و الكلبي : الفجر هو فجر ذي الحجة لأن الله تعالى قرن الأيام به فقال : «وليال عشر» هو ليال عشر من ذي الحجة .

٦ـ عن محمد بن كعب القرظي و مسروق : الفجر هو آخر أيام العشر إذا دفعت من جمع .

٧ـ عن إبن عباس و مجاهد أيضاً و أبي مسلم : الفجر: هو فجر يوم النحر لانه يقع فيه القربان و يتصل بالليالي العشر . و عن عكرمة أيضاً : أي إنشقاق الفجر من يوم جمع و هويوم عرفة اقسم الله تعالى به لان الله عزوجل جعل لكل يوم ليلة قبله إلاّ يوم النحر ، فلم يجعل له ليلة قبله ، ولا ليلة بعده لان يوم عرفة له ليلتان : ليلة قبله ، و ليلة بعده ، فمن أدرك الموقف ليلة بعد عرفة ، فقد أدرك الحج إلى طلوع الفجر : فجر يوم النحر ، فالمراد بالفجر هنا فجر ليلة خاصة .

٨ـ قيل : الفجر هنا هو فجر شمس الرسالة المحمدية و مطلع الولاية العلوية إلى طلوع فجر قيام المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٩ـ عن إبن عباس أيضاً و قتادة و يمان : الفجر هنا هو فجر المحرم أقسم الله تعالى به لانه أول يوم من كل سنة فتنفجر منه السنة ، و بالمحرم تعلم حرية الدين الاسلامي حرية درّسها سيد الاحرار سبط المصطفى ، سيد الشهداء الامام الحسين بن علي عليه السلام ففي فجر عاشوراء المحرم بداية التضحية و الفداء في إعلاء كلمة الحق و إدحاض كلمة الباطل ، في تحرير الانسانية عن عبودية الأهواء و الشهوات و دعوتها إلى عبودية الله عزوجل ، و في نجاة المجتمع البشري من الانحطاط و الذلة والهوان وايصاله إلى الكمال و العزة و السيادة... وفي مدرسة العاشوراء تتفجّر الامة الاسلامية في وجه الظلم و الطغيان ، في وجه البغي و

الاستكبار، في وجه الجرم و الاستبداد، في وجه الفساد و العصيان، و في وجه الكفر و الكفران ... طول التاريخ. فاريد بالفجر هنا فجر ليلة خاصة.

١٠- قيل: الفجر هو فجر العيون التي تنفجر منها المياه اقسم الله تعالى بها لان فيها حياة الاحياء و النباتات، و خلق الله عزوجل من الماء كل شيء حيّ.

١١- قيل: اريد بالفجر فجر العقول و الأفكار عن ظلمات الجهل و الأهواء، وعن ظلمات الضلالة والشهوات ...

١٢- قيل: اريد بالفجر هنا فجر ليالي خاصة كما يناسب الليالي العشر من ذي حجة الحرام، و في فجر ليلة الأضحى يعدّ الحاج نفسه ليفجر ظلمات الموت من حيونة الحياة إلى نور الحياة حياة بالله جل وعلا و في سبيله و بقاء بالله موتاً في الجسد و حياة في الروح.

١٣- قيل: اريد بالفجر فجر ليالي خاصة و هي الليالي العشر الاولى من محرم الحرام.

١٤- قيل: اريد بالفجر فجر ليالي خاصة هي الليالي العشر الاخرى من رمضان المبارك، و في فجر رمضان - عامة - يلتقي الفرضان: قرآن الفجر (صلاة الصبح) و الصوم و فجر ليلة القدر منه هو منتهى مطاف السلام في نزوله، و بداية تحقيق السلام منذ حصوله.

١٥- قيل: الفجر هو ساعة تنفس الحياة في يسر وعافية، وفرح و إبتسام كان تفتحه إبتهال بدلال.

١٦- قيل: الفجر هنا هو فجر يوم الجمعة. على تقدير: و رب الفجر.

أقول: و على الاول أكثر المفسرين ولكن ما يناسب الليالي العشر أن يكون المراد بالفجر ليال خاصة، و أما بقية الاقوال فمن المصاديق الواقع التأويلي للفجر.

٢- (وليال عشر)

فى «ليال عشر» أقوال :

١- عن إبن عباس و مجاهد والسدى و الضحاك و الكلبى و الحسن وقتادة و عكرمة و إبن زيد : انها العشر الاولى من ليالى الاول من ذى الحجة التى تتم فيها مناسك الحج ...

٢- عن إبن عباس و إبن زيد أيضاً و يمان : انها العشر الاولى من المحرم التى عاشرها يوم عاشوراء .

٣- عن إبن عباس و الضحاك أيضاً : انها الليالى العشر من آخر شهر رمضان المبارك .

و قيل : و لذلك سنّ فيها الا عتكاف و فيها ليلة القدر و كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأخير شدّ المئزر و أيقظ أهله أى كفّ عن الجماع و أمر أهله بالتهجد . و فى تلك الليالى بدأ بنزول القرآن الكريم ، و فيها ليلة القدر .

٤- قيل : انها الليالى العشرات الثلاث : من عشر الاول من ذى الحجة ، و عشر الاول من المحرم و عشر الاخر من رمضان المبارك .

ولا يخفى ان كلا من هذه العشرات الثلاث مبارك فى التعاليم و التقاليد و الآثار و الشعائر الاسلامية ...

٥- قيل: انها الليالى العشر الاولى من كل شهر حيث يبدو فى أولها الهلال ثم يكبر ثم يكبر كما يبدو الفجر خيطاً من نور ثم يتسع ، و فى ذلك توافق بين الفجر و الهلال .

و قيل : هى عشر ليال يتشابه حالها مع حال الفجر ، فيكون ضوء القمر فيها مطارداً لظلام الليل إلى أن تغلبه الظلمة كما يهزم ضوء الصبح ظلمة الليل حتى يسطع النهار و لايزال الضوء منتشراً إلى الليل الذى بعده ، و ضوء الأهلة

فى عشر ليال من أول كل شهر يشق الظلام ثم لايزال الليل يغالبه إلى أن يغلبه، فيسدل على الكون حجبه ، و هذه الليالى العشر غير متعينة فى كل شهر ، فان ضوء الهلال قد يظهر حتى تغلبه الظلمة فى أول ليلة من الشهر ، و قد يكون ضئيلا يغيب ضوؤه فى الشفق ، فلا يعدّ شيئاً ، و بالجملة - ان الليالى العشر تارة تبتدىء من أول ليلة و اخرى من الليلة الثانية .

٦- قيل : انها العشرات الثلاث الاوائل من أشهر الحج الثلاثة : من شوال و ذى القعدة و ذى الحجة .

٧- قيل : هى الليالى العشر من أول شهر رمضان المبارك ، وهى التى بدء بنزول القرآن الكريم فيها .

٨- قيل : اريد بها عبادة ليال عشر على تقدير أن يراد بالفجر صلاة الفجر .

٩- عن إبن عباس أيضاً: أى وليالى أيام عشر. على قراءة الاضافة والحذف.

١٠- عن مجاهد أيضاً و مسروق : انها عشر ليالى موسى التى كانت من الليالى الأربعين التى واعده الله تعالى فيها إذ قال جل وعلا : «و واعدنا موسى ثلاثين ليلة و أتممناها بعشر» الاعراف : ١٤٢) قيل : وهى أفضل أيام السنة .

١١- قيل : انها ليال عشر مقتطعة من ليالى الزمن على إمتداده فهى إذن ليست ليال على صفة خاصة ، و لهذا جاءت منكّرة ، فهى تشمل الليالى العشر الاولى من أول كل شهر قمرى و الليالى العشر فى وسطه و الليالى الأخيرة منه ، فهى عشر فى أول الشهر القمرى و عشر فى وسطه و عشر فى آخره ، ويكاد يكون سلطان القمر فى العشر الليالى من الشهر ، و فى العشر الأواخر منه ، يكاد يكون سلطانه على حدّ سواء فيهما من حيث غلبة الظلام عليه ... أما عشر الليالى المتوسطة بين العشر الاولى و الأخيرة ، فهى التى يكون سلطان القمر فيها غالباً على ظلام الليل .

أقول: والاول هو المروى و عليه أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

٣- (و الشفع و الوتر)

و قد إنتهت الاقوال فى «الشفع و الوتر» إلى نحو ستين قولاً :

١- عن إبن عباس و عكرمة و الضحاك : الشفع : يوم النحر لانه عاشر أيام ذى الحجة و هو شفع ، و الوتر : يوم عرفة لانه التاسع من ذى الحجة و هو وتر .

وقيل : الشفع هو يوم النحر لانه مشفع بيوم نحر بعده ، و الوتر هو يوم عرفة لانه ينفرد بالموقف .

٢- قيل : الشفع : يوم التروية و الوتر يوم عرفة .

٣- قيل : الشفع هو يوم عرفة و يوم النحر ، و الوتر هو ليلة يوم النحر.

٤- عن إبن زبير : الشفع : النفر الاول ، و الوتر يوم النفر الأخير و هو الثالث ، و أما الليالى العشر فالثمانى من ذى الحجة و عرفة و النحر .

٥- عن عطاء : الشفع يوم عرفة ، و الوتر ليلة الاضحى .

٦- عن إبن زبير أيضاً وإبن زيد: الشفع: يومان بعد يوم النحر، و الوتر: يوم النفر الآخر .

قال الله تعالى : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه و من تأخر فلا إثم عليه» البقرة: ٢٠٣)

٧- عن الضحاك و عطاء أيضاً : الشفع عشر ذى الحجة و الوتر أيام منى الثلاثة .

٨- عن إبن عباس أيضاً و مجاهد و إبن زيد و الجبائى ، و إبن سيرين ، و مسروق و أبى صالح و قتادة و عطية العوفى : الشفع : الخلق كله بما له من الشكل و المثل و الزوج لقوله تعالى : «و خلقناكم أزواجاً» وقوله : «و من كل

شيء خلقنا زوجين» و الوتر هو الله الخالق الفرد الذى لا مثل له .

و الشفع : هما الكفر و الايمان ، و الشقاء و السعادة ، و الضلال والهدى، و الظلمة و النور، و الليل و النهار، و الحرو البرد ، والشمس و القمر، والصيف و الشتاء ، و الارض و السماء ، و الجن و الانس ، و الحق و الباطل ، و السواد و البياض ، و الذكر و الانثى ، و البحر و البر ...

و ذلك ان الشفع هو الشيء المنضمّ إلى مثله . شفعاً فى الكيان المادى كالكائنات المادية كلها ، أو شفعاً فى الماهية كالأشباه أو شفعاً فى إستمرار الحيوية و إزدواجيتها كالازواج ، أو شفعاً فى النجاح كالشفعاء أو غيرها ، فالشفع إذاً يعمّ الكائنات المخلوقة كلها لانها لا تخرج عن شفع من الأشفاع...

و الوتر هو الفرد ، ولكل وتر شفعه كما إن لكل شفع وتره فالوتر فى كيانه - لكل - هو الله جل وعلا و قال : «قل هوالله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» و قال النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «ان لله تسعة و تسعين إسماً والله وتر يحب الوتر» وعن أبي بكر الورّاق: الشفع تضاد أوصاف المخلوقين: العزّ و الذلّ ، و القدرة و العجز ، و القوة و الضعف ، و العلم و الجهل، والحياة والموت ، و البصر و العمى ، و السمع و الصمم ، و الكلام و الخرس .

و الوتر إنفراد صفات الله تعالى : عز بلا ذلّ ، و قدرة بلا عجز ، وقوّة بلاضعف ، و علم بلا جهل ، و حياة بلاموت ، و بصر بلا عمى ، و كلام بلاخرس ، و سمع بلا صمم و ماوازاها ...

و شفعه خلقه أجمع ، و خاصة شفع الرسالة المحمدية و الولاية العلوية (محمد و على صلوات الله عليهما) فهما شفيعان و شفعان للامة الاسلامية .

٩- عن إبن عباس أيضاً : الشفع صلاة الصبح ، و الوتر صلاة المغرب .

١٠- عن قتادة أيضاً وأبى العالية و الربيع بن أنس : الشفع والوتر كلاهما صلاة المغرب : الشفع فيها ركعتان ، و الوتر الثالثة .

١١- قيل : الشفع : الصلاة التى فيها شفع كالصبح والظهرين و العشاء ، و الوتر : الصلاة التى فيها وتر كصلاة المغرب ، و ركعة واحدة من نافلة الليل.

١٢- قيل : الشفع : ركعتا الشفع ، و الوتر ركعة واحدة فى آخر الليل من النوافل الليلية .

١٣- قيل : ان الله تعالى أقسم بالشفع و الوتر من غير تخصيص بنوع من الشفع و الوتر دون نوع ، فكل شفع و وتر فهو مما اقسم به .

١٤- عن مجاهد و إبن زيد و الجبائى أيضاً وزيد بن أسلم والحسن : الشفع و الوتر : الخلق لان الخلق كله شفع و وتر فاقسم بالخلق كله وذلك لان شيئاً من الخلق لاينفك عن كونه شفعاً و وتراً ، فكأنه اقسم برب الزوج و الفرد كقوله تعالى : «فلا اقسم بما تبصرون و مالا تبصرون» .

١٥- قيل : الشفع : على و فاطمة عليهما السلام و الوتر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

١٦- قيل : الوتر بين الخلق فى الكيان الروحانى الرسالى هو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و الشفع سائر الروحانيين من الملائكة والنبيين إذلا مثيل له، ولهم أمثال .

١٧- قيل : الوتر بين الاوصياء الا و فياء هو الامام على عليه السلام و الشفع الحسنان عليهما السلام .

١٨- عن إبن عباس أيضاً : الشفع و الوتر آدم و حواء لان آدم كان فرداً، فشفع بزوجته حواء فصار شفعاً بعد كونه وتراً .

١٩- عن إبن عباس أيضاً : الشفع آدم و حواء ، و الوتر هو الله تعالى .

٢٠- قيل : الشفع آدم و حواء و الوتر مريم عليها السلام.

٢١- قيل : الشفع : الشهر الذى يكون ثلاثين يوماً ، و الوتر : الشهر الذى يكون تسعة و عشرين يوماً .

٢٢- قيل : الشفع : العيون الاثنتا عشر التى فجّرها الله تعالى لموسى عليه السلام:

«فانفجرت منه إثنتاعشر عيناً» و الوتر : معجزاته و هى الآيات التسع التى اوتى بها موسى عليه السلام : «ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات»

٢٣- عن الحسين بن الفضل : الشفع درجات الجنة و هى ثمان ، و الوتر دركات النار لانها سبعة كأن الله جل وعلا أقسم بالجنة و النار.

٢٤- قيل : الشفع أبواب الجنة لانها ثمانية ، و الوتر أبواب جهنم لانها ثمانية ، و الوتر أبواب جهنم لانها سبعة .

٢٥- قيل : الشفع الصفا و المروة ، و الوتر الكعبة .

٢٦- عن مقاتل بن حيان : الشفع الأيام و الليالى و الوتر اليوم الذى لاليلة بعده و هو يوم القيامة .

٢٧- قيل : الشفع الزوج ، و الوتر الفرد من هذه الليالى : «وليال عشر» فهو سبحانه أقسم بالليالى العشر جملة ثم أقسم بما حوته من زوج و فرد لما فى زوجها و فردها من الفضائل ...

٢٨- عن سفيان إبن عيينة : الشفع و الوتر هو الله تعالى لقوله جل وعلا: «ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هومعهم أينما كانوا» المجادلة: ٧)

٢٩- قيل : ان الشفع و الوتر و إن لم يكن من المتعين أن المعدود بهما قطع من الزمن ، و لكن السياق الذى جاءا فيه يقضى بأن يكون المعدود - زوجاً أوفرداً - قطعاً من الزمن،وأقرب هذه القطع أن تكون من الليالى شفعاً أو وتراً ... إذ سبقهما قوله عزوجل : «و ليال عشر» و هى عدد شفع ، و تلاهما قوله تعالى : «و الليل إذا يسر» و هو عدد وتر، فيكون القسم بالليالى العشر جملة واحدة ثم القسم بها ليلتين ليلتين وليلة ليلة و على هذا يكون الشفع هو العشر الليالى الاولى ، و العشر الأخيرة من كل شهر قمرى باعتبار هما وحدتين

زمنيتين متماثلتين ، و أما الوتر فهو العشر الليالى المتوسطة من الشهر باعتبارها وحدة زمنية واحدة !

٣٠- عن الحسن أيضاً و أبى مسلم : الشفع و الوتر العدد كله لان العدد لايخلو عنهما ، و هو اقسام بالحساب .

و ذلك ان الشفع : الزوج ، و الوتر : الفرد ، و الاشياء كلها إما زوج و إما فرد ، و من غير بعيد عن ظاهر اللفظ أنهما إشارة إلى الحساب على وجه العموم لانه جل وعلا أطلق ولم يقيد بشيء خاص ، فكأنه تعالى أقسم بالحساب الذى لابد للخلق منه ، فهو فى معرض الامتنان بمنزلة العلم و البيان فى قوله تعالى : «علم بالقلم» «و علّم الانسان ما لم يعلم»

فالشفع هو الزوج من كل شيء ... فالاثنان فى العدد شفع ، و الاثنان من الناس أو الانعام أو الشجر ... شفع ، و ذلك على خلاف الوتر الذى يدل على واحد فرد لم يشفع بواحد آخر من جنسه .

فكأن الاقسام بعدد الحساب تنبيه على ما فى العدد من العبرة بما يضبط لانه من المقادير التى يقع بها التعديل ، و تنشأ من الزوج و الفرد علوم كثيرة و تذكير بالحساب لعظم ما فيه من النعم و النفع بما يضبط به من المقادير.

وقيل : الشفع : كل شيء مزدوج من إثنين و مضاعفاتهما، و الوتر : كل شيء مفرد غير قابل للقسمة على إثنين .

٣١- قيل : ان الله تعالى قد يقسم بأسمائه وصفاته لعلمه ، وبأفعاله لقدرته كما قال : «و ما خلق الذكر و الانثى» و بمفعولاته لعجائب صنعه كما قال : «و الشمس و ضحاها» «و السماء و ما بناها» «و السماء و الطارق»

٣٢- قيل : الشفع : مسجد الحرام بمكة و مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة و هما الحرمان ، و الوتر مسجد بيت المقدس .

٣٣- الشفع : القران بين الحج و العمرة أوالتمتع بالعمرة إلى الحج ، و

الوتر : الافراد فيه .

۳۴- قيل : الشفع الحيوان لانه ذكر و انثى، والوتر: الجماد. ۳۵- قيل : الشفع ما ينمى والوتر مالاينمى. ۳۶- قيل: الشفع إشارة إلى كل نبى له إسمان: مثل أحمد ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم و المسيح و عيسى عليه السلام و يونس و ذى النون عليه السلام ... و الوتر إشارة إلى كل نبى له إسم واحد كآدم و نوح و إبراهيم عليهم السلام.

۳۷- قيل : الشفع : أيام عاد ، و الوتر لياليها لقوله تعالى : «سبع ليال و ثمانية أيام حسوماً». ۳۸- قيل : الشفع: البروج الاثنى عشر، والوتر: الكواكب السبعة. ۳۹- قيل: الشفع الاعضاء الثنائية للانسان كالعين والاذن واليد والرجل... و الوتر : الاعضاء الفرادى كالقلب و اللسان ...

قال الله تعالى : «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» و قال : «ولساناً و شفتين» .

۴۰- قيل : الشفع : السجدتان ، و الوتر : الركوع .

۴۱- قيل : الشفع : الروح و الجسم فى الحياة الدنيا، و الوتر : الروح بعد خروجها من الجسد إلى يوم القيامة ، و هكذا قبل ولوجها فى الجسم الانسانى .

۴۲- قيل : الشفع : يوم عاشوراء و الوتر يوم تاسوعاء .

و غيرها من الاقوال التى لم أجد لها وجهاً ولا لذكرها فائدة .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين كثير من الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

۴- (و الليل اذا يسر)

فى «الليل» و «يسر» أقوال :

۱- عن إبن عباس و مجاهد ، و إبن الزبير و قتادة، وأبى العالية و زيدبن أسلم و إبن زيد : اريد بالليل مطلق الليل إذا ذهب و سار ظلاماً حتى ينقضى

بالضياء المبتدىء ثم يقبل بالضياء .

و المعنى : إذا يسرى الليل فى الظلمة مبتعداً عن النور ، ثم يسرى إلى النور بعداً عن الظلمة فيسرى مقبلا و مدبراً .

و سرى الليل دوران فلكه و سيران نجومه حتى يبلغ غايته ، و يسبق فى قاصيته و يستخلف النهار موضعه ، فيسرى فى غلالته السوداء مع القمر فى كل منزل من منازله منه ... فهوفى كل حال ليل يسرى ويبسط سلطانه على الكائنات، و انه لايوقف مسيرة الليل إلاّ الفجر .

٢ـ عن الضحاك : أى يجرى نحوالانتهاء ويمضى بظلامه. ٣ـ عن إبن الزبير أيضاً : أى حتى يذهب بعضه بعضاً . ٤ـ عن إبراهيم : أى يستوى. و من نعم الله عزوجل على عباده هو تعاقب الليل و النهار و إختلاف مقادير هما بحسب الأزمنة والفصول الاربعة مما لايجحدها إلاّ مكابر. قيل: إنما أضاف السير إليه لأن الليل يسير بمسير الشمس من الفلك و إنتقالها من افق إلى افق .

٥ـ عن قتادة أيضاً و عكرمة و الكلبى و مقاتل و محمدبن كعب : اريد بالليل ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها بطاعة الله جل وعلا ، و هى ليلة النحر التى يسرى فيها الحجاج من عرفات إلى المزدلفة ، ثم يصلّون الغداة بها ، و يغدون منها إلى منى ، و هذه الليلة ليلة النحر .

٦ـ قيل: اريد بالليل ليلة بعينها تمييزاً لها من بين الليالى. ٧ـ قيل:اريد بالليل هو من الليالى العشر كليلة العاشوراء و ليلة القدر و ليلة النحر ، فانها تسرى و تنتج آخر المطاف نهار الضياء اللامع.

٨ـ قيل : هى ليلة القدر لسراية الرحمة فيها ، و إختصاصها بزيادة الثواب فيها .

أقول: و على الاول جمهور المفسرين .

٥- (هل فى ذلك قسم لذى حجر)

فى «لذى حجر» أقوال : ١- عن إبن عباس و مجاهد و قتادة و الحسن و إبن زيد : أى لذى لبّ و عقل و دين و حجى ونهى و رأى . ٢- قيل: أى لذى سترمن الناس . ٣- عن الحسن و الفراء : أى لذى حلم . يقال : فلان ذو حجر إذا كان قاهراً لنفسه ، ضابطاً لها، مضيّقاً عليها.

أقول: و لكل وجه من غير تناف بينها فتأمل جيداً .

٦- (ألم تر كيف فعل ربك بعاد)

فى الخطاب قولان : أحدهما - خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ثانيهما - خطاب لكل راء و سامع أى ألم تعلم أيها الانسان ، و لا تنظر أيها السامع فى كل وقت و مكان بعين قلبك كيف فعل ربك بقوم عاد .

أقول: و الاول هو الظاهر ، ولكن الثانى غير بعيد ، بل هو الانسب بسياق التهديد .

٧- (ارم ذات العماد)

فى «إرم» أقوال : ١- عن مجاهد : إرم : امة قديمة قوية من الامم السابقة.

٢- عن قتادة : إرم : قبيلة من قوم عاد .

٣- قيل : طائفة إرم - نسبة إلى جدّهم الاعلى : «إرم» ليميزهم من عاد الثانية فهى إرم ، إذ كانت القبائل تنسب إلى إرم ، فارم تسمية لهم باسم جدهم الاقدم .

٤- قيل : «إرم» إليه مجمع عاد و ثمود و كان يقال : عاد إرم و ثمود إرم.

٥- عن إبن عباس و الضحاك : «إرم» معناه الهالك. يقال : أرم بنو فلان: هلكوا.

حكى : انه كان لعاد إبنان: شداد و شديد ، فملكا و قهرا البلاد و أخذا عنوة ثم مات شديد و خلص الامر لشداد ، فملك الدنيا و دانت له ملوكها ، فسمع بذكر الجنة ، فقال : أبنى مثلها ، فبنى إرم فى بعض صحارى عدن فى

ثلاثمأة سنة ، و كان عمره تسعمأة سنة، و هى مدينة عظيمة قصورها من الذهب و الفضة ، و أساطينها من الزبرجد والياقوت، و فيها أصناف الأشجار والأنهار، و لما تمّ بناؤها سار إليها بأهل مملكته ، فلما كان منها على مسيرة يوم و ليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا . فارم إسم مدينة هالكة .

و يروى : انه وضع إحدى قدميه فيها ، فأمر ملك الموت بقبض روحه .

ويروى : ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم رآى ملك الموت حين عرج به إلى السماء فسئله هل رققت لأحد من الخلائق الذين قبضت أرواحهم ؟ فقال : نعم ! إثنان : أحدهما ـ طفل و لد بالمفازة ثم امرت بقبض روح امه ، ولم يكن هناك إنسان يتعهد الطفل .

و الثانى ملك إجتهد فى بناء مدينة لم يخلق مثلها ثم لم يرزق رؤيتها بعد أن وضع رجله فيها يعنى شداد، فدعا الله نبينامحمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبره بذلك، فأوحى إليه ! ان ذلك الملك هو ذلك الطفل الذى ربيناه و آتيناه مملكةالدنيا، و حين قابل النعمة و الملك بالكفران ، و بنى الجنان التى هى من مقدورات الرحمن جز يناه بالخيبة و الحرمان .

٦ـ عن قتادة أيضاً و مقاتل : إرم هى موطن عاد و إسم مدينة على تقدير : أهل إرم كقوله جل وعلا : «و اسئل القرية» مدينة عمرتها قبيلة عاد و أعملت فيها قوتها الجسدية ، و جلبت لها كل ما قدرت عليه من مال و متاع ... فكانت كما وصفها الله تعالى : «لم يخلق مثلها فى البلاد» و سمى بناء المدينة و إقامتها على هذه الصورة العجيبة من القوة و الضخامة و الاحكام ـ سمى هذا خلقاً لانها من عمل مخلوقاتالله جل وعلا و كل ما يعمل فيه الناس هو من خلق الله و كان فيهم الملك، و كانوا بمهرة و كان عاد أباهم .

٧ـ عن قتادة أيضاً و السدى : «إرم» إسم بيت مملكة عاد .

٨ـ قيل : اريد بارم قوم عاد ، و هو فى الاصل إسم أبيهم ، سمّوا باسم

أبيهم كما يقال : قريش و يراد به القرشيون ، و يطلق إسرائيل ، و يراد به بنو إسرائيل ، و عاد هو إبن إرم بن عوص بن سام بن نوح .

٩ـ قيل : «إرم» : العلم إذ كانـوا يبنون أعلاماً كهيئة المنارة كقولـه تعالى : «أتبنون بكل ريع آية» كالا هرام بمصر .

١٠ـ عن عكرمة و سعيد بـن المسيب و إبـن سعيد المقرى : «إرم» إسم دمشق. ١١ـ عن محمد بن كعب القرظى : «إرم» إسم مدينة الاسكندرية . ١٢ـ قيل : إرم إسم قبيلة عاد . ١٣ـ قيل : إرم إسم امهم. ١٤ـ عن الجبائى : إرم لقب عاد و كان عاد يعرف به. ١٥ـ قيل: إرم إسم آخر لعاد و كان له إسمان .

أقول: و على الثالث جمهور المفسرين .

و فى «ذات العماد» أقوال :

١ـ عن إبن عباس و مجاهد: أى ذات الطول إذكان طولهم مثل العماد مع شدة أبدانهم و قواهم ، و كان طول الطويل منهم من سبعين ذراعاً إلى أربعمأة ذراع ، و أقصرهم إثنا عشر ذراعاً بذراع نفسه . مـن قـول العرب : رجـل معمد للطويل ، و رجل طويل العماد أى طويل القامة ، فقيل لهم: ذات العماد لطولهم مثل الأعمدة .

٢ـ قيل: ذات العماد كناية عن الغنى والترف الذى قادهم إلى الجبروت و الطغيان و معصية الله و الرسول فأخذ هم سبحانه بالهلاك و الدمار ، و إذا لم ينته المعاندون المعادون لمحد ﷺ فسيكون مآلهم مآل عاد .

٣ـ قيل : أى ذات الأعمدة و هى وصف لمدينة إرم إذ كانت لهم مدينة معمورة عديمة النظير ذات قصور عالية و عمد ممددة .

٤ـ عن إبن عباس و مجاهد أيضاً و قتادة : ذات العماد طائفة من قوم عـاد كانوا عماداً لقومهم . يقال : فلان عميد القوم و عمودهم أى سيدهم و رئيسهم. و قيل : كان لطائفة إرم رجال أقوياء ذوى القدود الطوال كالعماد؛ عماد

فى القوة و المدينة أيضاً ، و من قوتهم انه كان الرجل منهم يأتى إلى الصخرة العظيمة فيحملها على كاهله، فيلقيها على أىّ حىّ أراد فيهلكهم، فهم كانوا عماداً و كذلك بلدهم إرم ذات العماد : إرم مزدوج ، و عماد مزدوجة قوة على قوة و عماد فى عماد، و قد تكون قلعة بعلبك نموذجاً من هذه العماد الحجرية و لحدّ الآن هى العماد المنقطعة النظير فى تاريخ الانسان ! مما يدل على سابق التمدن و القوة و الشدة و الظلم ، فكم من ضحايا رضخوا بدماء هم حمل هذه الصخور الضخمة ؟ و كم من أشلاء فرشت لكى تقوم تحتها هذه العماد فى إرم عاد ؟!

٥- عن إبن عباس و قتادة و مجاهد أيضاً : ذات العماد هم أهل عمد ، و ذلك انهم كانوا بدويين وسيّارة فى الربيع، فلا يقيمون بمكان إذكانوا ينتقلون بأبياتهم للانتجاع ، فينتجعون الغيوث ، و يطلبون الكلا ، فاذا هاج النبت رجعوا إلى منازلهم ، فذات العماد وصف لمساكن قبائل عادبن إرم التى كانت خياماً تقوم على أعمدة ، و العماد ما تعتمد عليه الأبنية . فهم سكان الخيام و كانت منازلهم بالرمال و الاحقاف إلى حضرموت ، و كانوا يسكنون بيوت الشعر التى ترفع بالا عمدة الشداد .

٦- عن إبن زيد: أى ذات الأبنية المرفوعة على العمد، فكانوا يحكمونها بالعمد .

أقول: و الثالث هو الانسب بظاهر السياق ، و عليه أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

٨- (التى لم يخلق مثلها فى البلاد)

فى « التى - مثلها » أقوال : ١- عن الحسن وقتادة: ان الضمير راجع إلى القبيلة و «التى» صفة لـ «إرم» أولعاد على تقدير القبيلة ، و المعنى: لم يخلق مثل قبيلة عاد فى البلاد قوة و شدة و عظم أجساد و طول قامة. ٢- قيل: راجع إلى «إرم» على أن المراد بـ «إرم» هى المدينة ومساكنهم أى لم يخلق فى البلاد كلها

مدينة مثل مدينتهم أو راجع أبنية عاد المعروفة بذات العماد أى لم يخلق مثلها فى بلد من البلاد أوفى أقطار الارض .

٣ـ قيل: راجع إلى الاعلام على أن يكون المراد بـ«إرم» الاعلام والمعنى: لم يخلق مثل الاعلام فى البلاد .

أقول: و على الاول جمهور المحققين ، و إن كان الثانى غير بعيد عن السياق .

٩ـ (و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد)

فى الاية الكريمة قولان : أحدهما ـ قيل : أى و ثمود الذين خرقوا الصخر و نقّبوه و دخلوه فاتخذوه بيوتاً .

و ذلك انهم كانوا ينقبون الجبال وينحتونها ، فيجعلونها بيوتاً لهم كالغار فالمراد بالواد : دور الجبال إذ كل منفرج بين جبال أو تلال يكون مسلكاً للسيل و منفذاً فهوواد .

ثانيهما ـ عن مقاتل و محمد بن إسحق : أى و ثمود الذين قطعوا الصخر و بنوا منه قصوراً و أبنية عظيمة .

و يروى ! ان أوّل من نحت الجبال و الصخور و الرخام ثمود فبنوا من المدائن ألفاً و سبعمأة مدينة كلها من الحجارة العظيمة ، و بنوا ألفى ألف و سبعمأة ألف من الدور و المنازل كلها من الحجارة ، و كانوا لقوتهم يخرجون الصخور و ينقبون الجبال و يجعلونها بيوتاً لانفسهم .

أقول: و فى قصة ثمود ما يدل على أن لهم قصوراً فى السهل ، و بيوتاً فى الجبال ، فمنهم من كان يقطع الجبال ، و يبنى منه قصراً فى السهل ، و منهم من كان ينحت الجبال و ينقبه بيتاً له ، و من غير بعيد أن يكون لهم بيوت صيفية فى الجبال ، و بيوت شتوية فى السهول ...

١٠- (و فرعون ذى الاوتاد)

فى «الاوتاد» أقوال : ١- عن إبن عباس: أى الجنود والعساكر و الجموع والجيوش والأحزاب التى تشدّ ملك فرعون . وسماهم أوتاداً لانهم قواد عسكره الذين بهم قوام أمره. و المعنى : ذى الجنود الذين كانوا يقوّون و يشدّون له أمره .

٢- عن مجاهد وسعيد بن جبير وإبن مسعود: كان فرعون يعذب بالاوتاد أوتاد الايمان و التقوى ، و يشدّهم بها إلى أن يموتوا تجبّراً منه و عتواً ومنهم زوجته آسية المؤمنة الصامدة ، وكان فرعون إذا أراد تعذيب أحد يتد أربعة أوتاد ، فيجعل رجلا ههنا ، و رجلا ههنا ، و يداً ههنا و يداً ههنا ، و يوتده بالأوتاد ، و يتركه حتى يموت . و هكذا فعل بامرأته آسية و ما شطة إبنته ، و انه و تد إمرأته بأربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت.

و عن السدى : كان يربط الرجل فى كل قائمة من قوائمه فى وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه ، و يوتد يدى المصلوب و رجليه على خشبة الصليب . ٣- عن عبدالرحمن بن زيد و الحسن : كانت لفرعون صخرة ترفع بالبكرات ثم يؤخذ الانسان ، فتو تدله أو تاد الحديد ثم يرسل تلك الصخرة عليه فتشدخه .

٤- قيل : كان لفرعون أوتاد تقرّم ملك فرعون و توطّد أمره، و تمهّد أسبابه التى إستقرّ بها بنيانه ، و تمكن سلطانه كما تثبت البيوت بالاوتاد المضروبة. ٥- قيل : كان فرعون ذى المبانى العظيمة الشامخة الثابتة كالاهرام التى شادها هوومن قبله من فراعنة مصر فى قديم الازمان... و ان شكل هياكل المصريين العظيمة شكل الاوتاد المقلوبة إذ يبتدىء البناء عريضاً و ينتهى بأدق مما بدأ . ٦- قيل : الاوتاد جمع و تد وهى تلك الأهرامات العظيمة التى أقامها

فراعنة مصر ، فكانت أشبه بالجبال التى هى أوتاد الارض كقوله تعالى : «ألم نجعل الارض مهاداً و الجبال أوتاداً» النباء : ٦-٧)

٧- عن قتادة : كانت مطال و ملاعب يلعب له تحتها من أوتاد و حبال تضرب الأوتاد.٨- عن سعيد بن جبير أيضاً: كان لفرعون منارات و بنيان يعذّب الناس باسقاطهم من أعلاها.٩- قيل : و ذلك لكثرة الاوتاد التى كانوا يتخذونها للمضارب و لكثرة جموعهم ، و كان فيهم أكثر منه فى غيرهم .

أقول: و الثانى هو المروى .

١٣- (فصب عليهم ربك سوط عذاب)

فى الآية الكريمة أقوال: ١- عن الزجاج: أى فجعل سوطه الذى ضربهم به العذاب الشديد المتتابع المتواتر لايوصف . ٢- قيل : أى افرغ والقى على كل طائفة من هؤلاء الطغاة قسطاً ولوناً من العذاب. ٣- قيل:اريد بسوط عذاب: عذاب مؤلم و نكال مرمض، مرمض مرضض، حيث ان السوط سبب للعقوبات الواقعة ، فاذا صب عليهم كان أمض و أوقع .

٣- قيل : ان السوط هنا مصدر يعنى أوقع عذاب يخالط الجسوم بالدماء و اللحوم : فيسوطها سوطاً إذا حرّك ما فيها و خلطه ، فالسوط خلط الشيء بعضه ببعض ، و المعنى : عذاب يخالط اللحى و الدم . ٤- قيل : أى نوع عذاب. ٥- قيل : سوط العذاب هو خليط من ألوان العذاب ، وذلك ان الله تعالى أخذ كل جماعة من أهل الضلال بلون من ألوان العذاب و الهلاك و الدمار ، فانزل الله عزوجل بهم ألواناً من البلاء و شديد العذاب .

٦- قيل: أنزل عليهم رجزاً من السماء وأحلّ بهم عقوبة لايردّها عن القوم المجرمين. ٧- عن قتادة : كل شيء عذبه الله به فهو سوط فاجرى على العذاب إسم السوط مجازاً فشبه الله تعالى العذاب الذى أحلّه بهم و ألقاه عليهم بانصباب السوط وتواتره على المضروب عذاباً شديداً متتابعاً متوالياً لايوصف حتى يهلكه.

أقول: والثانى هو المستفاد من الايات الكريمة الآتية فى التفسير والتأويل فانتظر .

١٤- (ان ربك لبالمرصاد)

فى الاية الكريمة أقوال: ١- عن الحسن وإبن عباس وعكرمة والكلبى: أى على طريق العباد فلا يفوته أحد، ولا شىء من أعمالهم لانه يسمع ويرى جميع أقوالهم وافعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد، فيرصدها فى الحياة الدنيا ويؤاخذهم بها فى الآخرة على قناطر جهنم .

٢- قيل : أى ان شأن ربك ألا يفوته من شئون عباده نقير ولا قطمير ، فلا يهمل امة ولا يتركهم سدى الذين تعدّوا فى أعمالهم حدود شرائعه القويمة بل يأخذهم بذنوبهم أخذ العزيز المقتدر كما يأخذ الراصد القائم على الطريق من يمرّ به بما يريد من خير أو شر لا يفرّط فيما رصد له .

٣- عن سفيان الثورى و عمرو بن قيس : المرصاد يعنى جهنم عليها ثلاث قناطر : قنطرة فيها الرحم ، و قنطرة فيها الأمانة ، و قنطرة فيها الرب تبارك و تعالى أى حكمه و إرادته و أمره . قال تعالى : «ان جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً» فربك يرصدهم عليها ، و قد ينالهم فى الحياة الدنيا سوط منها يرقبهم و يرصدهم .

٤- قيل : أى ان الله تعالى مترصد للطغاة لينكّل بهم و نكّل أمثالهم السابقين المذكورين ، فيعذّبهم كما عذّبهم . و المرصاد : المكان العالى الذى يقوم فيه الرصد ليرقب ما يجرى هنا و هناك. ٥- عن الحسن وعكرمة: أى رقيب على العباد محيط بما يقولون ويفعلون و يجازى كلا بسعيه و فعله ، فيرصد عمل كل إنسان حتى يجازى به. ٦- عن الفراء : أى إليه المصير فيكون وعداً للمؤمن، و وعيداً للكافر .

أقول: و الاول هو المؤيد بالروايات الآتية من غير تناف بينه و بين غيره من الاقوال.

١٥- (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه و نعمه فيقول ربى أكرمن)

فى «الانسان» أقوال: ١- عن إبن عباس: اريد بالانسان هنا عتبة بن ربيعة وأبو حذيفة المغيرة. ٢- عن الكلبى: اريد به امية بن خلف. ٣- قيل اريد به ابى بن خلف. ٤- قيل: اريد به الكافر خاصة. ٥- قيل: اريد به النوع بحسب الطبع الاولى من المؤمن و الكافر. ٦- قيل: اريد به مطلق الانسان إلاّ من رحم الله تعالى به وهم قليلون. ٧- قيل: اريد به جهال الناس سواء كانوا مسلمين أم كافرين، حيث ان السياق عرض عام لظنون المنحرفين من الناس و سلوكهم بصورة مطلقة.

أقول: و الاخير هو الانسب بظاهر المقابلة لان النفس المطمئنة خارجة من العموم قطعاً. فالقول بان ظاهر السياق عام مطلق، فتخصيصه لا بد من مخصص غير وجيه.

١٩- (و تأكلون التراث أكلا لماً)

فى «أكلا لماً» أقوال: ١- عن إبن عباس و السدى و قتادة و الضحاك: أى أكلا شديداً. ٢- قيل: أى تأكلون الميراث أكل الانعام فتحبونه و تشحون به. ٣- عن الحسن و أبى عبيدة و مجاهد و إبن زيد: أى تأكلون الميراث جمعاً بين الحلال و الحرام، فتلمون جميعه فى الاكل من لممت الطعام لماً إذا أكلته جميعه. و أصل اللمم: الجمع ومنه يقال: لمّ الله تعالى شعثه أى جمع ماتفرّق من اموره، و هو أن يأكل نصيبه و نصيب غيره.

و ذلك انهم كانوا يجمعون فى أكلهم الميراث بين نصيبهم منه و نصيب غيرهم، فلا يورّثون الضعفاء من النساء والصبيان، فيأكلون تراثهم مع تراثهم، ولا تتركون منه شيئاً لغيركم من الوراث و الأقارب ... و المعنى: أكلاجامعاً بجميع أجزائه من نصيبكم و نصيب غيركم. وعن إبن زيد: هو أن يأكل مايجده

ولا يفكر فيما يأكله طيب و خبيث .

٤- قيل : أكلا جامعاً بين حلال ما جمعه الميت و حرامه ، و أنتم تعلمون بذلك. ٥- عن أبى مسلم: أى تأكلون أموال اليتامى بغير حق. ٦- قيل: أى أكلا جامعاً ألوان المشتهيات من الأطعمة و الاشربة اللذيذة و الملابس الفاخرة و المساكن ... كما يفعل أهل البطالة من الورّاث من غير ذكر من المورّث المسئول .

أقول: و على الثالث أكثر المحققين من غير تناف بينه و بين غيره فلكل وجه.

٢٠-(و تحبون المال حباً جماً)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك و إبن زيد : أى تحبّون جمع المال حباً كثيراً شديداً زاد بعضهم فاحشاً، وتولعون به فلا تنفقون فى خير. ٢- قيل : أى تحبون كثرة المال من فرط حرصكم ، فتجمعونه من غير وجهه، و تصرفونه فى غير وجهه ولا تتفكرون فى مآل أمركم هذا .

٣- قيل : أى و تحبون المال نفسه حباً كثيراً حلاله و حرامه . و الجمّ : الكثير و منه جمّ الماء فى الخوض إذا اجتمع و كثر . و الجمة : المكان الذى يجتمع فيه ماؤه . و الجموم : البئر الكثيرة الماء . ٤- قيل : أى و تميلون إلى جمع المال ميلا شديداً ميراثاً كان أم غيره إذ تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة.

أقول: ولكل وجه و قائل من غير تناف بينها .

٢١- (كلا اذا دكت الارض دكاً دكاً)

فى «كلا» أقوال : ١- قيل : «كلا» بمعنى «حقاً» أى حقاً ان هولاء ضعفاء النفوس لحبهم المال الشديد لايفعلون ما امروا به فى إكرام اليتيم و الحضّ على طعام المسكين ، ولا ما نهوا عن أكل التراث ، و عن حب المال إطلاقاً تلويحاً .

٢- قيل : أى لاينبغى للانسان أن يشحّ بالمال فى سبيل الخير ، فانه مسئوول عن ذلك ، و ان من فعل ذلك يندم يوم تدك الارض ولا ينفعه الندم.
٣- قيل: «كلا» زجر لهم و إنكار لاقوالهم و أفعالهم والتقدير : لاتفعلوا هكذا.

٤- ردع ثان عمايزعمه الانسان و يقوله والمعنى ليس كمايزعمه الانسان و يقوله فانه سيتذكر يوم القيامة ان الحياة الدنيا و ما فيها من السعة و الضيق و الغنى و الفقر و ما إليها لم تكن مقصودة بالذات ، بل كانت محك إختبار من الله تعالى يميّزبه المؤمن من الكافر ، السعيد من الشقى ، المصلح من المفسد ، المفلح من الخاسر ، و أصحاب النجاة من أهل النار ... و يهيّىء الانسان فيها ما يعيش به فى الآخرة ، و قد إلتبس عليه الأمر فحسبها كرامة مقصودةبالذات ، فاشتغل بها ولم يقدّم لحياته الآخرة شيئاً فيتمنّى عند ذلك و يقول : ياليتنى قدمت لحياتى ، ولن يصرف التمنى عنه شيئاً من العذاب .

٥- قيل : ردع عن أفعالهم القبيحة بعدزجرلهم عن أقوالهم اليسئة.
أقول: والاخير هو الأنسب بظاهر السياق .

و فى قوله تعالى : «إذا دكت الارض دكاً دكاً» أقوال : ١- عن إبن عباس و إبن مسعود : أى إذا مدّت الارض يوم القيامة مدّ الأديم بحيث كسرما عليها و حطّ المرتفع بالبسط و التسوية . و عن المبرد : أى الصقت الارض و ذهب إرتفاعها . يقال ناقة دكاء : لاسنام لها . و الدكداك : رمل ليّنة فالارض تدك عند الساعة دكاً أولاً ، فتصير رملا لينة ، ثم دكاً ثانياً : فتصير تراباً أملساً ، تحملها و جبالها القدرة الالهية فى الواقعة : «و حملت الارض و الجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة» الحاقة: ١٤-١٥) تدك ثم تسطح ف «لاترى فيها عوجاً و لا أمتاً» طه :١٠٨)

٢- عن إبن عباس أيضاً : أى تزلزلت الارض بزلزال متتابع و تحرّكت تحرّكاً بعد تحرّك ، فدكّ بعضها بعضاً إلى أن تهدّمت. و الدك: هوالدقالشديد

و الهدم . ٣- قيل : أى إذا جاء يـوم القيامة تبدّلت معالم هذه الحياة الـدنيا .
٤- عن إبـن قتيبة : أى دقت جبال الارض و انشازها ، و ذهب إرتفاعها و قلاعها حتى إستوت فـى إنفراشها و ذهب دورها و قصورها و سائـر أبنيتها حتى تصير كالصحراء الملساء ثم تصير قاعاً صفصفاً.

٥- قيل : أى تزول جاذبية الارض و التماسك بين أجزاءها و ما بينها و بين سائر الافلاك من الشمس و القمر و الكواكب ، فيدك بعضها بعضاً متوالياً.

٦- قيل : أى كسر كل شيء على ظهرها من جبال أو بناء أو شجر حتى زلزلت فلم يبق عليها شيء يفعل ذلك مرة بعد مرة . ٧- قيل: أى وطئت الارض ومهدت و سويت الجبال و قام الخلائق من قبورهم للحساب و الجزاء .

أقول: و على الاول جمهور المفسرين ، و الباقى من قبيل بيان اللوازم و الآثـار .

٢٢- (و جاء ربك و الملك صفا صفا)

فى «جاء ربك» أقوال : ١- عن الجبائى و الحسن : أى و جاء أمـر ربك و قضائه و هو حكمه تعالى بين الناس يوم القيامة. و عن أبى مسلم: أى جاء أمره الذى لاأمر معه بخلاف حال الدنيا . و قيل : أى ظهر أمره و حكمه يومئذ.

و هذا من خواص يوم القيامـة كتقطيع الأسباب و إرتفاع الحجب عنهم ظهور أن الله تعالى هو الحق المبين ، قال الله عـزوجل : «و الامـر يـومئذلله» الانفطار : ١٩) و يؤيد هذا المعنى بعض التأييد قوله تعالى : «هـل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله فى ظل من الغمام و الملائكة وقضى الامر» البقرة : ٢١) إذا انضمّ إلى قوله عزوجل : «هل ينظرون إلاّ أن تـأتيهم الملائكة أو يأتـى أمر ربك» النحل : ٣٣) .

٢- قيل : أى جاء قهر ربك . ٣- قيل : أى جاء بدلائل قـدرته ، وآياته العظيمة كقوله تعالى : «إلاّ أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام» أى بظلل .

قيل : جعل مجيىء الآيات مجيئاً له تفخيما لشأن تلك الآيات ، و منه قوله تعالى فى الحديث : «يابن آدم مرضت فلم تعدنى و استسقيتك فلم تسقنى و استطعمتك فلم تطعمنى» .

٤ـ قيل : أى زالت الشبه ذلك اليوم و صارت المعارف ضرورية كما تزول الشبه و الشك عند مجيىء الشىء الذى كان يشك فيه . ٥ـ قيل: هذا تمثيل لهول يوم القيامة كما إذا حضر الملك بنفسه و جنوده كان أهيب. ٦ـ قيل: أى ظهرت قدرته و استولت ، و تجلّت لأهل الموقف السطوة الالهية كما تتجلى ابهة الملك للاعين إذا جاء الملك فى جيوشه و مواكبه ، ولله المثل الاعلى ، والله سبحانه لا يوصف بالتحوّل من مكان إلى مكان ، و أنى له التحوّل و الانتقال ، و لامكان له و لا أوان ، ولا يجرى عليه وقت ولا زمان لان فى جريان الوقت على الشىء فوت الاوقات ، و من فاته شىء فهو عاجز ..

٧ـ قيل : أى جاء عذاب ربك يومئذ على مستحقيه . ٨ـ قيل : أى جاء ظهور ربك لضرورة المعرفة به لان ظهور المعرفة بالشىء يقوم مقام ظهوره و رؤيته ، و لما صارت المعارف بالله عزوجل فى ذلك اليوم ضرورية صار ذلك كظهوره و تجلّيه للخلق . ٩ـ قيل : أى زالت الشبهة و ارتفع الشك كما يرتفع عند مجيىء الشىء الذى كان يشك فيه جلّ و تقدّس عن المجيىء و الذهاب لقيام البراهين القاهرة و الدلائل الباهرة على أنه سبحانه ليس بجسم.

١٠ـ قيل: أى وجاء ربك لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الاطلاق محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما يسئلون اولى العزم من الرسل و احداً بعد واحد فكلهم يقول : لست بصاحب ذاكم حتى تنتهى النوبة إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقول : «أنالها أنالها» فيذهب فيشفع عندالله تعالى فى أن يأتى لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى فى ذلك و هى أوّل الشفاعات وهى المقام المحمود كما تقدّم بيانه فى سورة الاسراء فيجيىء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما

يشاء و الملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً .

أقول: و الاول هو المؤيد بالآيات القرآنية و الروايات الآتية فانتظر.

وفي قوله تعالى : «صفاً صفاً» أقوال : ١- عن قتادة و عطاء : أى و تجيىء الملائكة صفاً صفاً يريد صفوف الملائكة و أهل كل سماء صف على حده . و قال الضحاك: أى أهل كل سماء إذا زلزلوا يوم القيامة كانوا صفاً محيطين بالارض، و بمن فيها ، فيكون سبع صفوف فذلك قوله : صفاً صفاً . و قيل : أى و تنزل ملائكة كل سماء مصطفين صفوفاً مرتبة .

٢- قيل : أى و تجيىء الملائكة مصطفين كصفوف الناس فى الصلاة يأتى الصف الاول ثم الصف الثانى ثم الثالث و هكذا لان ذلك أشبه بحال الاستواء من التشويش ، فالتعديل و التقويم أولى . ٣- قيل : أى صفاً بعد صف بحسب منازلهم و مراتبهم فى الفضل .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها .

٢٣- (و جيىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان و أنى له الذكرى)

فى مجيىء جهنم يوم القيامة أقوال : ١- عن إبن مسعود : أى تجيىء جهنم يوم القيامة من مكان إلى مكان حيث تقاد بسبعين ألف زمام بأيدى سبعين ألف ملك لها زفير و تغيظ حتى تنصب عن يسار العرش .

٢- قيل : أى و احضرت جهنم يومئذ ليعاقب بها أهلها من الكفار و المجرمين ، و الفجار و المستبدين ، و الفساق و المستكبرين ... ويرى أهل الموقف هو لها و عظم منظرها . ٣- قيل : اريد بمجيئها مجيىء عذابها لقوله تعالى : «وإذا الجحيم سعرت» التكوير: ١٢) بعد أن لم تكن مسعرة. ٤- قيل مجيئها هو بروزها لأهلها لقوله تعالى: «وبرزت الجحيم للغاوين» الشعراء: ٩١) وقوله تعالى:«و برزت الجحيم لمن يرى» النازعات:٣٦) ولانهم كانوا فى غفلة منها وغطاء: «لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» ق:٢٢)

فكشف عنهاو كشفت للناظرين بعد أن كانت غائبة عنهم،فتذهب عندئذ الغفلة عن أهلها و تأتيهم اليقظة .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها فتأمل جيداً .

وفي قوله تعالى : «و أنى له الذكرى» أقوال : ١- عن إبن عباس : أي يتذكر الانسان يوم القيامة ما قصر و فرط إذ يعلم يقيناً ما قد توعد به ، فكيف ينفعه التذكر . أثبت له التذكر ثم نفاه بمعنى انه لاينتفع به، فكأنه لم يكن، و كان ينبغي له أن يتذكر في وقت ينفعه ذلك .

٢- قيل : أي و من أين له منفعة الذكرى ، و قدفات الاوان وحمّ القضاء. ففيه حذف مضاف . و ذلك ان الذكرى إنما تنفع فيما أمكنه أن يتدارك ما فرّط فيه بتوبة و صالح عمل ، و أما يوم القيامة فيوم جزاء لايوم رجوع وعمل.

٣- عن الزجاج : أي و من أين له الاتعاظ و التوبة ، و قد فرط فيها في الحياة الدنيا ، و عرف أن ما كان فيه كان ضلالاً ، و انه كان يجب أن يكون على حال خير مما كان عليها ، فيتذكر عمله و ما كان أسلفه في قديم دهره و حديثه يتذكر أجلى التذكر ان ما كان يؤتاه في الحياة الدنيا من خيرأوشركان من إبتلاء الله تعالى و إمتحانه و انه قصر في أمره .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين .

٢٤- (يقول ياليتني قدمت لحياتي)

في «لحياتي» أقوال : ١- قيل : أي في حياتي . على أن اللام بمعنى «في» ٢- قيل : أي وقت حياتي في الدنيا . على أن اللام بمعنى الوقت ، و ذلك إذ لاحياة لأهل النار لقوله تعالى : «لايموت فيها ولا يحيى» . قيل. و هذا مردود بجلود أهل النار فيها ، و ليس خلود من لاحياة له في النار إلاّ لغواً . وان الاية الكريمة لاتنفي الحياة من أهل النار بل تثبت لهم حياة شديدة صعبة كما أن لأهل الجنة حياة طيبة هنيئة .

٣ـ عن قتادة و الحسن : أى ياليتنى قدمت عملا صالحاً وقت حياتى فى الدنيا لآخرتى التى لاموت فيها و هى الحياة الطويلة .

٤ـ قيل : ان حياة أهل النار ليست هنيئة ، فكأنهم لاحياة لهم ، فالمعنى : ياليتنى قدمت من الخير لنجاتى من النار فأكون فيمن له حياة هنيئة . ٥ـ عن مجاهد : أى لحياتى هذه و هى الحياة الآخرة . ٦ـ قيل : أى لحياتى الحقيقية و هى الحياة الآخرة .

أقول: و الرابع هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه و بين أكثر الاقوال الاخر .

٢٥ـ (فيومئذ لايعذب عذابه أحد)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ـ عن إبن عباس و الحسن و قتادة و مقاتل : أى فيوم القيامة لايعذّب مثل عذاب الله تعالى أحد من الخلق . إذ ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه ، فالضمير فى «عذابه» راجع إلى الله تعالى .

قيل : هذا مردود إذ لايعذب أحد يوم القيامة سوى الله تعالى ، فلا يتصور لهذا النفى فائدة .

اجيب عنه بأن المرادلايتولّى يوم القيامة عذاب الله أحد لأن الامر يومئذ لله وحده ، و المعنى : ان عذاب الله تعالى يوم القيامة فوق عذاب الخلق ، فيومئذ لايصاب أحد بعذاب مثل ذلك العذاب الذى يصيب ذلك الانسان الذى أبطره الغنى فجحد نعمة الله تعالى عليه أو أفسده الفقر حتى عثا فى الارض فساداً ، فلا يشهد الناس عذاباً مثل العذاب الذى يعذّب الله به أهل الضلال . فلا عذاب يماثل عذاب الله و لايضاهيه إذ أين عذاب من عذاب .

٢ـ قيل : أى لايعذّب أحد فى الحياة الدنيا مثل عذاب الله تعالى الكافر فى الشدة و الايلام . ٣ـ عن أبى على الفارسى و الفراء : أى لايعذّب أحد من الزبانية أحداً مثل عذاب هذا الانسان و هو امية ابن خلف. فالضمير فى «عذابه»

راجع إلى هذا الانسان اللعين . ٤ـ قيل: أى لايحمل عذاب الانسان أحد كقوله تعالى : «ولاتزر وازرة وزر اخرى» .

٥ـ قيل : أى لايعذب مكانه أحد غيره ، فلا يؤخذ منه فداء . ٦ـ قيل : أى لايكل الله تعالى عذابه يوم القيامة إلى غيره ، فقدهان ما كان يملكه الخلق من أمر العذاب ، وجلّ ما يفعله من له الخلق و الامر ، فلا يعذب إذاً عذاب الله أحد ، فلا عذاب إلاّ لله و الأمر يومئذ كله لله . ٨ـ قيل : أى لايعذّب أحد في الدنيا كعذاب الله تعالى الشيطان يوم القيامة فالضمير في «عذابه» راجع إلى إبليس لان الدليل قام على أنه أشد الناس عذاباً لأجل إجرامه . فأطلق الكلام لأجل ماصحبه من التفسير .

٨ـ عن أبى عبيد و أبى حاتم : أى لايعذّب أحد ليس بكافر عذاب الكافر فالضمير راجع إلى الكافر لان ذلك معروف انه لايعذب أحد كعذاب الله إياه .
٩ـ قيل : أى لايعذّب أحد أحداً مثل تعذيب هذا الكافر . و الضمير راجع إلى الكافر ، و المراد بـ«أحد» الملائكة الذين يتولّون تعذيب أهل النار .

أقول: و الثالث هو المستفاد من السياق بأن من تقوّل في حالتى السعة و الضيق ما ذكر سابقاً ، و ترك إكرام اليتيم، و إطعام المسكين ، و أكل الميراث بغير حق ، و أحب المال حباً جماً ، فهو يعذب يوم القيامة عذاباً لايماثله عذاب غيره من المعذبين سواء كان هذا هو امية بن خلف و من سلك مسلكه في طوال الاعصار أم لا .

٢٦ـ (ولا يوثق و ثاقه أحد)

ان الاقوال في هذه الاية كالاقوال فيما قبلها و المختار فيها هو المختار فيها .

٢٧ـ (يا أيتها النفس المطمئنة)

في الخطاب قولان : أحدهما ـ انه خطاب من الملائكة لأولياء الله تعالى.

ثانيهما ـ خطاب من الله تعالى يدعو بهذا النداء الكريم أوليائه يوم القيامة .

أقول: و الاول هو المروى .

وفى وقت النداء أقوال : ١ـ قيل : عند الموت . ٢ـ قيل : ليلة القبر . ٣ـ قيل : عند الرجعة . ٤ـ قيل : عند البعث . ٥ـ قيل : عند دخول الجنة .

أقول: و الاول هـو المروى ، و إن كان لكل وجـه علـى تعدد النداء و الخطاب لهذه النفس الطيبة المطمئنة .

و فى «النفس» أقوال : ١ـ قيل : هى الروح . ٢ـ قيل : اريد بها الجسم و الروح . ٣ـ اريد بالنفس نفس حمزة .

أقول: و الاول هو المناسب لما سبق .

وفى «النفس» أقوال : ١ـ عن مجاهد و الحسن : هى النفس الساكنة الموقنة التى أيقنت ان الله تعالى ربها ، و ضربت لأمره جأشاً فأخبتت لـذلك .

٢ـ عن إبن عباس : أى المطمئنة بثواب الله تعالى و عقابه يـوم الحساب ، و هى التى لايستفزها خوف ولا حزن . ٣ـ قيل : أى المطمئنة إلى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك . والطمأنينة هى حقيقة الايمان ، و هى التى تسكن إلى ربها .

٤ـ عن مقاتل : هى الآمنة من عذاب الله تعالى . ٥ـ عن الحسن أيضاً : هى المؤمنة التى لايستبد بها القلق فى حال من الاحوال : فى السراء و الضراء ، فى السعة والضيق ، فى الفقر و الغنى ، و فى الفتنة و الأمان ... انها فى حال واحدة دائماً ثابتة فى ايمانها بالله تعالى و رسولـه صلى الله عليه وآله وسلم و بكتابه و باليوم الآخر ، المؤتمرة بأوامر الله جل وعلا والمنتهية عن نواهيه... من الاطمئنان وهو الاستقرار و الثبات . ٦ـ عن مجاهد أيضاً : هى الراضية بقضاء الله تعالى و هى التى علمت ان ما أخطأها لم يكن ليصيبها و أن ما أصابها لم يكن ليخطأها .

٧ـ عن قتادة : هى التى عملت فى الحياة الدنيا من صالح الاعمال على يقين بما

و عدالله جل وعلا فى كتابه ، و هى التى إطمأنت إلى و عدالله الذى وعد أهل الايمان فى الدنيا من الكرامة فى الآخرة فصدّقت بذلك . ٨- عن إبن كيسان : المطمئنة هنا المخلصة فى العقيدة و القول و العمل . ٩- عن إبن عطاء : هى هى العارفة التى لاتصبر عنه طرفة عين . ١٠- قيل : هى المطمئنة بذكر الله تعالى لقوله تعالى : «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكرالله ألا بذكرالله تطمئن القلوب» الرعد : ٢٨)

١١- عن إبن زيد : هى الآمنة لانها بشّرت بالجنة عند الموت و حين البعث و يوم الجمع . و عن الحسن أيضاً : إن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن إطمأنت النفس إلى الله تعالى و إطمأنّ الله جل وعلا إليها . ١٢- عن الكلبى و أبى روق : هى النفس المطمئنة التى يبيض وجهها ، و يعطى كتابها بيمينها فحينئذ تطمئن . ١٣- قيل : هى النفس المطمئنة بالله تعالى لا سواه .

١٤- قيل : هى المطمئنة بتحصيل الاخلاق الفاضلة و العقائد الصحيحة التى تسكن النفس السليمة إليها . فرضيت بما رضى لها الله تعالى به ورأت نفسها عبداً لايملك لنفسه شيئاً من نفع أوضرو من خير أوشر، و رأت الدنيا دارمجاز و ماكان تستقبله فيها من غنى أو فقر أو نفع و ضرّ إبتلاء و إمتحاناً إلهياً ، فلا يدعوها تواتر النعم عليها إلى الطغيان و الفساد ، إلى العلو و الاستبداد ، و إلى البغى و الاستكبار و لايوقعها الفقر و الحاجة فى الكفر و العصيان و الجحد و الكفران بل هى فى مستقرّ من العبودية لا تنحرف عن سبيل تقواها با فراط أو تفريط . ١٥- قيل : هى النفس الطيبة المطمئنة بما قدمت من العقائد والاقوال و الاعمال ...

أقول: ان ذلك كله من قبيل بيان بعض أوصاف النفس المطمئنة .

٢٨- (ارجعى الى ربك راضية مرضية)

فى «إرجعى إلى ربك» أقوال: ١- عن إبن عباس و عطاء وعكرمة والضحاك

أى تقول الملائكة لنفس المؤمن عند البعث : إرجعى إلى صاحبك و جسدك.

فترجع الأرواح إلى الأجساد التى كانت تعمرها فى الدنيا، فيأتون موقف الحساب كما خلقهم الله تعالى أول مرّة، فالخطاب للروح و معنى الرب هيهنا: الصاحب . ٢- عن الحسن : يقال للنفس المطمئنة بعد الحساب : إرجعى إلى ما أعدّه ربك من الكرامة و النعيم فى الجنة و إلاّ فان الله تعالى أقرب إليه من حبل الوريد .

٣- عن أبى صالح و إبن زيد : يقال لها حين الاحتضار و الموت : إرجعى إلى الموضع الذى يختص الله تعالى بالأمر و النهى فيه دون خلقه . ٤- عن إبن عباس أيضاً : كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند إحتضاره و عند قيامه من قبره فكذلك بعد الحساب إلى دخول الجنة و الخلود فيها . ٥- عن عكرمة و الضحاك أيضاً : يقال لها عند البعث : إرجعى إلى ثواب ربك و موقف كرامته. و قيل : ان هذا الخطاب ظرفه جميع يوم القيامة من لدن إحيائها إلى إستقرارها فى الجنة بل من حين نزول الموت إلى دخول جنة الخلد ، و ليس خطاباً واقعاً بعد الحساب فقط .

٦- قيل : يقال لها عند الموت : إرجعى إلى أمر ربك و إرادته . ٧- قيل يقال لها فى الحياة الدنيا : إرجعى إلى ربك بزيادة فى الايمان و صالح الاعمال فانها دار عمل و غداً دارحساب ، يقال لها ذلك لتستزيد فى رجوعها إلى الله تعالى كما يقال لها عند الموت و يوم البعث و بعدالحساب لتجزى بما قدمت من الرضا فى الحياة الدنيا . ٨- قيل : أى إرجعى إلى ربك ، إلى حيث لا مالك سواه .

أقول: و الثالث هو المروى و فى معناه الرابع و السادس .

و فى «راضية» أقوال : ١- عن مجاهد : أى راضية بقضاء الله تعالى و قدره عليها فى الدنيا ، فآمنت بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و باليوم الآخر و عملت

صالحاً حتى رضى الله عنها و رضى بأفعالها و إعتقادها . ٢- قيل : أى راضية عن الله تعالى بثوابه وما أعدّ لها فى الجنة من الكرامة و النعم . ٣- قيل : أى راضية فى نفسها بما عملت فى الحياة الدنيا من صالح الاعمال و ما اكتسبت من الاعتقاد الحق .

٤- قيل : أى راضية عن عملها فى الدنيا و عن أجرها فى الآخرة ، فانها لم تك ساخطة فى حالتى السعة و الضيق و السراء و الضراء و الخير و الشر ... و لم تتجاوز عن حدود الشريعة فيما لها من الحق ، و ما عليها من الواجب ... و ان اطمئنانها إلى ربها يستلزم رضاها بما قدّر و قضى عليها تكويناً أو حكم به تشريعاً ، فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية ، و إذا رضى العبد عن ربه رضى الرب عنه إذ لايسخطه تعالى إلاّ خروج العبد من زىّ العبودية ، فاذالزم طريق العبودية إستوجب ذلك رضى به .

٥- قيل : أى راضية بما أرضاها الله تعالى به من فضله ، مرضياً عنها من ربها . و قيل راضية بما حكم عليها و قدرلها مرضية عندالله نظير قوله تعالى : «رضى الله عنهم و رضوا عنه» و هذه صفة أرباب النفوس الكاملة و إن كانوا بعد فى دار التكليف . ٦- قيل : أى راضية عن الله تعالى وحده لاسواه لانها لاتريد هواها ولا هوى غيرها من دون الله تعالى ، فلا تشاء إلاّ ماشاء الله تعالى له .

أقول: و التعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

و فى «مرضية» أقوال: ١- عن سعيد بن جبير: أى مرضية عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم .
٢- قيل : أى مرضية أعمالها التى عملتها فى الحياة الدنيا . ٣- قيل : أى رضى عنها ربها بما عملت من الطاعة و صالح الاعمال و أرضاها فتثاب بها . ٤- قيل : أى مرضية عند الله تعالى لصلاحها و تقواها و فلاحها و يقينها إذ عاشت حياتها إبتغاء مرضاة الله تعالى و اطمأنت به دون ما سواه . ٥- قيل : أى مرضية عندالله عزوجل فى الدنيا بصالح الاعمال ، و فى الآخرة بالكرامة و جزاء الاعمال ...

أقول: ان الكلام فى المرضية هو الكلام فى الراضية .

٢٩- (فادخلى فى عبادى)

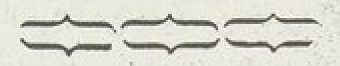
فى الآية الكريمة أقوال : عن إبـن عباس و الضحاك : أى فـادخلى أيتها النفس المطمئنة فى أجساد عبادى . فالخطاب للارواح و هذا يوم القيامة . ٢- قيل : أى فادخلى فى الصالحين من عبادى المصطفين الذين قدر ضيت عنهم . ٣- عن الأخفش : أى فادخلى فى حزبى و انتظمى فى سلكهم . ٤- عن الضحاك أيضاً: أى فادخلى فـى طاعتى . و عن إبـن عباس أيضاً : أى فادخلى فـى عبدى على التوحيد .

أقول: و على الثانى جمهور المفسرين وفى معناه الثالث .

٣٠- (و ادخلى جنتى)

فى «جنتى» قولان: أحدهما - أى جنتى التى وعدتكم بها وأعددت نعيمكم فيها . ٢- قيل : أى فى رحمتى .

أقول: و على الاول جمهور المحققين ، و فـى الجنة رحمة الله جل وعلا رزقنا الله تبارك و تعالـى بحق محمد و أهل بيته الطاهريـن صلوات الله عليهم أجمعين محشورين معهم .



﴿التفسير والتاويل﴾

١ـ (والفجر)

الفجر: هو إنفجار الصبح الصادق، وهو الوقت الذى ينشق فيه الضوء وينتشر النور. وذلك ان شفق الغروب و فجر الصبح هما نتيجة إنكسار و إنعكاس شعاع الشمس بواسطة الهواء حيث تصل إلى الارض منكسرة بعد غروب الشمس وبعد إنتهائه يشاهد نور الشمس منعكساً عن الغيوم فى الطبقات العليا ثم يتناقص ذلك النور أيضاً رويداً رويداً حتى إبتداء الظلام الحالك، و كذلك الامر صباحاً غير أنه على ترتيب معاكس لما يصير إليه مساء.

أقسم الله جل وعلا بالفجر لما يحصل به من انقضاء الليل وظهور الضوء و انتشار الناس و سائر الحيوان من الطير والوحوش فى طلب الارزاق ، و ذلك مشاكل لنشور الموتى من قبورهم ، وفيه عبرة لمن اعتبر.

قال الله تعالى : «فالق الاصباح وجعل الليل سكنا» الانعام : ٩٦)

وقال: «والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر» المدثر: ٣٣ـ٣٤)

وقال . «والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس» التكوير: ١٧ـ١٨)

وقال: « سلام هى حتى مطلع الفجر» القدر: ٥)

وما ورد فى المقام فمن باب التأويل والانطباق فتأمل واغتنم جداً، وخاصة ماورد فى كنز الفوائد، وهذا تأويل لطيف لاينافى تفسيره بغيره، فالليالى العشرهم الائمة العشرة إعتباراً بما ظلموا وأظلمت عليهم حياتهم، ولكن مولى الموحدين

إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام - مهما ظلم- فقد حكم ردحاً من الزمن، ثم القائم المهدى الحجة بن العسكرى عليهما السلام هو فجر الاسلام حيث يحيى ويتسع فى زمنه.

٢- (وليال عشر)

واقسم بكل ليال عشر معدودة من ليال السنة: اقسم بليال العشر الاولى من ذى الحجة، وليال العشر الاولى من محرم الحرام، وليال العشر الآخرة من رمضان المبارك، اقسم بها لمالها من فضل على غيرها من ليال السنة، ومالها من الآثار والتقاليد والتعاليم الاسلامية...

و ما ورد فى المقام فمن باب التأويل.

٢- (والشفع والوتر)

الشفع: كل شىء مزدوج من إثنين ومضاعفاتهما، والوتر: كل شىء مفرد غير قابل للقسمة على إثنين.

و المتبادر من إطلاق كلمتى: «الشفع والوتر» هود كعتا الشفع، ور كعة الوتر الواحدة من النوافل الليلية، كما انه هو الانسب بما ذكر من كلمات: «الفجر» و«ليال» و «الليل» من غير تناف بينه وبين ما ذهب إليه أكثر المفسرين بأن المراد من الشفع هو يوم النحر وهو عاشر أيام ذى الحجة وهو شفع، ويوم عاشوراء وهو عاشر ايام المحرم وهو شفع، وهما شفع، والمراد من الوتر يوم عرفة وهو التاسع من أيام العشر الاولى من ذى الحجة، ويوم تاسوعاء وهو التاسع من أيام العشر الاول من المحرم باعتبار أكثرية إقامة تلك النوافل فى ليالى تلك الايام...

أقسم الله تعالى بالشفع والوتر لما لهما من الفضل والكرامة ... عنده تعالى قال الله عزوجل: «ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» الاسراء: ٧٩)

وقـال : « قم الليل إلاّ قليلا ـ إن ناشئة الليل هى أشد وطاً و أقوم قيلا» المزمل : ٢ـ٦)

ومـا ورد فى المقام فمن باب التأويل كما يمكن أن يكون أكثر الاقوال المحتملة من باب الجرى والانطباق ، فلاتخلو من وجه كما زعم بعضهم.

٣ـ (والليل اذا يسر)

واقسم بكل ليل من ليال السنة إذا يمضى حتى ينقضى بالضياء المبتدىء.

قال الله عز وجل : «والليل إذ أدبر» المدثر: ٣٣)

وقال: «والليل إذا عسعس» التكوير: ١٧)

ففى سير الليل على المقادير المرتبة ومجيئه بـالضياء عند تقضيه أدل دليل على أن فاعله يختص بالعز والجلال والعلم والقدرة المطلقة... ويتعالى عن الاشباه والامثال...

قال الله تعالى : «لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون» يس : ٤٠)

وقـال: «قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون» القصص : ٧١)

وقال: «وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً» الفرقان : ٤٧)

و قـال : « يقلب الله الليل و النهـار إن فـى ذلك لعبرة لاولى الابصار » النور : ٤٤)

٥ـ (هل فى ذلك قسم لذى حجر)

هل فيما ذكر من الاقسام أو المقسم بها ـ من الفجر والليال العشر والشفع والوتر ومطلق الليل باعتبار، والليل الخاص باعتبار آخر ـ قسم كاف لذى عقل سليم يمنع صاحبه عما ينافى الفطرة البشرية، لذى لبّ يحمى صاحبه من الكفر والضلالة، من البغى والغواية، من

من الاستكبار والمعصية، ومن الفساد وهتك الحرمة... لذى حجي يمنع صاحبه عما لايليق به من العقائد والاقوال والافعال... ولذى نهى يفقه به القول، ويميز به الحق من الباطل، الخيرمن الشر، الحسن من القبيح، الصلاح من الفساد، الفلاح من الخسران، الكمال من الانحطاط، وبالجملة طريق الجنة من سبيل الجحيم؟

هل فيما ذكرمن الاقسام مقنع لذى لب يعقل ان ما اقسم الله عزوجل به من هذه الاشياء فيه عجائب و دلائل على توحيدالله جل وعلا توضح عن عجائب صنعه وبدائع حكمته، وحجة كافية على وجودالله تعالى وقدرته وعظمته وتدبيره وعلمه وحكمته؟

وان الآية الكريمة في تعظيم تلك الاشياء: وحثّ الانسان على التفكر والتعقل فيها نظير قوله تعالى: «فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم» الواقعة: ٧٥-٧٦)

٦- (ألم تر كيف فعل ربك بعاد)

ألم ينته علمك أيها السامع إلى ما فعل ربك بقوم عاد الاولى و كيف أهلكهم ودمّرهم تدميراً!

قال الله عزوجل: «وانه أهلك عاداً الاولى» النجم: ٥٠)

عادهم قوم هود النبي عليه السلام جيل من العرب البائدة كانت تسكن في القسم الجنوبي من جزيرة العرب فيما بين اليمن إلى حضر موت، و هي في جنوب اليمن مما يعرف اليوم ببلاد حضر موت و هي بلاد الرمال المسماة بالاحقاف كما يشير إليها قوله تعالى: « و اذكر أخاعاد إذ أنذر قومه بالاحقاف» الاحقاف: ٢١)

وهم الذين بعث الله تعالى فيهم هوداً عليه السلام فكذبوه و خالفوه فأنجاه الله عزوجل من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم ودمّرهم تدميراً.

قال الله تعالى: «ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا

ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عـاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد» هود: ٥٨ ـ ٥٩)

وقال: «وأمـا عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخّرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية» الحاقة: ٦ـ٨)

٧ـ (ارم ذات العماد)

«إرم» إسم مدينة وموطن لقوم عاد سمّيت باسم جدّهم الاقدم، كانت لها أبنية مرفوعـة على العمد الممدّدة يشدّونها ويرفعونهـا، ويبنون عليها القصور عديمة النظير عمرتها قبيلة عاد وأعملت فيها قوتها الجسدية، وجبلت لهـا كل ما قدرت عليه من مال ومتاع ...

كانوا هم أشد الناس فى زمـانهم خلقة، وأقواهم بطشاً، وأطولهم قامة، و أرفعهم مكانة، وأقدمهم فى التمدن، وأرقى فى الحضارة، كانت لهم بلاد عامرة، و أراض خصبة، ذات جنات ونخيل وزروع ومقام كريم... وكانوا هـم بعد قوم نوح عليه السلام ولهذا ذكرهم هود عليه السلام بتلك النعم وأرشدهم إلى أن يستعملوهـا فى طاعة ربهم الذى خلقهم إذ قال: «وإلى عاد أخـاهم هوداً قال ياقوم اعبـدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ـ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح و زادكم فى الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون» الاعراف: ٦٥ـ٦٩)

وقال: «فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقـالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهـم قوة و كانوا بآياتنا يجحدون» فصلت: ٥١)

و قال: «كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون ـ أتبنون بكل ريع آية تعبثون و تتخذون مصـانع لعلكم تخلدون و اذا بطشـتم بطشتم جبادين فاتقوا الله و أطيعون و اتقوا الذى أمدّكم بما تعلمون أمدكم بانعام و

بنين و جنات و عيون » الشعراء : ١٢٣ ـ ١٣٤)

٨ـ(التى لم يخلق مثلها فى البلاد)

قوم عادهم القبيلة التى لم يخلق مثلهم فى زمانهم قوم فـى بسطة الخلق و شديد القوة ، وفى البطش و طول القامة، كما انه لم يكن مثل مالهم من المدينة المعمورة و الأبنية المرفوعة و القصور العالية ، و عمارة البلد فى بلد من البلاد.

و لكنهم مع تلك النعم الالهية و ريعان الحياة المادية طغوا و استكبروا بدلاً عن الشكر و الطاعة ، فأحل فيهم العذاب و النكال .

قال الله تعالى : «ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعداً لعاد قوم» هود : ٦٠)

وقال : «فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا و لعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون» فصلت : ١٦)

و قال : «ان الله لايغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم» الرعد : ١١)

٩ـ (و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد)

و ثمود ـ هم قوم صالح النبى عليه السلام ـ سمّوا باسم جدّهم : ثمود بن عامر بن إرم بن سام ، و هم من قبائل عربية قديمة كانت تسكن فى القسم الشمالى الغربى من جزيرة العرب فى طريق المدينة والشام فى المنطقة المعروفة اليوم بمدائن صالح ، و كانت القوافل الحجازية التجارية تمر بمدائن فى طريقها إلـى بـلاد الشام ومصر كما كانت تصل إلى بلادحضرموت فى رحلتها الشتوية إلى اليمن .

و قد عيّن أكثر الرواة قرية (الحجر) على أنها المكان الذى كانت فيه ديار ثمود و ذكروا ان بها بئراً تسمى بئر ثمود و قد نزل بها رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم مع أصحابه فى غزوة تبوك و نهى أصحابه عن شرب مائها و دخول منازلها ، وقد مرّ بها النبى الكريم صلى الله عليه و آله وسلم فى غزوة تبوك فسجّى ثوبه على وجهه وأمر أصحابه أن يمروا بها مسرعين و قـال : «لا تـدخلوا بيوت الذيـن ظلموا إلاّ و أنتم باكون خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم»

قال الله تعالى : «و لقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين و آتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين و كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون» الحجر: ٨٠-٨٤)

من قوم ثمود الذين قطعوا صخور الجبال العظيمة ، و بنوامنها قصوراً عالية و أبنية مرفوعة في سهول الارض، و جعلوا بيوتهم منحوتة في كيان الصخر و اتخذوها بيوتاً بوادى القرى فكانت أشبه بحصون ، و منهم من كانوا ينحتون الجبال بيوتاً لانفسهم كما يشير إلى ذلك قوله عزوجل : «و إلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ـ و اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد و بوّأكم في الارض تتخذون من سهولها قصوراً و تنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين» الاعراف : ٧٣-٧٤)

وقوله : «و تنحتون من الجبال بيوتاً فارهين» الشعراء : ١٤٩)

وهم كانوا أقوياء أغنياء متنعمين بالنعم الالهية ، فلما طغوا و بغوا وعصوا الرسول و مكروا فعل الله جل وعلا بهم ما فعل من الهلاك و التدمير فاعتبروا يا اولى الابصار .

قال الله تعالى : «ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن عبدوا الله ـ و مكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لايشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنادمرنا هم و قومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون و أنجينا الذين آمنوا و كانوا يتقون» النمل : ٤٥-٥٣)

١٠- (وفرعون ذى الاوتاد)

و كيف فعل ربك أيها السامع بفرعون طاغى مصر الذى أرسل إليه موسى عليه السلام و هو الذى يعذّب أهل الايمان و التقوى بأوتاد لانه كان إذا أراد تعذيب أحد من الرجل و المرأة بسطه على وجهه على وجه الارض، ومدّ يديه و رجليه، فأوتد بأربعة أوتاد فى الارض ، و ربما بسطه على خشب منبسط ، فوتّد رجليه و

يديه بأربعة أوتاد ثم تركه على حاله حتى يموت.

و يؤيده ما حكاه الله عزوجل من قول فرعون إذ هدّد السحرة إذ آمنوا بموسى عليه السلام:

«فالقى السحرة سجّداً قالوا آمنا برب هارون و موسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علّمكم السحر فلا قطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم فى جذوع النخل و لتعلمنّ أيّنا أشد عذاباً و أبقى» طه: ٧٠-٧١)

١١- (الذين طغوا فى البلاد)

قوم عاد و ثمود و فرعون و أذنابه هم الذين تجاوزوا عما يجب عليهم الايمان و الانقياد، تجاوزوا القدر فى الكفر و العصيان، فى الظلم والطغيان، فى الجرم و الاستبداد، و تجاوزوا فى البغى و العدوان على أنبياء الله تعالى و أوليائه، و عتوا عتواً، و استعملوا سلطانهم و قوتهم و رئاستهم فى هضم حقوق الناس و قتل النفوس و هتك الاعراض المحترمة، و اغتروا باشتهارهم و عظيم قدرتهم و عددهم و عددهم، فبغوا فى البلاد التى كانوا فيها، و فى التى تحت نفوذهم، و استبدوا بالعباد ...

قال الله عزوجل فى عتوعاد وثمود: «فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير حق - و أما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» فصلت: ١٥-١٧)

و قال: «قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون فعقروا الناقة و عتوا عن أمر ربهم» الاعراف: ٧٦-٧٧)

و قال: «و فى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم» الذاريات: ٤٣-٤٤)

و قال: فى طغيان فرعون «إذهب إلى فرعون انه طغى - فكذّب وعصى ثم أدبر يسعى» النازعات: ١٧-٢٢)

١٣- (فأكثروا فيها الفساد)

فأكثر هؤلاء الطغاة الجبابرة، و البغاة المستكبرة، و الفجار المستبدة، و الحكام الجابرة ... الفساد فى البلاد فانهم الذين أشاعوا فساداً فى الحرث و النسل، فساداً فى النفوس و الأموال و الاعراض، فساداً فى العقائد و الأعمال. و فساداً لايمكن الاصطبار عليه.

أشاعوا الفحشاء و المعاصى و كانوا سبباً فى القتل و الا يذاء و البغى و الجور بين الناس، و إضرارهم على دينهم و دنياهم، و فككوا شمل الجماعة. ومن غير ريب! ان كل امة كانت هذه حالها تكون مآل أمرها الخزى والهوان، و الهلاك و الدمار فى الدنيا، و عاقبتها العذاب و النار فى الآخرة.

قال الله تعالى: «و تلك عاد جحدوا بآيات ربهم و عصوا رسله و اتبعوا أمر كل جبار عنيد و اتبعوا فى هذه الدنيا لعنة و يوم القيامة» هود: ٥٩-٦٠)

و قال: «و إلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله - ولا تعثوا فى الارض مفسدين - فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين» الاعراف: ٧٨ - ٨٣)

وقال: «إن فرعون علا فى الارض - انه كان من المفسدين» القصص: ٤)

١٣- (فصب عليهم ربك سوط عذاب)

فأفرغ ربك أيها السامع على هؤلاء الطغاة الجبابرة و البغاة المستكبرة ألوان العذاب كلا بلون خاص، و لكل نوع من أنواع العذاب إذ أخذ عاداً بالريح و ثموداً بالصيحة و فرعون بالغرق.

قال الله عزوجل: «و عاداً و ثموداً قدتبين لكم من مساكنهم - و قارون و فرعون و هامان - فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً و منهم من أخذته الصيحة و منهم من خسفنابه الارض و منهم من أغرقنا و ما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» العنكبوت: ٣٨-٤٠)

وقال : «و أما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخّرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيام» الحاقة : ٦-٧)

وقال: « كذبت ثمود بالنذر-إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة» القمر:٢٣-٣١)

وقال : «فقال له فرعون انى لأظنك يا موسى مسحوراً - فأغرقناه و من معه جميعاً » الاسراء : ١٠١-١٠٣)

١٤- (ان ربك لبالمرصاد)

ان ربك أيها السامع رقيب يراقب أعمال عباده : صغيرها و كبيرها ، خيرها و شرها ، حسنها و قبيحها، صالحها وطالحها ، ظاهرها و خفيها...لايخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء ، فيرصد أعمالهم و أقوالهم وما فى ضمائرهم فلايفوته منها شيء يجازيهم عليها فى الاخرة .

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : «ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن و ما يخفى على الله من شيء فى الارض ولا فى السماء - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار» إبراهيم : ٣٨-٤٢)

وقال حكاية عن عيسى بن مريم عليه السلام : «إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب - و أنت على كل شيء شهيد» المائدة : ١١٦-١١٧)

وقال : «يعلم خائنة الاعين و ما تخفى الصدور» غافر : ١٩)

وقال : «و كان الله على كل شيء رقيباً» الاحزاب : ٥٢)

فمن طغى و أشاع الفساد فى البلاد أخذه الله القادر المتعال بالخزى و النكال فى الحياة الدنيا ، و بالذلة و عذاب النار فى الآخرة ، كما فعل بهولاء الطغاة الجبابرة الذين سبق ذكرهم آنفاً .

قال الله عزوجل : «فاماعاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق - فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا و لعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون و أما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على

الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون» فصلت : ١٥-١٧)

وقال : «إذهب إلى فرعون انه طغى ـ فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى» النازعات : ١٧-٢٦)

فاعتبروا أيها الملوك و السلاطين و الحكام و الامراء و الرؤساء وذوى الجاه و المقام و الاشتهار فلا تغترّوا بعددكم و قوتكم و إنفاذ حكمكم ... ولا تشيعوا الفحشاء والفساد فى البلاد... ان ربكم لبالمرصاد رقيب على مافى ضمائركم و أقوالكم و أعمالكم و سعيكم ، و أنتم مسئولون عن رعيتكم ، ولا تكونوا من الذين يحملون أثقالهم مع أثقال رعاياهم و أتباعهم يوم القيامة .

قال الله عزوجل: «ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة و من أوزار الذين يضلونهم» النحل :٢٥)

١٥- (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه و نعمه فيقول ربى أكرمن)

فأما الانسان إذا امتحنه ربه و اختبره فأكرمه و أعطاه الاموال و الأولاد، و نعّمه بما أوسع عليه من القوى و القدرة ، من الملك و السلطنة ، من المقام و الحكومة ، من الاشتهار و الرئاسة ، و من الجاه و العدة ...

فيفرح بذلك و يفتخر و يتكبر و ينتفخ و يسرّ فيقول : ربى رفع قدرى و عنى به إذ أعطانى هذا لكرامتى عنده و منزلتى لديه ، وبما آتانيه فضّلنى على غيرى حسبما كنت أنا أستحقه .

و ذلك لمايرى فى نفسه من ميزات إستحق بها هذا الاحسان و الكرامة دون الناس فيقول كما يقول أهل الزيغ و الضلال ، و أهل البغى و الفساد فيما يشير إليه قوله عزوجل : «ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضرّاء مسته ليقولن هذا لى و ما أظن الساعة قائمة و لئن رجعت إلى ربى ان لى عنده للحسنى» فصلت : ٥٠»

ولا يرى ان ذلك كله ابتلاء و إختبار كما يرى ذلك عباد الله المتقون.

قال الله عزوجل حكاية عن سليمان بن داود عليه السلام: «هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر» النمل: ٤٠)

فمن كان مطمئن النفس فانه لايرى ذلك كله إلا إبتلاء و إختباراً من الله عزوجل للانسان.

فالذين أنعم الله تعالى عليهم من عباده المكرمين بالملك والجاه والمال والسلطان... يرون فضل الله جل وعلا عليهم وإحسانه إليهم، فلا يكون همهم إلاّ إفراغ جهدهم كله فى القيام بواجب الشكر لله تعالى والحمد له أن أكرمهم بهذا العطاء و عافاهم من المنع و الحرمان ... و فى هذا يقول سليمان عليه السلام: «يا أيها الناس علمنا منطق الطير و اوتينا من كل شيء ان هذا لهوالفضل» النمل: ١٦) انه يهتف من أعماقه محدّثاً بنعمة الله تعالى عليه، داعياً الناس أن يشهدوا عليه، و هو بين يدى نعم الله السوابغ عليه، و انه إذا لم يقم فى مقام الشاكرين لله عزوجل، فليعدّوه جاحداً، بل و ليخر جواعن سلطانه الذى مكن الله عزوجل به على الناس.

و هكذا النفوس الكريمة، النفوس الراضية المرضية، و النفوس المطمئنة الطيبة تستقبل الاحسان بالاحسان، و تتلقى الخير بالخير...

بل انها لتضيق بالاحسان و تراه حملا ثقيلا عليها، إذا هى وجدت ضعفاً عن القيام بشكره... يقول الشاعر مخاطباً أحد ممدوحيه الذين أضعفوا عطاياهم له، و أضفوا إحسانهم عليه، يقول:

لا تسدينّ إلىّ عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا
أنت الذى جللتنى مننا أوهت قوى ظهرى فقد ضعفا

و هذا وإن كان شعراً، و كان للخيال منه مكان، ولكنه يقوم على أصل أصيل من مشاعر الفطرة الانسانية السليمة التى لم يفسدها الهوى، ولم يغلبها الطبع الحيوانى المتوحش الكامن فى الانسان ...

فالمال نعمة : نعمة من نعم الله عزوجل ، و إحسان من إحسانه ، و انه لمن الغبن لمن أنعم الله تعالى به عليه، بفضله وإحسانه أن يشترى به عداوة الله سبحانه، و أن يفتح به إلى جهنم باباً من أبوابها !!

فالمال نعمة يمكن أن ينال بها العاقل طيبات الحياة الدنيا و حسن ثواب الآخرة قال الله تعالى : «و ابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا و أحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الارض» القصص : ٧٧)

ولكن هذا المال حين يقع ليد الاغبياء المغرورين يكون و بالاً عليهم و على المجمع البشرى .

فضعيف النفس ضعيف أمام سلطان المال و تسلطه عليه: «ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى» العلق : ٦-٧)

فاذا لم يحضّ نفسه على مراقبة الله تعالى ، و إذا لم يقم على نفسه و ازعاً يزعه من غلبة الهوى إستبدت به شهوة المال و صرفته عن الله تعالى و أرته الحياة الآخرة سراباً خادعاً لاينبغى له أن يدع هذا الحاضر بين يديه و يتعلق بهذا السراب الخادع الذى لايدرى ماوراءه !!

فيفرح بالحياة الدنيا و ينتفخ بها ولا يحمدالله تعالى ولا يخطر بباله ان ما آتاه فضل تفضّل به عليه ليبلوه أيشكر أم يكفر !!

فيحسب انه كريم على ربه حيث وسع الدنيا عليه و اصطفاه و رفعه على من سواه وجنّبه منازل العقوبة ، فيذهب مع هواه و يفعل ما يشتهى ولايبالى أكان ما يصنع خيراً ام شراً ، فيطغى و يفسد فى الارض ، ولا يعلم انه إمتحان و إختبار : «أيحسبون أنما نمدّهم به من مال و بنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون» المؤمنون : ٥٥-٥٦)

و قد قال الله تعالى : «و هو الذى جعلكم خلائف الارض و رفع بعضكم

فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم» الانعام : ١٦٥)

و قال : « انا جعلنا ما علــى الارض زينة لها لنبلوهــم أيهم أحسن عملا » الكهف : ٧)

وقال : «و لنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الاموال والا نفس و الثمرات و بشر الصابرين» البقرة : ١٥٥)

١٦- (و أما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن)

و أما إذا امتحنه الله عزوجل بالفقر ، و اختبره بالطاقة ، فضيّق عليه رزقه و جعله على قدر البلغة ، فيظن ان ذلك تذليل من الله تعالـى عليه فيقول : ربى أهانني بالفقر ، و وضع قدرى بالفاقة ، و استخفّ بى ، فلا يشكر الله جل وعلا على ما وهب له من سلامة جوارحه ، ولا على ما رزقه من العافية في جسمه ولا على ما أكرمه بالدين و الأمن...

هذه صفة ضعفاء النفوس : غير المطمئنة ، ولا الـراضية المرضية مسلمين كانوا أم كافرين ... فانما الكرامة والسعادة و العزة و الكمال الانسانى عندهم بكثرة الحظ فى الحياة الدنيا و الهوان و الشقاء و الذلة و التأخـر والانحطاط بقلّة الحظّ بمتاع الدنيا ولذائذها ...

فهم على كلتا الحالين : السعة و الضيق لا تهمّهم الآخـرة ، و إنما جلّ همّهم العاجلة .

قـال الله تعالى : «ان هؤلاء يحبون العاجلة و يذرون وراءهم يومـاً ثقيلا» الانسان : ٢٧)

وقال : «ذلك بأنهم استحبّوا الحياة الدنيا على الآخرة» النحل :١٠٧)

وأما المؤمن صالح العمل ، مطمئن النفس الـراضية المرضية فالكرامـة عنده أن يكرمه الله تعالى بطاعته وتوفيقه المؤدّى إلى حظّ الآخرة ، فان وسّع عليه فى الدنيا حمده وشكر له ، وإن ضيق عليه صبر وإستقام.

وهم الذين قال الله تعالى فيهم: «رجال لاتلهيهم تجارة و لابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار» النور:٣٧)

وقـال: «و لنبلونـكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس و الثمرات وبشر الصابرين ـ اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة و اولئك هم ـ المهتدون» البقرة ١٥٥-١٥٧)

١٧- (كلابل لاتكرمون اليتيم)

ليس الامر كما تزعمون يا ضعفاء النفوس لا في هذا ولافي ذاك، بل ان الله عزوجل يبسط الرزق لمن يشاء ويعطي المال ومتاع الدنيا من يحب ومن لايحب ويقدر لمن يشاء و يضيق على من يحب ومن لايحب ليبتلي بالسعة والضيق عباده كلهم...

قـال الله تعالى: «قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر ـ الناس لايعلمون وماأموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً» سباء: ٣٦-٣٧)

إنمـا السعة والضيق محكا إمتحـان يختبر بهما حـال الانسان من حيث العبودية والطغيان، و الطاعة والعصيان..

قال الله تعالى: «ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم» الانعام: ١٦٥)

وقال:«إنا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا»الكهف:٧)

فليس الاكرام بالسعة والغنى ولا الكرامة في التنعم بالمال ومتاع الدنيا، ولا الاهانة بالضيق والفقر، ولا المذلة في التقتير والفقدان، وإنما مدار الكرامة بالطاعة والتقوى وصالح الاعمال... في كلتا الحالين بأن يشكر الله جل وعلا في الغنى قلباً ولساناً وعملا، ويصبر على الفقر مطمئن النفس الراضية المرضية، كما ان مدار الاهانـة فـي المعصية والطغيان وفي الفساد والضلال... فـي الحـالين.

فأنتم يـا ضعفاء النفوس المتحيّرة مخطئون في تقوّلاتكم في السعة والضيق، بل

لكم أفعال وأحوال شر من أقوالكم تدلّ على تهالككم على المال إن لاتكرمون اليتيم : المنقطع عمن يكفله لابمال ولابحال ، ولاتعطونـه حقه ولا ترعونه من الميراث ولاغيره بل تحتقرونه.

قال الله تعالى: «وآتوا اليتامى أموالهم ولاتتبدّلوا الخبيث بالطيب ولاتأكلوا أموالهم إلى أموالكم ـ ان الذين يـأكلون أموال اليتامى ظلماً إنمـا يـأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » النساء : ٢ ـ ١٠)

١٨ ـ (ولا تحاضون على طعام المسكين)

و لا يحضّ بعضكم بعضاً على إطعام المسكين المحتاج لا يتعرض للسؤال ، ولا تحثّون على ما فيه إصلاح شأن من أسكنه العدم والفقر عن حركات الحياة ، و لا تأمرون أهليكم بالاحسان إليه ، بل أنتم تعكسون الامر فكيف أنتم قـوم صالحون وهذه فعالكم !

وهذا دأب ضعفاء النفوس لاايمان لها .

قال الله تعالى: « انه كان لايؤمن بالله العظيم ولا يحضّ على طعام المسكين» الحاقة : ٣٣ ـ ٣٤)

وقال : « أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدعّ اليتيم ولايحضّ على طعام المسكين » الماعون : ١ ـ ٣)

١٩ ـ (و تأكلون التراث أكلا لما)

وأنتم تأكلون الميراث اكلا شرهاً جشماً جامعاً بين نصيبكم ونصيب غيركم من الضعفاء من الصبيان والنساء والاقارب وغيرهم بدون تفريق بين حق و باطل ، ولاتدفعون الدين والوصية من التركة ، و جامعاً بين ما جمعه الميت من الحلال والحرام والطيب والخبيث . . .

٢٠ ـ (وتحبون المال حباً جماً)

وأنتم يا ضعفاء النفوس غير المطمئنة تحبّون المال و زخارف الحياة الدنيا

حباً كثيراً مـع حرص شديـد و شره لا يقف لحـد : تحبونه حباً يملك عليكم مشاعركم و يجعلكم تستجيبون أكل كـل شيء و جمع المال ميراثاً كان أم غيره ، من دون تفريق بين حق وباطل، بين طيب وخبيث ، وبين حلال وحرام...

فليس همكم إلا جمع المال وتكثيره أياً كان ، ولـم يستبق فـی نفوسكم الحريصة أريحيّة، ولامكرمة مع ذوی الحاجات إلى الاكرام والاحسان والاصلاح والطعام ... ثم انتم تزعمون أنفسكم مكرمين بهذا المال اللعين ، وتحسبون غيركم مهانين لفقدهم ما نلتم به من المال ومتاع الدنيا .

قال الله تعالى : « بل تحبّون العاجلة وتذرون الاخرة » القيامة : ٢٠ - ٢١)

و من غير ريب انه ليس فی حب المال الحلال وجمعه وإكتسابه عـن طريق المشروع وإنفاقه من وجوه البر . . . بأس فان الغنى عن الناس ضمان للكرامة ، و المؤمن القوی خير من المؤمن الضعيف ، قـد ورد صحيحاً : « نعم المال الصالح للرجل الصالح »

ويشير إليه قوله عزوجل: « ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما احسن الله إليك » القصص : ٧٧) .

وقوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبّون » آل عمران: ٩٢)

٢١ - (كلا اذا دكت الارض دكاً دكاً)

لاتفعلوا هكذا ، إذ لاينبغی لكم أن تتركوا إكرام اليتيم ، و حض بعضكم بعضاً على إطعام المسكين ، ولا أن تأكلوا الميراث من دون تفريق بين الحلال و الحرام ، ولا أن تحبّوا جمع المال إطلاقاً ، فتعلموا تبعات تـلك السيئات حين خرجت الارض عن مدارها وتفرّقت أجـزائها ، و اصطكّ بعضها بعضاً إصطكاكاً بعد إصطكاك إلى أن صارت هباء منبثاً .

قال الله تعالى : « إذا وقعت الواقعة - إذا رجّت الارض رجاً - فكانت هباء

منبثاً » الواقعة : ١ ـ ٦)

٢٢ ـ (وجاء ربك والملك صفاً صفا)

ويوم القيامة جاء أمر ربك وحده للقضاء بين عباده ، والحساب والجزاء و جاءت يومئذ الملائكة مصطفين بصفوف كثيرة ، حاملين أمره لتحقيقه في مشهد الحساب ، وقد نصبت موازينه ، فينفذون أمره عزوجل ، و يفعلون ما يؤمرون ، و يسوقون أهل البغي و الضلال ، أهل الجرم والفساد ، أهل الفجور والاستبداد ، أهل الفسق والاستكبار ، و أهل الدنيا ، وعبيد الشهوة والاشتهار... إلى نارجهنم و عذابها و يسوقون أهل العدل و الاهتداء ، أهل الطاعة والصلاح ، أهل الكمال و الفلاح ، و أهل اليقين والتقوى إلى الجنة ونعيمها .

قال الله عز وجل : « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً و الامر يومئذ لله » الانفطار ، ١٩)

و قال : « و أنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الامر وهم في غفلة » مريم : ٣٩)

و قال : « فاذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون » غافر: ٧٨)

وقال : « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » النباء : ٣٨)

وقال : « ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » التحريم : ٦)

وقال : « وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً ـ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً » الزمر : ٧١ ـ ٧٣)

٢٣ ـ (وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى)

و كشفت جهنم يوم القيامة لاهلها من الطغاة الفجرة ، و البغاة الكفرة ، و العتاة الفسقة ... بعد ان كانت غائبة عنهم كما ان هم يعرضون عليها .

قال الله تعالى : « و نفخ في الصور فجمعناهم جمعاً وعرضنا جهنم يومئذ

للكافرين عرضاً الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى » الكهف : ٩٩-١٠١)

و قال : « النار يعرضون عليها غدواً و عشياً و يوم تقوم الساعة »

المؤمن : ٤٦)

وقال: فاذا جائت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم

لمن يرى » النازعات : ٣٤ - ٣٦)

وقال: «وبرّزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله»

الشعراء : ٩١ : ٩٣)

يومئذ يتذكر الانسان الكافر الطاغي والفاجر الباغي لا يكون همهم إلاّ الدنيا ومتاعها ، ولاهمتهم إلاّ شهوات الدنيا و زخارفها ... يتذكرون يوم الحساب ما سعوا في الحياة الدنيا : من الكفر و الطغيان ، و الفجور و العصيان . . . أجل التذكر فتذهب عند ئذ الغفلة و تأتيهم اليقظة ، و أنى لهم الذكرى ، و قد طويت صحف الاعمال و لا سبيل إلى تدارك ما فات ، فلا تنفعهم بعد فوات الاوان . . .

قال الله تعالى : « يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار»

غافر : ٥٢)

و قال : « و أسرّوا الندامة لما رأوا العذاب و قضى بينهم بالقسط »

يونس : ٥٤)

٢٤ - (يقول ياليتني قدمت لحياتي)

يقول هذا الانسان الغافل المستكبر، والمتجاوز الجاني، والمستبد العاصي، والمنهمك في شهوات الدنيا والمغرور بمتاعها ... يقول حين يأخذ صحيفة أعماله السيئة وأقواله المنكرة ، و عقائده الفاسدة ... وحين يرى الجحيم و تسعّرها . . . يقول : يا ليتني قدمت الايمان و الطاعة وصالح الاعمال في الحياة الدنيا الفانية

لنجاتي من أهوال القيامة و عذابها ، وأنتفع بها عندالحساب والجزاء ، و لحياتي في الاخرة وهي الحياة الحقيقية الطيبة الهنيئة الدائمة الخالدة الباقية .

فأجهل الناس من لا يحسّ بذنبه إلاّ عندالحساب والعقوبة ، وأشد سفهاً منه من أحسّ بذنب ، و لم يندم ولايبادر إلى التوبة ، ثم يتأسف يوم الحسرة .

قال الله عزوجل : « و أما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ـ انه كان لا يؤمن بالله العظيم و لا يحضّ على طعام المسكين » الحاقة : ٢٥ ـ ٣٤)

و قال : « ولوترى اذ و قفوا على النار فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ـ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جائتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألاساء ما يزرون » الانعام : ٢٧ ـ ٣١)

و قال : « كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم » البقرة : ١٦٧)

وقال : « الملك يومئذ الحق للرحمن و كان يوماً على الكافرين عسيراً و يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا » الفرقان : ٢٦ ـ ٢٧)

و قال: « ان الله لعن الكافرين و أعدّ لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لايجدون ولياً ولانصيراً يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا » الاحزاب : ٦٤ ـ ٦٦)

وقال : « واتبعوا أحسن ماانزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله و إن كنت لمن الساخرين » الزمر: ٥٥ـ ٥٦)

وقال : « وماهذه الحياة الدنيا إلاّ لهو ولعب و ان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » العنكبوت : ٦٤)

٢٥- (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد)

فيوم القيامة لا يعذب أحد مثل عذاب هذا الانسان الغارق في حب الدنيا، و الغافل عن الآخرة ، و المتذكر المتمنى لحياته يوم الجزاء ، فهو فى ذكر الدنيا حتى الآخرة ، و هو و أضرابه هم الذين لايكرمون اليتيم ، ولا يحاضون على طعام المسكين ، و يأكلون الميراث بغيرحق، و يحبون المال حباً شديداً، فهم يومئذ يعذبون عذاباً لايماثله عذاب غيرهم من المعذبين .

و ان الآية الكريمة فى معنى قوله تعالى : «فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذاباً لا اعذّبه أحداً من العالمين» المائدة : ١١٥)

و قوله : « أما من ظلم فسوف نعذّبه ثم يرد إلى ربه فيعذّبه عذاباًنكراً» الكهف : ٨٧)

وقوله عزوجل : «ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً» الفرقان : ١٩)

و قوله سبحانه : « من تولى و كفر فيعذبهالله العذاب الاكبر » الغاشية : ٢٣ _ ٢٤)

٢٦- (ولا يوثق وثاقه أحد)

الوثاق : هو الغلّ أو السلسلة أو الحبل الذى يقيد به الشيء .

و المعنى : لايوثق أحد من المقيدين بالسلاسل و الاغلال يوم القيامة مثل وثاق هذا الانسان الذى أبطره الغنى ، فجحد نعمة الله تعالى و غرق فى حب الدنيا و غفل عن الآخرة .

فلا يوثق بالسلاسل و الاغلال كوثاق هذا الانسان الطاغى أحد وثاقاً مثل هذا الوثاق الذى يوثقه ذلك الانسان الباغى لتناهيه فى طغيانه و قساوة قلبه ، فانه جحد نعمة الله تعالى عليه و ترك إكرام اليتيم ، وإطعام المسكين ، وأكل الميراث من دون تفريق بين حق و باطل ، و أحب المال حباً شديداً كيف لا وحب

الدنيا رأس كل خطيئة .

قال الله تعالى : «خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لايؤمن بالله العظيم ولا يحضّ على طعام المسكن» الحاقة : ٣٠-٣٤)

٢٧- (يا أيتها النفس المطمئنة)

تقول الملائكة عند الموت للنفس المطمئنة التي قالت: ربي الله ثم إستقامت: يا أيتها النفس التي استبصرت و تزكيت و اهتديت و آمنت و عملت بما علمت ، و قد استيقنت الحق ، و سكنك ثلج اليقين ، ولم يخالجك شك ، و أيقنت بما وعد الله عزوجل في كتابه : من البعث و الحساب ، من الجنة و الثواب ، و من النار و العقاب ... و قد رضيت بما رضى لك الله جل وعلا في الحياة الدنيا : من السعة و الضيق ، من النفع و الضر ، من الصحة و السقم ، و من التقدم و التأخر ...

و قد وقفت عند حدود الشرع فاتمرت بما امرت ، و انتهيت عما نهيت ، فما جاوزت عنها بمصالح شخصية ، و أغراض واهية ، ووسوسة باطنية و دعوة شيطانية ... فما زعزعتك الشهوات ، ولا اضطربتك الرغبات ...

قال الله تعالى: «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا و أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا و في الآخرة» فصلت : ٣٠-٣١)

وقال : «و لنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الاموال والا نفس و الثمرات و بشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و اولئك هم المهتدون - ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب و لكن البر من آمن بالله و

اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين و آتى المال على حبه ذوى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل والسائلين و فى الرقاب و أقام الصلاة وآتى الزكاة و الموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء و حين البأس اولئك الذين صدقوا و اولئك هم المتقون» البقرة : ١٥٥-١٧٧)

و قال : «الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفرلنا ذنوبنا و قنا عذاب النار الصابرين و الصادقين و القانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار» آل عمران: ١٦ - ١٧)

و قال : «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الابصار» النور : ٣٧)

و قال : «كذلك يجزى المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم» النحل : ٣١-٣٢)

٢٨- (ارجعى الى ربك راضية مرضية)

تقول ملائكة الموت للنفس المطمئنة المفتخرة بزىّ العبودية غير المتجاوزة عن حدود الشريعة تقول لها عند الاحتضار : إرجعى إلى أمر ربك وحكمه، راضية بقدره و قضائه عليك فى الحياة الدنيا من السعة و الضيق ، من الخير و الشر ، من النفع و الضرّ ، و من الامر و النهى ، و بما اكتسبت من الاعتقاد الحق ، وما عملت من صالح الاعمال ... فى الحياة الدنيا ، و بما قضى الله تعالى عليك الآن من الموت ، و راضية فى الآخرة بما تثاب من الأجر فيها ، و راضية عن الله جل وعلا لانه مولاها الحق و الحاكم عليه ، و هى مرضية عنده عزوجل إذ لم تتجاوز عن حدود الشريعة ولم تخرج من زىّ العبودية .

قال الله تعالى : «و هو القاهر فوق عباده و يرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا و هم لايفرّطون ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحق

ألا له الحكم و هو أسرع الحاسبين» الانعام : ٦١-٦٢)

و قال : «وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية» الغاشية : ٨-٩)

و قال : «فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية» القارعة : ٦-٧)

وقال : «ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشى ربه» البينة : ٧-٨)

وقال : «اولئك كتب في قلوبهم الايمان و أيدهم بروح منه و يدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم و رضوا عنه اولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون» المجادلة : ٢٢)

وقال : «و رضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم» التوبة : ٧٢)

٢٩- (فادخلي في عبادي)

يهتف بالنفس المطمئنة بعدأن ازدوجت مع أجسادها يوم القيامة: فادخلي في زمرة من فازوا بجنات النعيم من عبادي الصالحين الأبرار والمكرمين الأخيار، و انتظمي في سلكهم.

قال الله تعالى ، «والذين آمنوا و عملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين» العنكبوت : ٩)

و قال حكاية عن سليمان بن داود عليه السلام : «و أن أعمل صالحاً ترضاه و أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين» النمل : ١٩)

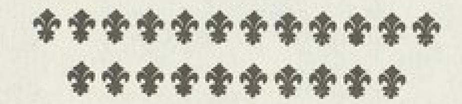
وقال حكاية عن فرقة من النصارى الذين يستعدون للايمان: «و مالنا لانؤمن بالله و ما جائنا من الحق و نطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين» المائدة : ٨٤)

٣٠- (و ادخلي جنتي)

و ادخلي جنتي التي وعدتك بها ، و أعددت نعيمك فيها ، فتمتعي فيها

مع الابـرار الصالحين ، و الأخيار المصطفين و حسن اولئك رفيقاً ، فتمتعى فيها بما لاعين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.

قال الله تعالى : «ومن يطع الله و الرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم مـن النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله و كفى بالله عليماً» النساء : ٦٩-٧٠)



﴿جملة المعانى﴾

٥٩٩٤ - (والفجر)

اقسم بوقت إنفجار الصبح الصادق ، و هو أفضل الاوقات .

٥٩٩٥ - (وليال عشر)

و اقسم بليال عشر معدودة من ليال السنة .

٥٩٩٦ - (والشفع والوتر)

واقسم بركعتى الشفع، وركعة الوتر اللاتى يقيمها المصلى المتهجد قبل الفجر.

٥٩٩٧ - (و الليل اذا يسر)

واقسم بالليل حين يدبر .

٥٩٩٨ - (هل فى ذلك قسم لذى حجر)

هل فى تلك الاقسام الخمسة قسم كاف لذى عقل سليم لا ثبات المقسم عليه الآتى .

٥٩٩٩ - (ألم تر كيف فعل ربك بعاد)

ألم ينته علمك أيها السامع إلى مافعل ربك بقوم عاد الاولى و كيف أهلكهم؟

٦٠٠٠ - (ارم ذات العماد)

ألم تعلم كيف فعل ربك بارم ذات العماد التى عمرتها قبيلة عاد .

٦٠٠١ - (التى لم يخلق مثلها فى البلاد)

المدينة المعمورة التى لم يبن مثلها فى بلد من البلاد فى تمديد عمدها و

علو أبنيتها و إرتفاع قصورها و بسطة خلق أصحابها .

٦٠٠٢ - (و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد)

أولم تعلم كيف فعل ربك بقوم ثمود الذين قطعوا صخور الجبال ، و بنوا منها قصوراً فى سهول الارض ، ومنهم من كانوا ينحتون الجبال بيوتاً ؟

٦٠٠٣ - (و فرعون ذى الاوتاد)

و كيف فعل ربك بفرعون طاغى مصر ، صاحب الاوتاد يعذب بها من سخط عليه..

٦٠٠٤ - (الذين طغوا فى البلاد)

هؤلاء الاقوام الثلاثة هم الذين تجاوزوا عما يجب عليهم من الايمان و صالح الاعمال ، فكفروا و عاصوا وسعوا فى إفساد الحرث والنسل فى البلاد .

٦٠٠٥ - (فاكثروا فيها الفساد)

فأشاعوا فى البلاد الفساد : فساداً فى دين الناس ودنياهم . . .

٦٠٠٦ - (فصب عليهم ربك سوط عذاب)

فأفرغ ربك على هؤلاء الطغاة الجبابرة أنواع العذاب كلا بنوع خاص.

٦٠٠٧ - (ان ربك لبالمرصاد)

ان ربك أيها السامع رقيب يراقب أعمال عباده . . .

٦٠٠٨ - (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن)

فأما الانسان إذا امتحنه ربه بالنعمة ، فأكرمه بالمال ، ونعمه بما أوسع عليه من متاع الدنيا ، فيقول : ربى فضلنى بما أعطانيه على غيرى .

٦٠٠٩ - (و أما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن)

و أما إذا اختبره بالفقر فضاق عليه رزقه ، فيقول : ربى أذلنى .

٦٠١٠ - (كلا بل لاتكرمون اليتيم)

ليس الاكرام فى السعة ، ولا الاهانة فى الضيق كما تزعمون ، بل الامرانكم

لا تنهضون بحق العطاء و لا توفون بحق المال لانكم لا تكرمون اليتيم الذى ليس له حام ولا كافل لفقده أباه .

٦٠١١- (و لاتحاضون على طعام المسكين)

ولايحث بعضكم بعضاً على إطعام المسكين المحتاج الذى لايتعرض للسؤال.

٦٠١٢- (و تأكلون التراث أكلا لما)

و أنتم الذين تأكلون الميراث من دون تفريق بين الحلال و الحرام أكلا جشعاً .

٦٠١٣- (و تحبون المال حبا جما)

وأنتم تحبون المال و متاع الحياة الدنيا حباً كثيراً مع حرص شديد وشره.

٦٠١٤- (كلا اذا دكت الارض دكا دكا)

لا تفعلوا هكذا إذ لا ينبغى لكم تلك الافعال كما لا ينبغى أن تقولوا تلك المقالات فى حالتى السعة والضيق، فستعلمون تبعات تلك الافعال السيئة والاقوال المنكرة يوماً خرجت الارض عن مدارها واصطك بعض أجزائها بعضاً متوالياً إلى أن صارت هباء منبثاً .

٦٠١٥- (وجاء ربك والملك صفا صفا)

و جاء أمر ربك يومئذ ، وحالكون ملائكته مصطفين صفاً بعد صف.

٦٠١٦- (وجيىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان و أنى له الذكرى)

ويومئذ برزت جهنم وظهرت لأهلها ، يومئذ يتذكر الانسان الطاغى ماسعى فى الحياة الدنيا أجلى التذكر ، وأنى له الذكرى عندئذ ، وقد طويت صحف الاعمال ولاسبيل إلى تدارك مافات .

٦٠١٧- (يقول يا ليتنى قدمت لحياتى)

يقول يومئذ هذا الانسان الغافل عن الآخرة فى الحياة الدنيا ، و المتذكر لحياة الدنيا فى الدار الآخرة: ياليتنى قدّمت ايماناً وعملاصالحاً لحياتى فى الآخرة.

٦٠١٨ - (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد)

فيوم القيامة لا يعذّب أحد مثل عذاب هذا الانسان الغارق فى حب الـدنيا والغافل عن الآخرة .

٦٠١٩ - (ولا يوثق وثاقه أحد)

و لا يوثق بالسلاسل و الاغلال يومئذ كوثاق هذا الانسان الطاغى أحد.

٦٠٢٠ - (يا أيتها النفس المطمئنة)

تقول الملائكة عند الاحتضار لاهل التقوى واليقين: يا أيتها النفس المطمئنة التى قلت : الله ربى ثم استقمت .

٦٠٢١ - (ارجعى الى ربك راضية مرضية)

تقول لها : إرجعى إلى أمـر ربك وحكمه ، راضية بقضائه و قـدره عليك فى الحياة الدنيا ، مرضية عنده فى الدارين.

٦٠٢٢ - (فادخلى فى عبادى)

يهتف بالنفس المطمئنة بعدأن ازدوجت مع أجسادها يوم القيامة : فادخلى فى جملة عبادى المكرمين الصالحين الذين رضيت عنهم ، ورضوا عنى .

٦٠٢٣ - (وادخلى جنتى)

وادخلى جنتى مع هؤلاء الكرام الصلحاء التى وعدتهم بها من الجنة ونعيمها.

﴿ بحث روائي ﴾

في كنز الفوائد : مرفوعاً عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قوله تعالى : « والفجر » هو القائم و « ليال عشر » الائمة من الحسن إلى الحسن عليه السلام و « الشفع » أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام و « الوتر » هو الله وحده لاشريك له و « والليل إذا يسر » هي دولة حبتر فهي تسرى إلى قيام القائم عليه السلام .

وفيه : باسناده عن يونس إبن يعقوب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الشفع هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام والوتر هو الله الواحد عزوجل .

و في الجامع لاحكام القرآن : و روى أبو الزبير عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « والفجر وليال عشر » قال : عشر الاضحى ، و الوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الايام ، يعني عشر ذي الحجة قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : و لا الجهاد في سبيل الله الا رجلا خرج بنفسه و ما له ثم لم يرجع من ذلك بشيء .

و في تفسير ابن كثير : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن لله تسعة وتسعين إسماً مأة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » .

و في الجامع لاحكام القرآن : عن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر » .

وفي المجمع: وقيل : الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة عن إبن عباس و عكرمة والضحاك و هي رواية جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوجه فيه ان يوم النحر يشفع بيوم نفر بعده وينفرد يوم عرفة بالموقف وقيل : الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة ، وروى ذلك عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام .

وفي تفسير القمي : « وليال عشر » قال: عشر ذي الحجة « والشفع والوتر » قال : الشفع ركعتان والوتر ركعة ، و في حديث : الشفع : الحسن و الحسين و الوتر أمير المؤمنين عليهم السلام « والليل إذا يسر » قال : هي ليلة جمع .

وفيه : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « لذي حجر » يقول : لذي عقل .

و في العلل : باسناده عن أبان الأحمر قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « وفرعون ذي الاوتاد » لأيّ شيء سمّي ذا الاوتاد ؟

فقال : لانه كان إذا عذّب رجلا بسطه على الارض على وجهه ، ومدّ يديه و رجليه فأوتدها بأربعة أوتاد في الارض، و ربما بسطه على خشب منبسط ، فوتّد رجليه و يديه بأربعة أوتاد ثم تركه على حاله حتى يموت ، فسمّاه الله عزوجل فرعون ذا الاوتاد .

وفي رواية : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رآى ملك الموت حين عرج به إلى السماء فسئله هل رقت لاحد من الخلائق الذين قبضت أرواحهم ، فقال : نعم إثنان أحدهما طفل ولد بالمفازة ثم أمرت بقبض روح امه ، ولم يكن هناك إنسان يتعهد الطفل ، والثاني ملك إجتهد في بناء مدينة لم يخلق مثلها ، ثم لم يرزق رؤيتها بعد أن وضع رجله فيها يعني شداداً فدعا الله نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبره بذلك ، فأوحى إليه ان ذلك الملك هو ذلك الطفل الذي ربيناه وآتيناه مملكة الدنيا ، وحين قابل النعمة والملك بالكفران ، وبنى الجنان التي هي من مقدورات الله الرحمن جزيناه بالخيبة والحرمان .

وفى الخصال : عن رجل من أهل الشام عن أبيه قال: سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: شر خلق الله خمسة : إبليس و إبن آدم الذى قتل أخاه و فرعون ذوالاوتاد و رجل من بنى إسرائيل ردّهم عن دينهم ، ورجل من هذه الامة يبايع على كفر عند باب لدّ ثم قال : انى لما رأيت معاوية يبايع عند باب لـدّ ذكرت قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلحقت بعلى عليه السلام كنت معه .

أقول : « لـد » ـ بالضم والتشديد ـ : قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين . ولا يخفى علـى القارىء المنصف ان معاوية بـن أبـى سفيان عليهما الهاوية والنيران كان شراً عظيماً على الاسلام و المسلمين ، وكان هو جرثومة الفتنة الوليدة من السقيفة السخيفة ، ولو لاها لما كان المسلمون على ماهم عليه اليوم مـن الانحطاط و الذلة و ما كانوا مستعمرين لأعداء الله جل و علا ، و لا مستثمرين لاعداء الاسلام ...

وفى تفسير القمى: قوله : « و فرعون ذى الاوتاد » : عمل الاوتاد التى أراد أن يصعد بها إلى السماء .

و فى الكافى: عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل: « ان ربك لبالمرصاد» قال : قنطرة على الصراط لايجوزها عبد بمظلمة .

وفى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ فـى خطبة ـ : « ولئن أمهل الله الظالم فلن يفوت أخـذه و هوله بالمرصاد مجاز طريقه ، وبموضع الشجا من مساغ ريقه » .

قوله عليه السلام : « مجاز طريقه » : مسلكه و موضع جوازه ، و « الشجا » : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه ، ومساغ : موضع الاساغة .

وفى المجمع : فى قوله تعالى : « ان ربك لبالمرصاد » و روى عن على عليه السلام انه قال : ان معناه ان ربك قادر أن يجزى أهل المعاصى جزائهم .

أقول : لعل بناء الرواية على أخذ الجملة إستعارة تمثيلية .

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «ان ربك لبالمرصاد» أي حافظ قائم على كل نفس.

وفيه: في قوله تعالى: «ان ربك لبالمرصاد» قال: انه تعالى يسمع ويرى ويرصد خلقه فيما يفعلون ويجازي كلا بسعيه في الدنيا والاخرى، وسيعرض الخلائق كلهم عليه، فيحكم فيهم بعدل ويقابل كلا بما يستحقه من الثواب أو العقاب. فهو تعالى منزه من الظلم والجور.

وفيه: روى عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا معاذ انّ المؤمن لدى الحق أسير، يا معاذ إن المؤمن لا يسكن روعه، ولا يأمن إضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره، يا معاذ ان المؤمن قيّده القرآن عن كثير من شهواته، وعن أن يهلك فيها هو باذن الله عزوجل، فالقرآن دليله، والخوف محجته، والشوق مطيته، والصلاة كهفه، والصوم جنته، والصدق فكاكه، والصدق أميره، والحياة وزيره، وربه عزوجل من وراء ذلك كله بالمرصاد.

وفي روضة الكافي: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أخبرني الروح الأمين ان الله لا إله غيره إذا وقف الخلائق، وجميع الاولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام أخذ بكل زمام مأة الف ملك من الغلاظ الشداد ولها هدة وتحطم وزفير وشهيق اذا تزفر الزفرة، فلولا ان الله عزوجل اخرها إلى الحساب لا هلكت الجمع، ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق: البرّ منهم والفاجر، فما خلق الله عبداً (خلقاً خ) من عباده ما ملك ولا نبي إلاّ وينادي! يا رب نفسي نفسي وأنت تقول:

يا رب امتي امتي ثم يوضع عليها صراط أدق من الشعر وأقطع من السيف عليه ثلاث قناطر: الاولى عليها الامانة والرحم، والثانية عليها الصلاة، والثالثة عليها رب العالمين لا إله غيره فيكلفون الممرّ عليها، فتحسبهم الامانة والرحم، فان نجوا منها حبستهم الصلاة، فان نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين جل ذكره، وهو قوله تبارك وتعالى: «ان ربك لبالمرصاد» والناس على الصراط، فمتعلق تزل قدمه وتثبت قدمه، والملائكة حولها ينادون! يا حليم يا كريم

اعطف واصفح وعد بفضلك وسلّم، والناس يتهافتون فيها كالفراش، فاذا نجى ناج برحمة الله تبارك و تعالى نظر إليها فقال: الحمد لله الذى نجانا منك بفضله ومنّه.

وفى المجمع: وقيل لأعرابى: أين ربك؟ قال: بالمرصاد و ليس يريد به المكان، فقد سئل على عليه السلام أين كان ربنا قبل أن خلق السموات والارض؟ فقال: أين سؤال عن مكان وكان الله لامكان.

و فى غوالى اللئالى: عن الصادق عليه السلام - فى حديث - فى تفسير قوله تعالى: «و ذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه» إنما ظن بمعنى إستيقن، ان الله تعالى لن يضيق عليه رزقه ألا تسمع قول الله تعالى: «و أما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه» أى ضيق عليه.

و فى البرهان: بالاسناد عن على بن محمد بن الجهم عن الرضا عليه السلام فى قوله تعالى: «و أما إذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه» أى ضيق.

وفى رواية: قال الله تعالى: «كلا انى لا اكرم من أكرمت بكثرة الدنيا، ولا اهين من أهنت بقلتها، إنما اكرم من اكرمت بطاعتى واهين من أهنت بمعصيتى».

وفى المجمع: وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا و كافل اليتيم كهاتين فى الجنة وأشار بالسبابة والوسطى».

و فى تفسير القمى: «كلا بل لا تكرمون اليتيم و لا تحاضون على طعام المسكين» أى لا تدعون وهم الذين غصبوا آل محمد حقهم، وأكلوا مال أتباعهم و فقراءهم و أبناء سبيلهم.

وفى رواية: عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، و شر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه - ثم قال بأصبعه - أنا و كافل اليتيم فى الجنة هكذا».

و فى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «اللهم أحينى مسكيناً، وأمتنى مسكيناً،

واحشرني في زمرة المساكين ».

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أحب البيوت بيت فيه يتيم مكرم ».

و في حديث : « الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها وحدها يجمع من لا عقل له ».

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ونعم المال الصالح للرجل الصالح ».

وفي تفسير القمي : و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « كلا إذا دكت الارض دكاً دكاً » قال : هي الزلزلة.

و في أمالي الشيخ الطوسي : قدس سره باسناده عن سيد الشهداء سبط المصطفى الحسين بن علي عن أبيه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل تدرون ما تفسير هذه الآية : « كلا إذا دكت الارض دكاً دكاً » !؟ قال : إذا كان يوم القيامة تقاد جهنم بسبعين ألف زمام بيد سبعين ألف ملك ، فتشرد شردة لولا ان الله حبسها لاحرقت السموات والارض.

وفي الاحتجاج : و سئل الامام علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء عن قوله عز وجل : « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » فقال : ان الله لا يوصف بالمجيىء والذهاب والانتقال إنما يعني بذلك : و جاء أمر ربك.

وفي البحار : في رواية ـ سئل مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام عما لفظه خصوص ومعناه عموم فقال : قوله سبحانه : « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » معناه جميع الملائكة.

وفي عيون الاخبار : باسناده عن علي بن فضال عن أبيه قال : سئلت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : « و جاء ربك والملك صفاً صفاً » فقال : ان الله سبحانه لا يوصف بالمجيىء والذهاب ، تعالى عن الانتقال إنما يعني بذلك و جاء أمر ربك.

و في تفسير النيسابوري : في قوله تعالى : « وجاء ربك والملك

صفاً صفاً » يروى أنها لما نزلت تغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إشتدّ على أصحابه فجاء علي رضي‌الله عنه فاحتضنه و قبل عاتقه ثم قال : يا نبي‌الله بأبي أنت و امي ماالذي حدث‌اليوم حتى غيّرك ؟ فتلا عليه‌الآية فقال له علي عليه السلام كيف يجاء بجهنم؟ قال : يجيىء بها سبعون‌ألف ملك يقودونها بسبعين‌ألف زمام، فتشرد شرارة لو تركت لأحرقت أهل‌الجمع .

و في الدرالمنثور : عن الخدري قال : لما نزلت هذه الاية تغيّر وجه رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرف حتى إشتدّ على أصحابه ما رأوا من حاله و انطلق بعضهم إلى علي‌بن أبيطالب عليه السلام فقالوا : يا علي ! لقد حدث أمر قد رأيناه في نبي‌الله فجاء علي عليه السلام فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه ، ثم قال : يا نبي الله بأبي‌أنت وامي ماالذي حدث‌اليوم ؟ قال : جاء جبرائيل فاقرأني : « و جيىء يومئذ بجهنم» قال : فقلت : يجاء بها ؟ قال : يجيىء بها سبعون ألف يقودونها بسبعين ألف‌زمام، فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ، ثم أتعرض لجهنم فتقول : مالي و لك يا محمد ! فقد حرم‌الله لحمك عليّ ، فلايبقى أحد الا قال : نفسي نفسي ، و ان محمداً يقول : امتي امتي .

و في تفسير القمي : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية : « و جيىء يومئذ بجهنم» سئل عن ذلك رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: بذلك أخبرني الروح الأمين ان‌الله لا إله غيره إذا أبرز الخلائق، و جمع‌الخلائق الاولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام لكل زمام مأة ألف ملك ...

و في الاحتجاج : وفي رواية سليم‌بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي ـ إلى أن قال ـ : قال لي عمربن الخطاب : قل ما شئت أليس قد عزلهاالله عزوجل عن‌أهل هذا البيت الذين قد اتخذتموهم أرباباً قال: قلت : فاني اشهد اني سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : و قد سئلته عن هذه الآية : « فيومئذ لايعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد » فقال : انك أنت هو فقال : اسكت اسكت‌الله نامتك أيها

العبد يابن اللخناء فقال لي علي عليه السلام : اسكت يا سلمان ، فسكت ، و والله لولا انه أمرني بالسكوت لا خبرته بكل شيء نزل فيه وفي صاحبه ، فلما رآى ذلك عمر انه قد سكت قال : انك له مطيع مسلم .

وفي تفسير القمي : قوله : « فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد » قال : هو الثاني .

وفيه : في قوله تعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية » قال : إذا حضر المؤمن الوفاة نادى مناد من عند الله « يا أيتها النفس المطمئنة » بولاية علي « ارجعي إلى ربك راضية مرضية » المطمئنة بولاية علي مرضية بالثواب ، « فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » فلا يكون له همة إلا اللحوق بالنداء .

وفيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : « يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية » يعني الحسين بن علي عليهما السلام .

وفي الكافي : باسناده عن سدير الصيرفي قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك يابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه ؟ قال : لا والله إنه إذا أتاه ملك الموت لقبض (ليقبض خ) روحه جزع عند ذلك، فيقول ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع ، فوالذي بعث محمداً لأنا (لأني خ) أبر بك و أشفق عليك من والد رحيم لو حضرك ، إفتح عينيك فانظر قال : يتمثل (ويمثل خ) له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أمير المؤمنين و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة من ذريتهم عليهم السلام فيقال له :

هذا رسول الله و أمير المومنين و فاطمة و الحسن و الحسين والائمة عليهم السلام رفقاؤك ، قال : فيفتح عينيه فينظر فينادي روحه مناد من قبل رب العزة فيقول: يا أيتها النفس المطمئنة إلى محمد و أهل بيته إرجعي إلى ربك راضية بالولاية مرضية بالثواب فادخلي في عبادي يعني محمداً و أهل بيته وادخلي جنتي ، فما

من شيء أحب إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادى .

و في تفسير ابن كثير: عن سعيد بن جبير قال: مات إبن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقته ، فدخل نعشه ثم لم ير خارجاً منه ، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها: « يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » .

وفيه : عن أبي أمامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل : « قل اللهم إني أسئلك نفساً بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بطاعتك » .



﴿ بحث فقهي ﴾

يستدل بقوله جل وعلا : « كلا بل لاتكرمون اليتيم» الفجر : ١٧) على وجوب إكرام اليتيم بالصدقة وغيرها، وإلاّ لم يجز التهديد و العذاب على تركه، حيث ان الاخلال بالواجب يوجب الذم و العقاب.

ويستظهر من قوله تعالى : «ولا تحاضّون على طعام المسكين» الفجر : ١٨) مضافاً إلى وجوب إطعام المسكين على القادر ، و وجوب حضّ البعض بعضاً على غير القادر على الاطعام : ان الكافر مخاطب بالفروع كما أنه مخاطب بالاصول، وإن لم تصح منه الفروع قبل الايمان بالاصول... لاطلاق الخطاب،فيشمل للكافر ، و المسلم التارك ، كما يظهر ذلك أيضاً من الآية السابقة .

و يستفاد من قوله عزوجل : «و تأكلون التراث أكلا لمّاً» الفجر : ١٩) على حرمة أكل ما تركه الميت على الوارث قبل أداء حق كل ذى حق حقه ، سواء كان بالدين أو بالوصية ، أم كان فى التركة حق الغير من طريق الظلم أو الغصب أو الربا و ما إليها من طرق الحرام ، أم كانت فيها واجبات مالية من الخمس و الزكاة و الصدقات الواجبة ... مضافاً إلى وجوب أداء حق الورّاث على ماورد فى الشريعة الاسلامية ... فتأمل جيداً و اغتنم جداً .

﴿ بحث مذهبي ﴾

و قد ذهب الاشعرى و أذنابه الأشاعرة من المشبهة و المجسمة إلى أن الله سبحانه ينزل من عرشه إلى موقف الحساب يوم القيامة ، و يوضع كرسيّه على النار فيستوى عليه وتشبثوا فى ذلك بكلمات فى تأويل آيات وهى بريئة من تلك العقائد السخيفة منهاما :

فى جامع البيان : للطبرى عن الضحاك فى قوله تعالى : «ان ربك لبالمرصاد» قال : إذا كان يوم القيامة يأمر الرب بكرسيّه ، فيوضع على النار فيستوى عليه ثم يقول : وعزتى و جلالى لايتجاوزنى اليوم ذو مظلمة ، فذكر: «لبالمرصاد»

أقول: و من مذهب أهل التنزيه وهم الشيعة الامامية الاثنى عشرية : ان الله سبحانه ليس بجسم ولا فيه شيء من خواص الأجسام ، فلا يوصف جل وعلا بالأبعاد الثلاثة : من طول وعرض وعمق ذاتياً ، ولا هو ذوحركة و سكون ، ولا خفة و ثقل و وزن ، ولا هو محدود بجهة، ولا يحويه مكان، ولا يخلو منه مكان: «أينما تولوا فثم وجه الله» ولا هو معروض الحوادث من الاجتماع و الافتراق ، و الحضور و الغياب ، و الانتقال و الذهاب و الاياب ، إذ كل ذلك هو من لوازم الجسم ، عوارض حادثة ، والله سبحانه قديم فى ذاته و صفاته ، منزّه عن كل عروض و حدوث : «ليس كمثله شيء وهو السميع العليم» الشورى : ١١)

و تشبثت المجسمة: من الأشاعرة بقوله سبحانه : «و جاء ربك و الملك صفاً صفاً» الفجر : ٢٢) على مذهبهم السخيف .

و ذلك انهم يجوّزون على الله سبحانه الملامسة و المصافحة و المعانقة فى الدنيا و الآخرة لمن بلغ فى الرياضة إلى حدّ الاخلاص و الاتحاد المحض ، فيجرون الآيات النازلة فى الاستواء و الوجه و اليد و المجيىء و الاتيان و الفوقية على ظواهرها أعنى مايفهم عند الاطلاق على الاجسام ...

أقول: و سخافته بديهية لاتحتاج إلى زيادة بيان ، حيث ان الله سبحانه و تعالى لايوصف بالتحول من مكان إلى مكان ، و أنى له التحول و الانتقال ، و لامكان له ولا أوان و لايجرى عليه وقت و لازمان لان فى جريان الوقت على شيء فوت الاوقات ، و من فاته شيء فهو عاجز ، فلا تجيىء ذاته المقدسة ولا تذهب ، لا فى المكان إذ لامكان له ، ولا فى الزمان إذ لازمان، ولا انتقال الفكر و القدرة و العلم إذ هو محيط بكل زمان ومكان و هو مع كل إنس وجان: «و هو معكم أينما كنتم» الحديد: ٤)

و فى جامع البيان : قال الطبرى : قوله تعالى : «و جيىء يومئذ بجهنم» الفجر : ٢٣)

يقول تعالى ذكره : و جاء الله يومئذ بجهنم .

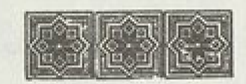
أقول: و قد ظهر معنى الاية فى التفسير و التأويل فراجع .

وفى تفسير الفخر: فى قوله تعالى : «يقول ياليتنى قدمت لحياتى» قال : فيه دليل على أن قبول التوبة لايجب عقلا.

أقول: و هذا غير معقول ، مع كونه قياساً بالفارق ، و ذلك ان لقبول التوبة شرائط ... منها قبل اليأس و العجز كما أن للتوبة نفسها شرائط ، فلادليل عقلا على وجوب قبول التوبة فى غير وقتها كايمان اليأس ، مع أن عدم قبولها

فی دار الجزاء لایدل علی عدم قبولها فی دار العمل و التکلیف .

و فی تفسیر الکشاف : فی قوله تعالی:«یقول یالیتنی قدمت لحیاتی» قال: هذا أبین دلیل علی أن الاختیار کان فی أیدیهم ، و معلقاً بقصدهم و إرادتهم ، و انهم لم یکونوا محجوبین عن الطاعات مجبرین علی المعاصی کمذهب أهل الأهواء و البدع ، و إلاّ فما معنی التحسر . إنتهی کلامه .



«الفجر وأفضل الاوقات»

قال الله عزوجل : «والفجر» الفجر : ١)

الفجر هو : الوقت الذى ينشق فيه الضوء و ينتشر النور .

ان الله جل وعلا أقسم بالفجر لانه من أفضل أوقات الليل كما أقسم بالعصر: «والعصر» لانه من أفضل أوقات النهار ، فلا تغفل عنهما .

فى الكافى : باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : وقت الفجر حين ينشق الفجر إلى أن يتجلل الصبح السماء ، ولا ينبغى تأخير ذلك عمداً لكنه وقت لمن شغل أو نسى أو نام .

قوله عليه السلام : «يتجلل» ينتشر الصبح فى السماء و يشمل ضوءه بها .

وفيه : باسناده عن أبى عبدالله عليه السلام قال : وقت الفجر حين يبدو حتى يضيىء .

وفيه : باسناده عن على بن عطية عن أبى عبدالله عليه السلام قال : الصبح هو الذى إذا رأيته معترضاً كانه بياض سورى .

قوله عليه السلام : «بياض سورى» كطوبى موضع بالعراق ، و موضع من اعمال بغداد ، و المراد هيهنا الفرات ، و المراد ببياضها نهرها .

وفيه : باسناده عن على بن مهزيار قال : كتب أبوالحسن ابن الحصين إلى أبى جعفر الثانى عليه السلام معى : جعلت فداك قد اختلفت مواليك فى صلاة الفجر ، فمنهم من يصلى إذا طلع الفجر الاول المستطيل فى السماء ، و منهم من يصلى

إذا اعترض فى أسفل الافق ، و استبان و لست أعرف الوقتين ، فاصلّى فيه فان رأيت تعلّمنى أفضل الوقتين، و تحدّه لى و كيف أصنع مع القمر و الفجر لايتبيّن معه حتى يحمرّ و يصبح ، و كيف أصنع مع الغيم ، و ما حدّ ذلك فى السفر و الحضر ؟ فعلت إن شاء الله فكتب عليه السلام بخطّه و قرأته :

«الفجر - يرحمك الله - هو الخيط الابيض المعترض ليس هو الأبيض صعداء فلا تصلّ فى سفر ولا حضر حتى تتبيّنه ، فان الله تبارك و تعالى لم يجعل خلقه فى شبهة من هذا ، فقال: « كلوا و اشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر» فالخيط الأبيض هو المعترض الذى يحرم به الأكل و الشرب فى الصوم ، و كذلك هو الذى توجب به الصلاة» .

وفيه : باسناده عن إسحق بن عمار قال : قلت لأبى عبدالله عليه السلام : أخبرنى بأفضل المواقيت فى صلاة الفجر ؟ فقال : مع طلوع الفجر، ان الله عز وجل يقول: «و قرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً» يعنى صلاة الفجر، تشهده ملائكة الليل و ملائكة النهار ، فاذا صلّى العبد الصبح مع طلوع الفجر أثبتت له مرّتين أثبتها ملائكة الليل و ملائكة النهار .

وفيه : باسناده عن سليمان بن حفص المروزى عن أبى الحسن العسكرى عليه السلام قال : إذا انتصف الليل ظهر بياض فى وسط السماء شبه عمود من حديد تضيىء له الدنيا ، فيكون ساعة ثم يذهب و يظلم ، فاذا بقى ثلث الليل ظهر بياض من قبل المشرق ، فأضاءت له الدنيا فيكون ساعة ثم يذهب و هو وقت صلاة الليل ثم يظلم قبل الفجر ثم يطلع الفجر الصادق ، من قبل المشرق ، قال : و من أراد أن يصلّى صلاة الليل فى نصف الليل فذلك له .

قوله عليه السلام : «تضيىء له الدنيا - فأضاءت له الدنيا» قيل : يحتمل أن يكون المراد بالاضائة ظهور الانوار المعنوية للمقربين فى هذين الوقتين ، أو تكون أنوار ضعيفة لخفى غالباً من أبصار أكثر الخلق، وتظهر على أبصار المؤمنين الصالحين الذين ينظرون بنور الله تعالى كالملائكة تظهر لبعض وتخفى عن بعض.

و قدمر سابقاً ان الفجر فجران : فجر كاذب ، و سمى بـه لبطلانه بعد مكث قليل ، و يسمى بذنب السرحان أيظاً لمشابهته ذنب الذئب إذا شاله .

و هذا عمود شعاعى يظهر فى آخر الليل مـن ناحية الافق الشرقـى إذا بلغت فاصلة الشمس من دائرة الافق إلى (١٨) درجة تحت الافق ثم يبطل بالاعتراض فيكون معترضاً مستطيلا على الافق كالخيط الابيض الممدود عليه ، و هو الفجر الثانى يسمى بالفجر الصادق لصدقه فيما يحكيه من قدوم النهار و إتصاله بطلوع الشمس ، و من هنا يعلم أن المراد بالخيط الابيض هو الفجر الصادق .

وفى روايه : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «ألا أدلكم على ساعة من ساعات الجنة الظل فيها ممدود و الرزق فيها مقسوم و الرحمة فيها مبسوطة و الدعـاء مستجاب ؟

قالوا : بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قـال : مـا بين طلوع الفجر إلـى طلوع الشمس» .

وفى تفسير روح البيان : قـال علـى المرتضى عليه السلام : مـر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعائشة قبل طلوع الشمس و هى نائمة ، فحركها برجله ، فقال : قومى لتشاهد رزق ربك ولا تكونى مـن الغافلين ان الله يقسم أرزاق العباد بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

قال الله تعالى : «و اذكر ربك فـى نفسك تضرعـاً و خيفة و دون الجهر من القول بالغدو و الآصال ولا تكن من الغافلين» الاعراف : ٢٠٥)

ان الله عزوجل خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذى هو أخو الموت ، فاستحب له أن يستقبل حال الانتباه مـن النوم ، و هـو وقت الحياة مـن موت النوم بالـذكر ، فيكون أول أعماله ذكـر الله تعالـى .

و أما الآصال فهى آخر النهار يريد الانسان أن يستقبل إلى النوم الذى

هو أخو الموت فيستحبّ له أن يستقبله بالذكر لانها حالة تشبه الموت ، و لعله لايقوم من تلك النومة : فيكون موته على ذكر الله إنتباهه بالذكر و آخر إنتباهه بالذكر .

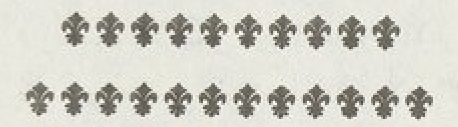
مع أن تخصيص هذين الوقتين بالذكر لشر فهما على سائر الأوقات ، و انهما مظنة إستجابة دعاء كما ورد : ان أعمال العبد تصعد أول النهار وآخره ، فيصعد عمل الليل عند الفجر ، وعمل النهار وقت العصر .

فلا ينبغى للانسان أن يكون غافلا عند صعود أعماله عن ذكر الله تعالى أعماله فى الليل فى آخره ، و أعماله فى النهار فى آخره .

وفى المجمع : الفجر : شقّ عمود الصبح فجره الله لعباد فجراً إذا ظهره فى افق المشرق مبشراً بادبار الليل المظلم، و إقبال النهار المضيىء وهما فجران:

أحدهما ـ الفجر المستطيل و هو الذى يصعد طولاً كذنب السرحان ولا حكم له فى الشرع .

و الآخر : هو المستطير المنتشر فى افق السماء و هو الذى يحرم عنده الاكل و الشرب لمن أراد أن يصوم فى شهر رمضان و هو إبتداء اليوم .



﴿الشفع والوتر﴾

قال الله تعالى: «و الشفع و الوتر» الفجر: ٣)

ومالهما من الفضل أقسم الله تعالى بهما ومن احد معانيهما ان الشفع ركعتا صلاة الشفع و الوتر ركعة صلاة الوتر من النوافل الليلية.

جدير من بيان كيفية ادائهما وفضلهما:

وذلك اذا صلى العبد ثمان ركعات اربع مرّات ركعتين ركعتين كصلاة الصبح بنية نافلة الليل فينوى فيقول: أصلى ركعتى الشفع قربة الى الله تعالى.

ثم ينوى فيقول: اصلى ركعة الوتر قربة الى الله فاذا رفع يده للقنوت قال في قنوته: «سبعين مرّة استغفر الله ربى و اتوب الله» و يستحب ان يقول سبع مرّات: «هذامقام العائذ بك من النار» وان يستغفر لاربعين مؤمنا و ان يقول بعد ذلك ثلاثمأة مرة: «العفو العفو».

و ان يقول بعد ذلك:

«رب اغفرلى و ارحمنى و تب علىّ انك انت التوّاب الغفور الرحيم»

و يستحب ان يقول في قنوته ايضا:

«رب اسأت و ظلمت نفسى و بئس ماصنعت و هذه يداى يا رب جزاء بما كسبت و هذه رقبتى خاضعة لما اتيت وها انا ذابين يديك فخذ لنفسك من

نفسى الرضا حتى ترضى لك العتبى لاعود»

فى الفقيه : بسند صحيح عن ابى عبد الله عليه السلام انه قال: من قال فى وتره اذا اوتر «استغفر الله و اتوب اليه» سبعين مرّة وواظب على ذلك حتى تمضى سنة كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار و وجبت له المغفرة من الله عزوجل .

وفى التهذيب: باسناده عن معاوية بن عمار قال : سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول فى قول الله عزوجل : «و بالاسحار هم يستغفرون» فى الوتر فى آخر الليل سبعين مرّة .

وفى العلل: باسناده عن زرارة قال : قال ابوجعفر عليه السلام: من كان يؤمن بالله و اليوم الاخر فلايبيتنّ الاّ بوتر .

وفى روضة الواعظين: قال الرضا عليه السلام : عليكم بصلاة الليل فما من عبد يقوم آخر الليل فيصلّى ثمان ركعات وركعتى الشفع و ركعة الوتر واستغفر الله فى قنوته سبعين مرّة الاّ اجير من عذاب القبر و من عذاب النار و مدّ له فى عمره و وسّع عليه فى معيشته .

ثم قال عليه السلام : ان البيوت التى يصلّى فيها بالليل يزهر نورها لاهل السماء كما يزهر نور الكواكب لاهل الارض .

وفى فقه الرضا عليه السلام : روى ان من طوّل الوقوف فى الوتر قلّ وقوفه يوم القيامة .

وفى دعائم الاسلام: باسناده عن على عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بالوتر و ان عليا كان يشدّد فيه ولا يرخّص فى تركه .

و فى العلل: باسناده عن عبدالله بن أبى يعفور عن أبى عبدالله عليه السلام قال : استغفر الله فى الوتر سبعين مرّة تنصب يدك اليسرى و تعدّ باليمنى .

وفی عدة الداعی: روی ابن أبی عمیر عن هشام بن سالم عن ابی عبدالله علیه السلام قال : من قدّم اربعین من المؤمنین ثم دعا استجیب له و یتأکّد بعد الفراغ من صلاة اللیل یقول و هو ساجد : « اللهم رب الفجر و اللیالی العشر و الشفع و الوتر و اللیل اذا یسر و رب کل شیء و اله کل شیء ومليك كلشیء صلّ علی محمد و آل محمد وافعل بی وبفلان وفلان ماانت اهله ولاتفعل بناما نحن اهله یا اهل التقوی واهل المغفرة.

وفی الذکری : عن زرارة ان رجلا سئل امیرالمؤمنین علیه السلام عن الوتر اول اللیل فلم یجبه فلما کان بین الصبحین خرج امیرالمؤمنین علیه السلام الی المسجد فنادی : أین السائل عن الوتر ؟ نعم ساعات الوتر هذه ثم قام فأوتر .

أقول: الصبحین یعنی الصبح الکاذب و الصادق .

ولا یخفی علیك بجواز تقدیم الوتر اول اللیل حیث یجوز تقدیم صلاة اللیل عند الضرورة و افضل اوقات الوتر هو بین الفجر الکاذب والفجر الصادق .

وفی ارشاد القلوب : سئل ابو جعفر الباقر علیه السلام عن وقت صلاة اللیل فقال : الوقت الذی جاء عن جدّی رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم انه قال : ینادی فیه منادی الله عزوجل : هل من داع فاجیبه ؟ هل من مستغفر فاغفر له ؟ قال السائل : و ما هو ؟ قال : الوقت الذی وعد یعقوب فیه بنیه بقوله : « سوف استغفر لکم ربی » .

قال : و ماهو ؟ قال : الوقت الذی قال الله فیه : «و المستغفرین بالاسحار» ان صلاة اللیل فی آخره افضل منها قبل ذلك و هو وقت الاجابة و هی هدیة المؤمن الی ربه فاحسنوا هدایاکم الی ربکم یحسن الله جوایزکم فانه لایواظب

عليها الا مومن اوصديق .

وفى العلل : سئل ابو عبدالله عليه السلام ما العلة فى قراءة قل هو الله احد فى الوتر ثلاث مرات ؟ فقال : العلة فيه ان قل هو الله احد ثلث القرآن و اذا قرئت ثلاث مرات يكون قاريها قد قرأ القرآن كله فى الوتر .

وفى الفقيه : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر فى الوتر سبعين مرة ويقول: «هذا مقام العائذبك من النار» سبع مرات .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : اطولكم قنوتا فى الوتر اطولكم راحة يوم القيامة فى الموقف .

وفى البحار : يستحب ان يسجد عقيب الوتر سجدتين يقول فى الاولى : « سبوح قدوس رب الملائكة و الروح» خمس مرات ثم يجلس و يقرأ آية الكرسى ثم يسجد ثانيا ويقول كذلك خمسا فقدروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان من فعل ذلك لم يقم من مقامه حتى يغفرله و يكتب له ثواب شهداء امتى الى يوم القيامة و يعطى ثواب مأة حجة و عمرة و يكتب له بكل سورة من القرآن مدينة فى الجنة .

و بعث الله تعالى ألف ملك يكتبون له الجنات إلى يوم يموت ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه فى الجنة و كأنما طاف بالبيت مأة طواف و اعتق مأة رقبة ولا يقوم من مقامه حتى تنزل عليه ألف رحمة و يستجاب دعاؤه و قضى الله تعالى حاجته فى دنياه و آخرته و له بكل سجدة ثواب ألف صلاة تطوع .

و فى الحديث : « ان الله و تر يحب الوتر فاوتروا » اى الله تعالى واحد فى ذاته لايقبل الانقسام و التجزئة واحد فى صفاته فلا شبيه له ولا مثل

واحد في افعاله فلا شريك له ولا معين و هو يحب الوتر اى يثيب عليه و يقبله من عامله «فاوتروا» امر بصلاة الوتر و هو ان يصلى في صلاة الليل مثنى مثنى ثم يصلى في آخرها ركعة مفردة او يضيفها الى ما قبلها من الركعات.



﴿ركعتا صلاة الفجر وفضلها﴾

و اعلم ان ركعتى الفجر بعد صلاة الوتر وافضل اوقاتهما عند الفجر الصادق و ان كان يجوز اتيا نهما قبله و بعده الى ان تطلع الحمرة المشرقية فتصير الفريضة اولى و لهاتين الركعتين فضل كثير فلا تغفل و فقنا الله تعالى و اياكم .

فى تفسير القمى : باسناده عن البزنطى عن الرضا عليه السلام قال: «وادبار النجوم» ركعتان قبل صلاة الصبح .

وفى العيون: باسناده عن رجاء بن أبى الضحاك ان الرضا عليه السلام كان اذا سلّم من الوتر جلس فى التعقيب ما شاء الله فاذا قرب من الفجر قام فصلّى ركعتى الفجر و قرأفى الاولى الحمد و قل يا ايها الكافرون و فى الثانية الحمد و قل هو الله احد فاذا طلع الفجر أذّن و أقام وصلّى الغداة ركعتين . الخبر .

وفى فقه الرضا : قال عليه السلام : بعد ذكر الوتر : ثم صلّى ركعتى الفجر قبل الفجر و عنده و بعده تقرأ فيهما قل يا ايها الكافرون و قل هو الله احد ولا بأس بان تصليهما اذا بقى من الليل ربع و كلما قرب من الفجر كان افضل .

وفى التهذيب : باسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

صلّ ركعتى الفجر قبل الفجر و بعده وعنده .

وفى دعائم الاسلام : عن على عليه السلام انه أمر بصلاة ركعتى الفجر فى السفر و الحضر و قال فى قول الله عزوجل : « و ادبار النجوم »: ان ذلك فى ركعتى الفجر .

وفيه: عن أبى عبدالله عليه السلام انه سئل عن قول الله عزوجل : « وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » قال : هو الركعتان قبل صلاة الفجر .

وفى ثواب الاعمال: باسناده عن على عليه السلام قال : من صلّى الفجر و قرأقل هو الله احد احدى عشرة مرة لم يتبعه فى ذلك اليوم ذنب و ان رغم أنف الشيطان .

وفى البحار: عن الصادق عليه السلام : من قرأ التوحيد احدى و عشرين مرّة فى دبر ركعتى الفجر بنى الله تعالى له بيتا فى الجنة و من قرأها مأة بنى الله تعالى له مسكنا فى الجنة ثم قل : سبحان ربى العظيم و بحمده استغفرالله ربى و اتوب اليه و اسئله من فضله ثم صلّ على النبى صلى الله عليه وآله مأة مرّة .

وفى دعائم الاسلام : عن ابى عبدالله عليه السلام انه كان اذاصلّى ركعتى الفجر و كان لايصلّيها حتى يطلع الفجريتّكى على جانبه الأيمن ثم يضع يده اليمنى تحت خدّه الايمن مستقبل القبلة ثم يقول : استمسكت بعروة الله الوثقى التى لا انفصام لها و اعتصمت بحبل الله المتين اعوذ بالله من شرّ شياطين الانس و الجن اعوذ بالله من شرّ فسقة العرب و العجم حسبى الله توكّلت على الله ألجأت ظهرى الى الله طلبت حاجتى من الله لاحول ولا قوّة الاّ بالله .

اللهم اجعل لى نورا فى قلبى و نورا فى سمعى و نورا فى لسانى و نورا فى بشرى و نورا فى شعرى و نورا فى لحمى و نورا فى دمى و نورا فى عظامى و نورا فى عصبى و نورا بين يدى و نورا من خلفى و نورا عن يمينى و نورا

عن شمالى و نورا من فوقى و نورا من تحتى اللهم أعظم لى نورا .

ثم يقرأ : « ان فى خلق السموات و الارض - الى قوله سبحانه - : انك لا تخلف الميعاد» آل عمران : ١٩٠-١٩٤)

ثم يقول : «سبحان رب الصباح فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس و القمر حسبانا - ثلاثا - اللهم اجعل اول يومى هذا صلاحا و أوسطه نجاحا و آخره فلاحا اللهم من أصبح و حاجته الى مخلوق فان حاجتى و طلبتى اليك وحدك لاشريك لك .

ثم يقرأ آية الكرسى و المعوّذتين يقول : « سبحان ربى العظيم وبحمده استغفر الله و أتوب اليه مأة مرّة و كان يقول من قال هذا بنى الله له بيتافى الجنة .

و عن مصباح المتهجد: ثم يستوى جالسا و يسبّح تسبيح الزهراء عليها السلام يستحبّ ان يقول مأة مرة : « سبحان ربى العظيم و بحمده استغفر الله ربى و اتوب اليه » ثم يقول : « اللهم افتح لى باب الامر الذى فيه اليسر و العافية اللهم هيّىء لى سبيله و بصّرنى مخرجه اللهم و ان كنت قضيت لاحد من خلقك علىّ مقدرة بسوء فخذه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و من تحت قدميه و من فوق رأسه و اكفنى بم شئت و حيث شئت و كيف شئت .

و عن البلد الأمين: كان على عليه السلام يستغفر سبعين مرّة فى سحر كل ليلة بعقب ركعتى الفجر .

وفى الفقيه: بسنده الموثق عن عمّار الساباطى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : يقول اذا طلع: «الحمد لله فالق الاصباح سبحان رب المساء والصباح اللهم صبّح آل محمد ببركة و عافية و سؤدد و قرّة عين اللهم انك تنزل بالليل و النهار

ماتشاء فانزل عليّ و على أهل بيتى من بركة السموات و الارض رزقا حلا لا طيّبا و اسعا تغنينى به عن جميع خلقك .

وفى ثواب الاعمال : قيل لابى الحسن عليه السلام : ان بعض بنى عمّى و اهل بيتى يبغون عليّ فقال: قل : ما شاء الله لاحول ولا قوّة الاّ بالله أشهد و اعلم ان الله على كل شيء قدير مأة مرّة بعد طلوع الصبح ففعل فذهب بغيهم عنه.



﴿تحقيق فى نسب عاد﴾

ان هذه السورة التى تقرأها هى اول سورة أشير فيها الى قصة عاد اجمالاً تمهيد يا لما يأتى تفصيله و جاء ذكر عاد اجمالا و تفصيلا فى القرآن الكريم نحو (٢٤) مرّة حسب الاقتضاء .

ولم تذكر قصة عاد فى كتاب من الكتب المقدسة سوى القرآن الكريم وليس فى الأخبار ما يوثق به تمام الوثوق و يصح التعويل عليه .

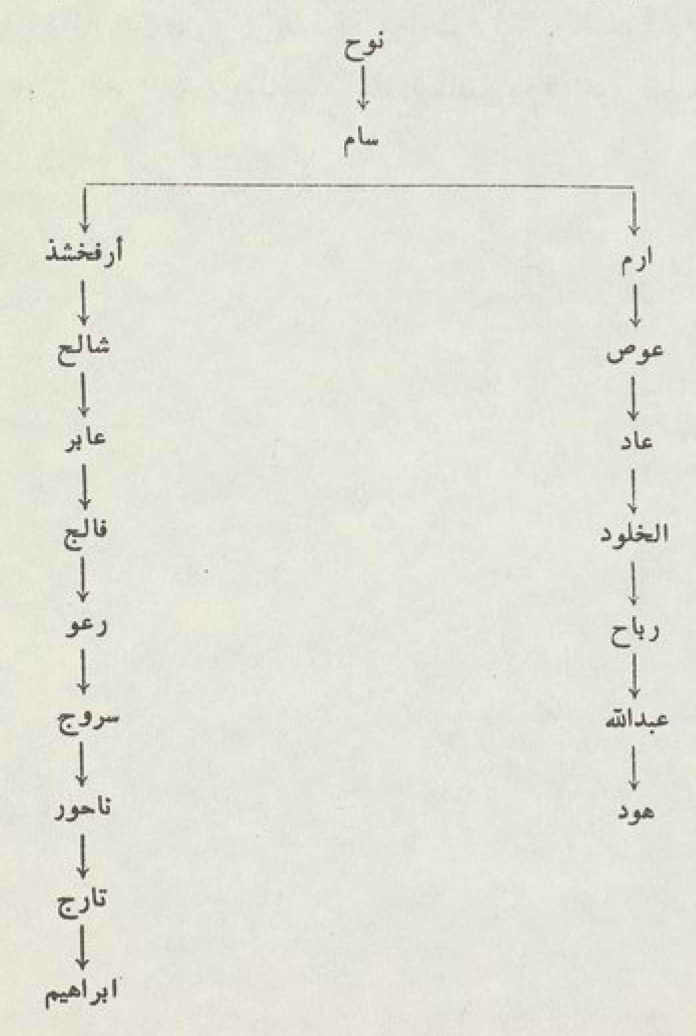
و اما القرآن فذكر مساكنهم و احوالهم و جسامة أجسامهم و قوتهم و بطشهم و ما كانوا ناعمين فيه من خصب و رغد عيش و ما استمسكوا به من الكفر والاوثان و عتوهم و فسادهم فى الارض وتماديهم فى الاستمساك بعبادتهم الباطلة و ما بذل هود فى سبيل هدايتهم وردّهم عن فساد عقيدتهم و ما قابلوه به من العناد و السخرية و الاستهزاء الى أن تأذن بهلاكهم .

فنشير الى اجمال مفصلها فى ضمن ستّة ابواب آتية:

احدها ـ نسب عاد . ثانيها ـ مساكن عاد قوم هود و قوتهم وحضارتهم . ثالثها ـ : نسب هود نبى قوم عاد و دعوتهم الى الله تعالى . رابعها ـ : تذكير هود عليه السلام قومه بما انعم الله تعالى عليهم . خامسها ـ : نجاة المؤمنين و عذاب الكافرين من قوم هود عليه السلام. سادسها ـ : معجزة هود عليه السلام والاعتبار من قصةعاد.

اما الاول : فاتفق الرواة و اهل الاخبار على تقسيم العرب من حيث القدم الى ثلاث طبقات: عرب بائدة وعرب عاربة وعرب مستعربة. اما العرب البائدة فاقوام كثيرون: منهم قبيلة عاد و هم من نسل عادبن عوص بن ادم بن سام بن نوح عليه السلام

و سبب تسميتهم بالعرب البائدة لانهم بادوا اى هلكوا ولم يبق على وجه الارض احد من نسلهم كما سمى عاد بالعرب العاربة بمعنى الرسوخ فى العروبة. وكانت قبيلة عاد من اقدم الأمم وجودا وآثارا فى الارض كما قال تعالى: «والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ـ واذكروا اذجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح و زادكم فى الخلق بسطة» الاعراف: ٦٥ـ٦٩) فكانواهم اقدم من ابراهيم عليه السلام وها كم عمود النسب لكل من هود وابراهيم عليهما السلام



واذاقارنا بين نسب هود و ابراهيم عليهما السلام و جد ناهـذا النسب اقرب الـى القبول من غيره اذبين هود وسام ستة أشخاص على عمود النسب وبين ابـراهيم عليه السلام وسام ثمانية أشخاص على عمود النسب .

و ذهبت الرواة الى وجود طبقتين لقوم عاد وهما : عاد الاولى وعاد الثانية وكانت عاد الاولى من اعظم الأمم بطشا و قوة وكانت مؤلفة من بطون كثيرة تزيد على الألف و القرآن الكريم يشير الى ذلك فيقول : «و انه اهلك عاد الاولى و ثمود فما ابقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم و اطغى» النجم : ٥٠-٥٢)

في شرح الحديد : و ممّن يعدّ مع العمالقة عاد و ثمود فامـا عاد فهو عادبن عويص بن ارم بن سام بن نوح .

﴿ مساكن عاد قوم هود وقوتهم وحضارتهم ﴾

يفهم من القرآن الكريم ان مساكن (عاد) كانت بالاحقاف من شبه جزيرة العرب إذ قال تعالى : «و اذكر أخاعاد اذ انذر قومه بالاحقاف» الاحقاف : ٢١)

و الاحقاف جمع حقف وهى الرمال ولم يعين القرآن موقعها الاّ ان الاخباريين يقولون : ان موقعها بين اليمن و عمان الى حضرموت و الحجر وهى رمال مشرفة على البحر بالحجر .

وقيل : الاحقاف وادبين عمان و أرض مهرة . و عن الضحاك : الاحقاف : جبل بالشام . وغيرها من الاقوال .

وقد بنت (عاد) مدينة اسمها (ارم) سمّوها باسم جدّهم الاقدم وهى التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم :

«الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد» الفجر : ٦ و ٧)

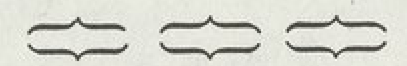
و يرجّح علماء الآثار بناء على تنقيبات كثيرة ان موضع (ارم) هو جبل (رم) و يقع على مسافة (٢٥) ميلا الى الشرق من العقبة و قد وجدت فى جانب الجبل آثار جاهلية قديمة .

وقوم عاد الذين هلكوا هم عاد الاولى و اما عاد الثانية فهم سكان اليمن من قحطان و سبأ و تلك الفروع الباقية .

فى محاسن التأويل: «و اما عاد الاخيرة فهو بنوتميم ينزلون رمال عالج

بادية مسماة بهذا الاسم وهى بين فيد و القريات ينزلها بنو بحتر من طئ و هى متصلة بالثعلبية على طريق مكة لاماء بها ولا يقدر احد عليهم فيه»

وكانت لعاد الاولى اجساد طويلة وكانوا ذابسطة فى الخلق و اولى قوة و بطش شديد وكان لهم تقدم و رقىّ فى المدينة و الحضارة ولهم بلاد عامرة و ارض خصبة ذات جنات و نخيل وزروع ومقام كريم ومدينة معمورة عديمة النظير ذات قصور عالية و عمد ممددة .



﴿نسب هود نبي قوم عاد﴾
ودعوتهم الى الله تعالى

هود عليه‌السلام : هو ابن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عادبن عوص بن ادم بن سام بن نوح عليه‌السلام

وعليه اكثر المورخين و المفسرين ، وقيل : هو ابن شالح بن افخشذبن سام بن نوح . و قيل : ان هوداً هوابن عم أبى عاد . و قيل : هو ابن عوص ابن ادم بن سام بن نوح عليه‌السلام .

ولقد بعث الله تعالى فى قوم عاد نبيا منهم اسمه هود عليه‌السلام فدعا قومه الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الاصنام لان ذلك سبيل لاتقاء العذاب يوم القيامة .

قال الله تعالى : «و الى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون» الاعراف : ٦٥)

ولكن ماذا كان تأثير هذه الدعوة على قبيلة (عاد) ؟ لقد احتقروا هودا و استصغروا شأنه و وصفوه بالسفه والطيش و الكذب ولكن هودا نفى هذه الصفات عن نفسه مؤكدا لهم انه رسول من رب العالمين لايريد لهم غير النصح .

«قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة و انا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى و انا لكم ناصح أمين» الاعراف : ٦٦-٦٨)

كان هود عليه‌السلام ينذر قومه و يحذرهم بأس الله و يضرب لهم المثل بقوم

نوح ويذكّرهم بنعم الله تعالى عليهم و كانوا هم يكذبونه و يتهمونه بالسفاهة ...

وكان هود عليه السلام يبين لهم انه لايطلب على نصيحته لهم أجرا يأخذهم منهم او رئاسة يتزعم بها بينهم و انه لايطلب على ذلك الا من الله تعالى و من كان كذلك يكون أبعد عن التهمة اذ هو لايجر لنفسه من وراء ذلك نفعا ولاينبغى لها فائدة من أتاوة يفرضها او زعامة يتولاها

كان فى ملا عاد ناس قد عتوا ورأوا كبيرا على انفسهم ان يصدوا عن اى مراد يريدونه كماكان منهم مؤمنون الا ان شقوة اهل الكفر و العتوقد غلبت عليهم وكانوا الجمهور الاعظم فسفهوا هودا و كذّبوه و تجاهلوا الحجج الناصعة و البراهين القاطعة التى أقامها على صدقه و قالوا له : «يا هود ما جئتنا ببينة و ما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك و ما نحن لك بمؤمنين» هود: ٥٣) :

انك مرسل من الله و ان آلهتنا التى تنهانا عن عبادتها لاتشفع لنا عندالله و رموه بالسفاهة و الخروج عن السبيل السوى بابتداع ما ابتدع من الدعوة الى ترك الاصنام و افراد الله تعالى بالعبادة و ذلك غيرماورثوه عن الآباء من عبادتها و لاستشفاع بها .

راجعهم هود بانه ليس به سفاهة ولكنه رسول من رب العالمين ليبلغهم رسالة ربهم و ماكان الله ليرسل الى عباده بسفيه يكون الضرر برسالته اكبر و اعظم من النفع بها و هوجل وعلا اعلم حيث يجعل رسالته .

ترقى قوم هود فى تكذيبه و اتهموه فى عقله و قالوا : اننا لانقول الا انك لما عبت آلهتنا و حاولت صرفنا عن عبادتها قد اعتراك بعضها بسوء فألحق بك الخبال و الجنون فانت عند نافى حكم اهل العته و الجنون .

و قد ظنوا أنهم باتهامهم اياه عليه السلام بالجنون ينصرف الناس عن الاصغاء اليه و الاعتداد بكلامه

سمع هود ذلك فاشهدالله وأشهد هم انه برىء من تلك الالهة التى يزعمون

لها القدرة على ان تمسه بسوء و تحداهم و آلهتهم ان يكيدوه اذاكان ذلك فى قدرتهم و ان يسرعوا الى ذلك مبادرين دون أن ينظروه .

«قال انى اشهد الله و اشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون انى توكلت على الله ربى و ربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم» هود : ٥٦)

فكان هود عليه السلام و اثقامن الهه الذى بيده نواصى كل ما على وجه الارض من دابة انه سينصره و يمنعه ان يصلوا الى مسّه بأذى و انما خص الناصية لان الحيوان اذا امسك بشعر ناصيته انقاد و صار الممسك بناصيته مسيطرا عليه و كانت العرب تجز ناصية الأسير ليعلم ان ناصيته ملكت و جزت .

و اعلنهم هود عليه السلام بانهم اذا تولوا معرضين عن قوله ولم يستمعوا لنصيحته فانه قد قام بواجبه الذى كلف به من ربه و ان الله تعالى سيبيدهم و يستخلف قوما غيرهم و ان هذا لايضر الله شيئا لانه حافظ و مستول على كل شىء و كل شىء فى قبضة قدرته .

لم يزل هود عليه السلام يمحضهم النصح ويعلمهم انه ناصح لهم خالص النية فى العمل بكل ما ينفعهم أمين على ما يقوله لهم عن الله تعالى فهو لايدعوهم الاّ الى ما فيه سعادتهم و حسن حالهم و هنيىء عيشهم و انه لاينبغى لهم ان يعجبوا لانه جاء هم رجل منهم لينذرهم لان ذلك من سنة الله تعالى ان يجعل الرسول الى القوم منهم ليكونوا اشدّ فهما لما يلقيه اليهم و لانهم أعلم بحقيقته وأمانته و ما هو عليه من خلق حسن .

راجعه قومه متعجبين مما يطلبه منهم من عبادة الله تعالى وحده و ترك ما وجدوا آباء هم يعبدونه من الاصنام اذ فى ذلك تحقير للآباء وامتهانهم برميهم بالكفر و فيه ايضا تحقير اولياء هم وشفعائهم عندالله تعالى بترك التوجه بهماليه تعالى و هم وسيلتهم اليه و هم المقصودون بالتعظيم لصورهم و تماثيلهم .

ثم ان عادا ضجروا بهود ودعوته وتبرّموا من كثرة نصحه لهم ولم يتركوا عبادة آلهتهم الى عبادالله الذى يدعوهم اليه وتحدوه ان ينفذ فيهم انذاره ووعيده عند ذلك قال لهم نبىالله هود عليه السلام: لابد وان يقع عليكم غضبالله تعالى فانتظروا عذاب الله انى معكم من المنتظرين.

اذ «قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده و نذرما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس و غضب اتجادلوننى فى اسماء سميتموها انتم و آباؤكم ما نزّل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين» الاعراف: ٧٠-٧١)

فى هذا النص القرآنى ايضا نرى الاستبعاد الروحى يسيطر على قوم هود عليه السلام حيث تقليد الآباء سلبهم حرية النظر و التفكير كما نرى قوة حجة هود حين حوّل آلهتهم الى مجرد أسماء كأن ليس لها مسمّيات فى عالم الحقيقة ولا تبلغ ان تكون شيئا وراء الاسماء التى تطلق عليها هذه الاصنام لادليل فيها على الوهيتها ولا تتضمن قوة تثبت بها وجودها.

وقد ذكر الاخباريون ان عادا كانوا يعبدون ثلاثة اصنام يقال لاحدها: صداء و للاخر: صمود و للثالث: الهباء.

هذا و قد كانواهم يعتقدون ان الاصنام شركاء لله تعالى وانها تشفع لهم عندالله سبحانه.

فقال لهم هود: انتم كاذبون فى هذا الادعاء لانها لاتستحق العبادة ولايليق بها الاّ الله تعالى قال: «و الى عاداخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان انتم الاّ مفترون» هود: ٥٠)

كانوا يعبدون اوثانا ضاهوا فى عبادتها قوم نوح حين عبدوا ودّاً وسواعا و يغوث و يعوق ونسراً.

وفى شرح الحديد: «كان - عاد - يعبد القمر»

وفى المنار : عن ابن عباس قال : كان هوداول من تكلم بالعربية وولد لهود اربعة : قحطان ومقحط و قاحط و قالغ فهو ابو مضر و قحطان ابواليمن و الباقون ليس لهم نسل .

وفى تفسير بحرالمحيط: عن ابن البركات الجواني: ان يعرب ابن قحطان بن هود هو الذى زعمت يمن انه اول من تكلم بالعربية و نزل ارض اليمن فهو ابواليمن كلها و ان العرب انما سميت عربابه .

وفى الظلال : ان قوم عاد كانوا من ذرارى نوح الذين نجوا معه فى السفينة وكان عددهم على قول ثلاثة عشر نفرا وكانوا لعلى دين نوح وهوالاسلام فيعبدون الله تعالى وحده فلما طال عليهم الامد و تفرّقوا فى الارض ولعب معهم الشيطان فعادوا عن طريق الحق واتخذواسبل الشيطان فارسل تعالى هوداليهم.

وفى المجمع : و روى انه كان لعاد ابنان : شديد و شداد فملكا و قهرا ثم مات شديد و خلص الامر لشداد فملكت الدنيا و سمع بذكر الجنة فقال: أبنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلاثمأة سنة وكان عمره تسعمأة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب و الفضة و أساطينها من الزبرجد والياقوت و فيها أصناف الاشجار و الأنهار المطردة و لماتمّ بناؤها وسار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا .

﴿ تذكير هود (عليه السلام) قومه بما أنعم الله تعالى عليهم ﴾

تابع هود مخاطبة قومه محاولا اقناعهم بالرجوع الى طريق الحق مذكرا اياهم بنعم الله تعالى عليهم فقال : هل أثار عجبكم و استغرابكم ان يجيئكم ارشاد من ربكم على لسان رجل منكم لينذركم سوء العاقبة بسبب الضلال الذى انتم عليه ؟

الاتذكرون! ان الله تعالى جعلكم وارثين للارض من بعد قوم نوح الذين اهلكهم الله بذنوبهم و زادكم قوة فى الابدان و قوة فى السلطان و تلك نعمة تقتضى منكم ان تؤمنوا بالله و تشكروه لاتكفروا به فنصيحتى لكم ان تذكروا فضل الله عليكم لعلكم تفوزون بالسعادة فى الدنيا و الاخرة.

قال : «او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم و اذكروا اذجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح و زادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون» الاعراف : ٦٩)

ولكن قوم هود لم يقوموا بحق الشكر لنعم الله عليهم بل انغمسوا فى الشهوات و تكبّروا فى الارض فقال لهم هود: مالكم تقيمون فوق كل ربوة بناء شامخا للتفاخر و العبث و تنشؤن قصورا فى منتهى الضخامة شأن الذين يرجون الخلود فى الارض و تبطشون بطش الجبابرة ولا ترحمون حين تغضبون تفعلون

كل ذلك بغلظة المستكبرين .

فاتقوا الله جل وعلا فيما امركم و اطيعوني فيما ادعوكم اليه من هدى يا قوم اتقوا الله الذى اعطاكم الخيرات الجليلة من بنين و انعام و حدائق و مياه فلاتقابلوا نعم الله سبحانه بالكفر و البطر و الجبروت فيحل عليكم عذابه و يهلككم .

قال الله تعالى : «اتبنون بكل ريع آية تعبثون و تتخذون مصانع لعلكم تخلدون و اذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله و اطيعون و اتقوا الذى امدّكم بما تعلمون امدّكم بانعام وبنين وجنات وعيون انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم» الشعراء : ١٢٨-١٣٥)

اذ زادهم فى الخلق بسطة و جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح و بوّأهم أرضا تدر عليهم الخير و تخرج لهم الزرع الذى يعيشون منه و تنبت الكلا الذى ترعى فيه ماشيتهم و ان عليهم ان يستعملوا عقولهم ليتبيّنوا ان ما يعبدون من دون الله لايضرهم ولا ينفعهم و ان الذى يضرّ و ينفع انما هو الله تعالى الذى اغدق عليهم نعمه و هو الذى خلقهم و بيده مماتهم.

و ان الواجب عليهم ان يتقوه و يتوبوا اليه و ان يستغفروه لما فرط منهم من اشراك غيره معه فى العبادة و انهم اذا تابوا اليه و استغفروه لما اسلفوا من آثام فانه يرسل المطر عليهم متتابعا من غير ان يصحب نزوله ضرر و يزيدهم عزّاً الى عزّهم فان افعال الله تعالى تجرى على سنن الحق و العدل .

ثم اوعدهم هود بوخامة سوء فعالهم فقال : «فان تولّوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم و يستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل

شيء حفيظ﴾ هود : ٥٧)

فان اعرضتم عن دعوتي لم يضرني اعـراضكم فقد ابلغتكم مـا ارسلني الله تعالى به اليكم والله جل وعلا قادرعلى اهلاككم والمجيىء بقوم آخرين غير كم يخلفونكم في ديار كم .

﴿نجاة المومنين وعذاب الكافرين من قوم هود﴾

ولما عتا قوم هود على ربهم وعصوا رسوله و كذبوه وجحدوا بآيات الله التي أقامها هود على صدقه في انه مرسل من ربه واتبعوا امر كل جبار عنيد من ملأ قومهم ولم تبق فائدة في انذارهم انحبس المطر عنهم ثلاث سنين.

وكان ذلك انذارا بقرب حلول العذاب عليهم وفي هذه الاثناء كان هود لايفتأ يعظ قومه ويقول لهم : ادعوا خالقكم ان يغفر لكم ما سلف من ذنبكم ثم ارجعوا اليه بالتوبة انكم ان فعلتم ذلك يرسل لكم المطر متتابعا فتكثر خيراتكم كما انه يزيدكم قوة الى قوتكم و اياكم ان تعرضوا عما ادعوكم اليه وتصرّوا على الكفر والاجرام.

قال : « و يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » هود : ٥٢)

وكان كلما نزل بهم الجهد ذكرهم هود بدعوته وانه لاينجيهم من البلاء الاّ الايمان والعمل بنصائحه فكان ذلك يزيدهم عتوا الى ان ارسل الله تعالى عليهم الريح الصرصر فسلّطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فاهلكهم الله تعالى وأبادهم وصارت أجسامهم كأنها أعجاز نخل منقعر وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ونجى الله جل و علا هودا عليه السلام والذين آمنوا معه برحمته من ذلك العذاب الشديد.

قال الله تعالى: « ولما جاء امرنا نجّينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا

ونجيناهم من عذاب غليظ » هود : ٥٨)

واما كيفية نجاته عليه السلام والمؤمنين به فلم يبينها القرآن الكريم.

ويرى بعض المورخين ان نجاة هود كانت باعتزال قومه بعد يأسه من قبول دعوته وذهابه مع من آمن به الى مكة وهناك عاش فيها امدا ثم مات هناك ودفن.

ويقول اهل حضر موت : ان هودا عليه السلام بعد ما هلك قومه المجرمون سكن بلاد حضر موت الى ان مات و دفن فى شرقى بلادهم على نحو مرحلتين من مدينة تريم قرب وادى برهوت .

وقد ورد عن الامام على عليه السلام انه قال : ان هوداً عليه السلام مدفون فى كثيب أحمر وعند رأسه سمرة فى حضر موت .

واهل فلسطين يدعون انه دفن عندهم وقد بنوا له قبرا ويعملون له فى كل سنة مولدا .

وفى تفسير الآلوسى : قيل : كانوا اربعة آلاف . وقيل : ثلاثة آلاف.

وفى الدر المنثور: عن على بن ابيطالب عليه السلام قال : قبر هود عليه السلام بحضرموت فى كثيب احمر عند رأسه سدرة .

وفى محاسن التأويل : ان عادا رأى من صلبه واولاد اولاده اربعة آلاف وانه نكح الف جارية ومن اولاده شداد بن عاد .

﴿معجزة هود عليه السلام﴾

و الاعتبار من قصة عاد

ومن المعلوم أن بين كل نبي ومعجزة يحملها بين يديه الى الناس صلة وثيقة لاتنفصل أبداً في نظر الناظرين الى المعجزة وفي تصورهم لها ومشاعرهم نحوها... و كيف يكون الامر على غير هذا فيما بين النبي و معجزته ؟

و الناس انما يرون النبي و المعجزة كيانا واحدا بل انهم يرون المعجزة في ظل النبي و يشهدونها على مسرح افعاله و اقواله ... فلا تتخلف المعجزة عن نبي في بزوغ دعوته و طيلتها .

هكذا شهدت الحياة معجزات الانبياء ... حيث يقوم كل نبي على معجزته يجلّي عنها و يتحدّى بها .

ولم يبيّن القرآن الكريم معجزة هود عليه السلام

وقيل : كانت معجزته عليه السلام هي حبس المطر ثلاث سنين اذ اخبرهم بذلك في اول دعوتهم الى الله تعالى : «قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده و نذر ماكان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس و غضب» الاعراف : ٧٠ و٧١)

وقيل: كانت معجزته عليه السلام ريحا صرصرا عاتية اهلك الله تعالى بها قومه بعد ان عصوا رسول ربهم و كذبوه وبهتوه فارسل تعالى عليهم هذه الريح على غير انتظار.

ولا يخفى على القارى المتدبر انه لابد للنبي من المعجزة التي يشاهدها الناس وتثبت بها النبوة فتقع الدعوة في قلوب من يهتدي وتتمّ الحجة على من يضل .

و اما العبرة فالقارى الخبير لقصة هود عليه السلام مع قومه يخيل اليه انه يرى انسانا و قورا رزينايزن الكلام قبل القائه يتجلى الاخلاص و حسن النية على قسمات وجهه وهو :

١- لايقابل الشر بمثله بل لايفارقه استعمال اللين فى كلامه مع قومه انظر الى قولهم له عليه السلام : « انا لنراك فى سفاهة و انا لنظنك من الكاذبين » الاعراف : ٦٦)

ثم ماذاكان جوابه؟ كان جوابه ان قال لهم : «يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح أمين» الاعراف . ٦٧ و ٦٨)

فمن تأمل فى هذا الجواب و جده غاية فى دماثة الاخلاق و التلطف فى اسداء النصيحة الخالصة من شوائب جرّ أيّة منفعة .

٢- تلطفه عليه السلام بذكر نعم الله تعالى عليهم و ترغيبهم فى الايمان و بيان ان ذلك يحفظ عليهم حسن حالهم و تذكيرهم بما انعم الله عليهم به من اموال و بنين و جنات و عيون و أنه زادهم فى الخلق بسطة و جعلهم خلفاء الارض من بعد قوم نوح و ان ايمانهم يستتبع رضا الله تعالى فيرسل السماء عليهم مدرارا لسقى زروعهم و انبات الكلا لما شيتهم و انه تعالى يزيدهم عزّا الى عزّهم .

فكان جواب قومه له التعجب من شأنه و شأن رسالته اذجاءهم ليعبدوا الله وحده و ان يذروا ماكان يعبدآباؤهم من قبلهم و اتهموه بان بعض آلهتهم مسّه بالجنون الذى أفقده صوابه عقابا له على الخوض فى حقهم والتقليل من سلطتهم.

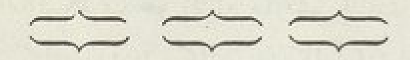
اذ قال : «او عجبتم ان جاءكم ذكرمن ربكم على رجل منكم لينذركم و اذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون» الاعراف : ٦٩)

٣- انه مع مشاكستهم له و افتراءهم عليه و رميهم له بالجنون الذى

اعتراه به بعض آلهتهم لأكلهم لم يزد فى جوابه على ان يقال لهم : «انى أشهد الله و اشهدوا انى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون» هود : ٥٤ و٥٥)

٤ـ ان الذى يتولى عظة الناس و ارشادهم و النصح لهم ينبغى ان يكون آخذا اخذ هود عليه السلام فى سعة الصدر و عدم مقابلة الشر بمثله و يحتمل صلف المدعوين وسوء ردّهم عليه رجاء ان يظفر ببغيته منهم و يفوز بهدايتهم اوهداية بعض منهم و ان يكون جوابه عند اليأس بعد بذل الجهد و استنفاد أساليب الترغيب ما قاله هود عليه السلام: «فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل شىء حفيظ» هود: ٥٧)

٥ـ انعذاب عاد بريح صرصر اعتبار لقوم آخرين على ان الكفر والاستكبار و البغى و الانهماك فى الشهوات سيتبعها الهلاك والدمار فى الحياة الدنيا والنار والعذاب فى الآخرة فاعتبروا يا اولى الابصار .



﴿الابتلاء وحقيقته﴾

قال الله عزوجل : « فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن » الفجر:١٦)

ولما كانت السعة و الضيق من أهم ما يبتلى به الانسان فى الحياة الدنيا ، و قد اشير إليهما فى هاتين الآيتين الكريمتين رأينا المقام أنسب للبحث حول الابتلاء :

الابتلاء - من البلاء - هو : تكليف بأمر شاق لاستخراج ما عند المبتلى، ومعرفة حاله فى الطاعة والمعصية بتحميله المشقة ، فليس الابتلاء من التكليف فى شىء فان سمى التكليف إبتلاء فى بعض المواضع ، فقد يجرى على الشىء إسم ما يقاربه فى المعنى حيث ان التكليف هو إلزام ما يشق إرادة الانسان عليه ، وأصله: اللزوم و من هنا قيل : كلف بفلانة يكلف بها كلفاً إذا لزم حبها ، ومنه قيل : الكلف فى الوجه للزومه إياه ، والمتكلف للشىء الملزم به على مشقة و هوالذى يلتزم ما لا يلزمه أيضاً .

ومنه قوله تعالى : « و ما أنا من المتكلفين » ص : ٨٦) ومثله المكلف .

و ان إستعمال الابتلاء فى صفات الله عزوجل مجازاً معناه : انه تعالى يعامل العبد معاملة المبتلى المستخرج لما عنده قال : « و ليبتلى الله ما فى صدوركم و ليمحّص ما فى قلوبكم » آل عمران : ١٥٤) أى وليبدى ما فى سرائركم و ضمائركم لا ليعلم هو بل لتعلموا أنتم أيها الناس ، و لذلك ختمت الاية بقوله :

« والله عليم بذات الصدور » أى ليس هـذا الابتلاء والتمحيص لأجل أن يعرفكم ـ بالتخفيف ـ بل ليعرّفكم ـ بالتشديد ـ مافى صدوركم...

ولماكان الابتلاء مستلزماً للاختبار على من لايعلم بعواقب الامر يظن انه مترادف مع الاختبار . والاختبار من الله عزوجل هو إظهار ما فى النفس الانسانية من كفر أو ايمان ، من إخلاص أو نفاق ، من شك أويقين ، من خير أوشر ، من صبر أو جزع ، من صدق أو كذب ، ومن رجاء أو يأس وما إليها من فضائل الاخلاق وذميم الصفات باخراجكم إياها من القوة إلى الفعل ، و إظهار ما قد علم ، و عاقبته هو ظهور الأمر الخفى فى الشاهد والغائب جميعاً .

كما أن البلاء هـو النعمة لاظهار الخير علـى صاحبه ، و البلاء هو النقمة لاظهار الشر عليه .

فالابتلاء ما يقتضى إستخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية ، والاختبار ما يقتضى وقوع الخبر بحاله فـى ذلك ، والخبر : العلم الذى يقع بكنه الشىء و حقيقته فالفرق بينهما ظاهر .

و أما الفرق بين البلاء والنقمة فان البلاء يكون ضرراً ويكون نفعاً ، و إذا أردت النفع قلت : أبليته قال الله عز و جل : « و ليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً » الانفال : ١٧)

ومن الضر بلوته . وأصله أن تختبره بالمكروه وتستخرج ما عنده من الصبر به ويكون ذلك إبتداءاً .

و أما النقمة فلاتكون إلاّ جزاء وعقوبة وأصلها شدة الانكار تقول : نقمت عليه الامـر إذا أنكرته عليه ، وقـد تسمى النقمة بلاء والبلاء لايسمى نقمة اذا كان ابتداء .

والبلاء أيضاً إسم للنعمة ، وفى كلام الاحنف : البلاء ثـم الثناء أى النعمة ثم الشكر .

و أما الفتنة فهى أشد الاختبار وأبلغه ، وأصله : عرض الذهب على النار لتبين صلاحه من فساده ، ومنه قوله عزوجل: «يوم هم على النار يفتنون» الذاريات:١٣)

ويكون في الخير والشر قال: « إنما أموالكم و أولادكم فتنة » التغابن : ١٥) وقال: «لاسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه » الجن : ١٧) فجعل النعمة فتنة لانه قصد بها المبالغة فى اختبار المنعم عليه بها كالذهب إذا اريد المبالغة فى تعرف حاله .

فى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام - فى خطبة - : « فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع الفتنة والاختبار فى موضع الغنى والاقتار ، فقد قال سبحانه وتعالى : «أيحسبون انما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون»

فلا يعتبر رضا الله عزوجل وسخطه بما نراه من إعطائه الانسان مالا وولداً ، وصحة وعافية ، وعدداً وعدداً ، ومقاماً ورئاسة ... وما إليها من عطاياه تعالى فان ذلك جهل بمواقع الفتنة والاختبار... و ان الآيات القرآنية والروايات الواردة تصرح بذلك ، وان الادلة العقلية تدل على أن كثيراً من الآلام والغموم والأحزان والهموم والبلايا... إنما يفعله الله عزوجل للالطاف والمصالح ... ستأتى إن شاءالله تعالى فى أبواب آتية ... فانتظر .

و أما الاختبار منا - معاشر الانسان - فلظهور ما لا نعلم كما ورد صحيحاً : « عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان » .

فالفرق بين الاختبار الالهى وبين إختبار الناس بعضهم بعضاً : ان الانسان لايعلم باطن من يختبر ، فيريد بالاختبار إستعلام حاله المجهول له ، وذلك ممتنع فى حق الله سبحانه لانه عزوجل يعلم حاله وحقيقته ، و بالاختبار يظهر حاله ، و يختم الحجة عليه .

«القرآن الكريم و الابتلاء»

ومن البيّن: انه ما من أحد من الانسان المكلف ذكراً أم انثى إلاّ وهو في عرضة الاختبار و الابتلاء في هذه الحياة الدنيا بامور كثيرة: من السعة و الضيق، من الغنى و الفقر، من الخير و الشر، من الأموال و الاولاد و فقدها، من العدد و العدد و عدمها، و من الصحة و السقم ... من غير أن يكون الغنى دليلا على كرامة الغنى عندالله جل وعلا، ولا الفقر دليلا على هوان الفقير عنده تعالى و هكذا و قد أشار إلى ما ذكر آيات عديدة قرآنية:

قال الله عزوجل: «و هو الذي جعلكم خلائف الارض و رفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب و انه لغفور رحيم» الانعام: ١٦٥) و عندئذ تبدو إستعدادات الانسان و مدى صلاحياته تجاه متقلبات الامور و الاحوال..

وقال: «ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات» المائدة: ٤٨)

و قال: «إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملا» الكهف: ٧)

وقال: «و لنبلونّكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات و بشّر الصابرين» البقرة: ١٥٥)

وقال : «و نبلوكم بالشر و الخير فتنة» الانبياء : ٣٥)

و قال : « و بلوناهم بالحسنات و السيئات لعلهم يرجعون » الاعراف: ١٦٨)

وقال : «لتبلونّ فی أموالكم و أنفسكم» آل عمران : ١٨٦)

وقال حكاية عن سليمان عليه السلام : «هـذا مـن فضل ربی ليبلونی أأشكر أم أكفر» النمل : ٤٠)

و قال : « الـذی خلـق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » الملك:٢)

وغيرها من الآيات الكريمة فی البلايا و المحن التی فيها فوائد كثيرة أهمها فائدتان :

الاولى : ان البلايا و المحن تعمل فی تكوين الانسان ثبات عزيمته و إستقامة رأيه ، فلا يتزعزع تجاه الحوادث و الكوارث ، مقداماً صبوراً ، قوی الارادة ، حازماً و قوراً والله عزوجل يريد من الانسان كمالاً ذات قدرة لبسط العدل فی أرجاء العالم المعمور والخلافة الالهية على وجه الارض ، ذات مكارم الاخلاق الفاضلة و الآداب اللائقة بشان الانسان العالی.

الثانية : إبداء ما فی الناس من قابليات و طاقات و إستعدادات متفاوتة لابد منها فی نظام التكوين و التشريع ، و مدى ما يبذله أنواع الطوائف و الآحاد فی تجسيد ما فی كمونهم من قوى و صلاحيات : «ليميّز الله الخبيث من الطيب» الانفال : ٣٧)

فيمتاز أحدهما عن الآخر .

و ذلك تمهيداً للفوز على مختلف درجات الآخرة ، فلايستوى الأفراد فی البلوغ إلى مدارج الكمال و القرب من رضوان الله جل وعلا .

فلو كان الله تعالى يثيب الناس على حسب إستعداداتهم المتفاوتة من

قريب و أقرب أو بعيد و أبعد ، وفق ما يعمله من إختلاف قابلياتهم في التقرب و الابتعاد لكانت صرخات الاعتراض تعلو : لما ذا هذا الافتراق و التفاوت في العناية و الألطاف ؟ !

إذن كان من الحكمة أن يعم إمتحان شامل : «ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حيّ عن بينة» الانفال : ٤٢)

ليتجلى للناس ماهم عليه من تفاوت و إختلاف : «لئلا يكون للناس على الله حجة» النساء : ١٦٥)

و قال : «و تلك الأيام نداولها بين الناس و ليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين و ليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين» آل عمران : ١٤٠-١٤١)

و « ليعلم الله » : ليبدىء للناس ما في سرائرهم لاليعلم هو بل ليعلم الناس .

فالابتلاء يوطد من أركان عزم الناس و ثباتهم في الامور ، و تبدو إستعداداتهم وطاقاتهم ومدى صلاحياتهم تجاه متقلبات الامور ومختلف الاحوال... من غير خروجهم فيها عن دائرة إختيارهم .

قال الله تعالى : « و جعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون و كان ربك بصيراً» الفرقان : ٢٠)

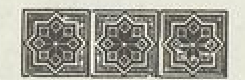
أى كانت البلايا التي تصيب بعضكم من بعض إمتحاناً لكم ليبدو لكم مبلغ ثباتكم وصبركم على الايمان، و أما الله جل وعلا فهو غني عن إختباركم لانه عزوجل بصير بكم و عليم بما في صدوركم : من ايمان أو كفر ، من إخلاص أو نفاق ، من صدق أو كذب ، ومن قصد سوء أو نية حسنة ...

قال الله تعالى : «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله و يعلم ما في السموات و ما في الارض» آل عمران : ٢٩)

و قال : «ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون و ما يعلنون انه عليم بذات الصدور» هود: ٥)

وقال : «أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين وليعلمنّ الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين» العنكبوت : ١٠-١١)

و قال : «يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور» غافر : ١٩)



﴿البلايا و التكامل النفسى﴾

قال الله تعالى : « إنـا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » الانسان : ٢) .

ومن غير مراء انـه ما من شخص إلاّ ويصاب فـى حياته بنوع أو أنـواع مـن البلايـا والمحن و النوائـب و المصائب يختلف ذلـك بـاختلاف الاشخاص والافراد . . .

فمنهم من يبتلى بين آن وآخر بضيق فى العيش أو مرض بسيط لايستغرق زمناً طويلا بينما نرى الآخر يبتلى طيلة حياته بمرض مزمـن ، أو عاهة مزمنة أو فقر مدقع مستمرّ أوعلة لا مفرّ منها ، أو نـراه مقعداً يتمنى المشى أو مصاباً بمرض فى المعدة لايقوى على الاكل كما يحبّ ويتمنى لوأنفق نصف مالـه فيأكل كما يأكل أحد عمّا له الذين لايملكون إلاّ قوت يومهم .

و نرى أشخاصاً ليس لهم أولاد ، فيتمنى لوأنفق تمام ماله فيهبه الله عزوجل ولداً ، ونرى أفراداً يبتلون بأنواع من الامراض فى أواخر عمرهم ، و هم مترفون فى أوائل حياتهم ، منعمون مع كمال الصحة ، ونرى أشخاصاً بعكس ذلك مصابين بأنواع البلايا و النوائب من مرض و فقر وفقد أولاد وصيت وما إليها فـى أوائل حياتهم ، مترفين منعمين مشتهرين فى أواخر حياتهم الدنيوية مع صحة كاملة وغنى وأولاد عديدة وإشتهار...

و كثيراً ما نسمع الشكاوى من المرضى والمبتلاء بالفقر ، وفاقدى الاولاد ،

ومن إليهم يقولون : لما ذا فلان مع عدم قيامه باموړخيرية، وأكله أموال الناس وهتك أعراضهم ، وقتل أنفسهم وهضم حقوقهم منعم مرفه ؟

لما ذا فلان مع ايمانه وتقواه ، وطاعته وورعه ، و علمه و عمله ... مبتلى بأنواع المرض والفقر ، وفقدالولد والصيت ... ؟ ما هذا الاختلاف ؟

ألا يحب الله عز وجل المؤمنين الابرار ، و المتقين الصلحاء ، و العاملين العلماء ... من عباده فيبتليهم بأنواع الأسقام و الحرمان ، و مختلف النوائب و الفقدان ؟

ونسمع أيضاً الشكاوى من الطبقة المنعمة لخسارة تصيبهم أولعدم نيلهم بمال كثير طمعوا فيه وبربح أرادوه ...

وقد سمع من رجل متوسط الثقافة ، وقد علّ ينسب عدم التدبير إلى مدبر هذا الكون ، و يتهم العالم بعدم الانتظام والتبلبل !!! و قد ينسب بعضهم الظلم إلى الله سبحانه ، وينفى عنه العدل والرحمة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ولذلك ظهرت مذاهب فلسفية كمذهب التشاؤم ، و مذهب التفاؤل والفيلسوف المبتلى فى حياته بأنواع المحن والمصائب يرى الدنيا كلها بلاياء و نوائب ...

والفيلسوف الذى عاش وديع الخاطر مترفاً منعماً يرى الدنيا كلها مسرّات. فالاول متشائم ، والثانى متفائل ، ولم تفسّر لنا الفلسفة علل ذلك ، ولم تحلّ لنا مسئلة النوائب السماوية و الامراض والأسقام و الاضرار غير المنتظرة مهما بذل الانسان كفائته وجهوده فى دفعها .

و حقاً لبعدنا عن حقائق القرآن الكريم والمعارف الاسلامية و إبتعادنا عن العمل بما فى الكتاب المجيد والاجتهاد فيه أصبحنا مجموعة شكوك و إعتراضات واهية ...

ثم نسمى تلك الشكوك والاعتراضات فلسفة وحكمة مع أنه لا مجال للشك

و لاسبيل للمراء بعدالقرآن الكريم والأحاديث الواردة عن طريق الائمة المعصومين أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين .

قال الله تعالى : إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » الانسان : ٢)

أي خلق الله عز وجل الانسان للابتلاء و الاختبار ، و كيف يكون هذا الاختبار والابتلاء ؟

هذه إختبارات تختبر بها النفوس . . . و لا تشبه إختبارات الحوادث الفيزياوية أو الكيمياوية ، و إنما هي إمتحانات تتوجه إلى النفوس البشرية ...

فاما أن تتوفق فيها النفس فتتقبلها بصدر رحب ، و تعمل فيها حسب أمر الله تعالى أو تراها ثقيلة فترفضها ، و تتبع شهواتها وميولها الجامحة الامارة بالسوء .

قال الله عز وجل : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً » الانسان : ٣)

وقال : « ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها » الشمس : ٧ ـ ١٠)

ان الله تعالى يمتحن الفقير و السقيم و العقيم و العليل ... بالصبر ، فان لم ييأس من رحمة الله عز و جل ، وصبر و رضى فقد فاز فازاً عظيماً في هذا الامتحان الالهي ، و إن تذمر وتضجّر و اعترض واشتكى على حكمة الله جل وعلا وأساء الظن في أحواله بعد عن رحمة الله مع فقره ومسكنته . . .

فان الله تعالى يقول : « إني عند حسن ظنّ عبدي » .

و يقول : « ان من عبادي من لا يصلحه إلاّ الفقر ، و لو صرفته إلى غيره لهلك »

و قال : « و هو الـذى خلق السموات و الارض فـى ستة أيام و كان عرشه على الماء ليبلو كم أيكم أحسن عملا » هود : ٧)

و قـال عليه السلام : « الـذى خلـق المـوت و الحياة ليبلو كـم أيـكم أحسن عملا » الملك : ٢)

فجعل الله عزوجل علة الخلق الابتلاء أى انه تعالى إنما خلقنا ليبلونا و يمتحننا بالسعة و الضيق ، بالغنى و الفقر ، بالصحة والمرض ، بالخير والشر ، بالحسنة و السيئة و بالاولاد وفقدهم ...

وربما يكون الانسان في تمام الصحة، فيأخذه الغرور ويمنّى نفسه طول العمر فلايسعى في تزكية نفسه وتطهيرها ، ويمنّى نفسه: انه سوف يكون إنساناً صالحاً في أواخر أيام حياته ، فالله تعالى يمرضه كي ينتبه: « وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون » الاعراف : ١٦٨)

و يعلم أن ليس هنا وقت معين للموت كما يفرضه ، فان صبر على مايصيبه فـى مرضه وشكر الله تعالـى على بلائه كان لـه كما يقال : « أجـر و عافية » فيكون هـذا المرض سبباً لتنبهه و إستبصاره و سقوط شيء مـن ذنوبه السابقة أو لنيله إلى مزيد أجر عوضاً عما أصابته الآلام ، و ما فاتته المنافع ، و ما نزلت عليه الغموم وما إليها من غير سبق ذنب منه يستحق به على ذلك .

في الكافي : باسناده عن داود بن فرقد عن أبي عبدالله عليه السلام قـال : ان فيما أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام : يـا موسى ما خلقت خلقاً أحبّ إلـىّ مـن عبدى المؤمن وإنى إنما إبتليته لما هو خير له ، واعافيه لما هو خير له ، و ازاوى عنه لما هو خير له ، و أنـا أعلم بمـا يصلح عليه عبدى ، فليصبر علـى بلائى ، و ليشكر نعمائى ، وليرض بقضائى أكتبه فـى الصديقين عندى إذا عمل برضاى وأطاع أمرى .

و فيه: باسناده عن زيد الزراد عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم :

إن عظيم البلاء يكافى به عظيم الجزاء ، فاذا أحب الله عبداً إبتلاه بعظيم البلاء ، فمن رضى فله عندالله الرضا ، ومن سخط فله السخط .

وفى الفقيه : باسناده عن ربعى بن عبدالله عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان الصبر والبلاء يستبقان إلى المؤمن فيأتيه البلاء وهو صبور ، وإن الجزع والبلاء يستبقان إلى الكافر فيأتيه البلاء وهو جزوع .

و فى الكافى : باسناده عن سماعة عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان الله أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالا ، و ابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة .

وفى زيارة امين الله : مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليهما السلام - : «اللهم فاجعل نفسى مطمئنة بقدرك ، راضية بقضائك ، مولعة بذكرك ودعاءك ، محبة لصفوة أوليائك ، محبوبة فى أرضك وسمائك، صابرة على نزول بلاءك . . . » الزيارة .

«الدنيا و الابتلاء»

و اعلم أن هذه الحياة الدنيا دار إبتلاء و ظرف إختبار يمتحن فيها الانسان باقبالها و إدبارها ، بسرورها و همومها ، بسعتها و ضيقها ، بخيرها و شرها ، و بنعمها و نقمها ... طوبى لمن أحسن الامتحان فيها ، و مضى سالماً من تبعاتها ، و غانماً حسناتها لآخرته .

في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام - في خطبة - : «دار بالبلاء محفوفة ، و بالغدر معروفة، لاتدوم أحوالها ، و لايسلم نزّالها ، أحوال مختلفة ، و تارات متصرّفة ، العيش فيها مذموم ، والأمان منها معدوم، و إنما أهلها فيها أغراض مستهدفة، ترميهم بسهامها، و تفنيهم بحمامها» ...

وفيه: سمع الامام عليه السلام رجلا يدعو لصاحبه ، فقال : لا أراك الله مكروهاً ، فقال عليه السلام : إنما دعوت له بالموت لان من عاش في الدنيا لابد أن يرى المكروه.

وفي التوحيد : باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مامن قبض و لابسط إلاّ و لله فيه المنّ أو الابتلاء .

وفي المحاسن: باسناده عن عبد الاعلى بن أعين عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس للعبد قبض ولا بسط مما أمر الله به، أو نهى الله عنه إلاّ ومن الله فيه إبتلاء .

أقول: و قد جاء ذكر القبض و البسط في القرآن الكريم على طريق العموم تارة كقوله عزوجل : «والله يقبض و يبصط وإليه ترجعون» البقرة :٢٤٥) و تارة اخرى في الارزاق بالتوسيع والاقتار كقوله تعالى : «له مقاليد السموات و الارض يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر انه بكل شيء عليم» الشورى: ١٢) وقوله:

«أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ان فی ذلك لآيات لقوم يؤمنون» الروم : ٣٧)

و ثالثة فی النفوس بالسرور و الحزن و فی الأبدان بالصحة و الألم كقوله سبحانه : «إن الله اصطفاه عليكم و زاده بسطة فی العلم و الجسم والله يؤتی ملكه من يشاء والله و اسع عليم » البقرة : ٢٤٧) و قوله : «و زادكم فی الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون» الاعراف : ٦٩)

و قد يكون القبض و البسط فی الاعمال بتوفيق الاقبال إليه و عدمه ، و فی الاخلاق بالتحلية و عدمها ، و فی الدعاء بالاجابة له و عدمها ، و فی الأحكام بالرخصة فی بعضها و النهی عن الاخری.

وفی الكافی: باسناده عن حمزة بن محمد الطيار عن أبی عبدالله عليه السلام قال: ما من قبض ولا بسط إلا ّولله فيه مشيئة و قضاء و إبتلاء .

أقول: و من غير خفی علی القارىء الخبير المتأمل : ان الدنيا أشبه شیء بمدرسة مدرّسها الانبياء و الاوصياء المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين و نوّابهم من العلماء العاملين فی طوال الأعصار ... و هم يدرّسون الامم و الناس دروساً : درس المعرفة بالله جل وعلا وصفاته الجمالية والجلالية... درس المعارف و الحكم الالهية ، و درس الكمال الانسانی ...

وفيها موادّ إمتحانية و علی طلاّبها إجتياز هذه الامتحانات كل حسب وسعه، و موادها ليست بمواد مادية جامدة كالجبر و الهندسة والفيزياء والكيمياء و ما إليها من المواد الموضوعة من أوهام الانسان و أذهانه ...

بل إنما موادّها مواضيع تمسّ النفس الانسانية مباشرة ، و تعمل فی تزكيتها و تهذيبها و تربيتها و تعليمها و تقواها ..

مواضيعها : الايمان و الاستقامة ، و الصبر و صالح الاعمال ... و مخالفة الهوی والنفس الأمارة بالسوء، وترك الشهوات و الموبقات والجلد أمام الملذات

التى نهى عنها الشرع .

مواضيعها : العفة و العفاف والتقوى و الحياء ، و إحترام الوالدين وصلة الارحام و مواساة المؤمنين، ومساعدة الفقراء والمساكين ، و التضحية والتعاون و الايثار فى سبيل الخير والتسابق فى وجوه البر، وحفظ الأمانة والوفاء بالعهد...

مواضيعها : ترك الحسد و البخل ، و الاجتناب عن البغى و الظلم ، و التحذر عن إشاعة الفحشاء و الشر و الفساد فى الارض ، و ترك المكر والغدر و الخديعة و الغيبة و هتك الاعراض و النميمة و التجسّس و السعاية و الكذب و سوء الظن و النفاق و الاختلاف بين الاحبّة ...

مواضيعها : الاهتمام بامور المسلمين و الاصلاح و الارشاد ، و التراحم و التعاطف و التواضع و الرفق و المداراة و التآلف ، و زيارة الاخوان فى الله جل وعلا و قضاء حوائج المؤمنين لوجه الله تعالى ، و حسن الظن و الصدق ، و كظم الغيظ و الصفح و العفو و الحلم و الصمت و حفظ اللسان مما لاينبغى ، و الحب و البغض فى الله عزوجل و الانصاف فى حالى السخط و الرضا ...

مواضيعها : الطاعة لله عزوجل و الاخلاص ، و تفويض الأمر إلى الله عزوجل و التوكل عليه و حسن الظن به تعالى و الاعتراف بالتقصير ، و الشكر الكثير و ذكرالله تعالى فى كل حال ، و القناعة و الزهادة و ترك المحرمات...

و مواضيعها : محاسبة النفس ، و الاستغفار و التكفير عن الذنوب ، و الصبر على البلايا و النوائب ...

وفى الحديث: «حفت الجنة بالمكاره ، و حفت النار بالشهوات»

ثم ان معيار الاختبار يجب أن يكون عاماً يشمل لأفراد البشر قاطبة من غير تفريق بين فرددون فرد،ولا تمييز بين قوم اوتوابعض المواهب أم حرموا كل بحسبه ...

ولا يمكن ذلك إلاّ إذا توجّه الاختبار إلى النفس التى الهمت طريقى

الخير والشر ، طريقى الحق والباطل ، طريقى السعادة و الشقاء ، سبيلى الفجور و التقوى ، سبيلى الخسران و الفلاح ، و سبيلى الفساد و الصلاح ... «ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها» الشمس : ٧ـ٨) كى يشترك فى ذلك الوضيع و الشريف ، الغنى والفقير، الذكر و الانثى، الأسود والأبيض، الرئيس والمرؤس، و الحاكم و المحكوم و المجتهد والمقلد ...

فتكون التقوى إذن معياراً للمفاضلة ، و أساساً لفوز الشخص بسعادة الآخرة قال الله عزوجل : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم ان الله عليم خبير» الحجرات:١٣)

وقال تعالى : «قد أفلح من زكّاها وقدخاب من دسّاها» الشمس: ٩ـ١٠) عالماً كان أم عامياً ، و اعظاً كان أم مستمعاً وكاتباً كان أم قارئاً ...

فظهر ان الدنيا أشبه شىء بمدرسة يطبق فيها طلابها دروس تكامل النفس، وتعطى لهم عليها درجات :

درجات موجبة لأعمال صالحة بمافيهامن العبادات..:

ودرجات سالبة لأعمال فاسدة بما فيها من العقائد...

ثم تجمع هذه الدرجات ، فـان كانت النتيجة مـوجبة ، فهو من أصحاب الجنة ، و إن كانت سالبة فهو من أصحاب النار ، و هذا معنى قوله عزوجل : و «كل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابـاً يلقاه منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فانما يضلّ عليها» الاسراء : ١٣ـ١٥)

و قوله تعالى : «فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فامه هاوية وما أدراك ماهية نار حامية» القارعة : ٦ـ١١)

وليس فـى هـذه الامتحانـات الالهية مجال لتجديـد النظر و الاكمال كالامتحانات المدرسية الدنياوية إلـى حين ، فان الحياة الـدنيا كلها مدرسة

فبعدها إما إلى جنة و نعيمها ، و إما إلى نار وجحيمها، حيث ان الانسان ينقطع عمله بعد موته ، فلا عمل ولا تحضير ولا تزود بعد الموت : «فالدنيا دار عمل و لاحساب ، و الآخرة دار حساب ولا عمل»

قال الله تعالى : «حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب اجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» المؤمنون : ٩٩ـ١٠٠)

وقال عزوجل حكاية عن الأشقياء الضالين الذين يريدون الرجوع إلى الدنيا لصالح العمل رداً عليهم بتحقير: «ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال إخسؤا فيها ولاتكلّمون» المؤمنون : ١٠٧ـ١٠٨)

وقال : «وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أولم نعمّر كم ما يتذكّر فيه من تذكّر وجاء كم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير» فاطر : ٣٧)

﴿ الانسان في عرضة الابتلاء وأنواعه ﴾

في المقام بحثان: أحدهما ـ في كون الانسان في عرضة الاختبار والابتلاء في الحياة الدنيا إلى أن جائه الموت . ثانيهما ـ في أنواع الابتلاء ...

أما الاول : فقدوردت فيه روايات كثيرة مضافاً إلى صراح آيات قرآنية بذلك ،فنشير إلى مايسعه جناح الاختصار :

في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : «أيها الناس ان الله قد أعاذ كم من أن يجور عليكم ، ولم يعذ كم من أن يبتليكم ، و قد قال جلّ من قائل : «ان في ذلك لآيات و ان كنا لمبتلين »

أي ان الله عز وجل لايجور على عباده لانه تعالى عادل لايظلم . ولكنه جل وعلا يبتليهم لانهم خلقوا للابتلاء ، فهم في عرضة الاختبار .

قال الله تعالى : «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون و لقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين » العنكبوت : ٢-٣)

فلا مناص حسب هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات القرآنية من الاختبار والامتحان ، فان الامتحان كان جارياً في الامم الغابرة ، و هو جار في الامم اللاحقة : و إنما هو سنة إلهية جارية بين خلقه : «سنة الله في الذين خلوا

من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» الاحزاب : ٦٢)

فيختبر كل فرد كما يمتحن كل جماعة ، ويبتلى كل امة لاحقة كمااختبر كل امة من الامم السالفة ، حيث ان الانسان بما هو إنسان فهو في عرضة الابتلاء .

قال الله عزوجل : «و لنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين و نبلو أخباركم» محمد ﷺ : ٣١)

وقال : «و لنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات و بشر الصابرين» البقرة : ١٥٥)

و اللام فى «و لنبلونكم» و النون المشددة للتأكيد ، و معنى ذلك ان الله جل وعلا يؤكد بصورة حتمية بأنه يبتلى كل فرد على إختلاف الطبقات بالطاعة و صالح الاعمال ، و الصبر على الفقر و السقم و فقد الاولاد و الأرحام و بأنواع البلايا و النوائب و المنايا و الحوادث المحزنة و المفرحة و الرخاء و الشدة و ما إليها ...

لكى يظهر لشخص الانسان مبلغ جهاده مع نفسه الأمارة بالسوء و عدم إطاعته لها و عدم طغيانها فى السراء وعدم الجزع فى الضراء... و هذا هوالجهاد الاكبر .

فى رواية : قال رسول الله ﷺ : «أشد الناس بلاء الانبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان فى دينه صلباً إشتد بلاؤه ، و إن كان فى دينه رقيقاً ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الارض و ما عليه خطيئة» .

أقول: و هذا بالنسبة إلى من أحبه الله تعالى من عباده المؤمنين ، و أما غيرهم فيدعهم و شأنهم دعاً .

وفي البرهان: قال مولى الموحدين إما المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام - فى خطبة - : «و لكن الله عزوجل يختبر عبيده بأنواع الشدائد و يتعبدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبر من قلوبهم، و إسكاناً للتذلل فى أنفسهم و ليجعل ذلك أبواباً إلى فضله و أسباباً و دليلا لعفوه و فتنته.

كما قال الله تعالى : «ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين »

وفيه: عن معمر بن خلاد قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : «ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لايفتنون» ثم قال لى : ما الفتنة ؟ قلت : جعلت فداك ، و عندنا الفتنة فى الدين ، قال : يفتنون كما يفتن الذهب ثم يخلصون كما يخلص الذهب .

وفيه: عن سيد الشهداء سبط المصطفى الامام الحسين بن على عليهم صلوات الله عن أبيه عليه السلام قال : لما نزلت : «ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون» قال : قلت : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هذه الفتنة ؟ قال : يا على أنت مبتلى بك ، و انك مخاصم فاعد للخصومة .

وأما الثاني : ففيه آيات قرآنية ، و روايات عديدة ...

قال الله عزوجل : «و نبلوكم بالشر و الخير فتنة» الانبياء : ٣٥)

و قال : «و بلوناهم بالحسنات و السيئات» الاعراف : ١٦٨) أى و نعاملكم معاملة المختبر بالسعة والضيق ، بالفقر و الغنى ، بالسّراء و الضّراء ، بالشدة و الرخاء ، بالاقبال و الادبار ، بالصعود و النزول ، و بالصحة و المرض ...

فى البحار : عن الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام مرض ، فعاد إخوانه ، فقال : كيف نجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال : بشرّ قالوا :

ما هذا كلام مثلك ؟ فقال : ان الله يقول : «و نبلو كم بالشر و الخير فتنة»

فـالخير : الصحة و الغنى و الشر : المـرض و الفقر ، «فتنة» أى إبتلاء و إختباراً و شدّة تعبّد .

وفى التوحيد: فيما سئل زنديق أباعبدالله الصادق عليه السلام قال : فبما إستحق الطفل الصغير ما يصيبه من الأوجاع و الأمراض بلا ذنب عمله ولا جرم سلفمنه؟

قال الامام عليه السلام : ان المرض علـى وجوه شتّى : مـرض بلوى ، و مـرض العقوبة ، و مرض جعل علة للفناء ... الخبر ...

أقول: و كذلك الفقر و الشدة و النائبة و ما إليها ... فان الفقر قديكون بالا سراف ، و اخرى بترك السعى ، و ثالثة بالبلوى ، و هكذا القياس فى غيره.

و نحن لو تتبعنا البلايا و النوائب لرأيناها على نـوعين :

أحدهما: ما هى مهذّبة منبهة مزكّية للنفوس الانسانية آخذة إياها إلى عوالم القدس وذلكلان البلايا و النوايا تصقل النفوس ، و تطهرها من أدناسها و أرجـاسها ...

ثانيهما : ماهى مبيدة لتلك النفوس كالز لـزال التى لاتبقى و لاتذر ، و العواصف التى تغرق السفن و الأوبئة التى تزهق الارواح ...

أما النوع الاول: فهىإمتحانات بسيطة يجتازها هذا الانسان ليسير سيره التكاملى ، وهى لاتتجاوز المرض و الفقر و مشاكل عائلية و إجتماعية ، و مـا إليها ، و كلها مفيدة تصقل النفوس الانسانية ، و تجعلها (إنكانت مؤمنة) تتقرب إلى الله تعالى و ترجو النجاة .

قال الله تعالى : «و لنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابـرين و نبلو أخباركم» محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٣١)

ان الله عزوجل يختبرنا ليعلم (و هو العالم قبلا وبعداً) درجة مجاهدتنامع

نفوسنا الأمارة بالسوء و درجة صبرنا ، و لكى نعلم نحن درجتنا فـى الامتحان الالهى العالمى لننال عنده تعالى ما نستحق من المنازل الـرفيعة .

قال الله جل وعلا: «و لكل درجات ما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون» الانعام : ١٣٢)

فلا يختص الامتحان بالأوامر و النواهى ... بل يتشكل بأشكال مختلفة و يتنوع بأنواع عديدة من وقوع الحوادث ، و رفع المصيبات أو المحن و البلايا و النوائب مع أنواعها من داخل الوجود من السمع و البصر و الحياة ... أو من خارج الوجود المرتبط به كالاولاد و الازواج و العشيرة و الاصدقاء و الاموال و الاشتهار و الصيت و الرئاسة و ما إليها ..

و بـذلك يظهر معنى المحق و التمحيص ، و حـال الطيب و الخبيث ، و يمتاز المؤمن من الكافر ، المخلص من المنافق ، المتقى من الفاجـر ، المصلح من المفسد ، المطيع من المجرم ، الصادق مـن الكاذب ، الأمين مـن الخائن ، العادل من الظالم ، و المفلح من الخاسر ...

قال الله تعالى : «و ليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ـ وليبتلى الله ما فى صدوركم و ليمحّص ما فـى قلـوبكم والله عليم بـذات الصدور» آل عمران : ١٤١ـ١٥٤)

الطبيعة عمياء لاتكرم و هى قد تكون مصدر الخيرات بلطف الله عزوجل ، و قد تكون مصدر الشرور لاستحقاقنا العقاب أو لمزيد الأجـر أو لتطهير بعض النفوس ، الطبيعة لاتعى ولا تشعر ولا تفكر فى مستقبل الامور ...

و ان هذه النزعة : النزعة الطبيعة نزعة مادية يقول بها الماديـون دونما دليل و إذا نزل بأحدهم بلاء عنيف إلتجأ إلى ماوراء الطبيعة بحكم الفطرة :

«قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرّعاً وخفية لئن أنجانا

من هذه لنكونن من الشاكرين» الانعام : ٦٣)

«قل من بيده ملكوت كل شيء و هو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون» المؤمنون : ٨٨-٨٩)

هل الموانع العقابية (الرادعة) كالبؤس و المجاعة و الأمراض والحروب هى التى تعاقب الانسان على الجرم الذى يرتكبه ولماذا ؟؟؟

كل ما يصيب الانسان من بؤس وجوع و فقر و مرض، و كوارث اخرى كحروب لاتبقى و لا تذر هو إما لتطهير هذا الانسان مما ألمّ به من أدران و أرجاس، أو لابتلائه و إمتحانه لنيل الدرجات العالية إن صبر و شكر أو لردعه عما هوفيه من ظلم و طيش إن انتبه من سكرته أو لعقابه فى العاجل كى يرتدع الآخرون، و ينتهى هو عن غيّه و يهتدى إلى الطريق السوى إن كان من أهل الاهتداء.

قال الله عزوجل : « و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً» الاسراء : ١٥)

فالله جل وعلا يتمّ الحجة على عباده فان أبوا و تمادوا فى غيّهم وطيشهم، و أفسدوا فى الارض، ولم يتوبوا رغم الانذار عاقبهم ببؤس وجوع و إبتلاء ات اخرى لعلهم يرجعون إلى رشدهم.

فالله عزوجل وسعت رحمته كل شيء، ولا يسلب رحمته عن عباده ولايدعهم فى دياجير الضلال حتى يبين لهم مايتقون على حدّ قوله جل وعلا :

«و ما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم» التوبة : ١١٥)

وقال : «و لوانا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذلّ و نخزى» طه : ١٣٤)

فالله تعالى لايظلم أحداً ولا يعاقب إنساناً إلاّ بعد إتمام الحجة مرّات و

مرات وهو جل وعلا يقول: «وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا و ما كنا مهلكي القرى إلاّ وأهلها ظالمون» القصص: ٥٩)

ومن الآيات القرآنية ماينسب البلاء إلى نقص الايمان بالله تعالى وجحود فضله كقوله عزوجل: «وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بماكانوا يصنعون» النحل: ١١٢)

و قوله تعالى: «ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلاّ الكفور» سباء: ١٧)

ومنها ماينسب إلى فرط الطمأنينة التي يحسّ بها الناس تجاه مستقبلهم (ناسين قدرة الله) كقوله تعالى: «قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة - فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها» الكهف: ٣٥-٤٢)

ومنها مايكون عقاباً بسبب إخلال الناس بواجباتهم الاجتماعية وعدم إحساسهم ببؤس إخوانهم كقوله عزوجل: «إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصر منها مصبحين - كذلك العذاب» القلم: ١٧-٣٣)

ومن أنواع الابتلاء الظلم على المبتلي في ماله و نفسه، وهتك عرضه والافتراء والتهمة والبهتان عليه...

ومن غير مراء: ان الايمان بالله جل وعلا له أكبر الأثر في النفس الانسانية فهو يمدّها بالعزاء عند حلول البلايا والمصائب وهو يهبها الطمأنينة لتصمد بها أمام مايصادفها من كوارث وأهوال ...

وهذا مايتمثل لنا في تصرفات الانبياء المرسلين وأئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين والعلماء العاملين والصلحاء المؤمنين في سلسلة متلاحقة من

تاريخ حياتهم... وهم يظهرون بمظهر المستعين بالله تعالى على ماكان يصيبهم من المصائب والبلايا ... صابرين عليها صبراً جميلاً لا يخالطه جزع ولا شكوى ، مؤمنين ايماناً عميقاً بلطف العناية الالهية مستسلمين لها بثقة ويقين، متوكلين على الله عزوجل، وما يستتبع ذلك من راحة وطمأنينة نفسية لأمرالله جل وعلا ، مع الأخذ بالأسباب والحيطة والحذرمن الاضرار، فللطبيعة في سيرها نظام تأتي فيه المسببات على قدر الأسباب، فلابد للمؤمن أن يأخذ بأسباب النجاة مع الثقة والاطمئنان لما قدّرالله جل وعلا، فالاحتراس والحيطة والحذر والدعاء تعطي النفس الانسانية قوة وعزاء عند وقوع المصائب...

وفي قصصهم درس لنا في الالتجاء إلى الله عزوجل والابتهال إليه تعالى و التضرع له وذكره بأسمائه الحسنى وصفاته العليا حتى يكشف مايصيبنا من بلاء.

وفي دعاء الندبة : «اللهم أنت كشّاف الكرب والبلوى، وإليك أستعدي فعند العدوى، وأنت رب الاخرة والدنيا ، فأغث يا غياث المستغيثين ، عبيدك المبتلى...» ألدعاء.

و في الدعاء بعد زيارة عاشوراء - «اللهم من أرادني فأرده، ومن كادني فكده، واصرف عني كيده ومكره وبأسه وأمانيه، وامنعه عني كيف شئت وأنى شئت، اللهم اشغله عني بفقر لاتجبره، وببلاء لاتستره، وبفاقة لاتسدّها، وبقسم لا تعافيه، وذل لاتعزّه وبمسكنة لاتجبرها...» الدعاء.

أقول: ولعمري ان لي في هذه الزيارة الشريفة - زيارت عاشوراء - وذاك الدعاء المتينة نحو طيلة عشرين سنة حتى اليوم تجربات عجيبة لايعرفها إلاّ من يتجرّب بهما في كل جمعة و خاصة نحو الغروب ، فعليكم أيها المؤمنون كافة ، والمبتلون خاصة عليهما.

﴿ابتلاء بعض الناس ببعض﴾

قال الله عز وجل : «و هو الذى جعلكم خلائف الارض و رفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم» الانعام : ١٦٥)

و من لوازم نظام الوجود تكويناً و بقائه إلى حين - و منه الانسان - هو الاختلاف فى أجزائه و أفراده ...

قال الله تعالى : «إن فى إختلاف الليل و النهاروما خلق الله فى السموات و الارض لآيات لقوم يتقون» يونس : ٦)

ومن هذا النظام: المجتمع الانسانى الذى يتكوّن بشغول و حرف قد إنتهت اليوم إلى أكثرمن/ ٤٠٠٠ نوعاً عقدت بها حياة الانسان، وتتصاعد إلى أكثر و أكثر لتكاثر أفراده و حوائجه و إختراعاته و إكتشافاته و تقدّمه العلمى ... و لابدلرفع تلك الحوائج و الشغول من ميول مختلفة فى أفراد المجتمع ، و من ثم تختلف الاستعدادات و الميول والطبايع ... مع اتحاد الكل فى أمر واحد و هوعلى فطرة التوحيد: «فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون» الروم : ٣٠) إنما الاختلاف فيما لا اختلاف فيه مذموم مردود .

فلا بدللمجتمع البشرى من مجتهد و مقلد، من سلطان و رعية ، من رئيس و مرؤس ، من ذكر و انثى ، من غنى و فقير ، من مريض و صحيح ، من سليم و عليل ، و من بصير وعمى ...

من غير أن يكون الاجتهاد أوالسلطنة أوالرئاسة ... معياراً للكرامة عند الله عزوجل ، و لاالتقليد و الرعيتية و المرئوسية ... ملاكاً للاهانة عنده تعالى و إنما المعيار هو التقوى سواء كان من مجتهد أو من مقلده... كما ان معيار الاهانة هو الطغيان سواء كان من سلطان أم من رعيته .

قال الله عزوجل : «ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات» المائدة :٤٨)

وقال: «ومن آياته خلق السموات و الارض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين» الروم : ٢٢)

و قال : «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا ان اكرمكم عندالله أتقاكم» الحجرات : ١٣)

وقال : «ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض ـ الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض» النساء: ٣٢ـ٣٤)

وقال : «والله فضّل بعضكم على بعض فى الرزق» النحل : ٧١)

وقال : «و جعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون» الفرقان : ٢٠)

ان الله تعالى يختبر العالم بالعامى، و القادر بالعاجز ، و السلطان برعيته، و الغنى بالفقير، و القوى بالضعيف ، و الرئيس بالمرؤس ، و الصحيح بالسقيم ، و العزيز بالذليل ، و الرفيع بالوضيع ، و الأبيض بالأسود، و المذكر بالمؤنث، و الوالد بالعقيم ... و العكس بالعكس ...

فى الكافى : باسناده عن مبارك غلام شعيب قال : سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول : ان الله عزوجل يقول : إنى لم اغن الغنىّ لكرامة به علىّ ، ولم افقر الفقير لهوان بهعلىّ وهومما ابتليت بهالاغنياءبالفقراء ،ولولا الفقراء لم يستوجب الاغنياء الجنة .

وفى الدر المنثور : عن أبى ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه عن

النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال : «ان الفقير عند الغنى فتنة ، و ان الضعيف عند القوى فتنة ، و ان المملوك عند المليك فتنة ، فليتق الله و ليكلفه ما يستطيع ، فان أمره أن يعمل بما لايستطيع فليعنه عنه ، فان لم يفعل فلا يعذبه»

وفى نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : «فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين فى أنفسهم بأولياء المستضعفين فى أعينهم ، ولقد دخل موسى بن عمران و معه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون ، وعليهما مدارع الصوف ، و بأيديهما العصىّ فشر طاله - ان اسلم - بقاء ملكه و دوام عزّه، فقال : ألا تعجبون من هذين يشرطان لى دوام العز وبقاء الملك ، وهمابما ترون من حال الفقر و الذّل ! فهلاّ القى عليهما أساورة من ذهب إعظاماً للذهب وجمعه و إحتقاراً للصوف و لبسه !

ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ، و معادن العقبان ، و مغارس الجنان ، و أن يحشر معهم طيور السماء ، و وحوش الارضين لفعل ، ولو فعل لسقط البلاء و بطل الجزاء ، و اضمحلّت الأنباء ، ولما وجب للقابلين اجور المبتلين ، ولا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين ، ولا لزمت الأسماء معانيها ، ولكن الله سبحانه جعل رسله اولى قوة فى عزائمهم ، و ضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم مع قناعة تملا القلوب وعز العيون غنى وخصاصة تملا الأبصار و الأسماع أذى»

قوله عليه السلام : «مدارع الصوف» جمع مدرعة - بكسر الميم - وهى كالكساء تلبس. و «العصىّ» : جمع عصا . و «الذهبان» بكسر الذال : جمع ذهب ، و «العقبان» : الذهب أيضاً ، و «إضمحلت الأنباء» أى بطلت الأخبار أو سقطت ، و هى الوعد و الوعيد و الانذار و البشارة ، و «لالزمت الأسماء معانيها» أى من يسمى مؤمناً أو مسلماً حينئذ، فان تسميته مجاز لاحقيقة لانه ليس بمؤمن ايماناً من فعله و كسبه بل يكون ملجأ إلى الايمان بما يشاهده من الآيات العظيمة، و «خصاصة» حاجة شديدة .

وفي تاريخ الطبري : « ان موسى عليه السلام قدم هو و أخوه هارون مصر على فرعون لما بعثهما الله تعالى إليه حتى وقفا على بابه يلتمسان الاذن عليه، فمكثا سنين يغدوان على بابه ويروحان لايعلم بهما ، ولا يجترىء أحد على أن يخبره بشأنهما عليهما السلام.

وقد كانا قالا لمن بالباب : إنا رسولا رب العالمين إلى فرعون حتى دخل عليه بطّال له يلاعبه و يضحكه، فقال له: أيّها الملك ان على الباب رجلا يقول قولاً عجيباً عظيماً ، ويزعم ان له إلهاً غيرك، قال : ببابي ؟ قال: نعم قال: ادخلوه فدخل و بيده عصاه و معه هارون أخوه فقال : انا رسول رب العالمين إليك ...» الخبر .

نعم يختبر السلطان بسلطنته ، و العالم بعلمه، و الرئيس برئاسته ، والفتى بشبابه ، و القادر بقدرته ، و الوالد باولاده والثريّ بأمواله ...

يختبر الغني بالفقير: يأتي الفقير الغني، فاما أن يستقبله هذا الغني إستقبالاً شفيقاً إستقبالاً فيه من البشر والحنان ، فيعطيه ما يغنيه إن امكن ، أو يعطيه حسب وسعه ، و إما أن يختفي في بيته فيقول لخادمه : قل لهذا الفقير العاجز الذليل: ليس سيّدي في البيت أو سافر... فيرجع المسكين العاجز خائباً منكسراً يائساً من جود هذا الغني أو بالأحرى من عدم قيام هذا الغني بواجبه .

قال الله عزوجل موبخاً لأمثال هذا الغني قاسي القلب: « كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين» الفجر : ١٧-١٨)

وهذا دليل واضح على ما لاكرام اليتيم و إطعام المسكين و إغناء الفقير في الاسلام من أهميّة فائقة .

﴿الابتلاء و مراتبه﴾

واعلم أن للبلاء والابتلاء مراتب حسب درجات المبتلى فى الايمان والتنعم .. فمن كان أعلم الناس فيختبر بما لا يختبر به من دونه و هكذا . . . أعاذنا الله القادر المنان فى كل حال من الخطأ والزلل بحق محمد و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين :

فى الكافى : باسناده عن محمد بن بهلول بن مسلم العبدى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : « إنما المؤمن بمنزلة كفة الميزان كلما زيد فى ايمانه زيد فى بلائه».

أى ان حال المؤمن فى ايمانه وبلائه بمنزلة كفتى الميزان كما ورد : « الصلاة ميزان فمن وفى استوى » . أو ان المؤمن ككفة الميزان فى أنه كلما وضع فيه يوضع فى الكفة الاخرى ، ما يوازنه عندالوزن، فكلما زيد فى المؤمن من الايمان زيد فى الكفة الاخرى ، و هو الكافر الذى بلاء المؤمن بسببه سواء كان من الانس أو الجن ، فيزيد بلاؤه وأذاه للمؤمن بحسب زيادة ايمان المؤمن .

و فيه : عن عبدالرحمن الحجاج قال : ذكر عند أبى عبدالله عليه السلام البلاء وما يخص الله عز وجل به المؤمن ، فقال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أشد الناس بلاء فى الدنيا ؟ فقال : النبيون ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلى المؤمن بعد على قدر ايمانه وحسن أعماله ، فمن صح ايمانه وحسن عمله إشتد بلائه ، ومن سخف ايمانه و ضعف عمله قل بلاؤه .

أقول: السخف : الخفة فى العقل والرأى .

وفيه : باسناده عن زيدالشحام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن عظيم الأجر لمع عظيم البلاء وما أحبّ الله قوماً إلاّ إبتلاهم .

و فيه : باسناده عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنما يبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه ـ أو قال ـ : على حسب دينه .

أقول: ان الشك والترديد من الراوى ، و « حسب » بالتحريك : المقدار . فمآل الروايتين واحد . يقال : يجزى المرء على حسب عمله : أى على مقداره .

و فيه : باسناده عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان في كتاب علي عليه السلام: ان اشد الناس بلاءاً النبيون ثم الوصيّون ثم الأمثل فالأمثل . و إنما يبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة ، فمن صحّ دينه و حسن عمله إشتدّ بلاؤه و ذلك ان الله عزوجل لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن و لاعقوبة لكافر ، ومن سخف دينه و ضعف عمله قلّ بلاؤه ، وان البلاء أسرع إلى المؤمن التقىّ من المطر إلى قرار الارض .

وفي مجالس الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أحمد بن سليمان القمى قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إن كان النبىّ من الأنبياء ليبتلى بالجوع حتى يموت جوعاً و إن كان النبى من الانبياء ليبتلى بالعطش حتى يموت عطشاً ، و إن كان النبى من الانبياء ليبتلى بالعراء حتى يموت عرياناً ، و إن كان النبىّ من الانبياء ليبتلى بالسقم و الأمراض حتى تتلفه وإن كان النبى ليأتى قومه ، فيقوم فيهم يأمرهم بطاعة الله ويدعوهم إلى توحيد الله، وما معه مبيت ليلة ، فما يتركونه يفرغ من كلامه ولا يستمعون إليه حتى يقتلوه، و إنما يبتلى الله تبارك وتعالى عباده على قدر منازلهم عنده .

وفي جامع الاخبار: في وصية الامام الباقر عليه السلام لابنه ـ قال : يا بنىّ من كتم بلاء ابتلى به من الناس ، وشكى ذلك إلى الله عزوجل كان حقاً على الله أن يعافيه من ذلك البلاء ، قال عليه السلام : يبتلى المرء على قدر حبه .

و فيه : عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : لايكون في الدنيا مؤمن إلاّ و له جار يؤذيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما كان ولايكون ، و لاهو كائن نبى ولامؤمن إلاّ وله قرابة

يؤذيه أوجار يؤذيه .

وفي الاختصاص : عن الفضيل قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ان الشياطين على المؤمنين أكثر من الزنابير على اللحم ثم قال هكذا بيده : إلاّ ما دفع الله .

أقول: كأن الامام عليه السلام أشار بيده إلى جهة السماء .

وفيه: عن على بن عثمان عن أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : انّ الانبياء وأولاد الأنبياء وأتباع الأنبياء خصّوا بثلاث خصال : السقم فى الأبدان و خوف السلطان والفقر .

وفي البحار : بالاسناد عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان على عليه السلام يقول : ان البلاء أسرع إلى شيعتنا من السيل إلى قرار الوادى .

و فيه : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : الجوع و الخوف أسرع إلى شيعتنا من ركض البراذين .

الركض : تحريك الرجل ، ومنه قوله تعالى : « اركض برجلك » ص:٤٢) والدفع و استحثاث الفرس للعدو .

ان الله تعالى يمتحن عباده حسب عظم نفوسهم ، و قابلياتهم ، فيبوّؤهم ما يستحقون من المنازل الدنيوية والاخروية .

قال رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : « ما اوذى نبى مثل ما اوذيت » فكان إبتلاؤه أعظم من إبتلاء من سبقه من الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

وأما الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فقد امتحن بامتحانات تزيد عن العدّ و الاحصاء منها مبيته على فراش النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و عرضه نفسه للقتل ، ومنها برازه إلى عمرو بن عبدودّ الذى كان يعد بألف فارس فى غزوة الخندق، وقد قال فيه رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم : «برز الايمان كله إلى الشرك كله»

وفي المستدرك للحاكم عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لمبارزة على بن أبى أبيطالب

لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من أعمال امتى إلى يوم القيامة .

و فيه : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « قتل على لعمرو بن عبدود أفضل من عبادة الثقلين »

ومنها : ما رآه الامام على عليه السلام بعد قبض النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و خاصة من مشائيم السقيفة السخيفة بنى الساعدة انحط بها المسلمون إلى اليوم ، ولعمرى لولاها لما كان المسلمون على ماهم عليه اليوم من الانحطاط والاختلاف ...

و أما بنت المصطفى فاطمة الزهراء سلام الله عليها فقد امتحنت بأيام قليلة بامتحانات بعد فوت أبيها النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم باحراق دارها وسقط جنينها وهتك حرمتها إلى أن ماتت و هى ساخطة على السفلة كان عمر بن الخطاب قائدها و موسوسها وسائسها .

ثم انظر إلى ما امتحن به الامام الحسن بن على عليهما السلام و ما جرى عليه من جانب معاوية بن سفيان عليهما الهاوية والنيران .

و أما الامام سيد الشهداء قتيل كربلاء سبط المصطفى الحسين بن على عليهم آلاف التحية والثناء فقد امتحن بما لم يمتحن به من قبله ، ولا من بعده أبداً .

ثم انظر إلى بقية ائمتنا المعصومين أهل بيت النبى الكريم صلوات عليهم أجمعين كيف امتحنوا وابتلوا ببلايا صعبة جداً لا يقوى عليها البشر العادى .

و لا مجال لذكر ما ابتلى به الانبياء والمرسلون عليهم السلام من بلايا شاقة جداً يفر منها غيرهم ، ولكنا لا نترك الاشارة إليها .

وفى دعاء حرم الامام : سيد الشهداء سبط المصطفى الحسين بن على عليه السلام - :

« واجعلنى من عبادك الذين صرفت عنهم البلايا والأمراض والفتن و الأعراض ، من الذين تحييهم فى عافية ، وتميتهم فى عافية ، وتدخلهم الجنة فى عافية ، وتجيرهم من النار فى عافية ... » الدعاء

«الابتلاء والانبياء عليهم آلاف التحية والثناء»

واعلم الايات القرآنية والروايات الواردة في إبتلاء الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين أكثر من أن تحصى في مقام الاختصار، فنشير إلى ما يسعه:

منهـا: قوله عز وجل:

وقوله: «وهمّت كل امة برسولهم ليأخذوه و جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق» غافر: ٥)

و قوله: «كلما جاء امة رسولها كذّبوه» المؤمنون: ٤٤)

وقوله: «جائتهم رسلهم بالبينات فردّوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما ارسلتم به» إبراهيم: ٩)

وقوله: «و ما يأتيهم من نبي إلاّ كانوا به يستهزؤن» الزخرف: ٧)

وقوله: وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالا نوحي إليهم من أهل القرى - حتى إذا استيئس الرسل و ظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا» يوسف: ١٠٩ - ١١٠)

وقوله: «و كذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين» الفرقان: ٣١)

وقوله: «بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» آل عمران: ١١٢).

وقوله: «ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا و اوذوا حتى

أتاهم نصرنا ـ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » الانعام : ٣٤ ـ ١١٢)

وغيرها من الايات الكريمة ... و أما الروايات فكثيرة جدا منها ما :

في الكافي : باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن أشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل .

قوله عليه السلام : « أشد الناس » اريد بالناس هنا الكمّل من الانبياء و الاوصياء والاولياء ، فانهم الناس حقيقة وغيرهم يعبّر عنهم في الروايات بنسناس ، و قد أوردناها في محلها في هذا الكتاب فراجع .

وقوله عليه السلام « بلاء » البلاء : المحنة وهي ما يختبر و يمتحن به من خير أوشر ، وأكثر ما يأتي على طريق الاطلاق فيراد به الشر ، و إذا اريد به الخير فيأتي على سبيل التقييد كقوله عز و جل : « وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً » الانفال : ١٧)

وقوله عليه السلام : « يلونهم » : يقربون منهم ، ويكونون بعدهم من الاوصياء والاولياء ...

وقوله عليه السلام : « ثم الأمثل فالأمثل » أي الاشرف فالاشرف رتبة ، والاعلى فالاعلى منزلة .

وفيه : باسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال : أشد الناس بلاءاً الانبياء ثم الاوصياء ثم الأماثل فالأماثل .

وفيه : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الله عزوجل يبتلي المؤمنين بكل بليّة ويميته بكل ميتة ، و لا يبتليه بذهاب عقله أما ترى أيوب عليه السلام كيف سلّط إبليس على ماله وعلى جسمه ، وعلى أهله وعلى كل شيء منه ، ولم يسلّط على عقله ترك له ليوحّد الله به .

أقول: والدليل على ذلك قوله تعالى : « واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه

انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب » ص : ٤١)

إن تسئل : ان إطلاق قوله عز وجل: « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان...» الحجر : ٤٢) ينافى ذلك ؟

تجيب : ان ذيل الاية الكريمة يفسّر صدرها إذ قال : « إلاّ من اتبعك الغاوين » وذلك ان جميع الآيات النازلة فى قصة سجدة آدم تدل على أن إبليس شأنه الاغواء والاضلال يقابل الهداية ، وهما من الامور القلبية المرتبطة بالايمان و صالح الأعمال ، فالذى اتخذه إبليس لعنه الله ميداناً لعمله هو قلب الانسان و عمله الاضلال عن صراط الايمان وصالح الاعمال، والذى ردّ الله تعالى عليه ، وحفظ عباده من كيده فيه هو عبوديتهم ، فعباده عز و جل الواقعون فى صراط العبودية مأمونون من كيده .

كما قال الله تعالى : « انه ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربهم يتوكلون » النحل : ٩٩)

فالايمان هو العبودية والتوكل من لوازمها ، وأما أجساد العباد و ما يلحق بها ، فليست بمأمونة عن كيده ومكره ، فله أن يمسّ العبد المؤمن فى غير عقله و ايمانه: من جسم أو مال أو ولد أو نحو ذلك ... و أثره الايذاء وأماما و راء ذلك فلا ، ومن هنا يظهر ان الوصف فى قوله تعالى : « ان عبادى» كالمشعر بالعلية فتدبر جيداً و اغتنم جداً .

وفى مصباح الشريعة : قال الصادق عليه السلام البلاء زين المؤمن ، و كرامة لمن عقل لان فى مباشرته ، و الصبر عليه و الثبات عنده ، تصحيح نسبة الايمان . قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاءاً فالمؤمن من الأمثل فالأمثل .

ومن ذاق طعم البلاء تحت ستر حفظ الله له كان تلذّذه أكثر من تلذذه بالنعمة ، ويشتاق إليه إذا فقده لان تحت يد البلاء والمحنة أنوار النعمة، وتحت أنوار النعمة

نيران البلاء والمحنة ، وقد ينجو من البلاء كثير ، ويهلك في النعمة كثير ، و ما أثنى الله تعالى على عبد من عباده من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ بعد إبتلاء و وفاء حق العبودية فيه فكرامات الله في الحقيقة نهايات بداياتها البلايا ، و من خرج من سبيكة البلوى جعل سراج المؤمنين ، و مونس المقرّبين ، و دليل القاصدين .

ولا خير في عبد شكى من محنة تقدّمها آلاف نعمة ، واتبعها آلاف راحة ، و من لا يقضى حق الصبر على البلاء حرم قضاء الشكر في النعماء كذلك من لا يؤدّى حق الشكر في النعماء يحرم عن قضاء الصبر في البلاء ، و من حرمهما فهو من المطرودين ، وقال أيوب عليه السلام في دعائه : «اللهم قد أتى عليّ سبعون في الرخاء حتى أتى عليّ سبعون في البلاء » .

و في **نهج البلاغة** : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « فلو رخّص الله في الكبر لأحد من عباده لرخّص فيه لخاصّة أنبياءه ، و لكنه سبحانه كرّه إليهم التكابر ، و رضى لهم التواضع ، فالصقوا بالأرض خدودهم وعفّروا في التراب وجوههم وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، و كانوا قوماً مستضعفين قد اختبرهم الله بالمخمصة ، وابتلاهم بالمجهدة وامتحنهم بالمخاوف ومحّصهم بالمكاره »

قوله عليه السلام « التكابر »: التعاظم ، والغرض مقابلة لفظة « التواضع » لتكون الألفاظ مزدوجة ، و « عفّروا » : الصقوا وجوههم بالتراب ، و « بالمخمصة » : الجوع ، و « المجهدة » : المشقة ، و « محّصهم » : طهّرهم .

وفي العلل : باسناده عن على بن الحسين عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما زلت أنا ، ومن كان قبلى من النبيين و المؤمنين مبتلين بمن يؤذينا ، ولو كان المؤمن على رأس جبل لقيض الله عز وجل له من يؤذيه ليأجره على ذلك .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ما زلت مظلوماً منذ ولدتني امي حتى ان كان عقيل ليصيبه رمد، فيقول : لاتذروني حتى تذروا علياً ، فيذروني وما بي من رمد.

وغيرها من الروايات الواردة ...

فكلها يدل بوضوح على أن الانبياء و الاوصياء صلوات الله عليهم أجمعين كانوا في الامراض الجسمية والبلايا الحسيّة كغيرهم بل هم اولى بها من الغير تعظيماً لأجرهم الذي يوجب التفاضل في الدرجات ، و لايقدح ذلك في رتبتهم بل هو تثبيت لأمرهم ، و انهم بشر إذ لو لم يصبهم ما أصاب سائر البشر ، وما يزيد على ذلك مع ما يظهر في أيديهم من خرق العادة لقيل فيهم ما قالت النصارى في نبيّهم .

مع أنهم كانوا قدوة الناس ، فلو لم تصبهم تلك البلايا الشديدة التي لايحتملها غيرهم لما كان الناس يقتدون بهم ، و لا يرضون ان تصيبهم المحنة و الشدة في الايمان ، و لايجاهدون في سبيل الله تعالى لنشر المعارف السماوية والحكم الالهية ، فجعل الله عزوجل الانبياء والاوصياء عليهم السلام من جنس البشر ، وقد امتحنهم ببلايا صعبة شاقة لايقوى عليها البشر العادي .

هذا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام قد امتحنه الله تعالى بأن القي في النار ، فكانت له برداً وسلاماً ، وامتحنه بذبح ولده اسمعيل ، وقد كان من قبل عقيماً، وامتحنه بأن أرسل له ملكاً على شكل إنسان ، فيقول : « سبّوح قدّوس ربنا و رب الملائكة والروح».

فافتتن إبراهيم عليه السلام بهذا النداء اللاهوتي ، فطلب إليه أن يعيد ما قال ، فأجابه : انه لايعيد حتى يعطيه نصف غنمه ، فأعطاه فقالها ثانية : « سبّوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح » .

ثم إن إبراهيم عليه السلام طلب إليه أيضاً أن يقولها ثالثة ، فقال : الان تعطيني

بقية غنمك فأعطاه ، وقالها ثالثة : فهذه مرتبة من مراتب الولاء لايصل إليها البشر العادى ، فامتحن إبراهيم عليه السلام بنفسه ، و ولده وماله وزوجته ... فأحسن إمتحانه حتى لقّب بانه خليل الله .

فافتتن نوح النبى عليه السلام مضافاً إلى قومه المكذبين بزوجته الطاغية وولده غير صالح ، و افتتن لوط عليه السلام بزوجته المتمردة . . . و هكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين و للعلماء العاملين و قوّاد الدين الاسلامى فيهم اسوة حسنة .

و فيه: عن أبى عبدالله عليه السلام ـ فى حديث ـ : **إن نبياً من الانبياء بعثه الله إلى قومه ، فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه ، فأتاه ملك ، فقال له : ان الله بعثنى إليك فمرنى بما شئت ، فقال : لى اسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام .**

وفيه : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : **ان إسمعيل كان رسولا نبياً سلّط الله عليه قومه فقشروا جلدة وجهه ، و فروة رأسه فأتاه رسول من عند رب العالمين ، فقال له : ربك يقرؤك السلام ويقول : قد رأيت ما صنع بك ، و قد أمرنى بطاعتك فمرنى بما شئت ، فقال : يكون لى بالحسين عليه السلام اسوة .**

و فى آخر وداع السيد الشهداء سبط المصطفى الامام الحسين بن على عليه السلام لأهل بيته عليهم السلام بكربلاء ـ : « يا زينب ! يا ام كلثوم ! يا سكينة !

وقال لهم : إستعدّوا للبلاء و اعلموا أن الله حافظكم وحاميكم وسينجيكم من شر الأعداء و يجعل عاقبة أمركم إلى خير ، و يعذّب أعاديكم بأنواع البلاء و يعوّضكم الله عن هذه البليّة أنواع النعم والكرامة ، فلا تشكوا و لا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم ... »

و فى خطبة فاطمة الصغرى بنت سيد الشهداء الامام الحسين بن على عليهما السلام ـ إلى أن قالت ـ : **« أما بعد يا أهل الكوفة! ويا أهل المكر والغدر**

والخيلاء ! فانا أهل بيت إبتلانا الله بكم وابتلاكم بنا ، فجعل بلائنا حسناً وجعل علمه عندنا ، وفهمه لدينا ، فنحن عيبة علمه و وعاء فهمه وحكمته و حجته في الارض لبلاده ولعباده ... » الخطبة .

وفي خطبة السيد الساجدين زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام بشام - إلى أن قال - « أيها الناس ! إن الله تعالى وله الحمد ابتلانا أهل البيت ببلاء حسن حيث جعل راية الهدى و العدل و التقى فينا ، وجعل راية الضلالة والردى في غيرنا »

و في دعاء كميل بن زياد رحمة الله تعالى عليه - : « اللهم اغفرلي الذنوب التي تنزل البلاء - و كم من فادح من البلاء أقلته - اللهم عظم بلائي و أفرط بي سوء حالي - فلك الحمد عليّ في جميع ذلك و لاحجة لي فيما جرى عليّ فيه قضاؤك و ألزمني حكمك و بلاؤك - وأنت تعلم ضعفي عن قليل من بلاء الدنيا وعقوباتها ، وما يجري فيها من المكاره على أهلها أن ذلك بلاء ومكروه ، قليل مكثه ، يسير بقائه ، قصير مدته ، فكيف إحتمالي لبلاء الآخرة ، و جليل وقوع المكاره فيها ، وهو بلاء تطول مدته ، ويدوم مقامه ، ولايخفف عن أهله ، لأنه لايكون إلاّ عن غضبك و انتقامك وسخطك ... » الدعاء .

و في أعمال مسجد السهلة - : « و لك الحمد على كل بلاء حسن إبتليتني ... » الدعاء .

«الابتلاء و المؤمن»

قال الله تعالى : «و ليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً ان الله سميع عليم» الانفال : ١٧)

ان الروايات الواردة في المقام كثيرة جداً نشير إلى نبذة منها :

١- في الكافي باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان لله عزوجل عباداً في الارض من خالص عباده ماينزل من السماء تحفة إلى الارض إلاّ صرفها عنهم إلى غيرهم ، ولا بليّة إلاّ صرفها إليهم .

٢- وفيه باسناده عن الحسين بن علوان عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: وعنده سدير : ان الله إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً ، و انا و إياكم يا سدير لنصبح به و نمسى .

قوله عليه السلام: «غتّه» أى غمسه في البلاء .

٣- و فيه باسناده عن حماد عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان الله تبارك و تعالى إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً وثجّه بالبلاء ثجّاً ، فاذادعاه قال : لبيك عبدى ! لئن عجّلت لك ما سئلت انى على ذلك لقادر ، و لئن إدّخرت لك فما ادّخرت لك خير لك .

قوله عليه السلام : «ثجّه» ثجّ المال : سال و أساله . و الثج : سيلان دماء الهدى و الأضاحى .

٤- وفيه باسناده عن محمدبن مسلم قال : سمعت أباعبد الله عليه السلام يقول :

المؤمن لايمضى عليه أربعون ليلة إلا عرض له أمر يحزنه يذكر به .

أقول: أى يذكرالله تعالى به، فيتضرع لذلك، ويدعوالله لرفع ماعرض عليه.

٥- فى وسائل الشيعة بالاسناد عن حمران عن أبى جعفر عليه السلام قال : ان الله ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية من الغيبة ، و يحميه الدنيا كما يحمى الطبيب المريض .

٦- و فيه بالاسناد عن ابن بكير قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام أيبتلى المؤمن بالجذام أو البرص و أشباه هذا، قال : فقال : وهل كتب البلاء إلا على المؤمن.

٧- فى قرب الاسناد عن عبدالله بن ميمون عن جعفربن محمد عن أبيه عليه السلام ان الله تبارك وتعالى ضناين من خلقه يغذوهم بنعمته و يحبهم بعافيته ، و يدخلهم الجنة برحمته تمر بهم البلايا ، و الفتن مثل الرياح ما تضرهم شيئاً .

قوله عليه السلام : «ضناين» أى خواص .

٨- فى البحار : عن أبى الحسن عليه السلام قال: المؤمن بعرض كل خيرلوقطع أنملة أنملة كان خيراً له ولو ولى شرقها وغربها كان خيراً له.

قوله عليه السلام : «بعرض كل خير» أى بمعرض كل خير و «لوقطع أنملة أنملة» الأنملة من عقد الأصابع ، و المعنى : لوقطع المؤمن جميع بدنه بمقدار الأنملة كان خيراً له .

٩- فى الكافى باسناده عن عبيدبن زرارة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ان المؤمن من الله عزوجل لبأفضل مكان - ثلاثاً - انه ليبتليه بالبلاء ثم ينزع نفسه عضواً عضواً من جسده وهو يحمدالله على ذلك .

قوله عليه السلام : «من الله» أى بالنسبة إليه ، و «ثلاثاً» أى قال هذا الكلام : ثلاث مرات ، و «نفسه عضواً عضواً» أى روحه من بدنه بالتدريج ، و يحتمل أن يكون المراد قطع بدنه عضواً عضواً ، فكلما قطع منه عضو سلب الروح منه .

١٠- وفيه باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ان المؤمن ليكرم

على الله حتى لو سئله الجنة بما فيها أعطاه ذلك مـن غير أن ينتقص من ملكه شيئاً ، و ان الكافر ليهون على الله حتى لو سئله الدنيا بما فيها لأعطاه من غير أن ينقص من ملكه شيئاً ، و ان الله ليتعاهد عبده المؤمن بـالبلاء كما يتعاهـد الغائب أهله بالطرف ، و انه ليحميه الدنيا كما يحمى الطبيب المريض .

قوله عليه السلام : «بالطرف» أطرف فلاناً : أعطاه مالم يعطه أحد قبله ، والاسم: الطرفة بالضم. و «يحميه» يمنعه .

١١- في جامع الأخبار : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لايزال البلاء في المؤمن و المؤمنة في جسده و ماله وولده حتى يلقى الله ، و ما عليه من خطيئة .

١٢- في البحار : عن أبي بصير عن أبـي عبدالله عليه السلام قال : لـو أن مؤمناً على لوح في البحر لقيّض الله له منافقاً يؤذيه .

١٣- وفيه عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : ان الله جعل المؤمنين في دار الدنيا غرضاً لعدوّهم .

١٤- وفيه عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث ، و ربما اجتمعت الثلاث عليه : إما أن يكون معه فـي الدار من يغلق عليه الباب يؤذيه أو جار يؤذيه ، أو شيء في طريقه و حوائجه يؤذيه ، ولـو أن مؤمناً على قلّة جبل لبعث الله إليه شيطاناً .ويجعل له من ايمانه انساً لايستوحش إلى أحد .

١٥- و فيه بالاسناد عن سعدبن طريف قال : كنت عند أبـي جعفر عليه السلام فجاء جميل الأزرق ، فدخل عليه قال : فذكروا بلايا للشيعة ، و ما يصيبهم فقال أبو جعفر عليه السلام : ان اناساً أتوا على بن الحسين عليه السلام وعبدالله بن عباس ، فذكروا لهما نحو ماذكرتم قال : فأتيا الحسين بن على عليه السلام فـذكرا له ذلـك ، فقال الحسين عليه السلام :

والله البلاء و الفقر و القتل أسرع إلى من أحبّنا من ركض البراذين ، و

من السيل إلى صمره قلت : و ما الصمر ؟ قال : منتهاه ولولا أن تكونوا كذلك لرأينا انكم لستم منا .

قوله عليه السلام : «صمره» الصمر ـ بالكسر ـ : مستقره .

١٦ـ وفيه بالاسناد عن الفضيل بن يسار قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: ان الشياطين أكثر على المؤمن من الزنابير على اللحم .

١٧ـ في عدة الداعي : روى أبوالصباح قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ما أصاب المؤمن من بلاء أفبذنب ؟ قال : لا ولكن يسمع الله أنينه و شكواه ودعائه ليكتب له الحسنات ، و يحط عنه السيئات ، و ان الله ليعتذر إلى عبده المؤمن كما يعتذر الاخ إلى أخيه ، فيقول : لاوعزتي ما افقرتك لهوانك علي فارفع هذا الغطاء ، فيكشف فينظر ما في عوضه ، فيقول : ماضرني يا رب ما زويت عني و ما احب الله قوماً إلا إبتلاهم ، و إن عظيم الأجر لمع عظيم البلاء . . . الخبر .

١٨ـ في الكافي : باسناده عن ذريح المحاربي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: اني لا كره للرجل أن يعافى في الدنيا، فلايصيبه شيء من المصائب .

١٩ـ وفيه : باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله أخذ ميثاق المؤمن على بلايا أربع أيسرها (أشدها خ) عليه مؤمن يقول بقوله يحسده أو منافق يقفو أثره أو شيطان يغويه أوكافر يرى جهاده فما بقاء المؤمن بعد هذا .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «يقول بقوله» يدين بدينه .

٢٠ـ وفيه : باسناده عن إبن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث ، و لربما إجتمعت الثلاثة عليه، إما بعض من يكون معه في الدار يغلق عليه بابه يؤذيه أو جار يؤذيه أومن في طريقه إلى حوائجه

يؤذيه ، ولـو أن مؤمناً على قلّة جبل لبعث الله عزوجل عليه شيطاناً يؤذيه ، و يجعل الله له من ايمانه انساً لا يستوحش معه إلى أحد .

أقول: و ما يستفاد من الروايات الواردة في المقام : ان البلايـا لتختلف شدة و ضعفاً حسب قابلية الممتحن وإستعداده ، وهذا من عظيم لطف الله عزوجل و جزيل سببه، فلا يبتلى المؤمن كما يبتلى النبي أو الوصي عليه السلام...

و ان درجة الايمان تتناسب مع تحمل عظيم البلاء، فان الانسان قد يعرض عليه المال الكثير من مورد مشكوك أو محرم أو تعرض عليه رئـاسة فيها هتك حرمات الله جل وعلا و الأعراض المحترمة، و التصدى على أنواع الجور والظلم و الاستبداد ... فقلّ من ينجح في هذين الامتحانين بترك المال لحرمته والرضا بالفقر و المسكنة أو رفض الرئـاسة و العمل بما جاء فـي القرآن الكريم ، و ماورد عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين والاتخاذ بسيرتهم .

و فـي دعـاء يـوم المباهلة ـ : « اللهم صلّ علـى محمد و آل محمد ، واحفظني من كل مصيبة ، ومن كل بلية ، ومن كل عقوبة ، ومن كل فتنة ،ومن كل بلاء ، ومن كل شر، ومن كل مكروه ، و من كل مصيبة ، ومن كل آفة...» الدعاء

و فـي مناجـاة المستعيذيـن : « اللهم إني أعوذ بك من ملمّات نوازل البلاء ، وأهوال عظائم الضرّاء ، فأعذني رب من صرعة البأساء ، واحجبني من سطوات البلاء ، ونجّني من مفاجاة النقم ، وأجرني من زوال النعم ، ومن زلل القدم...» الدعاء.

﴿الابتلاء و الحكمة﴾

قال الله عزوجل: «الذى خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا» الملك : ۲)

وقال : «فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر» النمل : ٤٠)

و اعلم أن لابتلاء المؤمن بالصنع الجميل و بما يكره حكماً عديدة :

منها ـ ان الله تعالى قد يبتلى عبده بالصنع الجميل ليختبر شكره .

ومنها ـ انه عزوجل قد يبتلى المؤمن بما يكره لاختبار صبره و إدراجه فى الصابرين .

ومنها ـ لكفارة ذنوبه السابقة وتركها فى الأيام الآتية.

ومنها ـ لتزهيده فى الدنيا لئلا يفتتن بها، ولا يطمئن إليها، فيشق عليه الخروج منها .

ومنها ـ لتوسله إلى الله جل وعلا فى الضراء ، و سلوكه مسلك الدعاء لدفع مايصيبه من البلايا ، فيرتفع بذلك درجته .

ومنها ـ لوحشته عن المخلوقين و انسه برب العالمين وغيرها ...

فى مجالس الشيخ المفيد: قدس سرّه باسناده عن إبن فرقد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان فيما ناجى الله به موسى بن عمران ان : يا موسى ما خلقت خلقاً هو أحبّ إلىّ من عبدى المؤمن ، و انى إنما إبتليته لما هو خير له ، و

أنا أعلم بما يصلح عبدي ، فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي ، و ليرض بقضائي اكتبه في الصديقين عندي إذا عمل بما يرضيني و أطاع أمري .

و في جامع الاخبار : عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام قال : ان البلاء للظالم أدب ، و للمؤمن إمتحان ، وللانبياء درجة ، وللاولياء كرامة .

وفي تفسير العياشي : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : والله لتمحّصن والله لتميّزن ، والله لتغربلن حتى لايبقى منكم إلا الأندر ؟ قلت : و ما الاندر ؟ قال: البيدر و هو أن يدخل الرجل قبّة الطعام يطين عليه ثم يخرجه ، و قد تأكّل بعضه ، فلا يزال ينقّبه ثم يكن عليه يخرجه حتى يفعل ذلك ثلاث مرّات حتى يبقى مالا يضرّه شيء .

وفي الكافي: باسناده عن يعقوب السرّاج و على بن رئاب عن أبي عبدالله عليه السلام إن أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بويع بعدمقتل عثمان صعد المنبر وخطب بخطبة ذكرها يقول فيها : ألا ان بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم و الذى بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة و لتغربلن غربلة حتى يعود أسفلكم أعلاكم ، و أعلاكم أسفلكم وليسبقن سبّاقون كانوا قصّروا ، وليقصرن سبّاقون كانوا سبقوا ، والله ما كتمت وسمة ولا كذبت كذبة ، ولقد نبّئت بهذا المقام و هذا اليوم .

قوله عليه السلام : «لتبلبلن» أي لتخلطن ، و «لتغربلن» كما يغربل الدقيق ، و «حتى يعود أسفلكم أعلاكم ...» أي يصير عزيزكم ذليلا ، و ذليلكم عزيزاً أو صالحكم فاجراً و فاجركم صالحاً ، و مؤمنكم كافراً و كافركم مؤمناً .

وقوله عليه السلام : «و ليسبقن سبّاقون» يعني عليه السلام به قوماً قصّروا في أوّل الأمر في نصرته ثم نصروه في ذلك الوقت ، و بالفقرة الثانية قوماً سعوا إلى بيعته

وبادروا إلى نصرته فى أول الأمر ثم خذلـوه و نكثوا بيعته كطلحة و الزبير و أضرابهما . . .

وقوله عليه السلام : «ما كتمت وسمة» أى ما سترت علامة تدل علـى سبيل الحق ولكن عميتم عنها .

وفيه: باسناده عن إبن أبى يعفور قـال : سمعت أبـا عبدالله عليه السلام يقول : ويل لطغاة العرب من أمر قد اقترب قلت : جعلت فداك كم مـع القائم عليه السلام من العرب ؟ قال : نفر يسير قلت : والله ان من يصف هذا الامـر منهم لكثير قـال : لابد للناس مـن أن يمحّصوا و يميّزوا و يغربلوا ، و يستخرج فـى الغربـال خلق كثير .

وفيه: باسناده عن منصور قال : قال لى أبوعبدالله عليه السلام : يا منصور ان هذا الامر لايأتيكم إلاّ بعد إياس ، ولا والله حتى تميّزوا ولا والله حتى تمحّصوا ولا والله حتى يشقى من يشقى ، ويسعد من يسعد .

وفى رواية : قال الله تعالى : «ان من عبادى المؤمنين عباداً لايصلح لهم أمر دينهم إلاّ بالغنى و السعة والصحة فى البدن ، فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن ، فيصلح عليه أمر دينهم ، و ان من عبادى المؤمنين لعباداً لايصلح لهمأمر دينهم إلاّ بالفاقة و المسكنة و السقم فى أبدانهم ، فأبلوهم بالفاقة والمسكنة و السقم فيصلح عليه أمر دينهم .

وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادى المؤمنين، وان من عبادىالمؤمنين لمن يجتهد فى عبادتى فيقوم من رقاده و لذيذ وساده ، فيجتهد لى الليالى فيتعب نفسه فى عبادتى ، فاضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً منى لـه و إبقاءاً عليه، فينام حتى يصبح فيقوم وهو ماقت لنفسه زار عليها ، و لواخلى بينه وبين مايريد من عبادتى لدخله العجب من ذلك ، فيصير العجب إلى الفتنة باعمالـه ، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه باعماله و رضاه عـن نفسه حتى يظن انه قـد فاق

العابدين ، و جازفي عبادته حدّ التقصير .

فيتباعد مني عند ذلك ، وهو يظنّ انه يتقرّب إليّ فلا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فانهم لو اتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا بذلك مقصّرين غير بالغين كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي، و النعيم في جنّاتي و رفيع الدرجات العلى في جواري ، ولكن برحمتي فليثقوا و بفضلي ، فليفرحوا و إلى حسن الظن بي فليطمئنّوا فان رحمتي عند ذلك تداركهم، ومني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي، فاني أنا الله الرحمن الرحيم و بذلك تسمّيت .

وفي البحار : بالاسناد عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان في مناجاة الله تعالى لموسى ! يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا، فقل : مرحبا بشعار الصالحين ، و إذا رأيت الغنى مقبلا فقل : ذنب عجّلت عقوبته ، فما فتح الله على أحد في هذه الدنيا إلاّ بذنب لينسيه ذلك الذنب ، فلا يتوب فيكون إقبال الدنيا عليه عقوبة لذنوبه .

وفي تفسير العياشي : باسناده عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام : ان قنبراً مولى أمير المؤمنين عليه السلام ادخل على الحجّاج ، فقال : ما الذي كنت تلي من علي بن أبيطالب عليه السلام؟ قال : كنت اوضّيه فقال له : ماكان يقول إذا فرغ من وضوئه ؟ فقال : كان يتلو هذه الاية : «فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما او توا أخذناهم فاذاهم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمدلله رب العالمين» الانعام : ٤٤-٤٥) فقال الحجاج : أظنّه كان يتأوّله علينا ؟ قال : نعم .

فمن الحكم الالهية في بسط الرزق على بعض الناس و تضييقه على الآخرين ان وجدان المال كثيراً ما يكون سبباً للانغماس في الشهوات ، وانه قاطع عن الاتصال بالله عزوجل ، وان فقدانه وسيلة لتمحيص المرء وإبتلائه ليكون من الصابرين الذين

وعدوا بالجنة.

ويمتحن الآخرين باسباغ النعم عليهم، فيظنون ان الله تعالى قد اصطفاهم على عباده ورفعهم فوق سائر خلقه، ثم لايزال بهم شيطان الغواية حتى ينسوا الله تعالى، ويذهبوا مع أهوائهم كل مذهب ويسيروا في طريق شهواتهم المهلكة إلى أبعد غاية لايرجعون إلى ربهم، ولايدركون ان ماعنده خير وأبقى.

مضافاً إلى أن في سعة بعض وضيق الآخرين حفظاً لنظام المجتمع البشري قال الله تعالى: «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزّل بقدر مايشاء انه بعباده خبير بصير» الشورى: ٢٧)

وفي أمالي الشيخ المفيد: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن شعيب العقرقوفي قال: قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام: سمعت من يروي عن أبي ذر انه كان يقول: ثلاثة يبغضها الناس، وأنا احبها: احب الموت واحب الفقر واحب البلاء فقال عليه السلام: ان هذا ليس على ما يذهب إنما عنى احب الموت أي الموت في طاعة الله احبّ إليّ من الحياة في معصية الله، والبلاء في طاعة الله أحبّ إلي من الصحة في معصية الله، والفقر في طاعة الله أحبّ إليّ من الغنى في معصيته.

قال الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: «قال رب السجن أحبّ إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم» يوسف: ٣٣-٣٤)

وفي تعقيب صلاة المغرب: تدعو الله جل وعلا «اللهم إني أسئلك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والنجاة من النار، ومن كل بلية...» الدعاء.

﴿الابتلاء و الاعتبار﴾

ومن البديهي ان للبلايا دروساً يجب أن يتعلّم بها كل إنسان ذي مسكة، ويعتبر بها في جميع شئون حياته سواء كان هو المبتلى أم لا...

ومن الأسف ان الانسان يغفل عن مشاهد البلايا وينساها حتى حينها ومن غير مراء: ان من تدبّر في قصص الانبياء والمرسلين عليهم السلام مما أصابهم من المصائب والبلايا وما دعوا ربهم في كشف ما نزل بهم، وما امتنّ الله تعالى به عليهم في رفع البلايا وما ضاعف لهم بعد صبرهم من النعماء... كل ذلك فيه درس له بأن يكونوا هم قدوة لنا فيما يصيبنا من البلاء، لان البلاء لم ينج منه الانبياء والمرسلون عليهم السلام بل هم أشد الناس إبتلاء كما يقول رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «أشد الناس بلاء: الانبياء ثم الصالحون، ثم الامثل فالأمثل، يبتلي الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلائه»

قال الله تعالى: «أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجّي من نشاء ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» يوسف: ١٠٩ـ١١١)

إنما الفقر والغنى، والسقم و السلامة، و الضعف و القدرة ... كل

ذلك إبتلاء وفتنة ولكن أكثر الناس عن ذلك كله غافلون فاعتبروا يا اولى الابصار...

فى نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام - فى خطبة -: «و من لم ينفعه الله بالبلاء و التجارب لم ينتفع بشىء من العظة و أتاه التقصير من أمامه حتى يعرف ما انكر، و ينكر ما عرف»

أقول: يريد الامام المعصوم على عليه السلام: ان من لم ينفعه الله بالامتحان و التجربة لم تنفعه المواعظ، فيجيئه النقص من بين يديه حتى يتخيّل فيما أنكره انه قد عرفه، و ينكر ما قد كان عارفاً به.

ومن غير خفى على القارى الخبير المنصف ان الفتنة و الابتلاء فى الدين الاسلامى كفتنة الذهب، تفصل بين الجوهر الأصيل و الزبد الزائف، و تكشف عن حقائق النفوس و معادنها، فلا تعود خليطاً مجهول القيم.

قال الله عزوجل: «و ليمحّص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين - و ليبتلى الله مافى صدوركم و ليمحّص ما فى قلوبكم» آل عمران: ١٤١-١٥٤)

و ذلك لان الشخصية المسلمة كانت تصاغ يوماً فيوماً و حدثاً بعد حدث، وكانت هذه الشخصية تنضج و تنمو وتتضح سماتها، وكانت الجماعة المسلمة تتكوّن من تلك الشخصيات، فلا بدو أن يكون هناك معيار لقيم تلك الشخصيات و الجماعات ليميزهم من سائر الجماعات، فتنكشف المواقف و المشاعر و النوايا و الضمائر، ثم يخاطب القلوب على ما يناسبه، و يربيها يوماً بعد يوم، وحادثاً بعد حادث، و يرتب تأثراتها و إستجاباتها وفق منهجه الذى يريد.

و ان القرآن الكريم لم يأمر ولم ينه الانسان فقط من غير أن يتخذه بالابتلاءات و الفتن و التجارب و الامتحانات و النوائب...

لان الله عزوجل يعلم أن الانسان لاتصاغ جميع أفراده صياغة سليمة، ولا ينضج نضجاً صحيحاً، ولا يصح ولا يستقم على منهج واحد: منهج التوحيد و الفطرة، منهج العدل والنبوة، منهج الحساب و الولاية، منهج الكمال والسعادة،

و منهج الفلاح و السيادة . . فيربى القرآن الكريم هذا الانسان بذاك النوع من التربية التجريبية الواقعية التى تحضر فى القلوب، و تنقش فى الأعصاب ، وتأخذ من النفوس ...

ومن ثم كان القرآن الكريم ينزل فى الاحداث التى تقع ، و الكلمات التى تقال ، و فى حركات الخواطر ، وفى النيات التى تعرض . . فتصبح مكشوفة للناس لنزول الوحى السماوى فى شأنها ، و فى شأن صاحبها على رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن ثم كان يبيت كل مسلم وهو يشعر ان عين الله سبحانه عليه ، و ان سمع الله إليه ، و ان يدالله فوق يديه : «ان ربك لبالمرصاد»

وان كل كلمة منه ، و كل حركة و خاطرونية قد يصبح مكشوفاً للناس ، ويتنزل فى شأنه الوحى السماوى ، فيحسن الصلة المباشرة بينه و بين ربه إتصالاً مباشراً ظاهراً ، فاذا حزبه أمر أوواجهته معضلة ينتظر أن تفتح له أبواب السماء غداً أو بعد غد ليتنزل منها حلّ معضلته ، وفتوى فى أمره و قضاء فى شأنه ، فلم يدعهم الله تعالى ، و إنما أخذهم بالتجارب الواقعية و الابتلاءات التى تأخذ منهم و تعطى .

وفى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : «وتدبّروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم ، كيف كانوا فى حال التمحيص و البلاء ألم يكونوا أثقل الخلائق اعباءاً وأجهد العباد بلاءاً، و اضيق أهل الدنيا حالاً اتخذتهم الفراعنة عبيداً ، فساموهم سوء العذاب وجرّ عوهم المرار فلم تبرح الحال بهم فى ذلّ الهلكة ، و قصر الغلبة لايجدون حيلة فى إمتناع ، ولا سبيلا إلى دفاع .

حتى إذارأى الله سبحانه جدّ الصبر منهم على الأذى فى محبّته، والاحتمال للمكروه من خوفه ، جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً ، فأبدلهم العزّ مكان

الذلّ ، و الأمن مكان الخوف ، فصاروا ملوكاً حكّاماً ، و أئمّة أعلاماً ، وقد بلغت الكرامة من الله لهم مالم تذهب الآمال إليه بهم»

قوله عليه السلام: «تدبروا» : تأملوا ، و «التمحيص» : التطهير و التصفية ، و «أعباء» : أثقالاً ، و «أجهد العباد» : اتعبهم ، و «الفراعنة» : العتاة و كل عات فرعون .

وقد كان في زمن طويل كل من كان يحكم على مصر يسمى فرعون، رسم في تلك الزمن ستة وعشرون نفراً ، ولم يكن كلهم عتاة .

وقوله عليه السلام: «ساموهم سوء العذاب» : ألزموهم إياه ، و «المرار» : شجر مرّ في الاصل واستعير شرب المرار لكل من يلقى شديد المشقة، و«جدّ الصبر»: أشدّه ، و «أئمة أعلاماً» أي يهتدى بهم كالعلم في الفلاة .

وفيه: قال الامام علي عليه السلام: «ان الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات ، و حبس البركات ، و اغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ، و يقلع مقلع ، و يتذكّر متذكر و يزد جرمزدجر»

أقول: و ما يظهر من الايات الكريمة النازلة في البلايا : ان النوائب و المصائب و ما يختبر به الانسان نعم إلهية لفريق إذا إتعظوا و تذكّروا بها و تركوا المعاصي و تضرّعوا إلى الله عزوجل ، و تدل على أن تواتر النعم على فريق إستدراج إذا لم يعتبروا بالبلايا ولم يشكروا بالنعماء ...

قال الله تعالى : « و بلوناهم بالحسنات و السيئات لعلهم يرجعون » الاعراف : ١٦٨)

و قال : «فأخذناهم بالبأساء و الضراء لعلهم يتضرّعون» الانعام : ٤٢)

وقال : «ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون» الروم : ٤١)

و في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : «ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم و تزول عنهم النعم فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم، و وله من قلوبهم لردّ

عليهم كل شارد : و أصلح لهم كل فاسد»

ومن غير ريب ان من تواردت عليه النعم فى الحياة الدنيا على وفق المراد من غير إمتزاج ببلاء أو مصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا ، و الركون إليها والانس بها ، فيأتيه عليه بغتة مايأتى ...

و بالجملة ان الابتلاءات و المحن و النوائب و المصائب تارة عقوبة لذنب سابق ، فمن اصيب بها امن من عذاب الآخرة لوتطهرت نفسه ، وصفت بها ، و تارة اخرى سبب لقطع دابر المستكبرين الظلمة ، دابرالمستبدين الفجرة ، دابر المجرمين الفسقة ، و دابر الخائنين الباغية ... وثالثة مطهرات للنفوس الانسانية، و موجهة إياها إلى عالم الخلود و العيش الهنيىء ، عالم الحياة الدائمة و النعيم المقيم و عالم الرضا و الرضوان .

فعلينا معاشر المسلمين الاعتبار إطلاقاً ، و الشكر على ما صابنا منها ، و الصبر عليها و تزكيتنابها أنفسنا .

و ان الكافر ليس تجاه البلاء من الصابرين ، ولا عند النعمة و الراحة و الخير من الشاكرين لعل السبب فى ذلك ان الكافر بكفره و طغيانه مجذوب لغريزة شهوانية ، و أما المؤمن فبايمانه و طاعته مجلوب بقوة عقلانية ، فيحكم هوى الكافر بكفران النعمة والانحراف عند البلاء، و عليه أذنابه من أهل الفسق و النفاق و العصيان ، و يحكم عقل المؤمن بالشكر و الصبر ...

وفى أدعية العافية : « إلهى كلما أنعمت علىّ نعمة قلّ لك عندها شكرى ، و كلما ابتليتنى ببلية قلّ لك عندها صبرى ، فيامن قلّ شكرى عند نعمه فلم يحرمنى ، ويامن قلّ صبرى عند بلائه فلم يخذلنى ، ويا من رآنى على المعاصى فلم يفضحنى ، ويا من رآنى على الخطايا فلم يعاقبنى عليها صلّ على محمد وآل محمد واغفرلى ذنبى واشفنى من مرضى انك على كل شىء قدير »

«الابتلاء و الصبر»

قال الله عزوجل: « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات و بشر الصابرين ـ اولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و اولئك هم المهتدون » البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧).

و قد وردت روايات كثيرة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين لحثّ المبتلين على الصبر نشير إلى ما يسعه المقام:

في الكافي: عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن خيار العباد فقال: الذين إذا أحسنوا إستبشروا، و إذا أساؤا إستغفروا، و إذا اعطوا شكروا، و إذا ابتلوا صبروا، و إذا غضبوا غفروا.

و **في احقاق الحق**: من كلمات الامام التاسع جواد الائمة محمد بن علي عليهما السلام: والصبر زينة البلاء.

وفي **تحف العقول**: من مواعظ عيسى بن مريم عليه السلام ـ: بحق أقول لكم: ان أجزعكم على البلاء لأشدّكم حبّاً للدنيا، و ان أصبركم على البلاء لأزهدكم في الدنيا.

أقول: و من البديهي ان الدنيا دار غربلة وإمتحان، فطوبى للفائزين في هذا الامتحان العالمي: الامتحان الالهي لابد منه لكل إنسان، و لن يفوز إلاّ بالصبر.

قال الله تعالى : « لتبلون فی أموالكم وأنفسكم ـ و إن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » آل عمران : ١٨٦) .

فالعزم كل العزم أن يصبر الانسان فی هـذا الامتحان الالهی العالمی ، و أن يتقی الله فی شهواته و نزواته حتى ينال رحمة ربه ، ويكون خير عباده فی الدنيا والآخرة ويصل بالرخاء .

وفی نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علی بن أبيطالب عليه السلام : « عند تناهی الشدة تكون الفرجة ، و عند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء »

قوله : عليه السلام « الفرجة » بفتح الفاء و سكون الراء : التفصّی من الهمّ ، و « حلق » بفتح الحاء واللام : كل شیء إستدار كحلقة الحديد و الفضة والذهب و الحبل .

يقال : إذا اشتدّ المضيق إتّسعت الطريق ، ويقال : توقّعوا الفرج عند إرتتاح المخرج .

وفيه : قال الامام علی عليه السلام : « ما المبتلى الذی قد إشتدّ به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافی الذی لا يأمن البلاء »

أقول : وذلك لان المعافی فی الصورة مبتلى فی الحقيقة ، و ان الانسان مادام فی الحياة الدنيا ، فهو من أهل البلاء على الحقيقة، ولا يأمن من البلاء الحسّی ، فعليه أن يتضرّع إلى الله تعالى ويدعوه أن ينقذه من البلايا المعنوية والبلايا الحسيّة التی تضرّ دينه .

و فيه : قال الامام علی عليه السلام : « سوسوا ايمانكم بالصدقة، وحصنّوا أموالكم بالزكاة وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء »

و فی احقاق الحق : من وصية سيد الساجدين زين العابدين الامام علی بن الحسين عليهما السلام لأولاده : « يا بنیّ إذا أصابتكم مصيبة من مصائب

الدنيا ، أو نزل بكم فاقة ، أو أمر فادح فليتوضأ الرجل منكم وضوءاً للصلاة وليصلّ أربع ركعات أو ركعتين ، فاذا فرغ من صلاته فليقل :

يا موضع كل شكوى ، يا سامع كل نجوى ، يا شافي كل بلوى ، و يا عالم كل خفية ، و يا كاشف ما يشاء من بليّة ، و يا منجي موسى ، و يا مصطفى محمد ، و يا متخذاً إبراهيم خليلا ، أدعوك دعاء من اشتدّت فاقته ، وضعفت قوّته ، وقلّت حيلته ، دعاء الغريق الغريب الفقير الذى لا يجد لكشف ما هو فيه إلاّ أنت يا أرحم الراحمين سبحانك اني كنت من الظالمين »

ثم قال الامام عليه السلام : لايدعو بهذا رجل أصابه بلاء إلاّ فرج عنه .

و في البحار : عن عبدالله بن المبارك قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول : إذا اضيف البلاء إلى البلاء كان من البلاء عافية .

وقال عليه السلام : إن أصابكم تمحيص فاصبروا ، فانما يبتلى الله المؤمنين ، و لم يزل إخوانكم قليلا ألاوان أقلّ أهل المحشر المؤمنون .

قوله عليه السلام : « كان من البلاء عافية » أى ان عند إشتداد البلاء وتواتره يرجى الفرج . قال الله عز وجل : « فان مع العسر يسراً » الانشراح : ٥)

و في نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « ألزموا الارض واصبروا على البلاء » .

و في جامع الاخبار : عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال : لن تكونوا مؤمنين حتى تعدّوا البلاء نعمة ، والرخاء مصيبة ، وذلك ان الصبر عند البلاء أعظم من الغفلة عند الرخاء .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لاتكون مومناً حتى تعدّ البلاء نعمة ، والرخاء محنة لان بلاء الدنيا نعمة في الآخرة ، ورخاء الدنيا محنة في الآخرة .

وفيه : قال الامام على عليه السلام : « الجزع عند البلاء تمام المحنة »

و في وسائل الشيعة : باسناده عن محمد بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

لاتكونون مؤمنين حتى تكونوا موتمنين ، وحتى تعدّوا النعمة والرخاء مصيبة، وذلك ان الصبر على البلاء أفضل من العافية عند الرخاء .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله عزوجل : «من لم يصبر على بلائي ، ولم يشكر نعمائي ، ولم يرض بقضائي فليطلب ربّاً سواي »

وفي شرح الحديد : دخل عبدالوارث بن سعيد على مريض يعوده ، فقال له: ما نمت منذ أربعين ليلة ، فقال: يا هذا احصيت ليالي البلاء ، فهل احصيت ليالي الرخاء .

أقول : و قد كان جدير أن يقول له : احصيت ليالي البلاء ، فهل احصيت ليالي سنيي الرخاء ؟

نعم نرى أكثر الناس يشكون تجاه البلايا و النوائب غير شاكرين و لا صابرين ، وذلك لان حكمة النوائب والمحن قد خفيت عليهم إذ لو انهم علموا حكمها و أسرارها ليصبروا ويشكروا ويرضوا بقضاء الله تعالى ، كيف وهم غافلون عن بلايا أحب الخلق إلى الله عزوجل من الانبياء والمرسلين ، و الاوصياء والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين إذ ابتلوا ببلايا جمّة ومصائب عدة ، لم يبتل بمثلها غيرهم ، وهم أعزاء الله تعالى وخيرة خلقه .

ولو تتبعنا القرآن الكريم، وتفكرنا في آياته الكريمة لعلمنا أن الاختبارات و الامتحانات و البلايا و النوائب تتوجّه إلى كل نفس لامحالة لتبدي ما عليها من صبر وشكر و إستغفار وعزم وتوكل وإنفاق لجبران ما فات أو لتظهر ماتحمل من غيّ وطيش و كبر وتذمر و كفر وجحود ... فاما إلى تكامل و تعال و فلاح و إما إلى تسافل وتدهور ما بعده إنحطاط .

قال الله تعالى : «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون» العنكبوت : ٢)

فالايمان وحده لا يكفي للدخول في سير التكامل النفسي و الفوز إلى

رحمةالله تعالى وصلواته ...

بل لابد من إجتياز إمتحانات صعبة دقيقة أصعب بكثير من الامتحانات المدرسيّة مهما كان الموضوع صعباً ، و النجاح فيها عسيراً كي يعلم الانسان حقيقة نفسه حتى إذا عوقب بعد الموت أو قبله إعترف بأنه إنما عوقب لسوء إختياره وإتباع هوى نفسه ، وسقوطه فى الامتحانات الالهية العالمية...

وقد كان بامكانه أن ينجح فى تلك الامتحانات إذ لا يمتحن الله سبحانه أحداً ما لا طاقة له ، هذا رجل قد أنعم الله تعالى عليه بمال كثير يأتيه جاره المسكين العاجز ، فلاترقّ له نفسه ، ولا يعطيه مما فرضه الله عليه .

وهذا مريض بائس قد أشرف على الموت ، و هو طبيب ذوثراء فلا ينهض لمداواة أخيه المسلم ولايعينه من فضول ماله ، ألم يكن ذلك فى إمكانه ؟ ماالذى منعه عن ذلك ؟

أليست نفسه الامارة بالسوء ؟ ولوحكم عقله فى وقت لا يغلب عليه هواه فى وقت أزيح عنه شيطانه لعلم انه خان نعما أنعم الله بها عليه بل خان نفسه و خسرها ، فكان من الذين « خسروا أنفسهم » .

ولا يخفى عليك ان الانسان كما يمتحن فى حياته بالمال الكثير ، و العلم الغزير ، وأنواع الفنون والصنايع وملكات وقابليات ومواهب و نبوغ و إستعداد فائق ، والجاه والمقام والاشتهار وما إليها مما تعدّ من أنواع الكمال و الجمال عند أهلها ...

كذلك يمتحن أيضاً بكل ما يؤدى إلى الخوف والجوع والفقر ، وفقد الاولاد والأعزة وقلة الثمرات ، والنقص فى الاموال والأنفس وهتك الاعراض ، و ما إليها من أنواع النوائب والبلايا ليؤدى إمتحانه بالصبر على ذلك كله .

فبالصبر يبرز الايمان العملى : الايمان الفعلى كما أن بالنطق يظهر الايمان القولى و هذا تفسير لقوله تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا

و هم لا يفتنون » لان مجرد القول بالايمان لا يظهر حقيقة الايمان ، و لكن الصبر و تفويض الامر إلى الله عز وجل وتطمين النفس بنعيم الآخرة و الرجوع إلى الله تعالى هو الذى يظهر ايمان الشخص الفعلى الواقعى لان حقيقة الايمان تتجلى بالاعتقاد بالبعث والحياة الآخرة ، والثواب والعقاب .

فمن زاد ايمانه بالبعث و الحياة الآخرة ، قوىّ على الصبر ، فكان معيار الايمان الحقيقى هو الصبر على النوائب والمصائب على أنواعها ...

ولذلك قال الله عز وجل : « وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله و إنا إليه راجعون » البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧) ثم أعقبه بمنزلتهم العظيمة ، و يا لها من منزلة بقوله تعالى : « اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » .

و فى الكافى : باسناده عن عمرو بن نهيك بيّاع الهروى قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : قال الله عز وجل : عبدى المومن لاأصرفه فى شىء إلاّ جعلته خيراً له فليرض بقضائى ، وليصبر على بلائى . وليشكر نعمائى أكتبه يا محمد من الصديقين عندى .

و فيه: باسناده عن أبى حمزة الثمالى قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : من ابتلى من المومنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد .

وفيه : عن عبدالله بن ميمون عن أبى عبدالله قال : دخل أمير المومنين عليه السلام المسجد فاذا هو برجل مكتئب حزين ، فقال له : مالك ؟ قال : اصبت بأبى و أخى و أخشى أن أكون و جلت فقال له أمير المومنين عليه السلام : عليك بتقوى الله والصّبر تقدّم عليه غداً ، و الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد ، فاذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد ، و إذا فارق الصبر الامور فسدت الامور .

و فيه : باسناده عن أبان بن أبى مسافر عن أبى عبدالله عليه السلام فى

قول الله عز و جل : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا » قال : اصبروا على المصائب .

وفيه : باسناده عن أبي بصير قال : سمعت اباعبدالله عليه‌السلام يقول : ان الحرّ حرّ على جميع أحواله ، إن تأتيه نائبة صبر لها . و إن تداكت عليه المصائب لم تكسره وإن اسر وقهر و استبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين لم يضرر حريّته ان استعبد و قهر و اسر و لم تضرره ظلمة الجبّ و وحشته ، و ما ناله أن منّ الله عليه ، فجعل الجبّار العاتي له عبداً بعد إذ كان مالكاً ، فأرسله رحم به امه و كذلك الصبر يعقب خيراً ، فاصبروا و و طنوا أنفسكم على الصبر توجروا .

و في جامع الاخبار : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم « من ابتلى فصبرو اعطى فشكرو ظلم فغفر وظلم فاستغفر قالوا : ما باله ؟ قال : اولئك لهم الأمن وهم مهتدون » فالبلايا والنوائب إنما هي بمثابة الاعمال الكيمياوية التي تجرى على قطعة من المعادن المختلفة لاستخراج الذهب الخالص منها ، فان الانسان تجرى عليه أنواع الامتحانات حسب منزلته و طاقته ليخرج ان كان مؤمناً حقاً من هذه الدنيا بالذهب الخالص .

هذه هي سنة الله تعالى في الاولين والآخرين لاتبديل لها ، وقد قال عز وجل: « ولقد فتنا الذين من قبلهم » العنكبوت : ٣)

فتتبعوا أحوال الانبياء والمرسلين و الاوصياء والائمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، وأحوال المؤمنين الأخيار والعلماء العاملين الابرار تروا ان اقربهم إلى الله تعالى كان أشدهم إبتلاء و أكثرهم غرضاً لسهام الاشرار والمنافقين ، و الفجار و المجرمين ... و هم على حسب مراتبهم يتفاوتون في درجات الصبر و ان نبينا محمد رسول الله الخاتم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وهو أشرف الموجودات وأكمل المخلوقات، وسيد الانبياء والمرسلين كان أكثر إبتلاء كما قال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : « ما اوذي نبي مثل

ما اوذيت » .

وممن صبر على المصيبة والنوائب صبراً لايقوى عليه غيره يتحلى فيه الآباء والبطولة الخالدة : هو سيد الشهداء سبط المصطفى قتيل كربلاء الامام الحسين بن على عليه السلام و هو القائل : « رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه و يوفينا اجور الصابرين » و هو يقول مخاطباً لرب العباد : « رضى بقضائك لا معبود سواك » .

فولي الله جعل دائماً غرضاً لعدو الله فقد قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: « ان الله جعل وليه في الدنيا غرضاً لعدوه » .

فعلينا الصبر على النوائب والمصائب والبلايا عصمنا الله جل وعلا في كل حال بحق محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

فتعديل إمتحان درجات الله عزوجل إنما يكون في هذه الحياة الدنيا ، فمن حصل على درجة (ـ ٥) مثلا لعدم الصبر على نائبة جزع فيها يعدله بالصبر على فقر يصاب به فينال فيه (× ٦) مثلا فتكون النتيجة (× ١) و هو فوق الصفر .

و قال الامام على عليه السلام : « إذا صبرت جرى عليك القضاء و أنت مأجور ، وإذا جزعت جرى عليك القضاء وأنت مأزور » .

و من بخل في مال أعطاه الله تعالى إياه و لم ينفق منه ، فامست درجته لعدم الانفاق الواجب (ـ ١٠) مثلا فانه يعدله بفقر يصاب به فيعطي من هو أفقر منه من ماله الضئيل أضعاف ما كان يعطي حين كان غنياً مع مراعاة النسبة فينال (× ١٥) مثلا فتكون النتيجة (× ٥) فيصفي حسابه في دنياه قبل أن يحاسب في الآخرة .

ولايخفى ان تلك الارقام تمثيل وتقريب للاذهان ، ولاريب ان حساب الآخرة لدقيق جداً .

والدرجات أيضاً في غاية الدقة ، ولا تقبل فيها الشفاعة إلاّ إذا كانت الشفاعة مقرونة برضا الله تعالى.

قال الله تعالى : « ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى » الانبياء : ٢٨)

و ان الانبياء و الاوصياء صلوات الله عليهم أجمعين لا يشفعون إلاّ إذا اطلعوا على مرضاة الله تعالى رزقنا ها الله جل و علا بكرمه و فضله فانه ذو فضل عظيم .

و في دعاء الجوشن الصغير : « و كم من عبد أمسى وأصبح قد استمر عليه القضاء ، واحدق به البلاء ، وفارق أودّائه وأحبائه وأخلاّئه ... » الدعاء

وفي الدعاء بعد الصلاة لصاحب الامر : الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهما : « اللهم عظم البلاء وبرح الخفاء ، و انكشف الغطاء ، و ضاقت الارض بما وسعت السماء ، وإليك يارب المشتكى ، و عليك المعوّل في الشدة والرخاء ... » الدعاء

وفي دعاء الفرج : « إلهي عظم البلاء ، و برح الخفاء ، وانكشف الغطاء ، وانقطع الرجاء ، وضاقت الارض ومنعت السماء : وأنت المستعان ، وإليك المشتكى ، وعليك المعوّل في الشدة والرخاء ... » الدعاء

وفي دعاء : « الحمد لله الذى أماط عنّي الأذى ، وهنّاني طعامي وشرابي ، وعافاني من البلوى »

و في مناجاة الشاكرين : « ولك الحمد على حسن بلاءك » الدعاء

﴿الابتلاء و تكفير الذنوب﴾

ومن حكم الابتلاء بالفقر أو المرض أو بفقد الاولاد و الاعزة و ما إليها ان تكون عقوبة لذنب سابق فاذا أراد الله تعالى لعبد خيراً في الآخرة يبتليه بها ليكفّر بها عن سيئاته و قد ورد في ذلك روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمين .

فليشكر العبد على تعجيل العقوبة وعدم إرجاعها إلى يوم القيامة لاينفع فيه مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم :

١ـ في أمالي الصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن سماعة عن الصادق عليه السلام قال : ان العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يجد ما يكفّرها به إبتلاه الله بالحزن في الدنيا ليكفّرها به فان فعل ذلك به وإلاّ أسقم بدنه ليكفّرها به فان فعل ذلك به وإلاّ شدّد عليه عند موته ليكفّرها به فان فعل ذلك به و إلاّ عذّبه في قبره ليلقى الله عزوجل يوم يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من ذنوبه .

٢ـ في تفسير القمي باسناده عن الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : سمعته يقول : إني احدّثكم بحديث ينبغي لكل مسلم أن يعيه ثم أقبل علينا ، فقال : ما عاقب الله عبداً مؤمناً في هذه الدنيا إلاّ كان الله أحلم و أمجد و أجود و أكرم من أن يعود في عقابه يوم القيامة و ما ستر الله على عبد مؤمن في هذه الدنيا و عفى عنه إلاّ كان الله أمجد و أجود و أكرم من أن يعود في عقوبته يوم القيامة .

ثم قال : و قد يبتلى الله المؤمن بالبليّة فى بدنه أو ماله أو ولده أو أهله ثم تلاهذه الاية : «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير» و حثابيده ثلاث مرات .

بيان : حثيه عليه السلام بيده ثلاث مرّات كما يحثى التراب لبيان كثرة ما يعفوالله عنه .

٣- فى الكافى باسناده عن الحكم بن عتيبة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ان العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يكن عنده من العمل ما يكفّرها إبتلاه بالحزن ليكفّرها .

٤- فى دعوات قطب الدين الراوندى : قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم : يقول الله عزوجل أيّما عبد من عبيدى مؤمن إبتليته ببلاء على فراشه فلم يشك إلى عوّاده أبدلته لحما خيراً من لحمه و دما خيراً من دمه، فان قبضته فالى رحمتى و إن عافيته عافيته وليس له ذنب فقيل :

يا رسول الله مالحم خير من لحمه ؟ قال : لحم لم يذنب ودم خير من دمه دم لم يذنب .

أقول: ومن المحتمل انه تعالى يرفع حكم الذنب و إستحقاق العقوبة عنه كما ورد فى الاخبار كيوم ولدته امه .

٥- فى البحار : عن عمر بن يزيد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ما من مؤمن إلاّ و به وجع فى شيء من بدنه لايفارقه حتى يموت يكون ذلك كفّارة لذنوبه .

٦- و فيه عن الأحمسى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : لاتزال الغموم و الهموم بالمؤمن حتى لا تدع له ذنباً .

٧- فى الكافى باسناده عن حمران عن أبى جعفر عليه السلام قال : ان اللهعزوجل إذا كان من أمره أن يكرم عبدا وله ذنب إبتلاه بالسقم ، فان لم يفعل ذلك إبتلاه

بالحاجة فان لم يفعل به ذلك شدّد عليه الموت ليكافيه بذلك الذنب قال : و إذا كان من أمره أن يهين عبداً وله عنده حسنة صحّح بدنه فان لم يفعل به ذلك وسّع عليه فى رزقه فان هو لم يفعل ذلك بـه هوّن عليه الموت ليكافيه بتلك الحسنة .

٨ـ وفيه باسناده عن إبن القدّاح عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله عزوجل : و عزتى و جلالى لا أخرج عبداً من الدنيا و أنا أريد أن ارحمه حتى أستوفى منه كل خطيئة عملها إما بسقم فى جسده و إما بضيق فى رزقه و إما بخوف فى دنياه ، فان بقيت عليه بقيّة شددت عليه عند الموت .

وعزتى وجلالى لا أخرج عبداً من الدنيا و أنا اريد ان أعذّبه حتى اوفيه كل حسنة عملها إما بسعة فى رزقه و إما بصحة فى جسمه و إما بأمن فى دنياه فان بقيت عليه بقيّة هوّنت عليها بها الموت .

٩ـ وفيه باسناده عن أبى الصباح الكنانى قال : كنت عند أبى عبدالله عليه السلام فدخل عليه شيخ فقال : يا أبا عبدالله أشكو إليك ولدىّ و عقوقهم و إخوانى و جفاهم عند كبر سنّى فقال أبو عبدالله عليه السلام : يا هذا ان للحق دولة و للباطل دولة و كل واحد منهما فى دولة صاحبه ذليل و ان أدنى ما يصيب المؤمن فى دولة الباطل العقوق من ولده و الجفاء من إخوانه .

وما من مؤمن يصيب شيئاً من الرفاهيّة فى دولة الباطل إلاّ ابتلى قبل موته إما فى بدنه ، و إما فى ولده ، و إما فى ماله حتى يخلّصه الله مما اكتسب فى دولة الباطل و يوفّر له حظّه فى دولة الحق فاصبر و أبشر .

١٠ـ فى تفسير العياشى عن محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام : لما نزل قوله تعالى : «من يعمل سوء يجزبه»

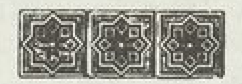
قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما أشدّها من آية فقال لهم رسول

الله ﷺ : أما تبتلون في أموالكم و أنفسكم و ذراريكم ؟ قالوا : بلى قال : هذا مما يكتب الله لكم به الحسنات و يمحو به السيّئات .

١١- عن الامامة والتبصرة بالاسناد عن السكوني عن جعفر ابن محمد عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : السقم يمحو الذنوب و قال ﷺ : ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا و قال ﷺ : ساعات الهموم ساعات الكفّارات و لايزال الهمّ بالمؤمن حتى يدعه و ماله من ذنب .

١٢- في الخصال : عن الامام علي عليه السلام قال : ما من الشيعة عبد يقارف أمراً نهيناه عنه ، فيموت حتى يبتلى ببليّة تمحّص بها ذنوبه إما في مال و إما في ولد و إما في نفسه حتى يلقى الله عزوجل و ماله ذنب و انه ليبقى عليه الشيء من ذنوبه فيشدّد به عليه عند موته .

١٣- في البحار : قال الصادق عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام لعبدالله بن يحيى : الحمدلله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنتهم لتسلم بها طاعاتهم و يستحقّوا عليها ثوابها .



«ابتلاء الدنيا و ثواب الآخرة»

وقد وردت الروايات الكثيرة الدالة على أن الله تعالى قد يبتلي عبده المؤمن بأنواع البلاء من غير سبق ذنب منه ليزيد عليه أجراً يوم القيامة نشير إلى مايسعه المقام و نحن على جناح الاختصار :

١- في الكافي باسناده عن زيد الشحّام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ عظيم الأجر لمع عظيم البلاء ما أحبّ الله قوما إلاّ إبتلاهم .

٢- وفيه باسناده عن فضيل بن عثمان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان في الجنة منزلة لايبلغها عبد إلاّ بالابتلاء في جسده .

٣- و فيه باسناده عن عبدالله بن أبي يعفور قال : شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من الأوجاع و كان مسقاما ، فقال لي : يا عبدالله لويعلم المؤمن ماله من الأجر في المصائب لتمنّى انه قرض بالمقاريض .

أقول: «و كان مسقاما» أي كان عبدالله بن أبي يعفور مسقاما -بكسر الميم-: الكثير السقم و المرض .

٤- في تحف العقول عن الامام أبي الحسن الثالث على النقي عليه السلام قال :ان الله جعل الدنيا دار بلوى،والآخرة دار عقبى ، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببا و ثواب الاخرة من بلوى الدنيا عوضاً .

٥- وفيه باسناده عن زيد الزرّاد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : انّ عظيم البلاء يكافى به عظيم الجزاء فاذا أحبّ الله عبداً إبتلاه بعظيم البلاء فمن رضى فله عندالله الرضا و من سخط البلاء فله عندالله السخط .

قوله صلى الله عليه و آله و سلم : «يكافى» أى يجازى و «فاذا أحب الله عبداً» أى أراد أن يوصل الجزاء العظيم إليه ، و يرضى عنه و وجده أهلا لذلك إبتلاه بعظيم البلاء من الامراض الجسمانية و المكاره الروحانية «فمن رضى» أى ببلاءه و قضاءه «فله عندالله السخط» أى الغضب .

٦- فى العلل : باسناده عن على بن حمزة عن أبى عبدالله عليه السلام قال: لوأنّ مؤمنا كان فى قلّة جبل لبعث الله عزوجل إليه من يؤذيه ليأجره على ذلك.

٧- و فيه باسناده عن عبدالله بن الحسن عن على بن الحسين عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : مازلت أنا و من كان قبلى من النبيين و المؤمنين مبتلين بمن يؤذينا ولو كان المؤمن على رأس جبل لقيّض الله عزوجل له من يؤذيه ليأجره على ذلك .

٨- فى عدة الداعى : عن جابر قال : أقبل رجل أصم و أخرس حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فأشار بيده ، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : اكتبوا له كتاباً تبشرونه بالجنة فانه ليس من مسلم يفجع بكريمته أو بلسانه أو بسمعه أو برجله أو بيده ، فيحمد الله على ما أصابه و يحتسب من عندالله ذلك إلاّ نجاه الله من النار و أدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : ان لاهل البلايا فى الدنيا درجات و فى الاخرة مالا تنال بالاعمال حتى ان الرجل ليتمنى ان جسده فى الدنيا كان يقرض بالمقاريض مما يرى من حسن ثواب الله لاهل البلاء من الموحدين فان الله لايقبل العمل فى غير الاسلام .

٩- فى نهج البلاغة قال الامام على عليه السلام فى خطبة - : و كلما كانت البلوى و الاختبار أعظم كانت المثوبة و الجزاء أجزل ألا ترون ان الله سبحانه اختبر الاولين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الاخرين من هذا العالم بأحجار لاتضرّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام الذى جعله الله للناس قياماً ثم وضعه بأوعر بقاع الارض حجراً و أقلّ نتائق الدنيا مدرا و اضيق بطون الأودية

قطراً بين جبال خشنة و رمال دمثة و عيون وشلة و قرى منقطعة لا يزكو بها خف .

ولا حافر ولا ظلف ثم امر آدم عليه السلام و ولده أن يثنوا أعطا فهم نحوه فصار مثابة لمنتجع أسفارهم و غاية لملقى رحالهم تهوى إليه ثمار الافئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوى فجاج عميقة و جزائر بحار منقطعة حتى يهزّوا مناكبهم ذللا يهلّلون لله حوله و يرملون على أقدامهم شعثاً غبراً له قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم و شوّهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم إبتلاء عظيماً و إمتحاناً شديداً و إختباراً مبيناً و تمحيصاً بليغاً جعله الله سبباً لرحمته ووصلة إلى جنّته.

ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام و مشاعره العظام بين جنات وأنهار وسهل و قرار جمّ الأشجار داني الثمار ملتفّ البنى متّصل القرى بين برّة سمراء وروضة خضراء و أرياف محدقة وعراص مغدقة و زروع ناظرة و طرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء .

ولو كان الاساس المحمول عليها و الأحجار المرفوع بها من زمرّدة خضراء و يا قوتة حمراء و نور وضياء لخفّف ذلك مصارعة الشك فى الصدور و لوضع مجاهدة إبليس عن القلوب ولنفى معتلج الريب من الناس .

ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبّدهم بأنواع المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبّر من قلوبهم و إسكاناً للتذلّل فى نفوسهم و ليجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله و أسبابا ذللا لعفوه .

أقول : قوله عليه السلام : «كانت المثوبة» أى الثواب و «اجزل» أى أكثر و «اوعر بقاع الارض» أى أصعبها و «واقل نتائق الدنيا مدرا» أى أقل ريع الارض للزرع لان أرض مكة حجرية لاتصلح للزرع و «قطراً» أى الجانب و «رمال دمثة» أى سهلة و «عيون وشلة» أى قليلة الماء و «لايزكوبها خفّ» أى لاتسمن فيها إبل «حافر» أى خيل وحمير و «ظلف» : غنم .

وقوله عليه السلام : «أن يثنوا اعطا فهم نحوه»: يقصدوه ويحجوه وعطفاالرجل: جانباه «فصار مثابة» أي يثاب إليه و يرجع نحوه مرة بعد اخرى و «لمنتجع أسفارهم» النجعة : طلب الكلا في الأصل ثم سمي كل من قصد أمراً يروم النفع منه منتجعا و «وغاية لملقى رحالهم» اي صار البيت الحرام هو الغاية التي هي الغرض و المقصد و عنده تلقى الرحال أي تحط رحال الابل عن ظهورها و «تهوى إليه ثمار الافئدة» : ثمرة الفؤاد أي تشوقه و تحن نحوه و «مفاوز» : فلاة و«قفار»لا كلا ولاماء فيها و «سحيقة» : بعيدة . و «مهاوي» مساقط و«فجاج» جمع فج و هو الطريق بين الجبلين و «يهزوا» : يحركهم الشوق نحوه إلى أن يسافروا إليه فكنى عن السفر بهز المناكب.

قوله عليه السلام : «يهللون» : يقولون: لا إله إلا الله أو يرفعون أصواتهم بالتلبية «ويرملون» الرمل : السعي فوق المشي قليلا «شعثا غبراً» أي يتعهدون شعورهم ولا ثيابهم ولا أبدانهم قد نبذوا السرابيل و رموا ثيابهم و «شوهوا» أي غيروا و قبحوا محاسن صورهم بأن اعفوا شعورهم فلم يحلقوا ما فضل منها وسقط على الوجه ونبت في غيره من الاعضاء التي جرت العادة باز التها عنها.

وقوله عليه السلام : «تمحيصاً» : تطهيراً و «مشاعره العظام» : معالم النسك «سهل و قرار» أي في مكان سهل يستقر فيه الناس فلاينالهم من المقام به مشقة و«وجم الاشجار» : كثيرها و «داني الثمار» : قريبها و «ملتف البنى» : مشتبك العمارة و «بين برة» : الحنطة و «أرياف»: مزارع . و «محدقة» محيطة و «مغدقة» غزيرة أي ماء كثير و «ناضرة»: ذات نضارة و رونق وحسن.

وقوله عليه السلام : «الاساس» بالكسر أي لو كانت أساس البيت التي حمل البيت عليها و «الاحجار المرفوع بها» : أحجار البيت التي رفع بها و «مصارعة الشك»: مقارنة الشك أو موضعه و«لنفي متعلج الريب» أي ولنفى إضطراب الشك في القلوب و «بأنواع المجاهد» : المشقات و «أسبابا ذللا» بهلة .

١٠- فى الكافى باسناده عن فضيل بن عثمان عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان فى الجنة منزلة لايبلغها عبد إلا بالبلاء فى جسده .

أقول: وفى رواية : «بالابتلاء» بدل «بالبلاء» .

١١- فى العيون باسناده عن محمدبن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام : من بلى من شيعتنا ببلاء فصبر كتب الله له أجر ألف شهيد.

١٢- فى الكافى باسناده عن سليمان بن خالد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : انه ليكون للعبد منزلة عندالله فما ينالها إلا باحدى خصلتين إما بذهاب ماله ، أو ببلية فى جسده .

١٣-**وفى أمالى المفيد** : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمدبن سويد الأشعرى قال : دخلت أنا وفطربن خليفة على جعفربن محمد عليه السلام فقرب إلينا تمراً ، فأكلنا و جعل يناول فطراً منه ثم قال له : كيف الحديث الذى حدثتنى عن أبى الطفيل رحمه الله فى الابدال من أهل الشام و النجباء من أهل الكوفة يجمعهم الله لشر يوم لعدونا فقال جعفر الصادق عليه السلام: رحمكم الله بنا يبدأ البلاء ثم بكم و بنا الرخاء ثم بكم رحم الله من حببنا إلى الناس ولم يكرهنا إليهم.

وفى أعمال ليلة نصف شعبان المعظم : « اللهم لاتبدل إسمى، ولاتغير جسمى ، ولاتجهد بلائى ، ولا تشمت بى أعدائى ... » الدعاء .

وفى أعمال أيام رمضان المبارك: « و اصرف عنى فيه السوء والفحشاء و الجهد والبلاء والتعب والعناء إنك سميع الدعاء ... » الدعاء

وفى دعاء اول رمضان المبارك - : «واغفر لى الذنوب التى يستحق بها نزول البلاء ... » الدعاء .

وفى دعاء روية هلال رمضان المبارك : « اللهم بارك لنا فى شهرنا هذا، وارزقنا خيره وعونه ، واصرف عنا ضره وشره ، وبلائه وفتنته »

﴿الآلام و الاعواض﴾

جدير لنا البحث عن حقيقة الآلـآم و الاعـواض ثـم نتبعها بما ذهب إليه الشيعة الامامية الاثنى عشرية و الأشاعـرة بأن تصح ذلـك و تحسن ام لا والمراد بالآلام ما يصيب الانسان من المصائب و النوائب من غير سبق ذنب يستحقها به.

و اختلف فى حسنها و قبحها هل الألم قبيح فى ذاته فيدوم قبحه أو هـو قبيح لوجه يكون عليه على أنه ككل فعل أو شىء أو إحساس إنما يأخذ قيمته من وجوه و إعتبارات خارجية يكشفها العقل ، و هذا يؤدى إلـى أن الألم قـد يكون حسناً و قد يكون قبيحاً .

فتصح نظرية الشيعة فى الاسلام من أجـل الاعتبار وعلـى أساس التعويض عنه بعد ذلك .

وتؤيد هذه النظرية آيات قرآنية وروايات كثيرة متقدمة آنفا ...

قال الله تعالى: «و نبلو كم بالشر و الخير فتنة» الانبياء : ٣٥)

ولكن ذهبت المجبرة و الأشاعرة إلى أن الآلام و الملاذ ليست قبيحة ولا حسنة لذاتها .

إلاّ أنهم لهم يجعلوا و صفها بالحسن و القبح قائماً علـى أساس مـوضوعى متعلق بها و إنما علقوا ذلك بالفاعل فقالوا : إن الآلام إذا كانت مـن الله حسنت لانه المالك الآمر الناهى الذى يملك التصرف فـى ملكه كما يشاء و أمـا إذا وقعت من الانسان بغيره أو بنفسه فانها تعدّ قبيحة .

وسخافة هذا المذهب غير خفية على عاقل فضلا عن فاضل منصف بان الفعل لايحسن أو يقبح باختلاف الفاعلين بأن يكون الظلم مثلا حسنا إذا كان من الله سبحانه و قبيحا إذا كان من الانسان...

بل إنما يكون قبحه أو حسنه إما لذاته و إما لوجه أولاعتبار.

فالآلام قد تحسن لكونها وقعت على وجوه تقتضى حسنها كان يدفع بالألم ضرر أعظم أو يستجلب به نفع، وأن يقصدبه الاعتبار فالله تعالى قد يؤلم المكلفين وغيرهم ليعتبر المكلف الذى ينزل به الألم أو غيره من المكلفين الاخرين.

وهذا الفعل من الله جل وعلا نوع لطف بالعباد و يقدم أعواضاً لمن أصابه بهذا الألم.

اما العوض: فيمكن تعريفه بصورة عامة بانه نوع من التعويض يقدمه الله تعالى لمن تألم من جور الاخرين أو عن ايلام حلّ به من الله تعالى للاعتبار و تزكية النفس أولنيل المؤلم بما عندالله جل وعلا من الدرجات العالية لاينال بها أحد إلاّ بهذا الطريق إذا كان راضياً.

قال الله تعالى: «يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى» الفجر: ٢٧-٣٠)

فالعوض هو التعويض عن الآلام التى تصيب الاحياء دون إستحقاق والاختلاف فى دوام العوض و إنقطاعه لاشأن له حيث ان العوض لايكون إلاّ للمؤمن الذى هو خالد فى الجنة لا إنقطاع لتنعمه فيها.

وذهبت الاشاعرة: إلى أن الله عزوجل ايلام الخلق و تعذيبهم فى الحياة الدنيا من غير جرم سابق و من غير ثواب لاحق فى الاخرة.

وهم يستدلون على ذلك انه تعالى متصرف فى ملكه ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه فان الظلم عبارة عن التصرف فى ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فانه لايصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلماً و انه تعالى:

«لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون»

و ان الالام لاتقع إلاّ من الله لانه الفاعل لكل شيء و إذا وقعت منه كانت حسنة سواء وقعت إبتدءاً، أو جزاء من غير تقدير سبق إستحقاق عليها ولاجلب نفع ولا دفع مضرّة أعظم منها لان المالك يتصرف في ملكه كما يشاء سواء كان المملوك بريئاً أو مذنباً.

وملخص كلام الباقلاني في ذلك في كتابه (التمهيد) انه يجوز لـه تعالى أن يؤلم الاطفال و المجانين و يأمر بذبح الحيوان و ايلامه لالنفع و انـه ليس هنالك ما يمنع من أن يفعل الله العقاب الدائم على الذنوب المتقطعة و أن يكلف عباده مالا يطيقون و أن يخلق فيهم ما يعذبهم به.

و دليله على ذلك ان هذه الامور التي هي الآلام و الاضرار و القبائح إنما قبحت لان الله نهى عنها و انه تعالى لولم ينه عنها لما كانت قبيحة.

أقول: و قباحة هذا القول واضحة لاتحتاج إلى ردّ ونقد.

ومن غير بعيد أن هذا القول أحد أسباب بقاء مذهب الأشاعـرة السخيفة إذلو اعتقد المتذهبون بمذهب الاشاعرة بالعدل الالهي لما كانوا باقين على هذا المذهب فتدبر و اغتنم.

ولو كان الله سبحانه يثيب الكافر و الظالم و يعذّب المؤمن العادل لكان الكلام في وزن الاعمال و الحساب و الجزاء يوم القيامة لغواً.

وأما الشيعة الامامية الاثنى عشرية: فمع إعتقادهم بـالعدل الالهي فقد لا حظوا ان كثيراً من الآلام وهي إضرار لاشك فيهاقد تقع بالانسان مكلفهم و غير مكلفهم لانتيجة لذنب إرتكبوه حتى يكون عقاباً لهم كما ينزل مثلها على الاطفال و المجانين، وهي ليست مكلفة أصلا ولا يقع ذلـك بهم إلاّ أن يعوضهم الله تعالى عليهما.

فلا بد من التمييز بين الآلام التي تقع جزاء لما صدر عن المكلف بسوء

إختياره كالألم من الحد على السرقة و الزنا و قتل النفس بغيرحق و ما إليها فليس فيه عوض، وبين الآلام التى تقع من غير سبق ذنب ، ففيها عوض ان كانت من الله تعالى و بأمره دون إستحقاق .

وأما الآلام التى تقع من غير الله و دون جريرة فقد إستحق العوض فيها على مرتكبها ، فيؤخذ من حسناته و يعطى للمجنى عليه و ان لم تكن للجانى صفات أو استنفدت حسناته ، فان الله تعالى يفعل أحد أمرين:

إما أن يصرف الجانى عن ايلامه أو أن يعوض عليه .

و ان العوض لاينقطع وهو غيرمايثاب به الانسان فى الدارلاخرة بالايمان و صالح العمل فى الحياة الدنيا .

فلا بد من الفرق بين العوض و الثواب .



﴿التمييز بين العوض وبين الثواب و التفضل﴾

و اعلم أن المستفاد من الروايات المتقدمة الواردة فى أبواب الابتلاء عن طريق أئمة أهل البيت صلوات عليهم أجمعين :

ان العوض غير الثواب الذى يثاب به المستحق على عقيدتـه من الايمان بالله جل وعلا وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم و بما جاء به النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من كتاب الله و عترته المعصومين وباليوم الاخر والحساب و الجزاء و على فعله من الطاعات و صالح الاعمال ويقع لهم على سبيل التعظيم و الاجلال من الله جل وعلا.

وذلك لان الثواب أعظم من العوض و ارفع قـدراً و مقامـاً بينما العوض يستحق على الضرر و ازاء الآلام و النوائب.

فلا يقع على سبيل التعظيم و الاجلال مثله فى ذلك مثل من يدفع للعامل اجرة الاعمال التى قام بها .

وهذا لاينافى ما أوردناه سابقاً من أن عند الله تعالى مالاينال به أحد إلاّ بالبلايا و الآلام و المصائب و النوائب . .

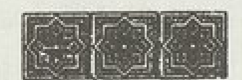
و كما أن العوض يختلف عن الثواب فانه يختلف عن التفضل لان العوض لايكون إلاّ بازاء الآلام و ما إليها وليس التفضل بـازاء شىء إلاّ وهـو لطف من رب العالمين على المتنعمين من نعيم الجنة بايمانهم وصالح عملهم.

فالتفضل نظير الهدايا غير المعوضة و الصلات و العطايا بـدون إزاء شىء بين الأحباب .

قال الله تعالى : «فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم و يزيدهم من فضله» النساء : ١٧٣)

وقال : «رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب و الأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا و يزيدهم من فضله» النور : ٣٧ و٣٨)

وقال : «ان الذين يتلون كتاب الله و أقاموا الصلاة و أنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم و يزيدهم من فضله» فاطر : ٢٩ و٣٠)



﴿فرحكم ودرر كلم فى البلايا و الابتلاء﴾

وقدوردت كلمات قصار فـى البلاء و الابتلاء ـ و فيها دروس قيمية لكل إنسان و إن لم يكن مسلماً فى أبعاد عديدة ـ عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علىبن أبيطالب صلوات الله عليه نشير إلـى مايسعه المقام وعلى القارى التأمل و الحفظ :

١ـ قال الامام على عليه السلام : «ان الله تعالى جعل الدنيا لما بعدها ، و إبتلا فيها أهلها ليعلم أيهم أحسن عملا ، ولسناللد نيا خلقنا ، ولا بالسعى لها امـر نا ، و إنما وضعنا فيها لنبتلى بها و نعمل فيها لما بعدها»

٢ـ وقال عليه السلام : «ان الدنيا لايسلم منها إلاّ بالزهد فيها ، ابتلى الناس بها فتنة ، فما اخذوا منها لها اخرجوا منه و حوسبوا عليه، و ما اخذوا منها لغيرها قد موا عليه و أقاموا فيه ، و انها عند ذوى العقول كالظل بينا تراه سائغاً حتى قلص وزائد حتى نقص ، وقد أعذرالله سبحانه إليكم فى النهى عنها و أنذر كم و حذّ ركـم منها فأبلغ » .

٣ـ وقال عليه السلام : «ان الدنيا دار بالبلاء معروفة ، (محفوفـة خ) و بـالغدر موصوفة لاتدوم أحوالها ، ولا يسلم نزّالها ، العيش فيها مذموم ، و الأمـان فيها معدوم ».

٤ـ و قال عليه السلام : «ان الدنيا غرّارة خدوع ، معطية منوع ، ملبسة نزوع ، لايدوم رخائها ولا ينقضى عنائها ولا يركد بلائها»

٥- و قال عليه السلام «ان الدنيا دار صدق لمن صدّقها ، و دار عافية لمن فهم عنها ، و دار غنى لمن تزوّد منها ، ودار موعظة لمن اتعظ بها ، قدآذنت بينيها، و نادت بفراقها ، و نعت نفسها و أهلها ، فمثّلت لهم ببلائها البلاء»

٦- و قال عليه السلام : «بلاء الرجل على قدر ايمانه و دينه»

٧- و قال عليه السلام : «ان عظيم الأجر مقارن عظيم البلاء فاذا أحب الله سبحانه قوماً إبتلاهم»

٨- وقال عليه السلام : «إن أولياء الله لأكثر الناس له ذكراً، و أدومهم له شكراً، و أعظمهم على بلائه صبراً»

٩- وقال عليه السلام: «دعتكم الدنيا إلى قرارة الشقاء ومحل الفناء ، وأنواع البلاء و العناء فأطعتم وبادرتم وأسرعتم»

١٠- وقال عليه السلام : «على قدر البلاء يكون الجزاء»

١١- وقال عليه السلام : «على قدر النعماء يكون مضض البلاء»

١٢- وقال عليه السلام : «قليل الدنيا لايدوم بقائه و كثيرها لايؤمن بلائه»

١٢- وقال : « كل عافية إلى بلاء»

١٤- وقال عليه السلام : «إجعل زمان رخائك عدّة لأيام بلائك»

١٥- و قال عليه السلام : «انكم إن صبرتم على البلاء، وشكرتم في الرخاء، و رضيتم بالقضاء كان لكم من الله سبحانه الرضا»

١٦- و قال عليه السلام: «صنائع المعروف تدرّ النعماء و تدفع البلاء»

١٧- و قال عليه السلام : « كم من مبتلى بالنعماء»

١٨- وقال عليه السلام : « كم من منعم عليه بالبلاء»

١٩- وقال عليه السلام : «ألا و إن من البلاء الفاقة ، وأشد من الفاقة مرض البدن، و أشد من مرض البدن مرض القلب »

٢٠- وقال عليه السلام : « كن بالبلاء محبوراً و بالمكاره مسروراً»

٢١ـ وقال عليه السلام : «كل بلاء دون النار عافية»

٢٢ـ و قال عليه السلام : «لم يظلّل امرء اً من الدنيا ديمة رجاء إلاّ هبّت عليه مزنة بلاء»

٢٣ـ وقال عليه السلام : «من انعم عليه فشكر كمن إبتلى فصبر»

٢٤ـ وقال عليه السلام : «من حسن رضاه بالقضاء صبر على البلاء»

٢٥ـ و قال عليه السلام : «من صبر على بلاء الله سبحانه فحقّ الله أدّى وعقابه اتقى وثوابه رجى»

٢٦ـ وقال عليه السلام : «عليك بالصبر فى الضيق و البلاء»

٢٧ـ و قال عليه السلام : «الزموا الارض و اصبروا على البلاء ولا تحرّكوا بايديكم وهوى ألسنتكم»

٢٨ـ وقال عليه السلام : «إن ابتلاكم بمصيبة فاصبروا»

٢٩ـ و قال عليه السلام : «إذا ابتليت فاصبر»

٣٠ـ وقال عليه السلام : «إذا رأيت ربك يوالى عليك البلاء فاشكره»

٣١ـ وقال عليه السلام : «إذا فاجأك البلاء فتحصّن بالصبر و الاستظهار»

٣٢ـ و قال عليه السلام : «سلاح الموقن الصبر على البلاء و الشكر فى الرخاء»

٣٣ـ وقال عليه السلام : «عند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء»

٣٤ـ وقال عليه السلام : «فى البلاء تحاز فضيلة الصبر»

٣٥ـ وقال عليه السلام : «من صبر على البليّة كأن لم ينكب»

٣٦ـ وقال عليه السلام : «ربّ مرحوم من بلاء هو دوائه»

٣٧ـ وقال عليه السلام : «من أحبّنا فليعدّ للبلاء جلباباً»

٣٨ـ وقال عليه السلام : «رب مبتلى مصنوع له بالبلوى»

٣٩ـ وقال عليه السلام : «من علامات حسن السجيّة الصبر على البلية»

٤٠ـ وقال عليه السلام: «ما المبتلى الذى إشتدّ به البلاء بأحوج من الدعاء إلى المعافاة الذى لايأمن البلاء»

٤١ـ وقال عليه السلام: «ما صبرك أيها المبتلى على دائك و جلدك على مصائبك و عزاك عن البكاء على نفسك مالك إن أدركته شغلك بصلاحه عن الاستمتاع به، و إن تمتّعت به نغّصه عليك ظفر الموت به»

٤٢ـ وقال عليه السلام: «ما دفع الله سبحانه عن المؤمن شيئاً من بلاء الدنيا و عذاب الآخرة إلاّ برضاه بقضائه وحسن صبره على بلائه»

٤٣ـ وقال عليه السلام: «نعم المعونة الصبر على البلاء»

٤٤ـ وقال عليه السلام: «وكّل الرزق بالحمق، و وكّل الحرمان بالعقل، و وكّل البلاء بالصبر»

٤٥ـ وقال عليه السلام: «لا تأمن البلاء فى أمنك و رخائك»

٤٦ـ وقال عليه السلام: «لاتفرح بالغنى و الرخاء ولا تغتمّ بالفقر و البلاء فان الذهب يجرّب بالنار والمؤمن يجرّب بالبلاء»

٤٧ـ وقال عليه السلام: «لايدهش عند البلاء الحازم»

٤٨ـ و قال عليه السلام: لاينعم بنعيم الآخرة إلاّ من صبر على بلاء الدنيا»

٤٩ـ و قال عليه السلام: «لايكمل ايمان المؤمن حتى يعدّ الرخاء فتنة والبلاء نعمة»

٥٠ـ و قال عليه السلام: «يمتحن المؤمن بالبلاء كما يمتحن بالنار الخلاص»

٥١ـ وقال عليه السلام فى المؤمن: «لايسخطه البلاء الكثير»

٥٢ـ وقال عليه السلام: «لا تتّكلوا على البخت فربمالم يكن، وربما كان وزال، ولا على الحسب فطالماً كان بلاءاً على أهله، يقال للناقص: هذا إبن فلان الفاضل،

فيتضاعف غمّه وعاره ، ولكن عليكم بالعلم و الأدب ، فإن العالم يكرم و إن لم ينتسب، ويكرم وإن كان فقيراً ويكرم و إن كان حدثاً»

٥٣- وقال عليه السلام : «الصبر عدّة للبلاء»

٥٤- وقال عليه السلام : «الصبر أدفع للبلاء»

٥٥- وقال عليه السلام : «إجعل كل همك وسعيك للخلاص من محل الشقاء و العقاب والنجاة من مقام البلاء والعذاب»

٥٦- و قال عليه السلام : «المتعرّض للبلاء مخاطر» أى من حام حول البلاء يقع فيه .

٥٧- وقال عليه السلام : «إنك أن ملّكت نفسك قيادك أفسدت معادك، و أوردتك بلاءاً لاينتهى ، وشقاء لاينقضى»

٥٨- وقال عليه السلام : «إذا فسدت النية وقعت البلية»

٥٩- وقال عليه السلام : «راكب اللجاج متعرّض للبلاء»

٦٠- وقال عليه السلام : «عبدالدنيا مؤبّد الفتنة و البلاء»

٦١- و قال عليه السلام : «من عظّم صغار المصائب إبتلاه الله سبحانه بكبارها»

٦٢- وقال عليه السلام : «من طلب للناس الغوائل لم يأمن البلاء»

٦٣- وقال عليه السلام : «من قصّر فى العمل إبتلاه الله سبحانه بالهمّ»

٦٤- وقال عليه السلام : «لاتمهر الدنيا دينك فان من أمهر الدنيا دينه زفّت إليه بالشقاء و العناء و المحنة والبلاء»

٦٥- وقال عليه السلام فى أهل الدنيا : «إن عزم على التوبة سوّفها و أصرّ على الحوبة ، إن عوفى ظن أن قد تاب ، إن ابتلى ظن و ارتاب ، إن مرض أخلص و أناب ، إن نسى عاد و اجترى على مظالم العباد ، إن أمن افتتن لاهياً بالعاجلة فنسى الآخرة و غفل عن المعاد»

٦٦- و قال عليه السلام فـى وصف المنافقين : « حسدة الـرخـاء ، و مؤكدوا البلاء ، و مقنطوا الرجاء ، لهم بكل طريق صريـع ، و إلى كل قلب شفيع ، و لكل شجو دموع»

٦٧- وقال عليه السلام : «مجاملة أعداء الله فى دولتهم تقية من عذاب الله وحذر من معارك البلاء فى الدنيا»

٦٨- وقال عليه السلام : «مجاهدة الاعداء فى دولتهم و مناضلتهم مع قدرتهم ترك لأمر الله و تعرّض لبلاء الدنيا»

٦٩- وقال عليه السلام : «أشدّ من البلاء شماتة الاعداء»

٧٠- و قال عليه السلام : « بلاء الانسان فى لسانه» أى يتكلم بما لاينبغى فيوجب وقوع البلاء عليه .

٧١- و قال عليه السلام : « قد يكذب الرجل علـى نفسه عند شدة البلاء بمالـم يفعله »

٧٢- وقال عليه السلام : «وكّل ثلاث بثلاث : الرزق بالحمق، والحرمان بالعقل، والبلاء بالمنطق ، ليعلم إبن آدم أن ليس له من الأمر شيء»

٧٣- وقال عليه السلام : «حب النباهة رأس كل بلية»

٧٤- وقال عليه السلام : «ان كرمع كل لذة زوالها، ومع كل نعمة إنتقالها، ومع كل بلية كشفها ، فان ذلك أبقى للنعمة و أنفى للشهوة ، و أذهب للبطر و أقرب إلى الفرج ، و أجدر بكشف الغمة و درك المأمول»

٧٥- وقال عليه السلام : «بلاء الرجل فى طاعة الطمع والأمل»

٧٦- و قال عليه السلام : «عليك باخوان الصفا ، فانهم زينة علـى الرخاء و عون فى البلاء»

٧٧- و قال عليه السلام : « شر الاخوان المواصل عند الرخـاء ، المفاصل عند البلاء »

٧٨- وقال عليه السلام : «جار السوء أعظم الضراء و أشد البلاء»

٧٩- وقال عليه السلام : «مصاحبة الجاهل من أعظم البلاء»

٨٠- وقال عليه السلام : «لايأمن مجالس الأشرار غوائل البلاء»

٨١- وقال عليه السلام : «البلاء رديف الرخاء»

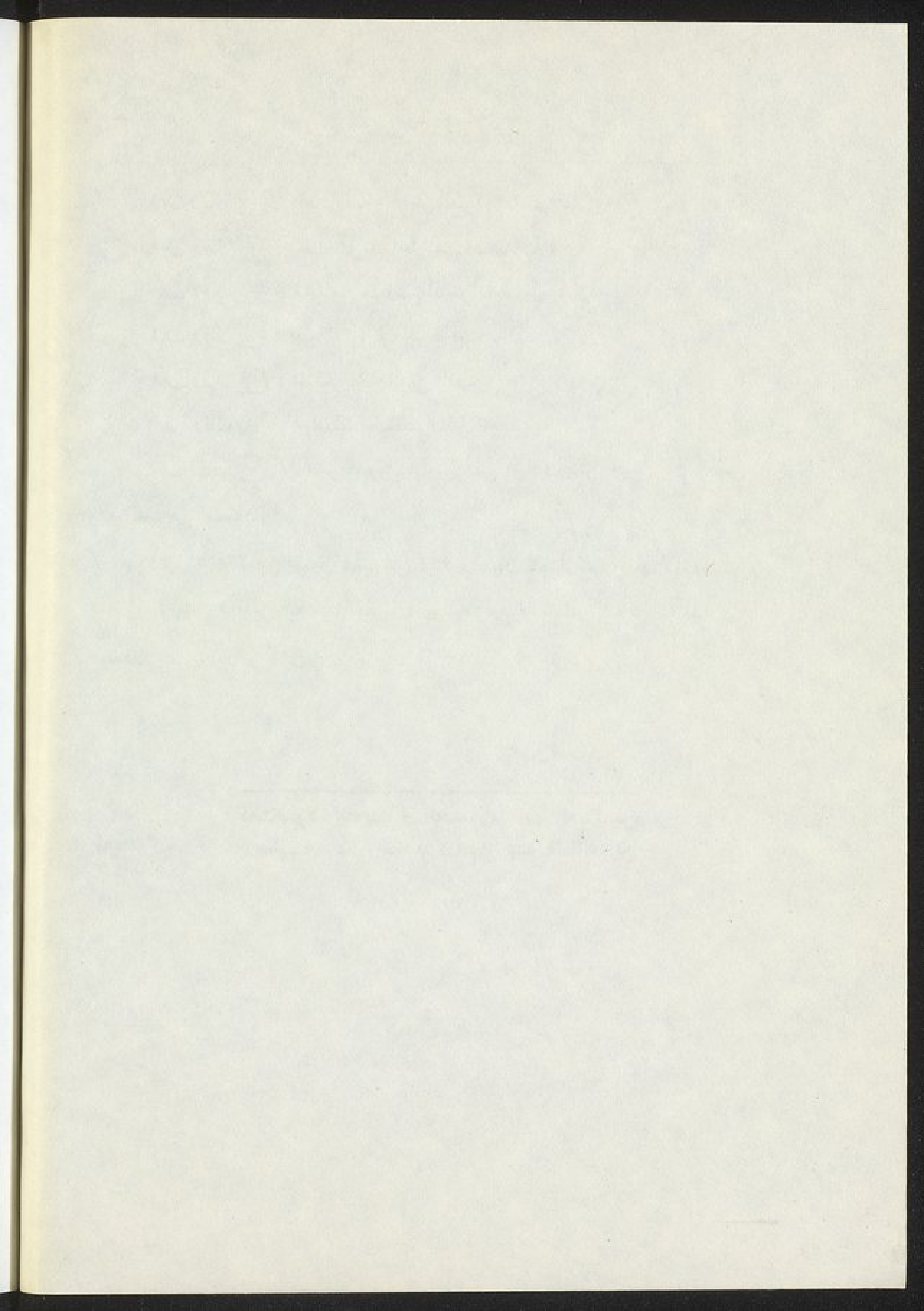
٨٢- وقال عليه السلام : «أكبر البلاء فقر النفس»

٨٣- وقال عليه السلام : «بالدعاء يستدفع البلاء»

٨٤- وقال عليه السلام : «الصبر صبران : صبر فـي البلاء حسن جميل ، و أحسن منه الصبر في المحارم»

وفي دعاء اليوم الرابع عشر من أيام رمضان المبارك : «اللهم لاتؤاخذني فيه بالعثرات ، وأقلني فيه من الخطايا والهفوات ، و لاتجعلني فيه غرضاً للبلايا والآفات بعزتك يا عزّ المسلمين» .

تمت سورة الفجر و الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد و أهل بيته الطاهرين



سورة البلد مكية
وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أقسم بهذا البلد ﴿١﴾ وأنت حل بهذا البلد ﴿٢﴾ ووالد وما ولد
﴿٣﴾ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴿٤﴾ أيحسب أن لن يقدر عليه
أحد ﴿٥﴾ يقول أهلكت مالا لبدا ﴿٦﴾ أيحسب أن لم يره أحد ﴿٧﴾ ألم
نجعل له عينين ﴿٨﴾ ولسانا وشفتين ﴿٩﴾ وهديناه النجدين ﴿١٠﴾
فلا اقتحم العقبة ﴿١١﴾ وما أدراك ما العقبة ﴿١٢﴾ فك رقبة ﴿١٣﴾
أو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴿١٤﴾ يتيما ذا مقربة ﴿١٥﴾ أو مسكينا
ذا متربة ﴿١٦﴾ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة ﴿١٧﴾ أولئك أصحاب الميمنة ﴿١٨﴾ والذين كفروا بآياتنا هم
أصحاب المشأمة ﴿١٩﴾ عليهم نار مؤصدة ﴿٢٠﴾

﴿فضلها وخواصها﴾

روى الصدوق: رحمة الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من كان قرائته في الفريضة لا اقسم بهذا البلد كان في الدنيا معروفاً انه من الصالحين، وكان في الآخرة معروفاً ان له من الله مكاناً و كان يوم القيامة من رفقاء النبيين والشهداء و الصالحين.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع، و البحراني في البرهان، و الحويزي في نور الثقلين، و المجلسي في البحار.

وذلك ان السورة تقرر قابلية الانسان للاختيار بين الايمان و الخير و الصلاح، فيكون من أصحاب الميمنة، وبين الكفر و الشر و الفساد فيكون من أصحاب المشئمة.

فمن قرأها في فرائضه متدبراً فيها، وعلم أن التوفيق و الخذلان يتجاذبان نفسه، فأيهما غلب كانت في حيّزه فاكره نفسه على الايمان و الخير و الصلاح، فكان في الحياة الدنيا معروفاً انه من الصالحين، وفي الدار الآخرة من رفقاء النبيين و الشهداء و الصالحين.

قال الله عزوجل: «ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله و كفى بالله عليماً» النساء: ٦٩ـ٧٠)

وقال: «يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي

فی عبادی و ادخلی جنتی» الفجر : ٢٧-٣٠)

وفی البرهان : روی عن النبی صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من قرأ هذه السورة أعطاه الله تعالی الأمان من غضبه یوم القیامة و نجاه من صعود العقبة الكئود ومن كتبها وعلقها علی الطفل ، أو مایولد أمن علیه من كل ما یعرض للاطفال .

اقول: ومن قرأها متفكراً فیها و عاملا بما امر من الایمان و توصیة الصبر علی النوائب و البلایا و الرحمة علی الارقاء و تحریرهم ، و علی الیتیم و المسكین و إطعام الاجویاع ، و انتهی عن النواهی فهو فی الأمان من غضبه جل وعلا یوم القیامة ونجاه من صعود العقبة الكئود .

قال الله جل وعلا : « و ما أدراك ما العقبة ـ اولئك أصحاب المیمنة » البلد : ١٣-١٨)

وفیه: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأها نجاه تعالی یوم القیامة من صعوبة العقبة ، ومن كتبها وعلقها علی مولود أمن من كل آفة ، و من بكاء الاطفال و نجاه الله من ام الصبیان.

وفیه: وقال الصادق عليه السلام : إذا علقت علی الطفل أمن من النقض ، و إذا سعط من مائها أیضاً برىء مما یولم الخیاشیم ونشأنشوا صالحاً .

أقول: ومن غیر بعید أن یكون من خواص السورة ما فی الروایات الأخیرة.

﴿الغرض﴾

غرض السورة تقرير باسلوب القسم لما جبل عليه الانسان من طبيعة المشاقة و المكابدة، وتنديد باعتداد الانسان بقوته و ماله ظاناً انه لايراه أحد، ولا يقدر عليه أحد، وقد جعل الله له عينين، ولساناً و شفتين تشهد عليه وبيّن له معالم طريقى الحق و الباطل، طريقى الايمان و الكفر، طريقى الصلاح و الفساد، سبيلى السعادة والشقاء، سبيلى الخير والشر، سبيلى الفلاح والخسران، وسبيلى التقوى و الفجور...

وأوجد فيه قابليّة التميز بينهما، وجعله مسئولاً عن إختياره وسلوكه إن خيراً فخيراً، و إن شراً فشراً، فهو يستطيع بها ان يميّز أحدهما من الآخر، فلا ينبغى له أن يغترّ ويعتد ويشاقق وهذا هو حاله، بل إنما جدير له أن يختار طريقاً فيه خيره وصلاحه و سعادته فى الحياة الدنيا والدار الآخرة فليتحمّل ثقل التكاليف الالهية بالصبر على الطاعة و النوائب، و عن المعاصى و المآثم، و ليجدّ فى نشر الرحمة على المبتلين بنوائب الدهر من الأيتام و الأرقاء و الفقراء و المساكين والامراض و المصائب و ما إليها ... حتى يكون من أصحاب الميمنة، و إلاّ فهو من أصحاب المشئمة وعليهم نارمؤصدة.

﴿النزول﴾

سورة «البلد» مكية نزلت بعد سورة «ق» و قبل سورة «الطارق» وهي السورة الخامسة و الثلاثون نزولاً، والتسعون مصحفاً، و تشتمل على عشرين آية، سبقت عليها /٦٤٨ آية نزولاً، و /٦٠٢٣ آية مصحفاً على التحقيق.

ومشتملة على /٨٢ كلمة، وقيل: /٨٠ كلمة، و على /٣٢٠ حرفاً و قيل: /٣٣٠ حرفاً، وقيل: /٣٣٦ حرفاً، و قيل: /٣٥١ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

وقد ورد: عن سعيد بن جبرئيل قال: لما فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكعبة أخذ أبو برزة الأسلمي سعيدبن عبد الله بن خطل، فضرب عنقه وهو متعلق بأستار الكعبة، فأنزل الله: «لا اقسم بهذا البلد و أنت حل بهذا البلد» و هوأحد الأربعة الذين لم يؤمنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني الحنفي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: «و والد وماولد» قال: الوالد أمير المؤمنين، و ماولد الحسن و الحسين عليهم السلام.

وفيه: باسناده عن جابر قال: سئلت أبا جعفر عن قول الله عليه السلام: «و والد و ماولد» قال: عليّ وماولد.

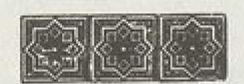
وفي المجمع: في قوله تعالى: «أيحسب أن لن يقدر عليه أحد» و قيل: انه يعني أبا لاسد بن كلدة وهو رجل من جمح كان قوياً شديد الخلق بحيث

يجلس على أديم عكاظى ، فتجره العشرة من تحته ، فينقطع ولا يبرح من مكانه عن الكلبى ، ثم اخبر سبحانه عن مقالة هذا الانسان، فقال : «يقول أهلكت مالاً لبداً» أى أنفقت مالاً كثيراً فى عداوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم يفتخر بذلك .

وقيل : هو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، و ذلك انه أذنب ذنباً، فاستفتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمره أن يكفّر فقال : لقد ذهب مالى فى الكفارات و النفقات منذ دخلت فى دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن مقاتل .

وفى شواهد التنزيل: باسناده عن أبان بن تغلب عن أبى جعفر عليه السلام و سئل عن قول الله تعالى : «فلا اقتحم العقبة» فضرب بيده إلى صدره فقال : نحن العقبة من اقتحمها نجى.

قيل : ان قوله تعالى : «ثم كان من الذين آمنوا ...» : ١٧) نزلت فيمن أتى بهذه الخصال قبل ايمانه بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم آمن به بعد مبعثه فعند بعضهم يثاب على تلك الطاعات يدل عليه ماروى: ان حكيم بن حزام بعد ما أسلم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انا كنا نأتى بأعمال الخير فى الجاهلية فهل لنا منها شىء ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أسلمت على ما قدّمت من الخير.



﴿القراءة﴾

قرأ أبو جعفر «لبّداً» بالتشديد على إحتمال الجمع: جمع لابدمثل راكع وركّع وساجد وسجّد وشاهدوشهّد، و إحتمال الافراد علىوزن زمّل وجبّ، و الباقون قرؤا بالتخفيف.

و قرأ حمزة و عاصم «يحسب» بفتح السين، و الباقون بكسرها، و قرأ عاصم ونافع و إبن عامر وحمزة «فك» برفع الكاف و الاضافة و «رقبة» بخفض التاء وبكسر الهمزة ومدّ العين أي بالف بعدها، و رفع الميم و تنوينها في «إطعام» على أن «فك» و «إطعام» مصدرين و الباقون بفتح الكاف و فتح التاء و فتح الهمزة و قصر العين من غير ألف ولا تنوين فقرؤا: «أو أطعم» على أنهفعل ماض كما أن «فك» فعل ماض عندهم.

وقرأ حفص و أبوعمرو و حمزة «مؤصدة» بهمزة ساكنة بعد الميم، و الباقون بابدالهاواواً.

﴿الوقف والوصل﴾

«البلدلا» للحال التالية ، و «البلدلا» لمكان العطف ، و « ولدلا » للجواب التالى، و « كبدط» لتمام الكلام والاستفهام التالى، و «أحدم»لئلايوهم ان مابعده صفة ، و «لبداً ط» لتمام الكلام و الاستفهام التالى ، و «أحدط» لمكان الاستفهام التالى ، و «عينين لا» للعطف و «شفتين لا» كالمتقدم ، و «النجدين ى ج» للنفى مع الفاء ، و «ى» علامة العشر ، و توضع عند إنتهاء عشر آيات . و «العقبة ز» ولا يخفى ان «ز» علامة للوقف المجوز ، و هو ما يجوز فيه الوقف والوصل ، ولكن الوصل أولى ، وفى المقام لمكان السئوال التالى المتصل بما قبله .

و « العقبة ط » لتمام السئوال ، و« رقبةلا » للعطف، و «مسغبة لا» لمفعول المصدر الآتى ، و «مقربة لا» للعطف بـ«أو» و «متربة ط» لان «ثم» لترتيب الاخبار و «المرحمة ط» لتمام الكلام واستيناف الجملة التالية ، و «الميمنة ط» لتمام الجملة ، و إستئناف التالى ، و «المشئمة ط» كالسابق .

﴿ اللغة ﴾

٦٧ - البلد - ١٥١

بلد بالمكان يبلد بلوداً - من باب نصر - : أقام به أو اتخذه بلداً ولزمه، و أبلده : ألزمه ، و أبلد بالارض : لصق بها .

وبلد القوم - من باب علم - : لزموا الارض يقاتلون عليها .

البلد و البلدة : كل موضع من الارض عامراً كان أوخلاء و الجمع بلاد و بلدان . و البلدة : راحة الكف .

قال الله تعالى: «و تحمل أثقالكم إلى بلدلم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الانفس» النحل : ٧)

و قال : « فسقناه إلى بلد ميت » فاطر : ٩) و قال : « لنحي به بلدة ميتاً » الفرقان : ٤٩)

وقال : «التي لم يخلق مثلها في البلاد» الفجر : ١١)

وجاء البلد و البلدة بمواضع من القرآن الكريم مراداً بهما مكة المكرّمة .

قال الله تعالى: «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً» إبراهيم :٣٥)

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «إنما امرت أن اعبد رب هذه البلدة

الذى حرمها وله كل شىء» النمل: ٩١)

. بلد الرجل ـ بضم العين ـ بلادة فهو بليد : إذا كان غير ذكى ولا فطن والبلادة : نقيض النفاذ و المضى فى الامر ، و البليد : ضد الذكاء والفطنة.

بلّد ـ من باب التفعيل ـ : لم يتّجه لشىء و نكّس فى العمل وضعف حتى فى الجرى .

تبلد الرجل: تردّد متحيراً و لحقته حيرة ، و قيل للمتحيّر : متبلّد لانه شبه بالذى يتحير فى فلاة من الارض لايهتدى فيها .

فى المفردات : البلد : المكان المختطّ المحدود المتأنّس باجتماع قطّانه و إقامتهم فيه وسميت المفازة بلداً لكونها موطن الوحشيات و المقبرة بلداً لكونها موطنا للاموات ، و البلدة منزل من منازل القمر، و البلدة : البلجة مابين الحاجبين تشبيهاً بالبلد لتحدده .

وفى النهاية : فى الحديث : «و أعوذبك من ساكنى البلد» البلد من الارض : ما كان مأوى للحيوان و ان لم يكن فيه بناء وأراد بساكنيه الجن لانهم سكان الارض .

٥ ـ الكبد ـ ١٢٧٨

كبد يكبد كبداً ـ من باب علم و ضرب و نصر ـ: تألّم من وجع كبده.

و الكبد : الألم و المشقة و الشدّة و كبد الامر : شدّة الامر و منه تكبد اللبن : إذا غلظ و إشتدّ ومنه الكبد لانه دم يغلظ و يشتدّ قال الله تعالى : «لقد خلقنا الانسان فى كبد» البلد:٤) أى جعل بحيث يعانى المتاعب والمشقّات من المهد إلى اللحد لترتفع نفسه عن مستوى البهيمية .

كابده مكابدة و كباداً : قاساه و تحمّل المشاقّ في فعله .

كابد المسافر الليل : ركب هوله و صعوبته .

والكبد : الجوف بكماله و وسط الشيء و معظمه ، و كبد الارض : مافيها من الذهب و الفضة وغير هما من المعادن .

و كبد السماء : وسطهاتشبيهاً بكبد الانسان لكونها في وسط البدن و كبد كل شيء وسطه و حاقه .

وفي الحديث : «في كبد جبل» أي في جوفه من كهف أوشعب والكبد: اللحمة السوداء في البطن جمعه : أكباد و كبود .

فى القاموس و شرحه : كبده يكبده كبداً : قصده و كبد البرد القوم:شق عليهم وضيق .

٥ - اللبد - ١٣٤٢

لبد بالمكان يلبد به لبوداً - من بابى نصر و علم - : أقام به ولزق به ، ولبد القوم بالرجل : لزموه و أطافوا به .

اللبد : الكثير المتراكب ، و اللبدة : الشعر المتراكب بين كتفي الأسد.

قال الله تعالى : «أهلكت مالا لبداً» البلد : ٦) أي كثيراً .

تستعمل اللبدة مجازاً بمعنى الجماعة إذا إشتد التزاحم بينهم و الجمع : لبد .

قال تعالى : « و انه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً » الجن : ١٩)

أي جماعات ملتفين حوله متزاحمين في عجب مما يقول و يفعل تيس ملبود : مكتنز اللحم لزم بعضه لحمه بعضاً فتلبّد .

١٠٣ - العين - ١٠٦٨

عانه يعينه عيناً - من باب ضرب - : أصابه بعينه ، فهو عائن و المصاب معين على النقص و معيون على التمام .

جاء في القرآن الكريم للعين معان :

١- العين : حاسّة البصر و الرؤية وهي الجارحة تجمع على أعين .

قال الله تعالى : «ألم نجعل له عينين» البلد : ٨)

وقال : «و إذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا» الانفال : ٤٤)

٢- العين : ينبوع الماء الذي ينبع من الارض و يجري ، و عين الركية مفجر مائها و منبعها و جمعها عيون .

يقال : عان الماء : جرى ، و عان الدمع : جرى ، و عان البئر : كثر ماؤها.

قال الله تعالى : «فانفجرت منه إثنتا عشرة عيناً» البقرة : ٦٠)

و قال : « و فجرنا الارض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر » القمر : ١٢)

٣- العين : النفس و الشخص يقال : بعته عيناً بعينه .

قال تعالى : «عين اليقين» التكاثر : ٧) أي التي هي نفس اليقين .

٤- العين : السرور و الغبطة وهي قرار العين جمعها عين و أعين .

قال الله تعالى: حكاية «قرّة عين لي ولك» القصص: ٩) وهي للباصرة بمعنى السرور و الغبطة ، وقال : «و ذرياتنا قرة أعين» الفرقان : ٧٤)

٥- العين : النظر قال تعالى : « قالوا فأتوا به على اعين الناس » الانبياء : ٦١) أي منظرهم .

٦- العين : الحفظ و الكلاء قال تعالى: «و اصبر لحكم ربك فانك باعيننا» الطور : ٤٨) أى بكلائى و حفظى ، ومنه : عين الله عليك أى كنت فى حفظه و رعايته .

٧- العين: و اسعها جمعها عين قال الله تعالى : « قاصرات الطرف عين » الصافات : ٤٨) أى واسع العين .

وللعين معان اخر قد انهاها بعض اللغويين إلى مأة و فيها من التداخل مالا يخفى على المتأمل الخبير

ومنها : العين : الذهب تشبيهاً بها فى كونها أفضل الجواهر كما أن هذه الجارحة أفضل الجوارح ، و منه أعيان القوم : سادتهم و أفاضلهم .

ومنها : عين شىء : أوّله، و بلد قليل العين : قليل السكان .

وعين الركبة : نقرة فى مقدّمها عند الساق ، و العين : النقد و المال الحاضر يقال : عين لادين .

عين الميزان : لسانه ، وعين كل شىء : خياره .

ومنها : عين الشىء : أصله جمعه أعيان ، والعين : الجاسوس. وفى الخبر: «انه بعث بسبسة عينا يوم بدر» أى جاسوساً .

إعتان له : إذا أتاه بالخبر، و العين : الديدبان، و العين: السيد والشريف، و العين : الربا ، و العين : حقيقة الشىء المدركة بالعيان أو مايقوم مقام العيان .

ومنها : العين : الشمس ، و العين شعاع الشمس ، و العين : نصف دانق من سبعة دنانير .

وعيّن العين تعييناً : كتبها و خصّصها ، و عيّن المال لزيد : جعله عيناً مخصوصة به ، و عاينه : رآه بعينه ، و أعانه : نصره .

وغيرها من المعانى فمن أرادها فليراجع المطولات .

٢٤ - اللسان - ١٣٦١

لسن فلاناً يلسنه لسناً - من باب نصر - : أخذه بلسانه و ذكره بالسوء و غلبه فى الملاسنة و كان أجود لساناً منه .

ولسن يلسن لسناً - من باب علم - : فصح أو تناهى فى الفصاحة و البلاغة.

اللسان : العضو المثبت فى أقصى تجويف الفم حيث يمتدّ إلى الأسنان و هو حاسّة لذوق الطعام و تكييف الصوت و تحريك الطعام فى الفم ليسهل مضغه وبلعه، وجمعه: ألسنة.

وقد جاء «اللسان» فى القرآن الكريم مفرداً و جمعاً لأربعة معان:

أحدها - لمعنى عام و هو انه إحدى الحواس ...

قال الله تعالى : «ألم نجعل له عينين و لساناً و شفتين» البلد : ٨ و ٩) أى عضواًهاماً ينتفع به فى عدّة نواح.

ثانيها - اللسان : عضو التكلم قال تعالى : «لا تحرّك به لسانك لتعجل به» القيامة : ١٦) .

ثالثها - اللسان : اللغة أو الكلام يراد به نقل أفكار المتكلم أو الكاتب إلى السامع أو القارىء .

قال تعالى : «و هذا كتاب مصدق لساناً عربياً» الاحقاف : ١٢) أى أنزل بلغة عربية .

وقال : «و أخى هارون هو أفصح منى لساناً» القصص : ٣٤) أى أقدر منى على الكلام .

رابعها ـ : اللسان : السمعة الطيبة أو الذكر الحسن ولا يفيد هذا المعنى إلاّ إذا أضيف إلى كلمة صدق.

قال تعالى : «و وهبنا لهم من رحمتنا و جعلنا لهم لسان صدق علياً » مريم : ٥٠) أى سمعة طيبة أو ذكراً حسناً .

لاسنه : ناطقه و غلبه فى المحاورة والجدال.

لسان القوم: المتكلم عنهم . اللسن ـ بالتحريك ـ : الفصاحة.

٣٣ ـ الشفه ـ ٨٠١

شفه الشيء يشفهه شفهاً ـ : من باب منع ـ :جانبه و حرفه.

وشفه عن كذا : شغله ، و شفه فلاناً ، ألحّ عليه فى المسئلة حتى انفدما عنده ، و شفعه شفهاً : ضرب شفته.

و إذا اطلقت الشفه فهى شفة الانسان و هما شفتان و الجمع شفاه .

قال الله تعالى : «و لسانا و شفتين» البلد : ٩)

الشفتان من الانسان و الحيوان ، طبقا الفم الواحدة : شفه و النسبة إليها شفهىّ .

شافه فلاناً : داناه و خاطبه من فمه إلى فمه ، و المشافهة : المخاطبة من فيك إلى فيه .

١١ ـ النجد ـ ١٤٨٦

نجد ينجد نجداً و نجوداً ـ من باب نصر و علم ـ : وضح و إستبان وأعان و

غلب، و نجد : إذا عرق وسال عرقه من عمل أو كرب.

النجد : ما إرتفع عن الارض من تل أو جبل أو نحوه .

ويقال للطريق الواضح : نجد ، و النجد : طريق فى الجبل جمعه أنجد و أنجاد قال الله تعالى : «و هديناه النجدين» البلد : ١٠)

فسرا بطريقى الخير و الشر لوضوحهما و إستبانة أمرهما وفسرابالثديين لارتفاعهما ، و نجد البناء : إرتفع .

النجدة : الشجاعة ، و النجيد : الشجاع ، و النجد : شديد البأس .

ومنه حديث على عليه السلام : «أما بنو هاشم فانجاد أمجاد» أى أشداء شجعان ، و ناجده : عارضه و بارزه للقتال ، و استنجد : إستعان ، و إستنجد الرجل: قوى بعد ضعف.

فى المفردات : النجد: المكان الغليظ الرفيع، وقوله: «و هديناه النجدين» فذلك مثل لطريقى الحق و الباطل فى الاعتقاد والصدق و الكذب فى المقال و الجميل و القبيح فى الفعال .

و النجد: إسم صقع ، و أنجده : قصده ، و رجل نجد و نجيد ونجد أى قوى شديد بيّن النجدة .

١٠ - القحم و الاقتحام - ١٢٠٢

قحم فى الامر يقحم قحوماً - من باب نصر - : رمى بنفسه فيه فجأة بلا رويّة .

إقتحم المكان . رمى بنفسه فيه على شدّة و مشقّة ، و يقال : إقتحم الامر: ألقى بجهده فيه شدة يريد التغليب عليه فهو مقتحم ، و إقتحم الرجل : إحتقره.

قحم و الطريق : مصاعبه وهو ما صعب منها على السالك .

قال الله تعالى : «فلا اقتحم العقبة» البلد : ١١) أى لم يحاول اجتيازها أو التغليب على نفسه فى العمل بما يشير إليه قوله تعالى : « فك رقبة » الايات .

وقال : «هذا فوج مقتحم معكم لامرحباً بهم» ص : ٥٩) أى منقذف فى النار معكم .

و قحّمه فى الامر ـ من باب التفعيل ـ : أدخله من غير رويّة وتثبّت و قحّم الفرس راكبه : رماه على وجهه ، و اقحم فلان فرسه النهر : أوقعه فيه و أدخله بعنف ، و منه الكلمة المقحمة الداخلة بين المتلازمين .

إقتحم عينى : إزدرته ، و إقتحم النجم : غاب وسقط ، و إقتحم المنزل : هجمه ، و القحامة و القحومة : الكبير السن .

فى المفردات: الاقتحام : توسّط شدّة مخيفة .

وفى المجمع: الاقتحام : الدخول فى الشيء بشدة و قوة ، و المقتحمات : الذنوب العظام التى يستحق بها صاحبها دخول النار .

وفى النهاية: فى حديث على عليه السلام : «من سرّه أن يقتحم جراثيم جهنم فليقض فى الجدّ» أى يرمى بنفسه فى معاظم عذابها .

وقال عليه السلام : «ان للخصومة قحماً» هى الامور العظيمة الشاقة واحدتها قحمة .

وفى حديث ام معبد : «لاتقتحمه عين من قصر» أى لاتتجاوزه إلى غيره إحتقاراً له ، و كل شيء إزدريته فقد إقتحمته .

وفى اللسان : القحم : الامور العظام التى لايركبها كل أحد ، و قحم الطريق : ماصعب منها .

و فى القاموس وشرحه : القحمة : المهلكة و القحط و السنة الشديدة

وكل شي نسب إلى الضعف فهو مقحم .

وأصل هذا و شبهه من المقحم الذى يتحول من سن إلى سن في سنة واحدة .

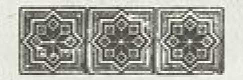
٤٨ ـ السغب ـ ٧٠٧

سغب يسغب سغباً وسغباً و سغوباً وسغابة و مسغبة ـ من بابى علم و نصر ـ : جاع مع تعب .

قال الله تعالى : «أو إطعام في يوم ذى مسغبة» البلد : ١٤) أى ذى مجاعة.

أسغب الرجل : دخل في المجاعة ، و السغب ـ محركة ـ : العطش مع التعب .

وفى النهاية : ومنه الحديث : «انه قدم خيبر بأصحابه وهم مسغبون» أى جياع .



﴿النحو﴾

١- (لا اقسم بهذا البلد)

«لا» حرف نفي ، و في وقوعها هنا وجوه : أحدها - زائدة لأن الله تعالى قال : «بهذا البلد» و قد أقسم به في قوله : «و هذا البلد الأمين» فكيف يجحد القسم به ، و قد أقسم به ، و نظيرها في الزيادة قوله تعالى : «ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك » الاعراف : ١٢) لقوله عزوجل : «ما منعك أن تسجد » ص : ٧٥)

ثانيها - انها ليست بنفي القسم ، و إنما هو كقول العرب : لا والله مافعلت كذا ولا والله ماكان كذا ولا والله لافعلنّ كذا .

ثالثها - انها نفي صحيح ، و المعنى : لا اقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه أي بعد خروجك منه.

رابعها - انها ردّ على من أنكر البعث و الحساب و الجزاء ثم إبتدأ القسم و المعنى : لاليس كما تزعمون في البعث و الحساب اقسم بهذا البلد .

خامسها - انها ردّ لما توهّم الانسان المذكور في هذه السورة المغرور بالدنيا أي ليس الامر كما يحسبه من أنه لن يقدر عليه أحد ثم إبتدأ القسم .

و «اقسم» فعل مضارع للتكلم وحده من باب الافعال ، و فى الباء فى «بهذا» و جهان :

أحدهما ـ انها للقسم قد إجتمعت مع فعل القسم ، فمع مدخولها متعلق بـ «اقسم» .

ثانيهما ـ أنها زائدة ، و «هذا» مجرور بحرف الباء ، ولاعلامة للجر في «هذا» لانه مبهم ، و «البلد» نعت لـ «هذا» .

٢ـ (و أنت حل بهذا البلد)

الواو للحال ، و «أنت» ضمير مرفوع منفصل ، خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مبتداء ، و «حل» من الحول خبر المبتداء و حلّ في المكان إذا نزل فيه يحلّ حلاً فهو حلّ وحالّ و المكان محلول فيه ، و الجملة في موضع نصب ، حال من فاعل «لا اقسم» و هو الله تعالى : و قيل : حال من «البلد» و «بهذا» متعلق بـ «حل» و «البلد» نعت لـ «بهذا» .

وقيل: ان الجملة إعتراض بين المقسم به وما عطف عليه أى بين المعطوف و المعطوف عليه .

٣ـ (ووالد وماولد)

الوا وللعطف ، و «والد» إسم فاعل من ولد يلد ، مجرور بالعطف على «البلد» من عطف النكرة على المعرفة ، و الواو الثانية أيضاً للعطف.

وفى «ما» وجوه : أحدها ـ انها موصولة بمعنى «من» فى موضع جر ، عطفاً على «والد» ثانيها ـ انها مصدرية على تقدير : و والد ولادته كقوله تعالى: «و السماء و ما بناها» ثالثها ـ انها نافية أى اقسم بالذى يولد له و اقسم بالعاقر الذى لايولدله .

و «ولد» فعل ماض ، صلة لـ «ما» على الوجه الاول ، و الفاعل ضمير مستتر

فيه راجع إلى «والد» على حذف العائد الراجع إلى «ما» و هو المفعول و هو المولود .

٤ـ (لقد خلقنا الانسان في كبد)

اللام جواب القسم، و«قد» حرف تحقيق هنا، و «خلقنا» فعل ماض للتكلم مع الغير ، و المتكلم هنا هوالله تعالى وحده، فجاء بالجمع تعظيماً ، و«الانسان» مفعول به ، و «في كبد» في موضع نصب على الحال من «الانسان» أي مكابداً أو منتصباً .

٥ـ (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد)

الهمزة للا ستفهام الانكاري ، و «يحسب» فعل مضارع ، فاعله ضميرمستتر فيه ، راجع إلى «الانسان» و في «يحسب» لغتان : فتح السين و كسرها ، ولكن ماورد في القرآن الكريم كله بفتحها .

وفي «أن» و جهان : أحدهما ـ انها حرف تأكيد ، مخففة من الثقيلة ، و إسمها ضمير شأن مقدر أي انه . ثانيهما ـ انها حرف نصب ، جيئت لتفسير الحسبان ، و«لن» حرف نفي للتأبيد ، تنصب المضارع ، و «يقدر» فعل مضارع ، منصوب بحرف النفي ، و العرب إذا جمعت بين حرفين عاملين ألغت أحدهما ، و «عليه» متعلق بـ«يقدر» و الضمير راجع إلى «الانسان» و «أحد» فاعل لـ«يقدر» و المراد هيهنا هو الله تعالى كقوله عزوجل : «قل هو الله أحد» و الجملة في موضع نصب سدّت مسد المفعولين لفعل الحسبان .

٦ـ (يقول أهلكت مالاً لبداً)

«يقول» فعل مضارع ، فاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى «الانسان» و «أهلكت» فعل ماض للتكلم وحده من باب الافعال، و «مالاً» مفعول به ، و «لبداً» نعت لـ«مالاً» و «لبداً» جمع لبدة بالضم لما يلبد ، و قيل : مفرد و البناء للمبالغة

و الكثرة ومن قرأ بالتشديد فهو جمع لابد ، و الجملة مقولة القول.

٧- (أيحسب أن لم يره أحد)

الهمزة للاستفهام الانكارى ، و « يحسب » فعل مضارع ، فاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى «الانسان» و فى «أن» و جهان : أحدهما - انها حرف تأكيد ، مخففة مثقلة ، و إسمها ضمير شأن محذوف ، و «لم يره أحد» فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و الجملة المؤكدة فى موضع نصب ، سدّت مسدّ مفعولين لفعل الحسبان ، ثانيهما - أنها حرف ناصب ، ملغى عن العمل هيهنا ، و «لم» حرف جحد ، يجزم المضارع ، و «يره» مجزوم بحرف الجحد على حذف لام الفعل ، و الاصل : «لم يراه» والضمير فى موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى «الانسان» و«أحد» فاعل الفعل، و الجملة فى موضع نصب سدّت مسدّ المفعولين لفعل الحسبان .

٨- (ألم نجعل له عينين)

الهمزة للاستفهام التقريرى ، و «لم» حرف جحد ، و «نجعل» فعل مضارع للتكلم مع الغير، والمتكلم هو الله جل وعلا وحده، جاء بصيغة الجمع للتعظيم، و « له » متعلق بـ« نجعل » و الضمير راجع إلى «الانسان» و «عينين» تثنية عين مفعول بهما .

٩- (ولساناً و شفتين)

الوا وللعطف ، و «لسانا» عطف على «عينين» و «شفتين» تثنية شفة و أصلها شفهة ، حذفت منها الهاء ، و تصغيرها شفيهة ، و الجمع شفاه ، عطف على «عينين» .

١٠-(وهد يناه النجدين)

الوا و للعطف ، و «هديناه» فعل ماض للتكلم مع الغير ، و المتكلم هو

الله تعالى وحده جاء بصيغة الجمع للتعظيم ، و ضمير الوصل الغائب في موضع نصب ، مفعول به الاول ، و «النجدين» تثنية النجد مفعول به الثاني ، و الجملة عطف على سابقتها معنى .

١١-(فلا اقتحم العقبة)

الفاء تفريعية ، وفي «لا» وجوه: أحدها - انها نافية بمعنى «ما» و أكثرما يجيىء مثل هذا مكرراً كقوله جل وعلا : «فلا صدق ولا صلى» القيامة : ٣١)

وقلما توجد « لا » الداخلة على الماضي إلاّ مكررة تقول : لا خيبنى ولا رزقنى .

ثانيها - انها بمعنى «لم» فالمعنى : فلم يقتحم العقبة ، و قد جاء من غير تكرار كقول الشاعر :

إن تغفر اللهم تغفر جمّاً - و أىّ عبد لك لا ألمّا . أى لم يلمّ

ثالثها - انها بمعنى «هلا» أى فهلا جاوز العقبة .

و «اقتحم» فعل ماض من باب الافتعال ، و فاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى «الانسان» و «العقبة» مفعول بها.

١٢- (وما أدراك ما العقبة)

الوا و للاستئناف، و«ما» للتعجب بلفظ الاستفهام في موضع رفع على الابتداء و « أدراك » الفعل فعل ماض من باب الافعال ، و كاف الخطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في موضع نصب ، مفعول به ، و الجملة في موضع رفع ، خبر للمبتداء.

و «ما» مبتداء ، و «العقبة» خبر المبتداءِ على تقدير: ما اقتحام العقبة ، فحذف المضاف ، و اقيم المضاف إليه مقامه ، و الجملة إعتراض .

١٣-(فك رقبة)

«فك» مصدر اضيف إلى مفعوله ، على حذف فاعله على تقدير : فك فاك

رقبة و لايجوز حذف الفاعل إلاّ عن المصدر و هو من خواصّه كما أن المصدر لايتحمّل الضمير عند غير البصريين ، و إن كان عند بعضهم ان المصدر إذا عمل في المفعول كان فيه ضمير كالضمير في إسم الفاعل ، و من قرأ « فك » فعل ماض ، ففاعله هو الضمير المستتر فيه راجع إلى «فاك» و «فك» خبر لمحذوف أي إقتحام العقبة هو فك رقبة .

١٤- (أو اطعام في يوم ذي مسغبة)

«او» حرف عطف ، و «إطعام» مصدر من باب الافعال ، عطف على «فك» و «في يوم» متعلق بمحذوف أي وجد ، ففي موضع رفع ، نعت من «إطعام» و قيل : متعلق بـ«إطعام» و «ذي مسغبة» نعت لـ«يوم» و «مسغبة» مصدر على مفعلة من سغب إذا جاع .

١٥- (يتيماً ذا مقربة)

«يتيما» مفعول به لـ«إطعام» على تقدير : أن يطعم يتيماً ، و ان المصدر يعمل عمل الفعل و إن كان منوّناً ، و قيل : انتصب «يتيماً» بمشتق من «إطعام» على تقدير : أو إطعام يعطم يتيماً ، و «ذامقربة» صفة لـ«يتيماً» . و يحتمل أن يكون «يتيماً» بدلاً من «ذي مسغبة»

١٦- (أو مسكيناً ذا متربة)

«أو» حرف عطف و «مسكيناً» عطف على «يتيماً» و «ذامتربة» نعت لـ «مسكيناً» .

١٧- (ثم كان من الذين آمنوا و تواصوا بالصبر و تواصوا بالمرحمة)

«ثم» حرف عطف، وهي هنا لترتيب الاخبار أي للترتيب الذكري لاالترتيب المخبر عنه و قيل : «ثم» هنا بمعنى الواو أي و كان هذا المعتق الرقبة والمطعم في المسغبة من الذين ... و « كان» فعل ماض من الأفعال الناقصة ، و إسم « كان»

مضمر فيه ، راجع إلى المقتحم ، و من فى «من الذين» بمعنى البعض، فى موضع نصب ، خبر لـ «كان» و قيل : بيانية ، و قد قال : «ثم كان من الذين آمنوا» وقد كان الايمان مقدماً فى الرتبة على العمل لان «ثـم» إذا عطفت جملة علـى جملة لاتفيد الترتيب بخلاف ما إذا عطفت مفرداً على مفرد، وقيل : اريد به الدوام على الايمان .

و «الذين» موصولة ، و «آمنوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الافعال ، صلة الموصول ، و «تواصوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب من بـاب التفاعل ، و أصله: تواصيوا، فلما ثقلت الضمة على الياء نقلت إلى الصاد، فاجتمع الساكنان، فحذفت الياء لان الواو علامة الجمع، عطف على «آمنوا» و «بالصبر» متعلق بـ «تواصوا» و قيل : ان الباء زائدة .

و «المرحمة» مصدر ميمى من الرحمة ، وقيل : الباء زائدة .

١٨- (اولئك أصحاب الميمنة)

«اولئك» إسم إشارة للجمع فى موضع رفع علـى الابتداء ، ولا علامة فيه للرفع لانه مبهم ، و «أصحاب»: جمع صاحب، خبر المبتداء، ووزن فاعل لايجمع على أفعال إلاّ فى كلمات ... نحو : شاهد و أشهاد و صاحب و أصحاب ، و اضيف «أصحاب» إلى «الميمنة» وهى مصدر ميمى من اليمين.

١٩- (والذين كفروا بآياتناهم أصحاب المشئمة)

الواو للاستيناف، و«الذين» موصولة فى موضع رفع على الابتداء، و« كفروا» صلة الموصول، و«بآياتنا» الآيات: جمع الآية، اضيفت إلى ضمير التكلم مع الغير، و الجار و المجرور متعلق بـ« كفروا» و «هم» مبتداء ثان ، و «أصحاب المشئمة» خبر للثانى ، و الجملة خبر للاول ، و قيل : ان الـواو عاطفة ، و الجملة عطف على الجملة السابقة من الموصول وصلته .

٢٠- (عليهم نار مؤصدة)

«عليهم» متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و ضمير الجمع راجع إلى الكفار، و «نار» مبتداء مؤخر ، و «مؤصدة» صفة للنار ، و من المحتمل أن يكون «عليهم» متعلقاً بـ «مؤصدة» وهي خبر ا «نار»



﴿البيان﴾

١ - (لااقسم بهذاالبلد)

قسم من الله عز وجل بمكة المكرمة ، وقد أقسم بها تعظيماً لشأنها فوق العادة، وحرمتها فوق البلاد كلها وشرفها لأنها ام القرى التى جعلها حرماً آمناً ، إذ جعل فيها البيت الحرام ، مثابة للناس يرجعون إليه ، ويعادون زيارته كلما دعاهم إليه الشوق ، وجعلها قبلة لأهل الارض كلها ، وأمر بالتوجه إليها فى الصلوات : فرائضها ونوافلها التى تكرر كل يوم إذقال : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم و ما الله بغافل عما يعملون » البقرة : ١٤٤) .

فالقسم المنفى هيهنا هو تعريض بالقسم ، و تلويح به دون ايقاعه إذ كان الامر الواقع فى حيّز القسم أوضح وأظهر من أن يقسم عليه توكيداً أوتقريراً ، ونفى القسم هنا هو لعلة فى المقسم عليه كما سنرى.

وان إدخال « لا » النافية على فعل القسم للتأكيد شائع بأن الامر لوضوحه غاية الوضوح لايحتاج إلى قسم .

وهذا البلد هو البلد الحرام الذى هو مطاف الموحدين ، ومنشأ كل خير وبركة ، و هو البلد الأمين الذى أقسم الله تعالى به فى غير هذا الموضع فى قوله : « والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين » التين : ١ - ٣) .

قيل لبعض الظرفاء من الحكماء : من أين لك أن « هذا » المشار إليه واحد ؟

فقال : انى لأعلم أن الواحد بالاطلاق غير محتاج إلى الثانى : فمتى فرضته قريناً للواحد كنت كواضع ما لايحتاج إليه ألبتّة إلى جانب مالا بدمنه ألبتّة.

٢ -(وأنت حل بهذا البلد) .

حال من « البلد » و فيه تنبيه على تشرف مكة المكرمة بحلول النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فيها و كونها مولده ومبعثه ومقامه، على أن الحلّ مصدر كالحلول بمعنى الاقامة والاستقرار فى مكان ، والمصدر بمعنى الفاعل .

فكأنه جل و علا جعل من أسباب شرف مكة و عظمتها كونه صلى الله عليه وآله وسلم مقيماً فيه ، لاريب ان الأمكنة تشرف بشرف ساكنيها والنازلين بها .

فجائت الجملة الحالية للبلد لتفيد ان مكة جليلة القدر مادام النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مقيماً فيها حتى فى الحال التى لم يراع أهلها فى معاملة النبى صلى الله عليه وآله وسلم تلك الحرمة التى خصّها الله جل وعلا بها .

وفى هذا ايقاظ و تنبيه لهم من غفلتهم ، وتقريع على حط منزلة بلدهم .

و أما كون الجملة حالاً من ضمير التكلم فى « اقسم » فالقسم بالبلد الأمين مقيد بوجود محمد الأمين صلى الله عليه وآله وسلم فيه، وفيه إشعار بأن مكة زادت به شأناً ورفعة كما أن المدينة المنورة سميت طيبة إذ طابت به حياً وميتاً .

و قيل : إن الجملة معترضة بين القسمين و الجواب إما لتشريف النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بجعل حلوله به مناطاً لا عظامه بالاقسام به ، وتقريع على حطّ منزلة المشركين ، وإما للتنبيه من أول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض المواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال ، وبيان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه فى هذا البلد الحرام، وتعرّضوا له بما لاخير فيه ، وهمّوا بما لم ينالوا عن شرحبيل - وهو راوى الحديث - يحرمون أن يقتلوا

بها صيداً ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك .

فالحل على هذا بمعنى ضدالتحريم ، فالاية الكريمة تنديد بأهل مكة الذين كانوا يستحلون أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و المؤمنين و إخراجهم و مناوأة دعوة الله عزوجل في البلد الذى حرم فيه الظلم : فكأنه تعالى عجب من إعتقاد أهل مكة كيف يؤذون أشرف الخلق في موضع حرم ، و هم يحرمون فيه الصيد و قطع الأشجار ...

وقيل : ان الجملة إعتراض بين القسم والمقسم به تسلية لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالوعد بفتح البلد على معنى: وأنت حلّ به في مستقبل الزمان ، فتصنع بهم فيه ما تريد من القتل والاسر ، وقدكان كذلك ، حيث أحلّ له صلى الله عليه وآله وسلم مكة المكرمة و فتحها عليه وما فتحت على أحد قبله ، ولاأحلّت لغيره قطّ .

فأحل الله عزوجل لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيها ما شاء وحرم ما شاء فقتل إبن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان فالمراد بالحل : المستحلّ الذى لاحرمة له .

وقيل: ان الآية الكريمة إعتراض بين القسم والمقسم عليه وعيداً للمشركين.
و لا يخفى على أهل المعاني والبيان : ان وضع الظاهر أعنى قوله عز و جل : «بهذا البلد» موضع الضمير دلالة على عظم شأنه والاعتناء بأمره وهو البلد الحرام . وقدذكر في القرآن الكريم إسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكره تصريحاً وتعريضاً باسم الظاهر وبالضمير أربعة آلاف مرة .

۳ـ (و والد وما ولد) .

قسم ثانٍ وثالث بالساكن بعدالقسم بالمسكن ، وقدأقسم الله عزوجل بالانسان على كونه والداً و مولوداً لأنه أعجب ما خلق الله تعالى على بسيط الارض لما فيه من الفكر والتدبير ، من الاستعداد للكمال المعنوى ، و كونه خليفة الله تعالى في الارض ، و من النطق و البيان . . . و منه الانبياء و المرسلون ، و الاوصياء

المعصومون ، و الدعاة إلى الله تعالى و قادة الدين ، و بيدهم عمران الارض و إحياء البلاد . . .

وفي الايراد بعنوان الولادة ترشيح لمضمون الجواب، وايماء إلى أنه متحقق في حالتي الوالدية والولدية .

وفيه إشارة إلى هذا التوالد الذي يقع بين الناس ، فكل والد هو مولود ، و كل مولود سيكون والداً ، وبهذا يتصل النسل وتكثر أنواعه وتعمر الارض . . .

وفي عملية التوالد تتجلى قدرة الخالق عز و جل و على مسرح هذه العملية مراد فسيح للدراسة والتأمل والبحث ، وجامعة علم غزير للعلماء والدارسين ، و معلم من معالم الهدى واليقين للمؤمنين والمتوسمين . . .

وفي اللاقسم بالوالد والمولود على طريقي التنكير والابهام لطائف ... وهي ان الله عز وجل أقسم بهما هكذا ليلفت نظرنا إلى رفعة قدر هذا الطور من اطوار الوجود وهو طور التوالد - وإلى ما فيه من بالغ الحكمة وإتقان الصنع ، و إلى ما يعانيه الوالد والمولود في إبداء النشيء ، و تكميل الناشيء وإبلاغه حده من النمو المقدر له .

فاذا تصورت في النبات كم تعاني البذرة في أطوار النمو: من مقاومة فواعل الجو ومحاولة إمتصاص الغذاء مما حولها من العناصر إلى أن تستقيم شجرة ذات فروع و أغصان ، وتستعد لأن تلد بذرة أو بذوراً اخرى تعمل عملها ، و تزين الوجود بجمال منظرها - إذا أحضرت ذلك في ذهنك ، و إلتفت إلى ما فوق النبات من الحيوان و الانسان حضر لك من أمر الوالد و المولود فيهما ما هو أعظم و أعجب ، و وجدت من المكابدة و العناء الذي يلاقيه كل منهما في سبيل حفظ الانواع ، و إستبقاء جمال الكون بصورها ما هو أشد وأجسم .

و في نفس القسم بالوالد والمولود - وهو الانسان - إشارة إلى أن الانسان

الذى كرّمه الله عزوجل ، ورفع قدره على كثير من المخلوقات ، كما رفع قدر هذا البلد الأمين على سائر البلدان - هذا الانسان ، قد خلع هذا الثوب الكريم الذى ألبسه الله إياه، وتخلّى عن المعانى الانسانية الشريفة التى أودعها الخالق عز و جل فيه فأحلّ حرمات الله عز و جل ، و اعتدى على حدوده و بهذا لم يصبح أهلا لان يقسم الله به ، وأن يعرضه فى معرض التشريف والتكريم :

« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون » التين : ٤ _ ٦) .

ومن هنا ندرك بعض السرّ فى نفى القسم بالوالد والمولود ، فان الله تعالى اقسم بكثير من مخلوقاته : من سماء و أرض ، من شمس و قمر ، من نجوم و كواكب ، مما فى السماء و الارض ، من تين و زيتون ، من خيل عادية و رياح عاصفة . . . و ما إليها مما اقسم الله عز وجل به من عوالم والنبات والحيوان...

فهذه المخلوقات قائمة على ما خلقها الله عز و جل عليه لم تخرج عن طبيعتها ، ولم تحد عن طريقها المرسوم لها على خلاف الانسان الذى غير وبدل و انحرف عن سواء السبيل ...

و أما حين أقسم الله تعالى بالانسان ، فانما اقسم به فى فطرته التى أودعها الله جل و علا فيه تلك الفطرة التى جعلها الله سبحانه أمانة بين يدى الانسان ، فلم يرعها ولم يحفظها .

وفى هذا يقول جل وعلا : « ونفس وما سواها » الشمس:٧) ولعل هذه النفس هى الفطرة التى فطر الله تعالى الناس عليها : « فالهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » الشمس : ٨ _ ١٠) .

وان الصورة الكاملة للانسانية التى إحتفظت بهذه الفطرة ، وزكتها التزكية المطلوبة لها هو محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وقد ألبسه الله عزوجل الشرف كله، و توجه بتاج العظمة على المخلوقات جميعها ، إذ أقسم به الحق عزوجل مضافاً

إلى ذاته الكريمة ، فقال تعالى : « فو ربك لنسئلنهم أجمعين عماكانوا يعملون» الحجر : ٩٢ ـ ٩٣)

و قد وزنه الله عزوجل بهذا القسم ، فرجح ميزانه ميزان السموات والارض إذ أقسم بهما الحق تعالى مضافين إلى ذاته العلية فى قوله سبحانه : « فورب السماء والارض انه لحق » الذاريات : ٢٣)

ولكن شتان من قسم الله عز و جل بذاته مضيفاً إليها النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى مقام الخطاب ، وبين قسمه جل وعلا بالسماء والارض ، مضافتين إلى ذاته تعالى مقام الغيبة ...

و فى التعبير عن الولد بكلمة « ما » دون « من » تفخيم وتعظيم كقوله تعالى : « ونفس و ما سوّاها » الشمس : ٧) كما أن فى تنكير الوالـد تفخيماً ، مضافاً إلى أن فى كلمة « ما » دلالة على التعجيب من أمره مدحاً كما فى قوله تعالى : « والله أعلم بما وضعت » آل عمران : ٣٦) .

ففى كلمة « ما » من الابهام ما ليس فى « من » فقصد به التفخيم و التعظيم والتعجيب ، فكانه جل وعلا قال : وأى شىء عجيب غريب ولد .

٤ ـ (لقد خلقنا الانسان فى كبد)

جواب للقسم المطوى فى كيان القسم المنفى ، تقرير لطبيعة الانسان فى المشاقة و المكابدة لما فيه من القوى التى تساعده على تحمل المشاق والشدائد . . .

وان الانسان هو ثمرة من ثمرات التوالد بين الأحياء سواء فى هذا : الوالد والمولود ، فاذا اريد به الحياة الزائلة فى الدنيا لا بدله من المكابدة والمشقة والجهد والكدّ ، فكيف إذا أراد هو الحياة الدائمة فى الدار الآخرة ؟

حيث ان الخلية الاولى لا تستقر فى الرحم حتى تبدأ فى الكبد و التعب و النصب لتوفر لنفسها الظروف الملائمة للحياة والغذاء ـ باذن ربها ـ وما تزال كذلك

حتى تنتهى إلى المخرج ، فتذوق من المخاق - إلى جانب ما تذوقه الوالدة - ما تذوق وما يكاد الجنين يرى النور حتى يكون قد ضغط ودفع حتى كاد يختنق فى مخرجه من الرحم ، ومنذ هذه اللحظة يبدأ الجهد الاشق والكبد الأمر يبدأ الجنين لينفس هذا الهواء الذى لاعهدله به ، ويفتح فمه ، ورئتيه لأول مرة ليشهق ويزفر فى صراخ يشى بمشقة البداية وتبدأ دورته الهضيمة ودورته الدموية فى العمل على غير عادة ، ويعانى فى إخراج الفضلات حتى يروج أمعاؤه على هذا العمل الجديد .

و كل خطوة بعد ذلك كبد ، و كل حركة بعد ذلك كبد ، و الذى يلاحظ الوليد عند مايهم بالحبو ، وعند مايهم بالمشى يدرك كم يبذل من الجهد العنيف للقيام بهذه الحركة الساذجة، وعند بروز الاسنان كبد ، وعند إنتصاب القامة كبد، وعند الخطو الثابت كبد ، وعند التعلم كبد ، وعند التفكر كبد ، و فى كل تجربة جديدة كبد كتجربة الحبو والمشى سواء .

ثم تفترق الطرق ، وتتنوع المشاق هذا يكدح بعضلاته ، وهذا يكدح بفكره وهذا يكدح بروحه ، وهذا يكدح للقمة العيش وخرقة الكساء وهذا يكدح ليجعل الألف ألفين وعشرة آلاف . . . و هذا يكدح لملك أو جاه أو رئاسة أو حكومة ... وهذا يكدح فى سبيل الله تعالى وإعلاء كلمة الحق ، وهذا يكدح لشهوة ونزوة ، وهذا يكدح لعقيدة ودعوة ، وهذا يكدح إلى النار ، وهذا يكدح إلى الجنة . . .

والكل يحمل حمله ، و يصعد الطريق كادحاً إلى ربه فيلقاه ، و هناك يكون الكبد الأكبر للاشقياء وتكون الراحة الكبرى للسعداء انه الكبد طبيعة الحياة الدنيا تختلف أشكاله وأسبابه. ولكنه هو الكبد فى النهاية ، فأخسر الأخسرين هو من يعانى كبد الحياة الدنيا ينتهى إلى الكبد الاشق الأمر فى الاخرى ، و أفلح الفالحين من يكدح فى الطريق إلى ربه ليلقاه بمؤهلات تنهى عنه كبد الحياة ، و

تنتهي به إلى الراحة الكبرى تحت راية الله عز وجل وظلاله.

على أن في الارض ذاتها بعض الجزاء على ألوان الكدح والعناء ان الذي يكدح للامر الجليل ليس كالذى يكدح للامر الحقير ليس مثله طمأنينة بال و إرتياحاً للبذل وإسترواحاً بالتضحية ، فالذى يكدح وهو طليق من أثقال الطين أو للانطلاق من هذه الاثقال ليس كالذى يكدح في الوحل ، و يلصق بالارض كالحشرات والديدان ، والذى يموت في سبيل الله تعالى و دعوة الحق ، في سبيل إعلاء كلمة الحق وإحقاقه ، وفي سبيل التكامل الانساني النفسي وإصلاح المجتمع البشري ليس كالذى يموت في سبيل نزوة وشهوة ، ليس مثله في خاصة شعوره بالجهد والكبد الذى يلقاه .

و الظرف : « في » هو المحتوى الذى يضمّ الانسان ، و ما يلاقي فيه من كبد . . .

فحياة الانسان ـ كل إنسان ـ في هذه الحياة الدنيا هي شدائد و معاناة ، فما يسلم إنسان أبداً من هموم الحياة و آلامها النفسية أو الجسدية ، فكم يفقد الانسان من صديق و حبيب ؟ و كم يتداعى على جسده من امراض و علل ؟ و كم ؟ و كم ؟؟؟ مما يطرق الناس من أحداث على مرّ الأيام و كرّ الليالي ؟ فالشباب يذبل و يولّي ، و القوة تتبدد و تصبح و هناً و ضعفاً ، و هذا الجسد الذى ملأ الدنيا حياة و حركة سيعصف به الموت يوماً ، ويلقى به في باطن الارض ، جثة هامدة متعفنة ، لا تلبث ان تصير تراباً !

فالانسان وحده من بين المخلوقات هو الذى تستبدّ به هذه المخاوف ، وتطرقه هذه التصورات على خلاف سائر الأحياء التي تقطع مسيرتها في الحياة بدون قلق أوإزعاج من المستقبل الذى ينتظرها . . . انها لاتنظر إليه ولاتتصوره، ولا تعيش فيه قبل أن يصبح واقعاً .

أما الانسان فانه يعيش في المستقبل أكثر مما يعيش في الواقع حتى انه ليرى بعين الغيب في يوم مولده، ما هو مقبل عليه من آلام ومكابدات في مستقبل حياته...

يقول إبن الرومي:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها　　يكون بكاء الطفل ساعة يولد
و إلاّ فما يبكيه منها و انها　　لأرحب مما كان فيه و أرغد

هذا هو الانسان و تلك هي مسيرته في الحياة، فلا يغترنّ جاهل بقوته و لا يركننّ مغرور إلى ما بين يديه من مال و سلطان... فكل زائل و قبض الريح!..

و في الجملة تنبيه على المغرورين الذين يشعرون في أنفسهم بالقوى المتصلة والمنفصلة وفي أيديهم بالبطش وفي أرجلهم بالعدو ولهم بالمال والعدد والعدد، فيظنون انهم بها يستطيعون مصارعة الاقران، فلايقدر عليهم أحد ولايراهم أحد بما كانوا يعملون، فكانه عز وجل يقول لهم: لاتتمادوا ايها المشركون والكفار! أيها المجرمون والفجار! أيها المستبدون والطغاة! و أيها المستكبرون والبغاة!!! لاتتمادوا في غروركم ولاتستمرّوا على كبريائكم، و لا تفرحوا بكثرة عددكم وعددكم ..

فان الانسان لا يخلوا من العناء في تصريف شؤونه مهما عظمت منزلته و قويت شكيمته و كثرت أمواله... وتعدّدت حواشيه ..، فهو لايستطيع الخلاص من مشاق الحياة، مع أن الدنيا دار إمتحان، وعمل وهي لاتخلو من التعب والعناء والنصب بل لابد منها، و إلاّ فليست بدار إمتحان وعمل.

ان تسئل: ان الكبد هو الشدة والمشقة والتعب والكدّ كيف خلق الله عز وجل الانسان في شدة وعناء ومشقة ...؟

تجيب: - مضافاً إلى ماتقدم آنفاً - ان تحمّل الشدائد والمشقات من أسباب

تكامل كل موجود حتى الذهب فانه ما لم تفتن بالنار ، و لم تذهب جرائيم غير ذهبية فما صار ذهباً خالصاً ، فكيف الانسان و هو أكمل الموجودات ، و له كمال جسمانى يشترك فيه غيره من خلق الله تعالى ، و كمال معنوى يختص به فلا بدله من تحمل الشدائد و المشقات ...

في جانبى التكامل الجسمى و الروحي: تحمل المشقة فى حمله و ولادته و رضاعه وتربيته و فطامه ومعاشه و معاده و حياته ومماته ... مضافاً إلى أن الله عزوجل خلق الانسان ليكابد الشدائد من أجل حياة واقعية دائمة فى الدار الآخرة .

٥- (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد)

إستفهام إنكارى توبيخ وإلفات للانسان المغرور بقواه المتصلة و المنفصلة، بسلطانه وحكومته ، بماله وعدده ، بجاهه و إشتهاره ، و بمقامه و رئاسته ... المفتون بنفسه ، المتشامخ بذاته ... حتى ليحسب أن أحداً لن يقدر عليه ، و لن يراه ، ولن يسلبه شيئاً مما معه ... و هو أضعف من أن يثبت لنخسة من نخسات الحياة ...

كما قال الله عزوجل : «و خلق الانسان ضعيفاً» النساء : ٢٨)

وقال : «الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة» الروم : ٥٤)

و ان بعوضة تلسعه لتحرق جسده بالحمى ، و ان جرثومة تتدسس إلى كيانه لتهدّ بنيانه و تقوض أركانه !! ثم ما قوة هذا الانسان ؟ أهو أقوى من خالقه الذى خلقه من نطفة ثم سوّاه رجلا؟ فما أضعف الانسان؟ وما أخف وزنه إذا كان معياره قائماً مع هذا الجسد دون أن يكون لروحه حساب أو لنفسه إعتبار ؟ .

فكأن الاية الكريمة بمنزلة النتيجة لحجة سابقها ، و ذلك ان الانسان لما كانت خلقته مبنيّة على عناء و نصب ، مظروفة لتعب لاينال قطّ شيئاً مما يريد إلاّ دون ما يريد أو غير ما يريد، فهو محاط فى خلقه ، مغلوب فى إرادته، مقهور فيما قدّر له من الأمر ، و الذى يغلبه فى إرادته ، و يقهره على التلبس بما قدّر له و ان الله جل وعلا هو يقدر عليه من كل جهة ، فله أن يتصرّف فيه بما شاء و يأخذه إذا أراد ، فليس للانسان أن يحسب أن لن يقدر عليه أحد، فيدعوه ذلك إلى أن يعلوعلى الله تعالى، ويستكبر عن عبادته أويطيعه فى بعض ما امر به كالا نفاق فى سبيله ، فيستكثره ويمتنّ به على الله عزوجل أو يمكر به سبحانه بعد ما عمله رياء و سمعة عملا لوجهه الكريم فيقول : « أهلكت مالاً لبداً »

ولا يخفى على الأريب من أهل المعانى والبيان : ما بين الظن و الحسبان من الفرق ، و ذلك ان الظن ضرب من الاعتقاد ، ولكن الحسبان ربما لايكون فيه إعتقاد ، فتقول : أحسب أن زيداً قدمات ، ولا تقول : ظنّ انه مات مع أنك تعلم أنه حيّ .

ففى التعبير فى المقام بالحسبان دون الظن لان الانسان المغرور بالجاه و المقام و متاع الدنيا لايعتقد أن لن يقدر عليه أحد.

٦- (يقول أهلكت مالا لبداً)

حكاية عما قال بعض هؤ لاء المغترين بمتاع الحياة الدنيا إذ أسلم أو مال إليه ، مباهياً مفاخراً بما أنفق من ماله ممتناً به على الله عزوجل مستكثراً له لا أثر له كما يدل عليه قوله : «أهلكت» على أن هذا المال ذهب فى طريق الضياع والفساد ردّاً عليه بأن الفوز بميمنة الحياة لايتمّ إلاّ باقتحام عقبةالانفاق فى سبيل الله جل وعلا و الدخول فى زمرة المؤمنين الصلحاء .

و قيل : تقرير لمقالة صنف آخر من الاغنياء الفجار ، و البخلاء المرائين ...

في تلخيص البيان : للسيد الرضي رضوان الله تعالى عليه قال : «وهذه إستعارة و قد مضى نظير لها، والمراد باللبد هيهنا المال الكثير الذي قدتراكب بعضه على بعض كما تلبدت طرائق الشعر و سبائج القطن ، و قد يجوز أن يكون ذلك مأخوذاً من قولهم : رجل لبد إذا كان لازماً لبيته لايبرحه ، وبه سمي نسر لقمان لبداً لما طلته العمر و طول بقائه على الدهر ، وكأنه قال : « أهلكت مالاً » كان باقياً لي و ثابتاً عندي» إنتهى كلامه و رفع مقامه الشريف .

٧- (أيحسب أن لم يره أحد)

إنكار لما هو لازم قول الانسان المغرور ، و توبيخ على هذا الانسان المفتون السفيه و ردّ عليه : «أهلكت مالاً لبداً» على طريق التكنية .

ومحصل المعنى : ان لازم إخبار الانسان باهلاكه مالاً لبداً أنه يحسب أنا في غفلة وجهل ، ولم نكن عالماً بقصده حين ما ينفق رياء و إفتخاراً ، و حباً للا نتساب إلى المكارم و المعالي أو معاداة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يحسب ان عين الله لاتراه ولا تكشف عن هذه الوجوه المنكرة التي يهلك فيها هذا المال اللبد؟ و كلا فانه محاسب على هذا المال الذي أهلكه في وجوه الضلال والبغي والعدوان وقد أخطأ في ذلك كله فالله عزوجل بصير بما أنفق لكنّ هذا المقدار لايكفي في الفوز بميمنة الحياة بل لابد له من أن يتحمّل ماهو أزيد من ذلك من مشاق العبودية، فيقتحم العقبة ويكون مع المؤمنين في جميع ماهم فيه .

ولا يخفى مابين واحد و أحد من الفرق ، و ذلك ان معنى الواحد انه لاثاني له فلذلك لايقال في التثنية : و احدان كما يقال : رجل و رجلان ، و لكن يقال : إثنان حين أرادوا ان كل واحد منهما ثان للآخر ، وان الأحد يفيد

انه فارق غيره ممن شاركه فى فنّ من الفنون ، و معنى من المعانى كقولك : فارق فلان أوحد دهره فى الجود و العلم انه فوق أهله فى ذلك .

و أصل أحد : أوحد مثل أكبر، و إحدى مثل كبرى فلما وقعا إسمين و كانا كثيرى الاستعمال هربوا إحدى الكبرى ليخف و حذفوا الواو ليفرق بين الاسم و الصلة ، و ذلك ان أوحد إسم و أكبر صفة ، و الواحد فاعل و الواحد هو الذى لاينقسم فى وهم ولا وجود ، و أصله : الانفراد فى الذات .

٨- (ألم نجعل له عينين)

إستفهام تقريرى لما أودع الله تعالى فى الانسان من الاستعداد و القوى الظاهرة و الباطنة التى يستدل بها على توحيد خالقه ، و قدرته المطلقة ، و علمه الشامل ، و حكمته البالغة و تدبيره التام . . . و لما فيه من قابلية للاختيار بين الحق و الباطل ، بين الايمان و الكفر ، بين الخير و الشر ، بين الصلاح والفساد، بين الفلاح والخسران ، بين السعادة والشقاء، وبين الكمال و الانحطاط ...

وفى ايثار الفعل : «نجعل» بصيغة التكلم مع الغير مع أن الفاعل واحد ، تعظيم للفاعل باعتبار، وبيان لعظمة فعله باعتبار آخر.

٩-(و لساناً و شفتين)

تقرير لتجهيز الانسان بالقوى الظاهرة الاخرى لتمييز الحق من الباطل يستطيع بها الانسان عن بيان الخير والشر، بعد ذكر ما يستطيع به عن رؤية الدلائل على توحيد الله تعالى و كمال قدرته وسعة علمه ...

١٠- (و هديناه النجدين)

تقرير لتجهيزه بالقوى الباطنة لتميز الحق من الباطل . و النجد هو المكان العالى ، و إنماسمى الله جل وعلا هذين الطريقين بالنجدين لأنه تعالى بيّنهما لعباده بياناً و اضحاً ليتبعوا سبيل الخير ، و يجتنبوا طريق الشر ، فكأنه

عزوجل بفرط البيان لهما قد رفعهما للعيون و نصبهما للناظرين .

وقيل : إنما سمى الله تعالى قوة التميز بين الحق و الباطل ، والاختيار فيهما نجدين للاشارة إلى أنهما و اضحان كطريقين عاليين يراهما ذو والأبصار و إلى أن فى كل منهما وعورة يشق معها السلوك ، ولا يصبر عليها إلاّ من جاهد نفسه و راضها، وفى ذلك ايماء إلىأن طريق الشر ليس بأهون من طريق الخير، بل الغالب أن طريق الشر أصعب و أشق و أحوج إلى بذل الجهد حتى تقطع إلى النهاية و توصّل إلى الغاية.

وقيل : و فى الآيات الثلاث حجة على قوله : «أيحسب أن لم يره أحد»أى على أنه تعالى يرى أعمال عباده و يعلم ما فى ضمائرهم من وجوه الأعمال ، و يميّز الخير من الشر و الحسنة من السيئة .

محصّلها أن الله سبحانه هوالذى يعرّف المرئيات للانسان بوسيلة عينيه، و كيف يتصوّر أن يعرّفه أمراً وهو لايعرفه ؟ وهو الذى يدلّ الانسان على ما فى الضمير بواسطة الكلام ، و هل يعقل أن يكشف له عما هو فى حجاب عنه ؟ و هو الذى يعلّم الانسان و يميّز له الخير و الشر بالالهام ، وهل يمكن معه أن يكون هو نفسه لا يعلم به ، ولا يميّزه ؟ فهو تعالى يرى ما عمله الانسان ، ويعلم ما ينويه بعمله و يميّز كونه خيراً أو شراً و حسنة أو سيئة .

١١ـ (فلا اقتحم العقبة)

العقبة هى : الطريق الوعرة فى الجبل يصعب سلوكها و تحفّ بسالكها المخاوف و المهالك ... و هذه كناية عن جهاد النفس ، و ذلك ان الانسان إذا أراد أن يرقى من عالم الحسّ و الأشباح إلى عالم نور و الارواح ... فبينه وبين ذلك عقبات عديدة : عقبة و رائها عقبة ... لا يمكن السلوك عنها إلاّ بمجاهدة النفس و فعل الخيرات ...

و الاقتحام هو : الاقدام من المرء على الأمر في قوة و عزم ، دون مبالاة بما يعترضه من صعاب ... و المخاطب باقتحام العقبة هنا ، هو هذا الانسان الذى هداه الله النجدين و عرّفه - بما أودع فيه من عقل و ما غرس فيه من فطرة - التهدّى إلى طريق الخير أو الشر، ثم لم يقتحم العقبة إلى موارد الخير ومواقع الاحسان و آثر أن يأخذ طريق الشر ، و يقتحم عقبته تحت غواشي ضلاله، وغمرة شهواته ، وسطوة نزواته ...

و المراد بالعقبة هو مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس و الهوى و الشيطان في أعمال الخير و البر ، فجعل ذلك كتكليف صعود العقبة الشاقة الكؤود . فكأنه قال : لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة و الاطعام ...

و حسن تمثيل تلك الأفعال هيهنا بالعقبة لما شبه سبيل الخير و الشر بالنجدين اللذين هما الطريقان الواضحان و العقاب ، إنما تكون في طرق السالكين و سبل المسافرين ، و عليها يكون بهر الانفاس و شدة الضغاط و المراس لصعوبة سلوكها .

ان تسئل : ان «لا» لنفى الاستقبال فماوجه العدول ؟

تجيب : ان النفى بها أبلغ لما توهمه من نفى الاستقبال فى أصل الوضع أو يجعلها على بابها ، فالمعنى : من كانت صفته هذه لايقتحم العقبة أبداً فيكون الذم باعتبار صفته لاباعتبار عدم فعله بما يمكن أن يقتحم .

١٢- (و ما أدراك ما العقبة)

ان الآية الكريمة بصدد لفت النظر إلى تعظيم شأن العقبة و تفخيم أمرها، فلها عند الله عزوجل مكانة رفيعة على طريق السؤال الذى يشير العقل ، و يحرّك الفكر نحو هذا المجهول الذى يسئل عنه بحيث خرج عن دائرة علم المخاطب بأن عظم شأنه و ما اشتمل عليه من الأوصاف ممالم تبلغه دراية أحد

من المخاطبين ، ولا أدر كه وهمه .

و كيفما قدر حال هـذه العقبة المجهولة فهى وراء ذلـك ، و أعظم بحيث لا يبلغها وصف واصف ولا نعت مخبر ، ومنه يعلم ان الاستفهام فى «و ما أدراك» كناية عن لازمه من أنها لاتعلم ، ولا يصل إليها درايـة دار ولا تبلغها العقول و الافكار ...

وفى وضع الظاهر : «العقبة» موضع الضمير تأكيد بعد تـأكيد لشأنها و مبالغة لما سيق له الكلام .

١٣ـ (فك رقبة)

تفسير و تقرير للعقبة ، إشارة إلى ماهو سبب موصل إلى مجاوزة العقبة ، و الوصول إلى عالم النور و الكمال الانسانى ، و من هـذا السبب هـو تحريـر الرقيق و عتقه و إطلاقه من اسر العبودية و الرق ، و تحريـره من البهيمية التى اغتالت معالم الانسانية فيه .

و ان الانسان ـ مطلق الانسان ـ لهحرمة عند اللهعزوجل، وان الاستخفاف بهذه الحرمة عدوان على حمى الله عزوجل ، و لهذا كان من أعظم القربات عند الله تعالى هورد إعتبار هذا الانسان . و تصحيح وجوده بين الناس ... انه خليفة الله تعالى فى الارض !

١٤ـ (أو اطعام في يوم ذى مسغبة)

إشارة إلى سبب آخر يستطيع به الانسان أن يجتاز العقبة إلـى مواقـع الخير و الكمال و يأخذ طريقه إلى الله عزوجل .

١٥ـ (يتيماً ذا مقربة)

تقرير لأهم موارد بذل الطعام فـى المجاعات و الجدب و القحط للجياع و المحرومين ، و أولى هؤلاء الجياع بالا طعام: الأيتام الفقراء لضعفهم وعجزهم عن الكسب و أحق الأيتام بهذا الاحسان ذو و القربى إذ كان للقرابة حق يجب

أن يرعى ، فمن قصّر فى حق ذوى قرابة فهو مع غيرهم أكثر ضناً و أشد تقصيراً ففى الآية الكريمة جمع بين حقين : حق اليتيم ، و حق القرابـة ، ففيها حثّ على تقديم ذوى القرابة المحتاجين على الأجانب فى الاطعام فى أيـام الجوع و العوز ، و الانعام فى أيام الحاجة .

١٦- (أو مسكيناً ذامتربة)

تقرير لمورد آخر من موارد بذل الطعام ، و سميت تلك الامور عقبة لان الذى يتخطاها ، إنما يغالب نوازع نفسه من الأثرة وحبّ المال ، و انه ليس من السهل على الانسان أن ينزع من نفسه الأنانية و الأثـرة و حب المال ، و ذلـك ليحتاج إلى معاناة وجهاد و مغالبة حتى يقهر المرء هذه القوى التى تحول بينه وبين البذل و السخاء .

١٧- (ثم كان من الذين آمنوا و تواصوا بالصبر و تواصوا بالمرحمة)

عطف على قوله عـز وجل : «فلا اقتحم العقبة» المنفى بـ«لا» بكلمة «ثـم» للترتيب الذكرى لبيان رفعة محل الايمان، ولا شتراط جميع صالح الاعمال به، فمن فعلها دون أن يكون مؤمناً لم ينتفع بها، ولم يكن له ثواب عليها إذ لاينفع مع الكفر برّ .

وفى ايثار فعل الوصية بالصبر و المرحمة وتكراره من باب التفاعل مـن دلالة الحث على توصية بعضهم بعضاً بهما وقولها مالا يخفى.

وقد جاء هنا كلمة «المرحمة» بدلاً من كلمة «الحق» فى سورة «والعصر» و فى هذا ما فيه من إكمال و شمول وجلال و روعة ، فكما أن التواصى بالحق و الصبر قوام حسن علاقات الناس ببعضهم ، و سبب لـزوال الأحقاد و الشحناء و منع البغى والعدوان فيما بينهم، ووسيلة لعدم تضعضعهم أمام الخطوب والنازلات، فان التواصى بالمرحمة أيضاً ضرورة إجتماعية خطيرة بسبب تألف المجتمع عادة من أقوياء وضعفاء وأغنياء وفقراء حيث يوجب الأمر القرآنى بالتواصى بالمرحمة

على المسلمين أن يوصى بعضهم بعضاً بالمرحمة فيما بينهم ، و أن يتضامنوا فيها فيرحم الاقـوياء و الاغنياء الضعفاء و الفقراء بقوة ضغط الـرأى الاجتماعى العام نتيجة للتواصى بـذلـك إذا لم يستشعروا بـه عـن أنفسهم ، ولا يكون الفقير و البائس و الضعيف و المسكين مـأكلة لـذوى القلوب القاسية و الـأنـانية الشديـدة ، و العواطف الغليظة أو مضيعين أو محرومين أو مضطهدين فى وسط المجتمع.

وقيل : إن فى الاية الكريمة نكتة لطيفة ، و هى أنه تعالى ذكر فـى باب الكمال أمرين : فك الرقبة ، و الاطعام ثم الايمان ، و ذكر فـى بـاب التكميل شيئين : التواصى بالصبرعلى الوظائف الدينية ، و التواصى بالتراحم ، و كل من النوعين مشتمل على التعظيم لأمر الله عزوجل، و الشفقة على خلق الله جل وعلا إلاّ أنه فى الاول قدّم جانب الخلق ، وفى الثانى قدّم جانب الحق .

ففى الاول إشارة إلـى كمال رحمته ، و نهايـة عنايته بالمخلوقات ، فان رعاية مصالحهم عنده أهم ، وفى الآخر رمز إلى حسن الأدب و تعليم للمكلفين أن يعرفوا ماهو الأقدم الأهم فى نفس الأمر زاد نا الله عزوجل إطلاعاً على دقائق هذا الكتاب الكريم .

١٨- (اولئك أصحاب الميمنة)

بيان لمآل أمر فاعلى هذه المبرّات، إشارة إلى الموصول : «الذين» باعتبار إتصافه بما فى حيّز صلته، و معنى البعد فيها مع قرب العهد بالمشار إليه ايذان ببعد درجتهم فى الشرف و الفضل ، أى اولئك الموصوفون بهذه الصفات الفاضلة و بتلك النعوت الجليلة المذكورة هم أصحاب اليمين .

١٩- (و الذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة)

إلفات إلى أهل الكفر بالآيات التكوينية و التدوينية ، و ما يـوجب من شؤم وبلاء وهمّ فى الحياة الدنيا ، و ما يؤتون يوم القيامة من صحائفهم بشمالهم،

و تحقير لشأنهم يومئذ ، على طـريق عطف النقيض علـى النقيض ، و فـى الاية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى على القارىء الخبير .

٢٠- (عليهم نار مؤصدة)

وعيد وبيان لما يأتى أصحاب المشئمة من النار: نار جهنم التى تغلق عليهم أبوا بها فلا مهرب ، ولا إفلات لهم منها ولا خلاص من عذابها .



﴿الاعجاز﴾

وقد مرّ منا مرارا ان اعجاز القرآن الكريم لايقصر فى مجموعه ولا فى اسلوبه ونظمه ولا فى قصصه و ألفاظه بل انما لكل آية من آياته وجوه من الاعجاز اوردناها فى قطعات بحث الاعجاز فى هذا التفسير على مايسعه المقام.

ومن وجوه الاعجاز تقنين القوانين العادلة التى تصلح لجميع الاعصار و الاقطار خلاف الآداب و الرسوم الجائرة القاسية بين الملل...

ومن القوانين عتق الرقيق و قد نزل هذا النص: «فك رقبة» و حثّ على فكّ الرقاب فى سورة مبكرة فى النزول بالأسلوب القوى الذى جاء فى الايات التى نحن بصددها يدل على ان الدعوة الاسلامية قد استهدفت منذ بدئها معالجة أمر الرقيق الذى كان موجودا واقعا على خير الوجوه و هو العتق و التحرير مما هو متسق مع اهداف هذه الدعوة من الخير و الحق والعدل و الفضائل الاخلاقية والاجتماعية و التسوية بين الناس و القضاء على الاستعلاء الطبقى والعنصرى التى تضمنتها الايات الكريمة منذ بدء التنزيل وفى مختلف ادواره.

كانت طبقة الرقيق موجودة فى كل مكان فى عصر النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و ما قبله وليس وجودها خاصّا بالمجتمع العربى.

وقد نزل هذا النص «فك رقبة» و الاسلام فى مكة محاصر وليست له دولة تقوم على شريعة و قد عالج امر الرقيق من حيث الموقف الواقعى فحثّ على تحريره وحسن معاملته بمختلف الأساليب و المناسبات وكان الرقيق يعاملون

معاملة قاسية على الاطلاق .

ولما ان اسلم بعض كعما ربن ياسروأسرته و بلال بن رباح و صهيب و غيرهم اشتدّ عليهم البلاء من سادتهم العتاة الطغاة و اسلموهم إلى تعذيب لايطاق وجعل الاسلام لهم طريق الخلاص بالشراء من سادتهم القساة وتحريرهم لوجه الله تعالى كما ان بلالاً لبعض بنى جمح مولدا من مولديهم و كان صادق الاسلام طاهر القلب وكان مولى أمية بن خلف ابن وهب وهو كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد ﷺ و تعبد اللات و العزى فيقول وهو فى ذلك البلاء : احد احد ...

حتى مرّ به بعض الصحابة ـ ابو بكر ـ يوما وهم يصنعون ذلك به كانت داره فى بنى جمح فقال لأمية بن خلف : الا تتقى الله فى هذا المسكين حتى متى قال انت الذى افسدته فانقذه مما ترى فقال البعض : افعل عندى غلام اسود اجلد منه و اقوى على دينك فاعطيكه به .

قال : قد قبلت قال : هو لك فاعطاه البعض غلامه ذلك و اخذ بلالا واعتقه.

قال بعض المحققين فى قوله تعالى : «وانت حلّ بهذا البلد» اخبار بما يأتى من فتح مكة و حلول النبى ﷺ بها بعد ان اخرجه مشركو قريش منها فقد يسر الله تعالى له فتح مكة كما وعد فيكون معجزا .

﴿التكرار﴾

و اعلم أن السورتين يشتمل كل واحد منهما على عشرين آية : إحداهما- سورة المزمل .

ثانيهما - سورة البلد . و ان السورتين إفتتح كل واحد منهما بالقسم المنفى : «لااقسم» : إحداهما - سورة البلد . ثانيهما - سورة القيامة .

قال الله تعالى : «لا اقسم بهذا البلد» ثم قال : «و أنت حلّ بهذا البلد» كرره وجعله فاصلا فى الآيتين ، و قد سبق القول فى مثل هذا . و مما ذكر فى هذه السورة على الخصوص ان التقدير : لا اقسم بهذا البلد و هو حرام و أنت حلّ بهذا البلد و هو حلال لانه احلت له مكة حتى قتل فيها من شاء و قاتل ، فلما اختلف معناه صار كأنه غير الأول ، و دخل فى القسم الذى يختلف معناه و يتفق لفظه ، هذا مضافاً إلى ما سبق منا فى البحث البيانى .

ونشير فى المقام إلى صيغ تسع لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة - الصيغ التى جاءت فى هذه السورة ، و فى غيرها من السور القرآنية :

١- جاءت كلمة (البلد) على صيغها فى القرآن الكريم نحو: ١٩ مرة:

٢- » » (كبد) » » » » : مرة واحدة :

وهى فى سورة البلد : ٤)

٣- » » (اللبد) » » » » : مرتين :

إحداهما ـ في سورة البلد : ٦) ثانيهما ـ في سورة الجن: ١٩)

٤ـ » » (عين) » » » : ٦٥ مرة :

٥ـ » » (اللسان) » » » : ٢٥ مرة :

٦ـ » » (الشفه) » » » : مرة واحدة :

وهي في سورة البلد : ٩)

٧ـ » » (النجد) » » » : مرة واحدة :

وهي في سورة البلد : ١٠)

٨ـ » » (القحم) » » » : مرتين :

إحداهما ـ في سورة البلد : ١١) ثانيهما ـ في سورة ص : ٥٩)

٩ـ » » (السغب) » » » : مرة واحدة :

وهي في سورة البلد : ١٤)

﴿التناسب﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا .

ثانيها - التناسب بينها و ما قبلها مصحفاً .

ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فبامور : أحدها ان الله عزوجل لما أقسم في سورة « ق » بالقرآن المجيد ، اقسم في هذه السورة بما أنزل فيه الوحي السماوي ، وبمن نزل عليه تلويحاً . ثانيها - انه تعالى أشار في سورة « ق » إلى آثار قدرته المطلقة يشاهدها الانسان من السماء والارض . . . و بخّ في هذه السورة من غفل عنها أو أنكربها . ثالثها - انه سبحانه بيّن في سورة « ق » علمه الشامل لكل شيء ، وانه جل وعلا هو أقرب إلى الانسان من حبل الوريد ، وبخّ في هذه السورة من غفل عنه . رابعها - انه عزوجل خاطب في سورة « ق » لعقل الانسان قلبه وبصره وحسّه في كل وقت و مكان ، أشار في هذه السورة إلى قابليته للخير والشر والاختيار فيهما ، وإلى معالمهما ليتبع الخير و يجتنب من الشر... وغيرها من التناسب ...

و أما الثانية : فبوجوه أيضاً: أحدها - انه لما اشير في سورة «الفجر» إلى مواقف البغاة الاولين ، و الطغاة المستكبرين من قوم عاد و ثمود و فرعون و إشاعة الفساد في البلاد . . . وإلى ما أخذهم الله عزوجل بسوط العذاب في الحياة

الدنيا ، ونار جهنم فى الآخرة على طريق الاقسام بالفجر ... اشير فى هذه السورة إلى مواقف طغاة مشركى مكة و إعتدادهم بقوتهم و أموالهم وسلوكهم مسلك الاولين على طريق الاقسام بالبلد الحرام تلويحاً ، فسيوخذون بسوط العذاب ما لم يراعوا حرمة هذا البلد وحرمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حيث ان حلول النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مانع من حلول العذاب فى هذا البلد الحرام.

قال الله عز وجل : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » الانفال : ٣٣)

ثانيها - انه لما ذكر فى السورة السابقة إبتلاء الانسان بحالتى السعة والضيق ، وأشار إلى بعض صفاته الذميمة ، وما آل إليه حاله و حال المؤمن أشار فى هذه السورة إلى ما يحسن به الامتحان من إقتحام العقبة ...

فالانسان الذى إبتلاه الله عز وجل فأكرمه و نعمه ، فلم يحمد الله تعالى بفضله ، ولم يشكر له فى إحسانه ، والانسان الذى قدر الله جل و علا عليه رزقه ، فساء ظنه بالله سبحانه وغير موقفه منه - هذا الانسان - فى حاليه اللذين عرضتهما سورة « الفجر » يرى فى أوضح صورة فى إنسان هذا البلد الحرام الذى رفع الله جل وعلا قدره ، وجعله حرماً آمناً ، يجبى إليه ثمرات كل شىء ، وجعله موضعاً لاول بيت وضع للناس يعبد فيه على بسيط الارض - فكان جدير بالانسان الذى يعيش فى هذا البلد الامين أن يكون أعرف الناس بربه ، وأرضاهم لحكمه ، و أشدهم فى حفظ حرمة هذا البلد ، وإتباع نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

و لكنه لم يرع حرمة هذا البلد و لا حرمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم و لم يرض عن حكمه ، فهل هو بعد هذه النذر مصون فى هذا البلد من عذاب الله تعالى ، و سخطه ! ! !

ثالثها - ان الله تعالى لما ذم فى السورة السابقة من ترك إكرام اليتيم وحض بعضهم بعضاً على طعام المسكين ، و من أكل التراث دون تفريق بين الحلال و الحرام ، كل ذلك لحب المال و متاع الدنيا . . . ذكر فى هذه السورة الخصال

التي تطلب من صاحب المال : من فك رقبة ، و إطعام الأجوياع فـي يوم القحط والعوز ...

رابعها ـ انـه لما ختمت السورة السابقة بذكـر النفس المطمئنة الراضية المرضية بيّن في هذه السورة وجه الاطمئنان ، وانه النظر في طريق معرفة الله جل علا ، وعلامة رضاها من إقتحام العقبة ..، و كونها مرضية من الايمان والثبات عليه ، وذي رحمة وعاطفة إنسانية ومشاعر مفتوحة ..

و غيرها مـن التناسب بينهما فعلى القارئ الخبير التأمل ، فتدبـر جيداً واغتنم جداً .

وأما الثالثة ـ فلما افتتحت السورة بـالأقسام الربانية المؤكـدة ، و جائت بجوابها أخذت بتوبيخ الانسان الغافل عن قدرة الله المطلقة وعلمه الشامل، مغتراً بقوته الزائلة وسعة جاهه و كثرة عدده وعدده فتماد في كبريائه بقوله عزوجل : « أيحسب أن لن يقدر عليه أحد » : ٥) .

أيظن ذلك المغتر بقوته المفتون بما أنعمنا به عليه ـ انه مهما عظمت قامته وبطشت يداه و كثرت أمواله ، ونشرت شهرته و قوى سلطانه يبلغ منزلة لا يقدر عليه أحد ، فيا عجبا ما أجهله إذا حسب ذلك وزعم !

أولم يعلم أن في هذا العالم الشاسع قوة فوق جميع القوى تعجز لديها القوى هي المهيمنة على كل قوة و المسيطرة على كل قدرة ، و هـي القوة التي أبدعته والقدرة التي أنشأته ...

ولمّا بيّن الله عزوجل عقيدة الانسان الفاسدة ذكـر قوله الفاسد بقوله : « يقول أهلكت مالا لبداً » : ٦)

و قد جمع الله عزوجل بين البلد الحرام وهو مكة المكرمة والوالد والولد تنبيهاً إلى أن مكة على ما بها من عمل أهلها ستلد مولوداً عظيماً يكون إكليلا لمجد النوع الانساني وشرفه ، وهـو دين الاسلام الـذي جاء به محمد رسول الله

الخاتم ﷺ ، وان العناء الذى يلاقيه إنما هو العناء الذى يصيب الوالد فى تربية ولده ، والمولود فى بلوغ الغاية فى سبيل نموّه ، إلى مافيه من الوعد باتمام نوده ولو كره الكافرون .

لما ذكر قول الانسان الفاسد ، أخذ بالاشارة إلى إحاطة علمه تعالى بما ينوى ويقول هذا المفتر بقوله عزوجل : « أيحسب أن لم يره أحد » : ٧)

ثم أخذ بذكر ان قوى الانسان الظاهرة و الخفية كلها من الله تعالى ، فلا ينبغى لأحد أن يغترّ بها ، فقال : « ألم نجعل له عينين و لساناً و شفتين » : ٨ - ٩)

والمعنى: كيف يحسب هذا الانسان ان الله عزوجل لايراه وهو الذى خلقه، وجعل له عينين و كذا و كذا ...

و قيل : انه متصل بقوله : « لقد خلقنا الانسان فى كبد » أى إختبرناه حيث كلفناه ثم ازحنا علته بأن جعلنا له عينين . وقيل : انه إتصل بقوله : « أيحسب أن لن يقدرعليه أحد » والمعنى : كيف يظن ذلك ، و قد خلقناه وخلقنا أعضاء التى يبصر الدلائل بها ويتكلم بها .

ان الله تعالى لما أشار إلى قابلية الانسان لاختيار الخير والشر ، أخذ بذكر طريق الخير و البر و السعادة بقوله : « فك رقبة . . . » مع بيان ان ذلك صعب شديد يحتاج إلى مجاهدة النفس وإعطاء عنانها بيد العقل ، والتمرد عن الهوى ، هذا ليس بسهل .

فالآيات الكريمة متصلة بما قبلها إتصال تعقيب و إستطراد ، حيث تضمنت تحريضياً ايجابياً على ما هو الاولى عمله بدلا من التباهى بالمال والاعتداد بالنفس، وهو أن يقتحم الصعب ، ويتغلب على ما فى نفسه من طباع ، فينفق ماله فى تحرير الارقاء وإطعام فقراء اليتامى والأقارب والمعوزين فى أيام المجاعات ...

ثم أشار إلى أن تلك الامور لا تفيد بحال الانسان إلاّ إذا اقترنت من امور

ثلاثة متحققة قبلها : أحدها - الايمان . ثانيها - الصبر في سبيل الايمان . ثالثها - توصية الناس بالصبر و المرحمة ثم ذكر مآل أمرهم بقوله : « ثم كان من الذين آمنوا ... » ١٧ - ١٨)

فمن يقدم على تلك المكرمات ، و يكون في الوقت نفسه مؤمناً بالله تعالى ورسوله ﷺ و كتابه متضامناً مع المؤمنين في الصبر على المكاره والخطوب ، وفي المرحمة بالمحتاجين إليها كان من الفائزين أصحاب اليمين في الآخرة .

ثم ذكر طائفة تقابل هؤلاء المؤمنين - الذين دخلوا في الطريق السعيد و سلكوه تماماً ففازوا - و هذه الطائفة الضالة المضلة الكفرة الفجرة : هم الذين يصدّون الناس عن سبيل الله جل وعلا ويتواصون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول الأعظم ﷺ بقوله : « والذين كفروا بآياتنا... » : ١٩) ثم أشار إلى وخامة عاقبة أمرهم بقوله : « عليهم نار مؤصدة » : ٢٠) .



﴿ الناسخ والمنسوخ و المحكم و المتشابه ﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً اومنسوخاً أو متشابهاً : فآياتها محكمات ، والله تعالى هو أعلم .

﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١- (لا اقسم بهذا البلد)

في حرف «لا» أقوال : ١- عن الأخفش : انها زائدة كقوله تعالى: «لا اقسم بيوم القيامة» و المعنى : اقسم لانه تعالى قال : «بهذا البلد» وقد اقسم به في قوله: «وهذا البلد الأمين» فكيف يجحد القسم به ، و قد أقسم به .

وقال الشاعر :

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة   وكاد صميم القلب لايتقطّع

أي يتقطع .

و دخل حرف «لا» صلة، ومنه قوله تعالى : «ما منعك ألاتسجد إذ أمرتك» الاعراف : ١٢) لقوله عزوجل : «ما منعك أن تسجد» ص : ٧٥)

٢- عن الأخفش أيضاً : انها بعنى « ألا » إستفهامية تنبيهية . ٣- و قد قرأ بعض القرّاء : «لا قسم» من غير ألف بعد اللام إثباتاً ، فاللام للتأكيد . ٤- قيل : ليست بنفي القسم ، و إنما هو كقول العرب : لا والله ما فعلت كذا ، ولا والله ماكان كذا ، ولا والله لأفعلنّ كذا . ٥- قيل : هي نفي صحيح ، و المعنى : لا اقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه بعد خروجك فيه .

قيل : لم يقسم الله تعالى به هنا رغم مكانته الروحية ، و علّه فقد حرمته بما إستحل أهله حرمة نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، و إنما حرمته لانه البلد الحرام الآمن ، مطاف الموحدين، و محرم الرسالة القدسية المحمدية. فاذا أصبح مطاف

المشركين ، و مزار الأوثان ، و الرسول حلال فيه : ماله و دمه ، أرضه وعرضه، إذاً لا أقسم به ولا أحترمه ، حين أقسم به لانه بلد أمين .

فالله تبارك و تعالى اقسم من جهة ، ولا يقسم من جهة اخرى ، دون تنافر بينهما ولا تناحر ، أو لايقسم به تعظيماً له فوق العادة ، لالأنه البيت الحرام، إنما لأنك حالٌ بهذا البلد ، فقد كان المشركون يحترمون البيت لحدّ اللاقسم إحتراماً أو القسم كذلك ، ولما هتكوا حرمتك و أنت الأصل فى حرمته فأنا لا اقسم إحتراماً لهذا البلد لأنك حالٌ بهذا البلد ، ولا اقسم هتكاً له لانك حلال فيه مهتوك ، فأنت الحرمة كل الحرمة لهذا البيت ، و كثير هؤلاء الجهال الذين يحترمون الزمان ، ولا يحترمون صاحب الزمان ، و يكرمون المكان ، ولا يكرمون من به كرامة المكان !

فلمكة المحرمة حرمة ، فوق البلاد كلها ، لكنها ليست إلاّ لأن يعبد فيها ربها و يكرم رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و تحل مقامة فيها رسالته، وأما إذا كانت مهتوكاً فيها حرمة الله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه و آله و سلم فهل ياترى تبقى حرمته لأحجار وضعت فيها فوق بعض وأوثان علّقت عليها ومكاء وتصدية وتصفيق وما إليها من فضائح!!!

٦ـ عن مجاهد : «لا» ردّ عليهم ، و قد قال بعض المفسرين : « و أما من قال: إنها ردّ فهو قول ليس له ردّ لأنه يصحّ به المعنى و يتمكن اللفظ والمراد» فهو ردّ لكلام من أنكر البعث ، ثم إبتدأ القسم . و عن القشيرى : ان قوله : «لا» ردّ لما توهّم الانسان المذكور فى هذه السورة المغرور بالدنيا، و المعنى: ليس الأمر كمايحسبه من أنه لن يقدر عليه أحد ثم ابتدأ القسم .

أقول: و على الرابع أكثر المفسرين ، و فى معناه بعض الاقوال الاخر .

وفى «البلد» أقوال : ١ـ عن إبن عباس و مجاهد ، و إبن زيد و قتادة و عطاء : هو مكة المكرمة . والمعنى: اقسم بالبلد الحرام الذى أنت فيه لكرامتك علىّ و حبّى لك. ٢ ـ عن الواسطى : هو المدينة المنورة . و المعنى : احلف لك

بهذا البلد الذى شرّفته بمكانك فيه حياً و ببركتك ميتاً . ٣- قيل : هذا هو البلد الذى يعيش فيه النبى الكريم ﷺ حيث قيّد القسم به بحلوله ﷺ فيه ، فهو مكة إذا كان النبى ﷺ حالاً فيها ، و مدينة مادام ﷺ حالاً فيها.

أقول: والاول هو المروى ، و عليه جمهور المفسرين .

٢- (و أنت حل بهذا البلد)

فى الآية الكريمة أقوال : ١- قيل : «حل» من الحلول بمعنى النزول ، و المعنى : و حالكونك نازلاً بهذا البلد بعد خروجك منه بالهجرة . ففيه وعد للنبى الكريم ﷺ قبل الهجرة إلى المدينة بنزوله ﷺ بمكة فى المستقبل كقوله عزوجل : «انك ميت و انهم ميتون» الزمر : ٣٠) و مثله واسع شاسع فى كلام العرب ، تقول لمن تعده الاكرام و الحباء : أنت مكرم محبوٌ ، وهو فى كلام الله عزوجل واسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة ، و كفاك دليلا قاطعاً على أنه للاستقبال ، و كثيرا ماتبرز الأفعال المستقبلة فى القرآن الكريم فى صيغ الماضى لتحقق الوقوع ، سواء كان نزوله ﷺ حال الفتح أو بعده ، و على أىّ التقديرين فيه إخبار بالغيب، فيكون معجزاً.

٢- قيل : «حل» مصدر كحول بمعنى حالّ وهو بمعنى المقيم و المستقر فى مكان و ان الآية الكريمة بصدد التنويه بشرف مكة بحلول النبى الكريم ﷺ أو بعثته فيها أو كونها مولده و مقامه ، فجعل الله عزوجل من أسباب شرف مكة و عظمتها كونه ﷺ مقيماً فيها، و لاشك ان الأمكنة تشرف بشرف ساكنيها ، و النازلين بها ، ويقال : شرف المكان بالمكين .

و المعنى : و أنت مقيم فيه و هو محلك . و هذا تنبيه على شرف البلد بشرف من حلّ به من الرسول الداعى إلى توحيد الله عزوجل و إخلاص عبادته، و بيان ان تعظيمه له و قسمه لأجله ﷺ و كونه حالاً فيه كما سميت المدينة طيبة لانها طابت به حياً و ميتاً.

٣ـ عن إبن عباس ومجاهد وقتادة و إبن زيد و عطاء و السدى والضحاك : «حلٌ» بمعنى محلٌ : ضد محرم .

قال إبن عباس : أحلّ الله عزوجل لنبيه ﷺ يوم دخل مكة أن يقتل من شاء و يستحيى من شاء . فقتل يومئذ عبدالله بن خطل ، كان متعلقاً بأستار الكعبة فقتله أبو برزة الأسلمى بأمر رسول الله ﷺ و قتل مقيس بن صبابة و غيرهما ولم يحلّ لأحد من الناس أن يقتل فيها أحداً بعد النبى الكريم ﷺ فأحل الله تعالى له ﷺ ما صنع بمشر كى قريش فيها .

وقال إبن عباس : أحلّت له ﷺ ساعة من نهار ثم اطبقت وحرّمت إلى يوم القيامة : و ذلك يوم فتح مكة . و قال رسول الله ﷺ : «ان الله حرّم مكة يوم خلق السموات و الارض فهى حرام إلى أن تقوم الساعة فلم يحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى ولم تحلّ لى إلاّ ساعة من نهار»

فأحلها الله تعالى له ﷺ حتى قاتل و قتل . و هذا وعد من الله عزوجل لنبيه ﷺ أن يحل له مكة حتى يقاتل فيها و يفتحها على يده و يكون بها حلا يصنع بها ما يريد القتل و الاسر ، و قد فعل الله تعالى ذلك ، فدخلها غلبة و كرهاً، إذيسر الله له ﷺ فتح مكة كما وعد فيكون معجزاً. و ان تحليل الله تعالى القتال لنبيه فى مكة كان فى السنة الثامنة للهجرة فى سياق فتحها ، وبين هذه السورة و ذلك الحادث سنون طويلة ... و المعنى : و سنحلّ لك يوم فتح مكة حيناً فتقاتل و تقتل فيه من شئت .

وعن مجاهد : أى ما أصبت فيه فهو حلال لك ولا تؤاخذ بما عملت فيه و ليس عليك فيه ما على الناس . وعنه أيضاً : أى و أنت حلّ ما صنعت فيه من شيء فأنت فى حلّ فى أمر القتال ، فلا تؤاخذ بما عملت فيها .

وعن السدى و سعيد بن جبير و أبى صالح و عطية و الضحاك و قتادة وإبن زيد : أى أنت يا محمد فى حلّ ممن قاتلك أن تقتله . و عن قتادة أيضاً : أى و

أنت به من غير حرج ولا إثم ، أنت به حلال تصنع فيه من قتل من أردت قتله و أسر من أردت اسره مطلق ذلك لك يقال منه هو حلّ و هو حلال و هو حرم وهو حرام وهو محل ، و أحللنا و أحرمنا ، فأنت حرّ بهذا البلد ، تفعل فيه ما تشاء بالمشركين بعد فتح مكة الذين إستحلوا حرمته وحرمتك .

فالحل : الحلال المستباح . و المعنى : و أنت يا محمد حلال بهذا البلد بأن يحل لك ، فتقاتل فيه و قد أنجز الله تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم هذا الوعد يوم الفتح.

وقيل : ان تفسير «حل» بحالّ محال لان السورة مكية باتفاق قبل الفتح

٤ـ قبل : الحلّ بمعنى الحلال أى ان أهل مكة إستحلّوا إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى البلد الأمين حتى اضطروه إلى الهجرة منه إلى المدينة المنورة . فالاية الكريمة بسبيل التنديد بأهل‌مكة يستحلون أذى النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، و إخراجهم و مناوأة دعوة الله فى البلد الذى حرم فيه الظلم ، و من ذلك ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حل مما يفعله فى مكة مما هو محرم على غيره من قتال . و عن شرحبيل بن سعد : أى و أنت حلال أى هم يحرّمون مكة أن يقتلوا بها صيداً أو يعضدوا بها شجرة ثم هم مع هذا يستحلون إخراجك و قتلك . وعن أبى مسلم : أى و أنت حل فى هذا البلد، منتهك الحرمة، مستباح العرض لاتحترم فلم يبن للبلد حرمته حيث هتك حرمتك .

قيل : ان المراد بالحل هنا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث ان المشركين لم يراعوافيه حرمة القرابة،ولا حرمة البلد الحرام الذى‌يأوى إليه، بل أباحواسبّه و شتمه و ايذائه، و أطلقوا ألسنتهم بكل قالة سوء فيه، بل وتجاوزوا إلى‌التعرض له بالأذى المادى ، حتى لكادوا يرجمونه ...

وهنا ندرك بعض السّرّ فى نفى القسم بالبلد الحرام، لقد جعله المشركون بلداً غير حرام ، وغيّروا صفته التى له ، حتى لقد صار هذا البلد غير أهل لان يقسم به من الله عزوجل ، لان القسم من الله تعالى هو تشريف و تكريم لما يقسم

جل وعلا و ان الله تعالى لـن يقسم بهذا البلد مادام النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا تـرعى له حرمة فى البلد الحرام ... فان حرمة هذا البلد من حرمـة النبى صلى الله عليه وآله وسلم و انه إنما اقيم من أول وجود للمجتمع الانسانى ليستقبل دين الله و قد كمل، وليكون مطلعاً لخاتم المرسلين و قد ظهر .

وفى نفى القسم بالبلد الحرام تجريم للمشر كين ، و تشنيع علـى جنايتهم الغليظة التى اقترفوها فى حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و فى حق البلد الأمين : و ان تلك الجناية الشنعاء قد امتدت آثارها إلـى البلد الحرام ، فسلبته حرمته ، و ان الله عز وجل رافع عنه هذه الحرمة، حتى ينتقم لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من هؤلاء المجرمين ، و يردّ إليه إعتباره من التوقير و التكريم فى رحاب البلد الحرام، و عندئذ تعود للبلد حرمته !!

وقال بعضهم : و انا نذهب إلى أبعد من هذا : فنقول : إن رفـع الحرمـة عن البلد الحرام قد ظلّ معلقاً هكذا إلى أن خرج منه النبى صلى الله عليه وآله وسلم مهاجـراً ثم عاد إليه فاتحاً فى السنة الثامنة من الهجرة ، و انه قد ابيح له من هـذا البلد يوم الفتح ماكان حراماً ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض المشر كين وهم متعلقون بأستار الكعبة ...

و انه ما إن يفرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حساب هـؤلاء المتاكيد الذيـن أمر بقتلهم فى المسجد الحرام بالبلد الحرام ، حتى تعود للبلد الحرام حرمته ، و يطهّـر من الشرك و الرجس ومن الاصنام و عبّادها ...

هذا ولايفهم مما قلناه: من أن البلد الحرام قد رفعت عنه حرمته منذأحل المشر كون من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما أحلّوا ـ لايفهم من هذا، ان ذلك بالذى ينقص من قدر هذا البلد ، أو يجور على شيء من مكانته وعلوّ مقامه ... فهو هو علـى ما شرفه الله به ، و رفع قدره ، ولكن رفع الحرمة عن هـذا البلد ، هـو عقاب لهؤلاء المشر كين الذين آواهم هذا البلد ، و جعله حرماً لهم ، فلما استباحوا

حرمته باستباحة حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عزّاهم الله عزوجل من هذه الخلّة الكريمة التي خلعها عليهم البلد الحرام ...!

و لهذا أقسم الله تعالى بهذا البلد الذي ابيحت حرمته من المشركين ، و وصفه بالبلد الأمين في قوله تعالى : «و هذا البلد الأمين» .

٥ـ قيل : ان الاية الكريمة تفيد ان مكة جليلة القدر في كل حال حتى في الحال التي لم يرع أهلها في معاملتك تلك الحرمة التي خصّها الله تعالى بها، وفي هذا ايقاظ و تنبيه للمشركين من غفلتهم و تقريع على حطّ منزلة بلدهم.

٦ـ قيل : أى و أنت بهذا البلد و فيه محسن و أنا عنك فيه راض . ٧ـ قيل : هذا ثناء على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أى انك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك إرتكابه معرفة منك بحق هذا البيت لا كالمشركين الذين يرتكبون فيه الكفر بالله جل وعلا و المعصية.

و المعنى : اقسم بهذا البيت المعظّم الذي قد عرفت حرمته ، فأنت فيه مقيم معظّم له غير مرتكب فيه ما يحرم عليك .

أقول: و الثالث هو المروى ، وعليه أكثر المفسرين، وهو الأنسب بظاهر سياق الوعد و الوعيد ، و بالسورة السابقة مصحفاً من صبّ سوط العذاب على عاد و ثمود و فرعون فيصبّ على المشركين لانهم سلكوا مسلكهم كل بحسبه، من غير تناف بين هذا القول و بين بعض الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

٣ـ (ووالد وماولد)

في الآية الكريمة أقوال : ١ـ عن إبن عباس و سعيد بن جبير وعكرمة : «والد» هو الذي يولد له ، و «ماولد» كل عاقر لايلد . فيكون «ما» للنفي و هو بعيد لانه يكون تقديره : وما ماولد فحذفت «ما» الاولى التي تكون موصولة أو موصوفة . ٢ـ قيل : «والد» هو آدم عليه السلام و «ماولد» هم الأنبياء و الاوصياء و الصالحون من أولاده و أتباعه المؤمنون . و لعل الوجه فيه تنزيهه عزوجل من

أن يقسم بأعدائه : الطغاة و المستكبرين ، والفجار والمترفين ، و الكفار و المستبدين ، و الفساق و المجرمين . . فانهم كالا نعام بل هم أضل ، و هم قرناء الشيطان و مردته ، فلا حرمة لهم حتى يقسم بهم .

٣- عن مجاهد وقتادة و أبي صالح و الضحاك و سفيان الثوري و الحسن و سعيد بن جبير و السدي : «والد» هو آدم أبو البشر عليه السلام و «ماولد» ذريته على العموم .

ان الله تعالى لما أقسم بام القرى وهي ام المساكن أقسم بعده بالساكن و هو آدم و ولده ، أقسم بهم لما فيهم من الاستعداد الذي أمر الله عزوجل به الملائكة بسجدة آدم عليه السلام و قد قال : «و لقد كرمنا بني آدم» و انهم أعجب ما خلق الله تعالى على وجه الارض وهم عمّار الدنيا ، ولما فيهم من البيان و النطق و قوة النظر و التدبير ، و فيهم الانبياء و الاوصياء و الاولياء و الدعاة إلى الله تعالى .

وقيل : ان المقسم عليه بهذه الأقسام هو خلق الانسان في كبد ، وقدسنّ الله عزوجل في خلق هذا النوع و إبقاء وجوده سنّة الولادة ، فقد أقسم في هذه الآيات بمحصول هذه السنّة وهو الوالد وماولد على أن الانسان في مشقة وعناء و تعب بحسب نوع خلقته من حين يحيى إلى حين يموت .

وهذا الوجه في نفسه لابأس به ولكن يبقى عليه بيان المناسبة بين البلد الحرام وبين والد و كل مولود في الجمع بينهما في الاقسام .

٤- قيل : «والد» هو إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وما «ماولد» هو إسمعيل بن إبراهيم جد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وذلك للزوم نوع من التناسب والارتباط بين القسم و المقسم عليه يستدعي أن يكون المراد بـ«والد وماولد» من بينه و بين البلد المقسم به نسبة ظاهرة ، و ينطبق على إبراهيم و ولده إسمعيل عليهما السلام وهما السببان الأصليان لبناء بلدة مكة و البانيان للبيت الحرام .

قال الله عزوجل : «و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت و إسمعيل»

البقرة : ١٢٧)

و إبراهيم عليه السلام هو الذى سئل الله عزوجل أن يجعل مكة بلداً آمناً .

قال تعالى : «و إذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلدآمناً» إبراهيم : ٣٥)

فتنكير «والد» للتعظيم و إبهام «ماولد» للتفخيم .

و المعنى : و اقسم بوالد عظيم الشأن هو إبراهيم ، و ما ولد من ولد عجيب أمره مبارك أثره وهو إسميل إبنه ، وهما البانيان لهذا البلد .

فمفاد الآيات الثلاث الاقسام بمكة المشرفة و بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى هو حلّ فيها و بابراهيم و اسميل الذين بنياها .

٥- قيل : «والد» هو عبد الله بن عبدالمطلب و «ماولد» هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم . ٦- قيل : «والد» إبراهيم و إسميل عليهما السلام ، و «ماولد» محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكأنه تعالى اقسم ببلده ثم بوالده ثم بنبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وهو مولود عجيب الشأن ، وعظيم القدر ، و رفيع المنزلة .

٧- عن أبى عمران الجونى : «والد» هو إبراهيم عليه السلام و «ماولد» جميع أولاده من العرب والعجم إلى يوم القيامة. وقيل: «ماولد» ذرية إبراهيم الأقربون. وقيل : ان الله تعالى اقسم بالبلدثم اقسم بابراهيم فانه بانيه و بأوتاده العرب إذهم المخصوصون بالبلد .

وقيل : «وماولد» هم المسلمون من ذريته كما فى دعاء إبراهيم و إسميل عند بنائهما الكعبة على ما حكاه الله عزوجل : «ربنا و اجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنامنا سكنا وتب علينا» البقرة: ١٢٨) .

فعبدة الاصنام ومن إليها كأبى لهب و أبى جهل و أضرابهما خارجون إذ لاشأن لهم حتى يقسم بهم ، إذمن البعيد أن يقارن الله سبحانه بين النبى

الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و إبراهيم الخليل عليه السلام وبين أئمة الكفر... فيقسم بهم جميعاً في سياق، و قد تبرأ إبراهيم عليه السلام ممن لم يتبعه من بنيه على التوحيد إذ قال حكاية عنه: «واجنبني و بنيّ أن نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم» إبراهيم: ٣٦)

وقال: «قدكانت لكم اسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله» الممتحنة: ٤)

وقال: «ان الله بريء من المشركين و رسوله» التوبة: ٤)

٨- قيل: «والد» هو آدم عليه السلام و «ماولد» هم النبيون و الاوصياء من إبراهيم و أولاده المعصومين: محمد وولده الطيبين من صلبه: فاطمة و الأئمة: الأحد عشر من الحسن بن علي - إلى - الحجة بن الحسن صلوات الله عليهم أجمين أو من هو وليد عقله الرسالي: الامام علي عليه السلام كما قال: «ولّدني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» وبمناسبة الحال وأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو مجمع معاني الوالد الروحي، وولده مجامع فضائل الولادة الروحانية قد يكونان هما المعنيان: من: «والد وماولد» ويجري في غيرهما من المعصومين جرياً على ضوئهما، فقسماً بمحمد وعترته الطاهرين المكابدين الكادحين.

٩- عن الماوردي: «والد» هو النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و «ماولد» امته صلى الله عليه وآله وسلم لانه صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الأب لامته لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما أنا لكم بمنزلة الولد اعلّمكم» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا وعلي أبواهذه الامة» ان الله تعالى أقسم بخاتم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم و امته صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أقسم ببلده مبالغة في تشريفه صلى الله عليه وآله وسلم.

١٠- عن إبن عباس أيضاً و عطية العوفي و الجبائي: «والد» كل والد و «ما ولد» كل مولود من النوع الانساني، وهذا هو التوالد الذي يقع بين الناس، فكل والد هو مولود، و كل مولود سيكون والداً، وبهذا يتصل النسل و تكثر

المخلوقات و تعمر الارض.

١١ - قيل: أى كل والد ومولود من الانسان والحيوان والنبات كما يرشد إليه التنكير والغرض من القسم بذلك التنبيه إلى إنشاء الكائنات الحية و تطورها من حال إلى حال، كل فى دائرة نوعه.

أقول: والثانى هو المروى، وإن كان غيره من الاقوال لاتخلو من وجه، فما ورد فيه الروايات فمن أظهر المصاديق وأتمها وأشرفها.

٤ - (لقد خلقنا الانسان فى كبد)

فى «كبد» أقوال: ١ - عن إبن عباس والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة و قتادة: أى فى شدة وعناء ومشقة وطول ونصب وطلب معيشة، يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، و ان إبن آدم لا يزال يكابد أمراً حتى يفارق الدنيا. و أصل الكبد: الشدة. فالانسان خلق ليكابد الشدائد من أجل حياة أفضل عند الله تعالى و الناس، فمن يأكل و لا يعمل فموته خير من حياته، و عدمه خير من وجوده، فاشتمال الكبد على خلق الانسان و إحاطة الله و التعب به فى جميع شؤون حياته مما لا يخفى على ذى مسكة، فليس يقصد نعمة من نعم الدنيا إلاّ خالصة فى طيبها محضة فى هنائها، ولاينال شيئاً منها إلاّ مشوبة بما ينغّص العيش مقرونة بمقاساة و مكابدة إلى ما يصيبه من نوائب الدهر و يفاجئه من طوارق الحدثان.

فاذا تأملت الفقير فى هذه الدنيا وما يكابد من آلامها وهمومها فى سبيل نيل قوته والحصول على عيشه، والغنى وما يكابد فى سبيل المحافظة على ماله والخوف على حياته وإبتلاء أكثرهم بالامراض وأكثر الاصحاء بالفقر، فلو تأملت كل هذا لعلمت انه لا يوجد على بسيط الارض إنسان مستجمع لقوته، مستكمل لسعادته.

٢ - عن إبن عباس أيضاً وعطاء وإبن جريج و ابن أبى نجيح: أى فى شدة

خلق من حمله وولادته ورضاعه وفطامه ونبت أسنانه وغير ذلك من أحواله في معاشه وحياته ومماته ...

وعن مجاهد: « في كبد »: نطفة ثم علقة ثم مضغة يتكبد في الخلق و هو كقوله تعالى: « حملته امه كرهاً ووضعته كرهاً » وأرضعته كرهاً ومعيشته كره فهو يكابد ذلك.

قيل: أول ما يكابد الانسان بعد ولادته هو قطع سرته، ثم يكابد الضيق والتعب بالقماط، ثم يكابد الارتضاع، ثم يكابد نبت الاسنان، ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان والأوجاع والاحزان، ثم يكابد ويكابد إلى أن يموت، ثم يكابد القبر والبرزخ إلى أن يبعث ثم يكابد الحساب إلى أن يستقر به القرار إما الجنة وإما النار.

وأضاف بعض المفسرين على الاحزان ـ وقال: ثم يكابد المعلم و صولته، و المؤدب و سياسته، والاستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل الترويج والتعجيل، ثم يكابد شغل الاولاد و الخدم و الأجناد، ثم يكابد شغل الدور و بناء القصور، ثم الكبر و الهرم و ضعف الركبة و القدم في مصائب يكثر تعدادها و نوائب يطول ايرادها، من صداع الرأس و وجع الأضراس، و رمد العين وغمّ الدين، و وجع السنّ وألم الاذن، ويكابد محناً في المال و النفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يوم إلّا يقاسي فيه شدة، ولا يكابد إلّا مشقة.

ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مسئلة الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى إلى أن يستقرّ به القرار إما الجنة و إما النار قال الله تعالى: « لقد خلقنا الانسان في كبد » فلو كان الامر إليه لما اختار هذه الشدائد، و دلّ هذا على ان له خالقاً دبّره، و قضى عليه بهذه الاحوال، فليمتثل أمره.

٣ ـ عن إبن عباس ومجاهد وعكرمة أيضاً و النخعي وإبن مسعود و خيثمة

و أبي صالح والضحاك : أي منتصباً في بطن امه . والكبد : الاستواء والاستقامة ، فهذا إمتنان عليه في الخلقة ، ولم يخلق الله جلّ ثناؤه دابة في بطن امها إلاّ منكبة على وجهها إلاّ إبن آدم ، فانه منتصب إنتصاباً معتدل القامة .

والمعنى : لقد خلقنا الانسان سوياً مستقيماً معتدل القامة كقوله تعالى : « يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم الذى خلقك فسوّاك فعدلك في أىّ صورة ما شاء ركبك » و قوله : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » فالانسان هو قائم على قدميه ، منتصب و كل شيء خلق فانه يمشي مكباً إلاّ الانسان فانه خلق منتصباً .

٤ ـ عن إبن كيسان : أي منتصباً رأسه في بطن أمه ، فاذا أذن الله تعالى أن يخرج من بطن امه قلب رأسه إلى رجلي امه . ٥ ـ عن الحسن أيضاً : أي يكابد الشكر على السّراء ، و يكابد الصبر على الضّراء لانه لا يخلو من أحدهما . و قيل : أي يكابد الامور و مشاقها ، و مضايق الدنيا و شدائد الآخرة . و عن يمان : لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد إبن آدم و هو مع ذلك أضعف الخلق .

٦ ـ قيل : أي جرىء القلب ، غليظ الكبد مع ضعف خلقته ومهانة مادته .

٧ ـ عن إبن عطاء : أي في ظلمة وجهل . ٨ ـ عن إبن زيد : الانسان هنا آدم عليه السلام و « في كبد » أي في وسط السماء فسمي ذلك الكبد. ٩ ـ عن الكلبي : ان هذا نزل في رجل من بني جمح كان يقال له أبو الأشدين ، و كان يأخذ الأديم العكاظي ، فيجعله تحت قدميه فيقول : من أزالني عنه فله كذا ، فيجذبه عشرة حتى يتمزّق ولا تزول قدماه ، وكان من أعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه نزل : « أيحسب أن لن يقدر عليه أحد » يعني لقوته ، وكان أشد رجال قريش ، و كذلك ركانة بن هاشم بن عبد المطلب ، وكان مثلا في البأس والشدة . وقيل: الكبد : الشدة والغلظ ، ثم اشتق منه إسم العضو لانه دم غليظ و قد يخص الانسان على هذا التفسير بشخص واحد

من جمح يكنى أبا الأشدين كان يجعل تحت قدميه الأديم ثم يمد من تحت قدميه فيتمزق الأديم و يزل قدماه ، ويعضد هذا التفسير قوله : « أيحسب » يعني هـذا الانسان الشديد .

١٠ ـ عن الترمذي : مضيّعاً مايعنيه مشتغلا بمالايعنيه . ١١ ـ قيل : اريد شدة الأمر والنهي أي خلقناه ليعبدنا بالعبادات الشاقة مثل الاغتسال مـن الجنابة في البرد ، والقيام إلى الصلاة من النوم ، فينبغي له أن يعلم أن الدنيا دار كبد ومشقة، والجنة دار راحة ونعمة . ١٢ ـ قيل : الكبد : مرض القلب ، وفساد العقيدة وإتباع الهواء، والمراد بالانسان الذين علم الله جل وعلا من حالهم انهم لايؤمنون ولايعملون عملا صالحاً ولا يعبدون الله تعالى وحده .

أقول: والاول والثالث هما المرويان عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين من غير تناف بينهما كما لاتناف بينهما وبين أكثر الاقوال الاخر فتدبر جيداً .

٥ ـ (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) .

في الاية الكريمة أقوال : ١ ـ عن الحسن : أي أيحسب هـذا المغتر بقوته ، المتفاخر بعدده ، المتكاثر بما له أن لايقدر عليه أحد بأخذ ماله و قوته و عدده . ٢ ـ قيل : أي أيظن هـذا الانسان أن لايقدر أحـد على تغيير أحواله و تبديل أطواره... ٣ ـ عـن قتادة : أيحسب إبن آدم أن لايسئل عـن هذا المال من أيـن اكتسبه ، و فيماذا أنفقه . ٤ ـ قيل : أي أيظن إبن آدم أن لن يعاقبه الله عز وجل. ٥ ـ قيل : أي أيظن هذا الانسان أن لن يقدر أحد على بعثه ومجازاته .

٦ ـ قيل : أي أيظن هذا الانسان أنه لن يقدر على عقابه أحد إذا عصى الله عـز وجل وركب القبائح ، فبئس الظن ذلك . وهذا إستفهام إنكاري أي لاينبغي أن يظن ذلك . ٧ ـ عن الكلبي: اريد بالانسان أبو الأشد (أسيدخ) بن كلدة الجمحي بقوته وهو رجل من جمح كان قوياً شديد الخلق بحيث يجلس على أديم عكاظي

فتجره العشرة من تحته، فينقطع ولا يبرح من مكانه. و المعنى: أيحسب هذا القوى بجلده وقوته أن لن يقهره أحد، ويغلبه فالله تعالى هو قاهره وغالبه.

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها.

٦ - (يقول أهلكت مالا لبداً).

فى الآية الكريمة أقوال: ١ - عن إبن عباس ومجاهد و قتادة و إبن زيد والحسن: أى يقول بعض الانسان أنفقت وأتلفت مالا كثيراً مجتمعاً، فمن يحاسبنى به يقول ذلك على سبيل الفخر والسمعة والرياء وهو على عادة الجاهلية من إدعاء الكرم والتظاهر به.

وذلك بأنه كان هناك بعض من أظهر الاسلام أومال إليه قد أنفق بعض ماله، وامتنّ به مستكثراً له بقوله: «أهلكت مالا لبداً» فنزلت الايات رداً عليه بأن الفوز بميمنة الحياة لايتمّ إلاّ باقتحام الانفاق فى سبيل الله عزوجل، والدخول فى زمرة الذين آمنوا وتواصوا بالصبر والمرحمة.

٢ - قيل: أى أنفقت مالا كثيراً بعضه على بعض متراكباً فى عداوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم يفتخر بذلك، يريد كثرة ما أنفقه فى الجاهلية. ٣ - عن مقاتل: هوالحرث: (الحارث خ) بنىعامر بن نوفل بن عبد مناف، وذلك انه أذنب ذنباً فاستفتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمره أن يكفّر فقال: لقد ذهب مالى فى الكفارات و النفقات منذ دخلت فى دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم. و قيل: يقول الوليد بن المغيرة المخزومى: أنفقت مالا كثيراً فى إطفاء نور الحق و عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن إبن عباس: كان أبو الأشدين يقول: أنفقت فى عداوة محمد مالا كثيراً و هو من ذلك كاذب.

٤ - عن السدى: أى يقول إبن آدم أنفقت مالا كثيراً فى استرضاء شهواته وإشباع نزواته، ولهذا فهو مال هالك ومهلك لمن أنفقه.

٥ - قيل: يقول الأغنياء المترفون، و الأشقياء المستكبرون متفاخرين

متعالين بما أسرفوا على شهواتهم ، وبذروا في ملذاتهم وسعوا فـي عـداوة النبي الكريم ﷺ . . . : أنفقنا كثيراً مـن أموالنا في المفاخر و المكارم و مشاق الرسول ﷺ ... غافلين ان المكرمين ما عدّه الله عز وجل مكرمة ، و ان البرّ ما اعتبره الله عز وجل براً ، وليس إنفاقهم أموالهم في إتباع الهواء ... براً و سعيهم في صدّ الناس عن سبيل الله تعالى خيراً .

أقول: و الاول و الثاني هما المرويـان و في معناهما بعض الاقوال الاخر فتامل جيداً .

٧ ـ (أيحسب أن لم يره أحد)

في الآية الكريمة أقوال : ١ ـ عن قتادة وسعيد بن جبير : أي أيحسب هذا الانسان المفتون المغرور أن لـم يره أحد ، فيطالبه من أين اكتسبه و فيما ذا أنفقه ، و قـد علم الله عـز وجل قدره و انـه ليس مما يتكثر به و مجازيه على فعله السيء كلا انـه سيسئل عن كل در هـم مما اكتسبه ، وفيما أنفقه و يعامل بما يستحقه .

٢ ـ عن الكلبي ومجاهد : أي أيظن هذا الانسان الكاذب ان الله تعالى لم ير ذلك فعل أولم يفعل ، أنفق أولم ينفق . ففيه تكذيب على من ادعى الانفاق بأنه كان كاذباً لم ينفق ما قاله ، فانه عز وجل علم ذلك منه ، فكان كاذباً فـي قوله : « أهلكت » .

٣ ـ قيل : أي أيحسب هذا السفيه المفتون أن عين الله لا تراه و لا تكشف عن هذه الوجوه المنكرة التي يهلك فيها هذا المال اللبد؟ و كلا فانه محاسب على هذا المال الذى أهلكه في وجوه الضلال والبغي والعدوان ...

أقول: وعلى الاول جمهور المفسرين وفي معناه الثالث .

٨ ـ (ألم نجعل له عينين)

في «عينين» أقوال : ١ ـ قيل : هما حاستا البصر والرؤية ، وهما الجارحتان،

الظاهرتان ، وآخران سواهما : عين القلب والفطرة . فيحصل للانسان بهما العلم بالمرئيات على سعة نطاقها. ٢ ـ قيل: اريد بهما عينا البصر والبصيرة ، فبعين البصر يبصر الآفاق ، فيحوّل نتائجها إلى منظار البصيرة. ٣ ـ قيل : هما العينان الباطنتان يعبر عنهما بالبصيرتين .

أقول: والاول هو الأنسب بظاهر السياق .

١٠ ـ (وهديناه النجدين)

في الاية الكريمة أقوال : ١ ـ عن إبن عباس وإبن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة وأبي صالح والضحاك وعطاء وعكرمة وإبن زيد: أي وهدينا الانسان الطريقين: طريق الخير وطريق الشر ، وطريق الهدى و طريق الضلالة بالهام منا فهو يعرف الخير والهدى ويميّزهما من الشر والضلالة .

٢ ـ قيل : ان المراد بالهدى هنا هو العقل الذي يكون الانسان بـه شيئاً مذكـوراً ، و إليه ينتهي العلم بكل سر وحقيقة سواء أكانت طبيعية أم دينية أو إجتماعية حيث لا علم بلا عقل ، و كل ما يرفضه العقل فهو وهم وخرافة ، و بهذا يتضح ان المراد بالنجدين : الحق والباطل ، الاول يرتضيه العقل ، والثاني ينكره العقل ويأباه .

وذلك ان الله عزوجل أودع في فطرة الانسان التمييز بين الحق و الباطل ، وجعل له من العقل والفكر ما يكون مذكـراً ومنبّهاً ، و نصب له الدلائل على حسن الحق وأرشده إلى ما في الباطل من هنوات وعيوب وهلاك ودمار ، ثم أقدره على أن يقبل أيّهما شاء بعد أن آتاه قوة التمييز والقدرة على الاختيار و الترجيح ليقبل ما أراد منهما .

فليكن نجد الحق أحبّ إلى الانسان من نجد الباطل، فمن نازعته نفسه واتجهت إلى نجد الشر فليقمعها بالنظر في آيات الله جل وعلا التدوينية والتكوينية ، الآفاقية والأنفسية ، والتدبر في الدلائل والحجج الالهية ليعلم ان نجد الباطل مظلم معوّج

يهوى بصاحبه إلى طريق الردى، ويوقه في المهالك.

٣ ـ قيل : أي بيّنّاهما له بما أرسلناه من الرسل. ٤ ـ عن إبن عباس ايضاً: انهما طريقان لحياة الولد و رزقه. و عن عكرمة وسعيدبن المسيب و الضحاك : أي هديناه لسبيلى الثديين يتغذى بلبنهما الطفل والنجدان : الثديان . و المعنى: أرشدناه للثديين لانهما كالطريقين لحياة الولـد ورزقه ، وهدى الله تعالى الطفل الصغير حتى إرتضعهما، فينبت عليه لحمه وجسمه . وسميا النجدين لانهما طريقان مرتفعان لنزول اللبن .

٥ ـ قيل : أي هداه الله تعالى بهداية باطنية إذ أودع فيه من عقل يستطيع أن يميز به بين الخير والشر، ويختار بينهما ، وهداه بهداية خارجية من الدعوة النبوية ، وما في القرآن الكريم من تبيان معالم الخير والشر ، والهدى والضلال والتقوى والفجور...

قال الله تعالى : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً » الانسان : ٣)

النجـد : الطريق فـى إرتفاع . و النجـد : العلوّ ، وجمعه : نجود ومنه سميت «نجد» لارتفاعها عن إنخفاض تهامة ، فالنجدان: الطريقان العاليان.

ان تسئل : كيف يكون نجدالشر مرتفعاً كنجدالخير ونجد الشر معلوم انه لا رفعة في الشر ؟

تجيب : ان الطريق جميعاً ظاهـران باديـان للمكلفين فسمّى سبحانه كلاهما نجداً لظهوره وبروزه ويجوز أن يكون سمى طريق الشر نجداً من حيث يحصل فـى إجتناب سلوكـه الرفعة والشرف كما يحصل ذلك فـى طريق الخير، وقيل : أيضاً انه على عادة العرب في تثنية الأمرين إذا اتفقا على بعض الوجوه فيجرى لفظ أحدهما على الآخر كقولهم : القمرين في الشمس والقمر.

قال الفرزدق :

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

فكأن الله تعالى جعل الدلائل والحجج لارتفاع شأنها و علوّ مكانها كالطرق المرتفعة العالية التي لاتخفى على ذوي البصيرة والابصار...

فالنجدان هنا هما جانبا الخير والشر في الانسان، و سمّيا نجدين لانهما أمران بارزان بين ما يتقلب فيه الانسان من امور ... فالخير واضح الملامح بيّن السمات، و كذلك الشر، أمره ظاهر لايخفى، و لا يخطىء أحد التفرقة بين ما هو خير وما هو شر كما لا يخطىء أحد التفرقة بين النور والظلام، بين الليل والنهار، بين السواد والبياض، وبين الحلو والمرّ..

اللهم إلاّ من فسد عقله واختلّ تفكيره وزاغ قلبه... فيرى الامور على غير وجهها تماماً كمن تعطّلت حاسّة من حواسّه ... من سمع أو بصر أو شم أو ذوق، فلا يميّز بين المسموعات أو المبصرات أو المشمومات أو المذوقات...

وهذا ما أشار إليه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «إن الحلال بيّن و ان الحرام بيّن وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس».

و ان الانسان السوي سليم القلب يعرف بفطرته الحق والباطل، ويدرك بعقله القبح والحسن، و يميّز بفكره بين الهدى و الضلالة، و بين النافع و الضار ... ويتهدى إلى ذلك بنفسه، كما يتهدّى الحيوان إلى مسالكه في الحياة، و إلى ما يحفظ وجوده بين الأحياء... ومن هنا كانت دعوة الاسلام - كما كانت دعوة الشرائع السماوية كلها - هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... والمعروف هو ما عرفه الانسان بفطرته انه ملائم له، فاتجه إليه وتجاوب معه و أخذ و اعطى به... والمنكر ما أنكره الانسان بفطرته و استوحش و نفر منه ونأى بنفسه عنه ...

و لذلك بنيت الشريعة الاسلامية على الفطرة السليمة و العقل الصحيح، و من هنا لاتجد النفوس السوية حرجاً ولا ضيقاً في إلتزامها حدود الشريعة و الوفاء بها.

قال الله عزوجل : «وما جعل عليكم في الدين من حرج » الحج : ٧٨)
وقال : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » البقرة : ٢٨٦)

فمعنى قوله عزوجل : « و هديناه النجدين » أي عرفناه وجهى الخير والشر ، وأعطيناه الميزان الذي يزنهما به ، ويضع كلا منهما موضعه الذي هو له ... و كما يشير النجدان إلى أن كلا من الخير والشر بالمكان البارز الذي لايخفى وجهه . و لا تخطىء الأنظار الاستدلال عليه ـ كذلك يشيران إلى أن الاتجاه إلى أي منهما ، و أخذ الطريق إليه هو مرتقى صعب يحتاج إلى جهد و معاناة !

فالذي يتجه إلى الخير ، و يحتمل نفسه على معايشته ، إنما يغالب أهواء جامحة و يدافع شهوات معربدة ... و في الحديث : «حفت الجنة بالمكاره» ... و لهذا كان الصبر من عدة المؤمنين ، و من زادهم على طريق الحق و الخير... فمن لم يرزق الصبر لم يقو على السير في طريق الهدى والايمان...«ان الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر» العصر:٢ـ٣) و «ثم كان من الذين آمنوا و تواصوا بالصبر و تواصوا بالمرحمة» البلد : ١٧) و «و ما يلقاها إلا الذين صبروا و ما يلقاها إلا ذو حظ عظيم» فصلت : ٣٥)

و الشر و إن بدا في ظاهر الأمر انه أخف محملا و أيسر سبيلا لأن مسيرته متجهة مع أهواء النفس ، مندفعة مع تيار الشهوات ـ إلا أنه في واقع الأمر على خلاف الظاهر ، فليس محمل الشر خفيفاً ، ولا طريقه سهلا معبداً ... فما أكثر المزالق و العثرات التي يلقاها الأشرار في طريقهم ، و ما أكثر الآلام التي تتولد من إقتراف الآثام و إشباع الشهوة ... و إن اللذة العارضة لشهوة من الشهوات ، أو إثم من الآثام لتعقبها دائماً آلام مبرحة ، و أوجاع قاتلة إن لم يكن ذلك في يومها ففي غد قريب أو بعيد ...

فما أكثر العلل الجسدية التي تخلفها الآثام ؟ وما أكثر العلل والأوجاع

التى يرثها اولئك الذين يزرعون الشر و يستكثرون منه! هذا و للانسان ـ كل إنسان حتى أكثر الناس جرأة على الشر و مقارفة له ـ لحظات يصحو فيها من غفلته و يفيق فيها من سكرته ، و يتنبه من ذهوله وعندها يجدبين يديه هذا الحصاد المشؤم الذى تنبعث منه روائح كريهة عفنة حتى لتكاد تخنق أنفاسه ، و تزهق روحه !

وكم لأهل الضلال و متقر فى الآثام من ساعات، يحترقون فيها بنارالندم و الحسرة ، و يتقلبون فيها على جحيم التقريع و اللوم ، ولكن بعد فوات الأوان و إفلات الفرصة ... و أىّ عزاء يعزّى به نفسه رجل كأبى نواس مثلا حين يذهب ، وتموت نوازعه وشهواته، ثم يتلفت فيجد بين يديه أشباح آثامه وفجوره تتراقص من حوله بوجوهها الكالحة ، و أنيابها المكشرة و مخالبها الحادة ، و كأنها الحياة تطل من أجحارها و تهجم عليه من كل جانب ؟

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم و أسمت سرح اللهو حيث أساموا

و بلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك أثام !

هكذا يلقى أبو نواس نفسه فى صحوة الموت، وقد بلغت الروح الحلقوم!! و أى حسرة ! و أىّ ألم فاضت بهما نفس رجل كالحجاج ، وقد قام على منبر سلطانه فى العراق ، يرمى الناس بالصواعق من كلماته ، فتنخلع منها القلوب ، و تضطرب النفوس ، و يشهر سيفه بيد هذا السلطان المطلق ، ويقول : «انى لأرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها وإنى لصاحبها و كأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم و اللحى ...»

ثم ينفذ هذا الوعيد فيقطع رؤساً بريئة ، و يريق دماء طاهرة ... ثم يختم صفحته الملطخة بالدماء بدم «سعيدبن جبير» بقية السلف الصالح ، والنبتة الكريمة الباقية من رياض التابعين ؟ و الذين شهدوا الحجاج وهو على فراش الموت ، يعانى سكراته ، و ينظر نظرات الفزع و الرعب إلى ماضيه الذى حضر

كله بين يديه ـ الذين شهدوا الحجاج ، وهو فى تلك الحال فاضت نفوسهم أسى عليه ورحمة به ، حتى اولئك الذين كانوا أشد الناس بغضاً له و إستعجالاً ليومه هذا!!!

فكم يساوى سلطان الحجاج و جبروته ، و ما أرضى به نفسه من هذا السلطان ، و ذلك الجبروت ؟ كم يساوى كل هذا من آلام ساعة من ساعاته الأخيرة، و هو يرى حصاد هذا السلطان وثمر هذا الجبروت؟ هذا حساب الانسان مع نفسه، فكيف حسابه مع الله جل وعلا إذا كان قد أخذ طريقاً غير طريق الحق و الصواب ، غير طريق الهداية و الرشاد ، غير طريق السعادة و الصلاح ، وغير طريق النجاة و الفلاح !!!

وقيل : ان وجه الاستدلال بالدلائل : ان من قدر على أن خلق من الماء المنتن قلباً عقولاً ولساناً فؤولاً فهو على إهلاك ما خلق أقدر ، فما الحجة فى الكفر بالله جل وعلا مع تظاهر نعمه ، و ما العلة فى التعزّز على الله سبحانه و أو ليائه بالمال و إنفاقه وهو المعطى والممكن من الانتفاع .

أقول: و الاول هو المروى وفى معناه بعض الاقوال الأخر فتأمل جيداً .

١١ـ (فلا اقتحم العقبة)

فى «العقبة» أقوال : ١ـ عن إبن عباس : هى النار نفسها. وعنه أيضاً : انها عقبة فى النار . ٢ـ عن عبدالله إبن عمر: العقبة هى جبل زلال فى جهنم. و عن أبى رجاء أنه قال : بلغنا ان العقبة مصعدها سبعة آلاف سنة ، و مهبطها سبعه آلاف سنة . وعن كعب الاحبار و الحسن و قتادة : العقبة : سبعون درجة فى جهنم . و قالوا : هى عقبة قحمة شديدة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله تعالى.

وعن الحسن انه قال : بلغنا انه ما من مسلم يعتق رقبة إلاّ كانت فداءه من النار . و عن إبن عمر انه قال : من اعتق رقبة أعتق الله عزوجل بكل عضو منها عضواً منه .

٣ـ عن مجاهد و الضحاك و الكلبي : هى الصراط الذى يضرب على جهنم كحدّ السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا و صعوداً و هبوطاً ، و ان فى جنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان ، فمن بين مسلم و ناج و مخدوش فى النار منكوس ، فمن الناس من يمرّ عليه كالبرق الخاطف ، و منهم من يمرّ عله كالريح العاصف، ومنهم من يمرّ عليه كالفارس، ومنهم من يمرّ عليه كالرجل يعدو و منهم من يمرّ عليه كالرجل يسير ، و منهم من يزحف زحفاً ، و منهم الزالون و الزالات ، ومنهم من يكردس فى النار.

فلا يجوز الصراط إلاّ من كان هذه صفته ، و إقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر إلى العشاء .

وقيل : إقتحامه عليه قدر ما يصلّى صلاة المكتوبة. و عن أبى الدرداء انه قال : ان و رائنا عقبة ، أنجى الناس منها أخفهم حملا .

٤ـ قيل : أى هلا أنفق ماله فى فكّ الرقاب و إطعام السغبان ليجاوز به العقبة ، فيكون خيراً له من إنفاقه فى عداوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وقيل : أى فهلاّ أنفق ماله الذى يزعم انه أنفقه فى عداوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هلا أنفقه لاقتحام العقبة ، فيأمن و «هلا» تحريضية . و الاقتحام: الرمى بالنفس فى شىء من غير رويّة يقال منه : قحم فى الأمر قحوماً أى رمى بنفسه فيه من غير روية. وقحم الفرس فارسه تقحيماً على وجهه إذارماه ، و تقحيم النفس فى الشىء إدخالها فيه من غير روية .

و القحمة ـ بالضم ـ : المهلكة و السنة الشديدة يقال : أصاب الاعراب القحمة إذا أصابهم قحط فدخلوا الريف . و القحم : صعاب الطريق .

وقيل : العقبة : الطريقة التى ترتقى على صعوبة ، و يحتاج فيها إلى معاقبة الشدة بالتضييق و المخاطرة. فلا اقتحم هذا المفتر العقبة فضلا عن تجاوزها و سلوكها تماماً . و «هلا» نافية على تقدير الاستفهام الانكارى . و أصل العقبة:

الهضبة . وقيل : هى كناية عن الصعب الشاق . و المعنى : فلم يركب العقبة فيقطعها و يجوزها .

٥- قيل : إقتحام العقبة هيهنا ضرب مثل . أى هلا تحمل عظام الامور فى إنفاق ماله فى طاعة ربه و الايمان به . و هذا على قول من حمل : «فلا اقتحم العقبة» على الدعاء عليه . أى فلانجى ولا سلم من لم ينفق ماله فى كذا و كذا . بأن لايقتحم العقبة كما يقال : لا غفرالله ولا نجى ولا سلم .

والمعنى : لانجى من العقبة و لاجاوزها كقوله تعالى: «فلا صدّق ولاصلى» أى لم يصدق ولم يصلّ .

فالجملة دعاء على الانسان القائل : « أهلكت مالا لبداً » وليس بشى.

و قيل : شبّه عظم الذنوب وثقلها و شدتها بعقبة فاذا اعتق رقبة و عمل صالحاً كان مثله كمثل من اقتحم العقبة ، و هى الذنوب التى تضرّه و تؤذيه و تثقله .

٦ ـ عن الحسن أيضاً : العقبة هى مجاهدة الانسان نفسه و هواه و عدوّه الشيطان . وقيل : العقبة : مثل ضربه‌الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى‌الطاعات و أعمال‌الخير ووجوه‌البر ، فجعل ذلك كتكليف صعود العقبة الشاقة الكؤود ، فكأنه قال : لم يجعل على نفسه المشقة بعتق الرقبة و الاطعام و هو قوله : « و ما ادراك ما العقبة » أى ما اقتحام العقبة ثم ذكره فقال : « فك رقبة » وهو تخليصها من اسارالرق إلى آخره . وهذه وجوه البرهى‌العقبة .

والعقبة : لنتئة فى رأس الجبل يتعاقبها الناس ، فشبهت بها العقبة فى وجوه البر التى ذكرها الله تعالى ، و عاقب الرجل صاحبه إذا صارفى موضعه بدلا منه ، فلم يشكره تجاه النعم الالهية بأن يعمل الاعمال الصالحة بأن يعتق و يطعم الطعام ويسبق فى سبيل‌الخير . فاقتحام العقبة إشارة إلى الانفاق الذى يشق على منفقه .

٧ ـ قيل : العقبة هى خلاص الانسان من هول العرض . والاقتحام : الدخول بشدة وضغط وسرعة ، ولهذا يستعمل فى الاخطار والاهوال...

٨ ـ عن سفيان بن عيينة : كل شىء قال فيه : « وما أدراك » فانه أخبر به، وكل شىء قال فيه : « و ما يدريك » فانه لم يخبر به . وقال : « فلا اقتحم العقبة » أى فلم يقتحم العقبة . و عن مجاهد : أى فلم يقتحم هذا الانسان العقبة فى الدنيا ولا جاوزها .

٩ ـ عن إبن زيد والجبائى و أبى مسلم : أى أفلا اقتحم العقبة أو هلا اقتحم العقبة . ويدل على ذلك قوله عزوجل : « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » .

أقول: و السادس هو الأنسب بظاهر السياق من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

١٣ ـ (فك رقبة)

فى الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: فكّها: خلاصها من الاسر. ٢ـ عن عكرمة : أى أن يفكّ رقبته من الذنوب بالتوبة . ٣ ـ قيل : أى فك رقبة: خلاص النفس باجتناب المعاصى وفعل الطاعات ... ٤ ـ قيل : أى فكّها من الرق أو الاعانة عليه. والفك هو حلّ القيد ، والرق قيد، وسمى المرقوق رقبة لانه بالرق كالأسير المربوط فى رقبته ، وسمى عتقها فكّاً كفك الأسير من الاسر.

٥ ـ عن الجبائى : فك رقبة هو فكّ النفس من العقاب بتحمل الطاعات ، و إطلاقها من اسر العبوديه لغير الله جل وعلا ، و من اسر الهوان والرق والذلة ، و تحريرها من البهيمية التى اغتالت معالم الانسانية فيها...

أقول : والرابع هو الأنسب بظاهر السياق وعليه جمهور المفسرين.

١٤ـ (أو اطعام فى يوم ذى مسغبة)

فى «يوم ذى مسغبة» أقوال: ١ ـ عن إبن عباس ومجاهد و عكرمة والضحاك

وقتادة: أى في يوم ذى مجاعة . والسغب: الجوع والساغب: الجائع. ٢. عن إبراهيم النخعي : أى في يوم عزيز فيه الطعام . ٣ ـ عن قتادة أيضاً : أى فى يوم يشتهى فيه الطعام .

٤ ـ قيل: المسغبة هى شدة الحاجة والرغبة إلى الطعام ، فان السغب هو الجوع مع العناء والتعب . ٥ ـ قيل: أى يوم الجدب و القحط للجياع و المحرومين .

أقول : والمعانى متقارب على طريق اللازم والملزوم .

١٥ـ (يتيماً ذا مقربة)

فى « ذا مقربة » أقوال : ١ ـ أى ذا قرابة فى النسب ، تقول : فلان من ذوى قرابتى، ومن أهل مقربتى إذا كان قريبك نسباً . ٢ ـ قيل أى ذاقربى من قرابة النسب والرحم. ٣ ـ قيل: أى ذا قرابة بالانسانية والدينية .

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين .

١٦ ـ (أو مسكيناً ذامتربة)

فى الآية الكريمة أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و إبن زيد : أى لاشىء له حتى كأنه قد لصق بالتراب من الفقر ، ليس له مأوى إلاّ التراب ، و لا يواريه إلاّ التراب الملقى على الطريق على الكناسة ، فهو المسكين الملقى بالطريق بالتراب لافرش له ولاسكناً ولا مأوى إلاّ التراب ، وهو الذى أسكنه العدم على التراب.

٢ ـ عن مجاهد: هو الذى لايقيه من التراب لباس ولاغيره ساقط فى التراب.

٣ ـ عن إبن عباس أيضاً وسعيد بن جبير و مقاتل بن حيان و الضحاك : انه ذو العيال الكثير الذين قد لصقوا بالتراب من الضرّ و شدة الحاجة و المسكنة و الجهد .

٤ ـ عن عكرمة : هو الفقير المديون المحتاج الملتزق بالارض من الحاجة.

٥ ـ عن أبى سنان ـ أى ذو الزمانة اللاصق بالارض . ٦ ـ عن سعيد بن جبير أيضاً : هو الذى ليس له أحد. ٧ ـ عن إبن عباس أيضاً : ذو المتربة: البعيد التربة يعنى الغريب

البعيد عن وطنه . ٨ ـ عن أبي حامد الخارزنجي: المتربة هنا من التريب ، و هى شدة الحال يقال : ترب إذا افتقر . والمعنى : أو أطعم فقيراً قد لصق بالتراب من شدة فقره وضرّه . ٩ ـ قيل : هوالذى لاوسيلة له إلى كسب المال لضعفه و عجزه .

أقول : والاول هوالمؤيد بظاهر وصف « مسكيناً » بـ« ذا متربة » من غير تناف بينه وبين أكثر الاقوال الاخر فتامل جيداً .

١٧ـ (ثم كان من الذين آمنوا و تواصوا بالصبر و تواصوا بالمرحمة)

في قوله تعالى : « ثم كان من الذين آمنوا» أقوال : ١ ـ قيل : « ثم » بمعنى الواو أى وكان هذا العتق الرقبة والاطعام في المسغبة من الذين آمنوا ...٢ـ قيل: « ثم » للتراخي في الذكر لا في الوجود فان الايمان مقدّم على جميع تلك الخصال المعتدّ بها شرعاً كقوله :

ان من ساد ثم ساد أبوه		ثم قد ساد قبل ذلك جدّه

أى ثم اذكر انه ساد أبوه .

٣ ـ قيل : أى فلا اقتحم العقبة ولاكان من الذين آمنوا . . . والمعنى : انه لا يقتحم العقبة من فك رقبة أو أطعم في يوم ذا مسغبة حتى يكون من الذين صدقوا .

٤ ـ قيل: اريد بالتراخي الرتبة والفضيلة لأن ثواب الايمان أكثر من ثواب العتق والصدقة وعليه أصحاب المعاني والبيان .

مضافاً إلى أن شرط قبول الطاعات وصالح الاعمال ... هوالايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم . . . فالايمان بعد الانفاق لاينفع ، بل يجب أن تكون الطاعة مصحوبة بالايمان قال الله عزوجل في المنافقين: «وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلاّ أنهم كفروا بالله وبرسوله » .

قيل: أى فعل هذه الاشياء وهو مؤمن ثم بقى على ايمانه حتى الوفاة كقوله

عزوجل: « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » .

٥ ـ قيل: أى ثم كان من الذين يؤمنون بان هذا نافع لهم عندالله تعالى.

٦ ـ قيل : أى أتى بهذا القرب لوجهالله عزوجل ثم آمن بمحمد ﷺ.

٧ ـ قيل : أى ثم كان من هذا من جملة المؤمنين الذين استقاموا على ايمانهم .

٨ ـ قيل: هذا تأويل بالعاقبة ، والمعنى: ثم كان في عاقبة أمره ممن يموت على الايمان .

٩ ـ قيل : ان الاية الكريمة نزلت فيمن أتى بهذه الخصال قبل ايمانه بمحمد ﷺ ثم آمن به بعد مبعثه ، فعند بعضهم يثاب على تلك الطاعات يدل عليه ما روى : ان حكيم بن حزام بعد ما أسلم قال لرسول الله ﷺ : انا كنا نأتي بأعمال الخير فى الجاهلية ، فهل لنا منها شيء ؟ فقال ﷺ على ما قدّمت من الخير.

قيل : والمعنى : ثم كان هذا الذى قال : أهلكت مالا لبداً من الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ فيؤمن معهم كما آمنوا ...

أقول : وعلى الثانى أكثر المحققين وفى معناه الرابع من الأقوال.

و فى قوله تعالى : « و تواصوا بالصبر » أقوال : ١ ـ قيل : أى أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله عز و جل و عن معاصيه . . . ٢ ـ قيل : أى كان من المؤمنين العاملين صالحاً ، المتواصين بالصبر على أذى الناس . ٣ـ قيل: أى تواصى بعضهم بعضاً بالصبر عن الشر على نجده، وصبراً على الخير فى اقتحام عقبته، تواصياً به كعمل جماعى ـ لا فردى به . ٤ـ قيل: أى الصبر على التعاون على ترابط المجتمع وتماسكه وقدرته على البقاء ومواجهة الخطوب والاحداث ...

أقول : والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق .

و فى قوله تعالى : « و تواصوا بالمرحمة » أقوال : ١ عن إبن عباس:

أى تواصى بعضهم بعضاً بالمرحمة فيما بينهم من جهة ، وبها فيمابين الناس كلهم ولو على الكفار والمشركين . ٢ - قيل : أى نصح بعضهم بعضاً بمرحمة الحق والخير على نجده مع الايمان لقوله تعالى : « و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر » .

٣ ـ قيل : أى تواصى بعضهم بعضاً بالرحمة فيما بينهم و التعاون على تحقيق العدالة الاجتماعية ، فانهم إذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم و الفقير والمسكين و ذوىالحاجات إلى المعاونة المادية والمعنوية والتعاطف والتراحم لقوله تعالى : « محمد رسولالله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » الفتح : ٢٩) .

٤ ـ قيل: أىأوصى بعضهم بعضاً بالرأفة والرحمة على أهل الفقر وذوى المسكنة والفاقة .

أقول : و على الثالث أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين أكثر الاقوال الاخر .

١٨ ـ (اولئك اصحاب الميمنة)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ ـ عن يحيى بن سلام و أبى مسلم و الحسن : أى هم أصحاب اليمن و البركة على أنفسهم لان المؤمنين ميامين على أنفسهم و على غيرهم ، وهم الذين لا يرون مما قدّموه من الايمان وصالح الاعمال إلاّ أمراً مباركاً جميلا مرضياً . على أن اليمين مقابل الشؤم لا الشمال .

٢ ـ عن إبن زيد : أى انهم اخذوا من شق آدم الأيمن . ٣ ـ عن محمدبن كعب القرظى و الجبائى : أى الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم ، فيأخذونها بها . وان العرب تنسب كل خير إلى اليمين و كل شر إلى الشمال. ٤ ـ قيل : أى هم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة . ٥ ـ قيل: أى هم الذين عاشوا من الحياة بمينها . ٦ ـ عن ميمون بن مهران : أى هم الذين منزلتهم عن اليمين

و هى طريق النجاة والسعادة والصلاح والعزّة والفلاح والسيادة ، ولهم قدم صدق عند ربهم .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها.

١٩ ـ (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة)

فى « أصحاب المشئمة » أقوال : ١ ـ عن يحيى بن سلام : لانهم مشائيم على أنفسهم و على غيرهم ، خلاف ما لأصحاب الميمنة من اليمن و البركة لأنفسهم ولغيرهم . ٢ـ عن إبن زيد : لانهم اخذوا من شق آدم الأيسر . ٣ـ عن محمد بن كعب: لأنهم يأخذون كتبهم يوم القيامة بشمائلهم ، ويؤخذ بهم ذات الشمال .

٤ ـ قيل : هم الذين غضب الله عز و جل عليهم وأعدّ لهم ناراً موقدة ، و هم الخاسرون فى الآخرة . ٥ ـ عن ميمون بن مهران: لان منزلتهم عن ناحية اليسار.

أقول: والكلام فى المقام كالكلام فى السابق.

٢٠ ـ (عليهم نار مؤصدة)

فى «مؤصدة» أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدى وعطية العوفى ومحمد بن كعب : أى مطبقة مغلقة . من أوصدت الباب : أغلقته وأطبقته .

قال الشاعر:

تحنّ إلى أجبل مكة ناقتى　　ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة

و عن مقاتل : ان أبواب جهنم على الكافرين مطبقة ، فلا يفتح لهم باب ، ولا يخرج عنها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد . وهذا من الاسناد المجازى . وعن قتادة أيضاً : أى مطبقة لاضوء فيها ولا فرج و لا خروج منها آخر الأبد . و عن أبى عمران الجونى: إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى بكل جبار و كل شيطان و من كان يخاف الناس فى الدنيا شرّه فأوثقوا بالحديد ، ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أو صدوها عليهم أى اطبقوها . قال: فلا والله لاتستقرّ أقدامهم فيها على قرار أبداً، ولا

والله لاينظرون فيها إلى أديم سماء أبداً ، ولا والله لاتلقى جفون أعينهم على غمض نوم أبداً : ولا والله لايذوقون فيها بارد شراب أبداً .

٢ ـ قيل : أى مبهمة لايدرى ما فى داخلها . ٣ ـ عن الضحاك : أى حيط لاباب له . والمعنى : تحيط بهم نار جهنم من جميع الجوانب ، وتسدّ عليهم أبوابها فلاباب لها كما كان قبل ذلك .

أقول: وعلى الاول جمهور المفسرين.

«التفسير و التأويل»

١ـ (لا اقسم بهذا البلد)

ان القسم المنفى فيما ورد فى القرآن الكريم هو تعريض بالقسم و تلويح به دون ايقاعه إذ كان الأمر الواقع فى حيّز القسم أوضح و أظهر من أن يقسم عليه توكيداً أو تقريراً ...

كقوله عزوجل: «فلا اقسم بمواقع النجوم و انه لقسم لو تعلمون عظيم» الواقعه: ٧٥ـ٧٦)

وقوله: «فلا اقسم بما تبصرون و مالاتبصرون انه لقول رسول كريم» الحاقة: ٣٨ـ٤٠)

وقوله: «فلا اقسم برب المشارق و المغارب إنا لقادرون على أن نبدّل خيراً منهم و ما نحن بمسبوقين» المعارج: ٤٠ـ٤١)

و المعنى: اقسم يا محمد بهذا البلد، وهومكة المكرمة ام القرى التى جعلها الله عزوجل حرماً آمناً، ومنشأ لكل خير وبركة، و جعل في هذا البلد الحرام أول بيت هدى للعالمين: إذ قال: «ان أول بيت وضع للناس للذى بكة مباركاً وهدى للعالمين» آل عمران: ٩٦)

جعله مثابة للناس يرجعون إليه، و يعاودون زيارته كلما دعاهم إليه الشوق و الاستطاعة، و جعل فيه الكعبة قبلة للناس من أطرافها، و أمر بالتوجه إليها فى الفرائض و النوافل ... التى تكرر فى كل ليل ونهار بل فى كل آن على

اختلاف الآفاق ...

قال الله عزوجل : «و إذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمناً و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى وعهدنا إلى إبراهيم و إسمعيل أن طهّرا بيتى للطائفين و العاكفين و الركع السجود» البقرة : ١٢٥)

وقال : «ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم و ارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» إبراهيم : ٣٧)

وقال: «ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا» آل عمران:٩٧)

وقال : «فلنولينّك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام و حيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره» البقرة : ١٤٤)

وقد أقسم الله جل وعلا بهذا البلد الحرام فى غير هذا الموضع من كتابه المجيد فى قوله : «و هذا البلد الأمين» التين : ٣)

٢- (أنت حل بهذا البلد)

وحالكونك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مقيماً بهذا البلد ، و عرضة لايذاء أهله إذا استحلّوه بأنواعه : من الشتم و السبّ و الافتراء و ما إليها ... فى البلد الأمين حتى تضطر إلى الهجرة منه ، ولكنا سنفتحه بيدك ، و نحلّ لك يوم الفتح حيناً، فتصنع بهم ما تريد ، فتصب عليهم سوء العذاب من القتل و الاسر . . . فابيح له صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح - فى السنة الثامنة من الهجرة - ما كان حراماً من قبل ، ويكون حراماً من بعده .

٣- (و والد و ماولد)

و اقسم بكل والد ، وبكل مولود ، من خلق الله عزوجل وخاصة من النوع الانسانى .

ومن أظهر مصاديق الوالد و أكملها هو آدم ، و أتم مصاديق المولود و

أشرفها هم الانبياء و المرسلون ، و الأوصياء الصالحون المعصومون من ذريته ، وهم الـذيـن جديـر أن يكونـوا أقـدم مـن أن يقسم بهم ، و أن تسجد لهم الملائكة ...

وهذا لاينافي ماورد : ان المراد بالوالـد هـو النبى الكريـم صلى الله عليه وآله وسلم أو الامام على عليه السلام و بالولد الحسن و الحسين أو أئمة أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين لارادة أكمل الافراد .

٣ـ (لقد خلقنا الانسان فى كبد)

لقد خلقنا الانسان فـى تعب وعناء و إعتدال و إنتصاب قامـة ليقدر عـلى تحمل الشدائد و المشاق ، و على نوائب الدهر و طوارق الحدثان لنيله بالكمال الانسانى و السعادة و الفلاح و نعيم الجنة ... فلا بدله من اتعاب نفسه فى هـذه الحياة الدنيا كي يقطع تلك المراحل و العقبات الـدنيويـة بنجاح حتى يـذهب إلى عالم الحيوان مع طهارة نفسية ، إلى دار القرار مـع نفس قدسية ، و إلـى عالم الخلود مع قلب سليم .

قال الله عزوجل : «يا أيها الانسان انـك كادح إلى ربـك كدحاً فملاقيه» الانشقاق : ٦)

وقدورد صحيحاً : «الدنيا مزرعة الآخرة» و «الدنيا دار عمل ولاحساب و الآخرة دار حساب ولا عمل» . ولالذة حقيقة لنعمة لاتعب فى النيل بها ، و كلما كان التعب فيه أشد كانت هى ألذّ وإلى ذلك يشير قول النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «أفضل الأعمال أحمزها» « و حفّت الجنة بالمكاره »

ومن غير خفي على ذى مسكة : ان العمل فى الحياة الـدنيا لايخلو مـن المشاق و المتاعب والآلام ... ولابـد لهذا الانسان أن يتحمّل هـذه المشاق و الآلام ...

لينال سعادة أبدية ، و إلى ذلك يشير قوله عزوجل : «ثم كان من الذين

آمنوا وتواصوا بالصبر و تواصوا بالمرحمة اولئك أصحاب الميمنة »
البلد : ١٧ـ١٨)

٥ـ (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد)

أيحسب هذا الانسان المغرور بماله و قواه ، المعتزّ بسلطانه وحكومته ، المغترّ بجاهه و رئاسته ، المفتون بنفسه و حواشيه ، المتشامخ بذاته و عدده ، المتفاخر ببنيه وعشيرته ، و المتكاثر بأتباعه و مردته ! يحسب هذا المترف الطاغي ، و المستكبر الباغي ، والمستبد الجاني أنه في حصن حصين من الضربات و النكبات ..! يحسب انه بلغ منزلة لايقدر عليه أحد أن يغيّر قوته بالضعف ، و غناه بالفقر ، وصحته بالسقم ، و أمنه بالوحشة ، وعزته بالذلة . و كبره بالهوان! و يحسب أنه بلغ قدراً لن يقدر عليه أحد أن يسلب شيئاً مما معه !!!

ولقدرأينا في زماننا كثيراً من الناس كانوا هكذا يظنون ، ولكن ذهب عنهم ما كان معهم جداً ، فغيّرت أحوالهم كلها .. فنالوا بأضدادها فعلى اللاحقين الاعتبار جداً .

ما أجهل هذا الانسان إذا ظن ذلك ! و ما أغفله إذا حسب هكذا !

أجهله ان في هذا الوجود قوة فوق جميع القوى، وهي المهيمنة على القوى كلها ، و المسيطرة على كل قدرة ، وهي القوة التي أبدعت هذا الوجود ، و هي التي أنشأت هذا العالم ، و منه هذا الانسان الضعيف !

«الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً و شيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير» الروم : ٥٤)

أغفله انه محاط في خلقه ، مغلوب في إرادته ، مقهور فيما قدّر له من الامر، و الذي يغلبه في إرادته و يقهره على التلبس بما قدّر له و قضى عليه ، و هو الله عزوجل يقدر عليه ، وعلى كل شيء من كل جهة ، فله أن يتصرف فيه بما شاء ، و يأخذه إذا أراد !!

فلا ينبغي لانسان أن يحسب أن لن يقدر عليه أحد ، فيدعوه ذلك إلى أن يعلو على الله جل وعلا ، و يستكبر في عبادته أو يطيعه في بعض ما امره به كالا نفاق في سبيله ، فيستكثره و يمتنّ به على الله تعالى أو يمكر به سبحانه بعدما عمله رياء و سمعة عملا لوجهه الكريم فيقول : «أهلكت مالاً لبداً»

٦ ـ (يقول أهلكت مالا لبداً)

ومن الانسان من أظهر الاسلام أو مال إليه فأنفق مالا ، فيقول: أتلفت مالا كثيراً فامتنّ به مستكثراً له ، فهو ومن أنفق ماله في صدالناس عن سبيل الله تعالى وعداوة رسوله ﷺ في شرع سواء في إتلاف أموالهما ...

قال الله تعالى: « ومن الاعراب من يتخذ ماينفق مغرماً ويتربّص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم » التوبة : ٩٨) .

وقال : « ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » الانفال : ٣٦)

٧ ـ (أيحسب أن لم يره أحد)

أيحسب هذا الانسان الممتنّ المستكثر و المعارض أن لا يراه أحد ، و لا يعلم بما ينويه وما يقول به ، وما ينفقه ويمتنّ به ويستكثر ويصدّ الناس عن سبيل الله عز وجل .

ولكنه خطأ وضلّ انه جل وعلا يعلم ولايعزب عنه شيء في الارض و لا في السماء ، و لايخفى عليه خافية ، ويعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون ، يعلم بقصده حين ينفق ما ينفق رياء وسمعة و إفتخاراً وحباً للانتساب إلى المكارم و المعالي أولمشاقة الله تعالى ومعاداة رسوله ﷺ أو في وجوه اخرى يظنها خيراً و هي خسران وضلال مبين .

قال الله تعالى : « ألم يعلم بان الله يرى » العلق: ١٤)

وقال : « فلايحزنك قولهم انا نعلم ما يسرّون وما يعلنون » يس : ٧٦)

وقال : « انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون » الانبياء : ١١٠)

وقال: « انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» البقرة : ٣٣)

وقال : « انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون» الأعراف : ٣٠)

وقال : « الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً » الكهف : ١٠٤)

وقال : « و انهم يصدّونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون ـ أم يحسبون أنالانسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون » الزخرف: ٣٧ـ٨٠)

٨ ـ (ألم نجعل له عينين)

ألم نجعل للانسان عينين يبصر بهما حجج الله عزوجل و آياته التكوينية و التدوينية ، ويبصر بهما آثار الحكمة الالهية و القدرة المطلقة ، والعلم الشامل والتدبير التام فى نظام عالم الوجود، فيميّز بين الحق والباطل، بين الايمان و الكفر، بين النور والظلمات ، بين الصدق والكذب ، بين الصلاح و الفساد ، بين الفلاح و الخسران ، بين الهداية والضلالة ، وبين طريق الجنة و النار ... ما أجهله إذا غفل عن ذلك ، فيدخل إذن فى زمرة البهائم والانعام...

قال الله تعالى: «ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون » الاعراف : ١٧٩) .

وما ورد فى المقام فمن باب التأويل وهو اللب فتدبر جيداً و اغتنم جداً.

٩ ـ (ولساناً وشفتين)

و ألم نجعل للانسان لساناً ينطق به ، ويعبّر عن نفسه ما أراد ، و يترجم به عن ما فى ضميره ، ويستعين به على التكلم والدلالة على ما فى نفسه من العلم ، و يهتدى بذلك غيره على العلم بالامور الغائبة عن البصر ، ويستطيع به أن يبين طريق

الخير والشر، طريق الصلاح والفساد ، و معالم الشريعة و النجاة ، معالم السعادة والشقاء، وسبيل التقوى والفجور...وتنعقد باللسان الأمور كالشهادات والمعاملات، وتدرك به الطعوم ...

وألم نجعل له شفتين يستعين بهما على الافصاح بالنطق والبيان ، و يستر بهما ثغره، وعلى الأكل والشرب والنفخ والاطباق إذا أراد السكوت، ويقرّ بهما الشكر والثناء ، وفيهما جمال لوجهه وفمه .

فعلى كل إنسان أن يتكلم بما يعني وينطق بما يعلم، ويسكت عما لا يعني ولا يعلم، و ان هذا اللسان هو الذى يشهد يوم الفصل والجزاء على صاحبه بما نطق في الحياة الدنيا .

قال الله عزوجل : « يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم » الفتح: ١١)

وقال: «إذ تلقّونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً و هو عند الله عظيم - يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون » النور : ١٥ - ٢٤)

١٠ - (وهديناه النجدين)

وهدينا الانسان طريقى الحق والباطل ، طريقى الخير والشر ، طريقى التقوى والفجور ، معالم السعادة والشقاء ، والهدى والضلالة... إذ أودع فيه قابلية التمييز بين الطريقين والاختيار و الترجيح كلما أراد ، وجعله مسئولا عن إختياره و سلوكه إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً.

قال الله عزوجل : « و نفس و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها » الشمس: ٧-٨)

وقال . « انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » الانسان : ٣)

ونصبنا له الدلائل الواضحة والبراهين القاطعة على حسن الخير و الهدى ، وأرشدناه إلى ما في الشر من هنوات وعيوب وهلاك ودمار وعذاب ونار ، وبيناهما

بما أرسلناه من الرسل خاتمهم محمد رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والكتب السماوية آخرها القرآن الكريم وذلك هو الدين القيم :

قال الله تعالى : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » الاسراء : ٩)

وقال : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » الروم : ٣٠)

والنجد هو المرتفع العالى ، و قد سمى طريقا الحق و الباطل النجدين لما فى سلوك كل منهما من الجهد والكدح، ولان إلهام الفجور والتقوى ليس بأمر خفى، وإنما كان على المنار والشمس فى رابعة النهار ، فكأن الله عزوجل بفرط البيان لهما قدر فعهما ونصبهما للناظرين ، لمن له عينان يبصر بهما ويتبصّر ، فهذه هى الهداية التامة : الاهتداء إلى الخير لنطلبه و إلى الشر لنخالفه ، و هذا السلب والايجاب للوصول إلى نجد الصواب بحاجة ملمة إلى إقتحام العقبة ولايمكن الاقتحام إلا بالجهد والعناء .

١١ - (فلا اقتحم العقبة)

فلم يقتحم هذا الانسان المنفق الممتن المستكثر العقبة وهى فكّ رقبة أو إطعام ذوى الأوجاع . . . من الأيتام اولى القربى ، أو المساكين شديدى الفقر والحاجة مع الايمان والتواصى بالصبر والتواصى بالمرحمة حقاً ماسلك هذا الانسان هذه العقبة .

والعقبة هى الطريق الصعب الوعر الذى فيه صعود من الجبل تحفّ بسالكها المصاعب والمخاوف والمهالك... والاقتحام هو إقدام المرء على الأمر فى قوة وعزم دون مبالات بما يعترضه من عناء وتعب وصعاب ...

والمخاطب باقتحام العقبة هنا هو هذا الانسان الذى هداه الله عز و جل النجدين وعرّفه - بما أودع فيه من قوة تفكر وعقل ، وما غرس فيه من فطرة - التهدّى إلى طريق الخير أو الشر ، طريق الحق أو الباطل ، وإلى معالم الكمال

أو الانحطاط ... ثم لم يقتحم العقبة إلى موارد الخير والصلاح ، و مواقع الاحسان والبر ، و آثر أن يأخذ طريق الشر والفساد والبغي و الطغيان . . . ويتقحّم عقبته تحت غواشي ضلاله وغمرة شهواته وسطوة نزواته ...

لماذا أقدم الانسان بقوة أو هجم على الأمر الصعب وقفز إليه أو إجتازه وغلب ما في نفسه من طباع ؟؟؟

١٢ ـ (وما أدراك ما العقبة)

وأيّ شيء أشعرك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما العقبة التي ينبغي أن يقتحمها الانسان؟ هي طريقة صعبة سلوكها ، شديدة عبورها وتجاوزها إلاّ على الخاشعين ، وليس قطع العقبة صعب على المؤمنين الصابرين جداً.

قال الله عزوجل: «واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلاّ على الخاشعين» البقرة : ٤٥)

ويؤيد ذلك ما سيأتي من الروايات الواردة : ان المراد بالعقبة هي ولاية أئمة أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين ، وهي صعبة مستصعبة جداً إلاّ من خلاّص شيعتهم ، وطهّر قلبه من وساوس الشيطان ، وتركت نفسه من أدناس العصبية الجاهلية .

١٣ ـ (فك رقبة)

و من مصاديق العقبة عتق الرقاق وتحريرها أو المعاونة عليه .

وما ورد في المقام فمن باب التأويل فتأمل جيداً واغتنم جداً .

١٤ ـ (أو اطعام في يوم ذي مسغبة)

أو بذل الطعام في يوم المجاعة والجدب والقحط ، ويوم الأجوياع إلى الطعام .

ومن مصاديق قطع العقبة بذل الطعام يوم الحاجة .

١٥ ـ (يتيما ذا مقربة)

أو أطعم في مثل هذا اليوم يتيماً ، وهو من لا أب له من قرابته في النسب

والرحم. وقدثبت ان الصدقة على القرابة أفضل منها على غير القرابة، كما أن الصدقة على اليتيم الذى لا كافل لـه أفضل من الصدقة على اليتيم الذى يحدّ من يكفله . وسمي اليتيم يتيماً لضعفه .

فأولى هؤلاءِ الجياع بالاطعام : الأيتام الفقراء لضعفهم وعجزهم عن الكسب، و أحق الايتام بهـذا الاحسان ذو و القربى إذ كان للقرابة حق يجب أن يرعـى، فمن قصّر فى حق ذوى قرابته فهو مع غيرهم أكثر ضناً و أشد تقصيراً .

قال الله تعالى: «ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر و الملائكة و الكتاب والنبيين وآتـى المال على حبه ذوى القربى واليتامى» البقرة ١٧٧)

و قـال : « و اولو الارحام بعضهم أولـى ببعض فـى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » الاحزاب : ٦)

١٦ - (أو مسكينا ذا متربة)

أو أطعم مسكيناً ذا صوق بالتراب لشدة الحال والحاجة والفقر، لا وسيلة له إلى كسب المال لضعفه ، ولا إلـى دفـع الحاجة لعجزه جسمياً أو عملياً . و ماورد فى المقام فمن باب التأويل وهو اللب فتأمل جيداً واغتنم جداً .

١٧ - (ثم كان من الذين آمنوا و تواصوا بالصبر و تواصوا بالمرحمة)

لا يقتحم الانسان العقبة : من عتق الرقيق ، أو إطعام الأيتام ، أو المساكين و ذوى الحاجة إليه فـى يوم المجاعـة حتى يكون مـن الذين آمنوا بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و كتابه وباليوم الآخر.

فلا بد له مع هـذه الصفات الجميلة الطاهـرة مـن أن يكون مؤمناً بقلبه محتسب ثـواب ذلك عندالله عز وجل كما قال الله عـز وجل : « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً » الأسراء : ١٩)

وقال : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى و هـو مؤمن فاولئك

يدخلون الجنة » النساء : ١٢٤) .

فالاعمال المبرورة لاينزلها منازل القبول من الله عزوجل إلاّ الايمان بالله عزوجل.. فاذا فعلها المرء غير مؤمن بالله تعالى ، غير راغب في ثوابه ، طامع في حسن المثوبة منه ـ لم يكن لها عند الله جل وعلا وزن ...

وإليه يشير قوله تعالى : « اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » الكهف : ١٠٥)

وقوله : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » هود : ١٥ ـ ١٦)

وقوله : «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» الفرقان:٢٣)

و ذلك ان شرط قبول الطاعات و صالح الأعمال... هو الايمان والتقوى، فيجب أن تكون الطاعة صحيبة الايمان وقرينة التقوى، فلاوزن لاعمال الكفار و المستكبرين، و الفجار و المستبدين ، و الفسّاق و المجرمين . . . كما لا وزن لا نفسهم عند الله عزوجل .

قال الله تعالى : « قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبّل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين و ما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلاّ أنهم كفروا بالله و برسوله ولايأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى ولا ينفقون إلاّ وهم كارهون » التوبة:٥٣ـ٥٤)

وقال : « إنما يتقبّل الله من المتقين » المائدة : ٢٧)

وقوله تعالى : « وتواصوا بالصبر » ومن خصال المؤمنين أن يتواصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله عز و جل وفرائضه ، على التكاليف الشرعية والوظائف الدينية ، وعلى ما أصابهم من البلايا والمصائب والمكاره في سبيل الدفاع عن الحق و من الخطوب و المحن التي قلما يخلو المؤمن عنها ، و الصبر عن معاصيه جل وعلا . . .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا و اتقوا الله لعلكم تفلحون » آل عمران : ٢٠٠)

وقال : « ان الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » العصر : ٢ ـ ٣)

وقال : « الذين إذا ذكر الله و جلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم » الحج : ٣٥)

وقال : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون » الفرقان : ٢٠)

وقال : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ـ و الصابرين في البأساء والضراء و حين البأس اولئك الذين صدقوا و اولئك هم المتقون» البقرة : ١٥٥ ـ ١٧٧)

وقال : « وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين» الانفال : ٤٦)

وقوله تعالى : « وتواصوا بالمرحمة » ومن خصالهم أن يتواصى بعضهم بعضاً بالتراحم والتعاطف و التعاون فيما بينهم و يواسونهم ويساعد منهم حين البأساء و الضراء ...

فلا يكفي الايمان وحده كما لايكفي عتق الرقيق و بذل الطعام بلا ايمان ، فمجرد الايمان لايمكن المرء من إقتحام هذه العقبة ، و إن كان يدعو إلى إقتحامها ، و يشد البصر نحوها . . . بل لابد من أن تقوم مع الايمان دعوة موجهة إلى الصبر والرحمة ، و أن يتزود المرء بزاد عتيد منها .

التواصي بالصبر والرحمة هو إلحاح المرء على نفسه بالدعوة إليها والتمسك بهما ، فاذا جزع في مواجهة مال يخرج من يده حمل نفسه على الصبر على ما تكره ، و استدعى من مشاعره دواعي الجنان والرحمة ...

فذلك مما يعينه على مغالبة أهوائه ، و قهر شحّه و بخله .. ثم لايقف المرء عند هذا بل ينبغي أن يكون هو داعية إلى الصبر و الرحمة و يبشر بهما فى الناس ، ويدعو إليهما فى كل مجتمع، ويواصى من قوة التلقين والنفع العميم للمجتمع الاسلامى ، فذلك من شأنه أن يترك آثاره فيه إلى جانب ما يترك من إشاعة هذا المعروف بين الناس ...

١٨- (اولئك أصحاب الميمنة)

هؤلاء المتصفون بتلك الصفات الجميلة هم أهل خير و يمن و بركة و إحسان فى الحياة الدنيا ، وأصحاب يمين يوم القيامة إذ يؤتيهم كتابهم بأيمانهم، فيحاسبون حساباً يسيراً، و يؤخذ بهم من أيمانهم و ينقلبون إلى أهلهم مسرورين .

قال الله تعالى : «فأما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً و ينقلب إلى أهله مسروراً» الانشقاق : ٧-٩)

وقال : «و أصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود- عرباً أتراباً لاصحاب اليمين» الواقعة : ٢٧-٣٨)

وقال : «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم» الحديد : ١٢)

١٩- (والذين كفروا بآياتناهم أصحاب المشئمة)

والذين كفروا بالآيات التدوينية و التكوينية ، و الآفاقية و الأنفسية الدالة على توحيد ربوبية الله عزوجل والوهيته، على شمول علمه وغاية حكمته، وعلى تمام تدبيره و كمال قدرته ...

اولئك الذين بقوا وراء العقبة ولم يقتحموها بوجهها ، هم أصحاب الشقاء و الشوم و البلاء على أنفسهم وعلى غيرهم ، المبتعدون عن مكارم الاخلاق و

جميل الصفات و صالح الأعمال لاخير فيهم فى الحياة الدنيا ، و هم الذين يؤتيهم كتابهم بشمالهم تحمل تلك الصحائف مشائيمهم و سوء مصيرهـم شؤمهم علـى أنفسهم و شؤمهم على غيرهم إذ كانوا هم فى الحياة الدنيا أينما يضعون أقدامهم تذهب البركات بكفرهم و طغيانهم ، بجرمهم و عصيانهم ، بظلمهم و إستبدادهم، و ببغيهم و إستكبارهم ...

وهم يؤخذون من شمالهم فى الدار الآخرة .

قال الله تعالى : «و أصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة ـ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ـ انهم كانوا قبل ذلك مترفين» الواقعة : ٩ـ٤٥)

وقال: «وأما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم أدرما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما اغنى عنى مـاليه هلك عنى سلطانية خذوه فغلوه ثم الجحيم صلّوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لايـؤمن بالله العظيم ولا يحضّ على طعام المسكين» الحاقة : ٢٥ـ٣٤)

و ماورد فى المقام فمن باب التأويل فتأمل جيداً .

٣٠ـ (عليهم نار مؤصدة)

على هؤلاء الكفرة الفاجرة ، على هؤلاء الفسقة الجابـرة ، علـى هـولاء المستبدة الباغية ، على هؤلاء المستكبرة الطاغية ، على هـؤلاء الظلمة مـن أبناء الدنيا و الرئاسة ، وعلى هؤلاء الشومة و عبيد الشهوة ...

نار جهنم مطبقة مغلقة:إذهم يلقون فى كبدها، وتغلق عليهم أبوابها، وتحيط بهم حراقتها ، فتأكل لحومهم ، و تكسر عظامهم ، و تطلع على أفئدتهم ... كما انهم كانوا فى الحياة الدنيا يكسرون قلوب الأرقاء و الأيتام و المساكين بترك الرحمة و الاطعام عليهم .

وهم فيها خالدون لاطعام لهم فيها إلاّ من غسلين ، ولا فكاك لهم منها ، ولا مهرب ولا إفلات ولا خروج ولا خلاص لهم من عذابها .

قال الله تعالى : «انه كان لايؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم هيهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لايأكله إلا الخاطئون» الحاقة : ٣٣ـ٣٧)

و قال : «ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالاً وعدده يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن فى الحطمة و ما أدراك ما الحطمة نارالله الموقدة التى تطلع على الأفئدة انها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة» الهمزة : ١ـ٩)



﴿ جملة المعاني ﴾

٦٠٢٤- (لا اقسم بهذا البلد)

اقسم يا محمد بمكة المكرمة التى جعلناها حرماً آمناً، ومنشأ لكل خير وبركة.

٦٠٢٥- (وأنت حل بهذا البلد)

حالكونك يا محمد مقيماً الآن بهذا البلد، ثم تخرج منه على طريق الاضطرار، ثم تحلّ فيه بالفتح و الغلبة فى مستقبل الزمان.

٦٠٢٦- (ووالد وماولد)

و اقسم بآدم عليه السلام و ذريته من الأنبياء و الأوصياء و الصالحين.

٦٠٢٧- (لقد خلقنا الانسان فى كبد)

لقد خلقنا الانسان فى تعب وعناء فى الحياة الدنيا لنيل سعادة الدارين.

٦٠٢٨- (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد)

أيغترّ إنسان - و هذه حاله - بقوته، و يفتن بماله، فيظن انه بلغ منزلة لا يقدر عليه أحد أن يغيّر قوته بالضعف وغناه بالفقر، و صحته بالسقم، وأمنه بالوحشة؟؟؟

٦٠٢٩- (يقول أهلكت مالا لبداً)

يقول بعض من أظهر الاسلام أو مال إليه: أتلفت مالاً كثيراً ممتناً به مستكثراً له.

۶۰۳۰- (أيحسب ان لم يره أحد)

أيظن هذا الانسان المغرور أن لايراه أحد، ولا يعلم ماينويه، ومايقول به.

۶۰۳۱- (ألم نجعل له عينين)

ألم نجعل له عينين يبصر بهما حجج الله تعالى وآياته الآفاقية و الانفسية فيميّز بهما بين الحق و الباطل، و الضار و النافع ...

۶۰۳۲- (ولساناً و شفتين)

و ألم نجعل للانسان لساناً يعبّر عن نفسه ما أراد ، و شفتين يستعين بهما على البيان ، و ما لهما من الفوائد ..

۶۰۳۳- (وهديناه النجدين)

وهدينا الانسان طريقى الخير و الشر إذ أودعنافيه ما يميّز به الحق من الباطل ، و بيّنا له طريق الهدى و الضلالة بارسال الرسل ودعاة الدين .

۶۰۳۴- (فلا اقتحم العقبة)

فلم يقتحم هذا الانسان المنفق الممتن المستكثر العقبة .

۶۰۳۵- (وما أدراك ما العقبة)

وأىّ شيء أعلمك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ماهى العقبة ؟

۶۰۳۶- (فك رقبة)

من مصاديق العقبة عتق الرقيق أو المعاونة عليه .

۶۰۳۷- (أو اطعام فى ذى مسغبة)

ومن مصاديقها الاخر بذل الطعام فى يوم المجاعة .

۶۰۳۸- (يتيماً ذا مقربة)

أطعم يتيماً من لاأب له من ذوى أقربائه فى النسب و الرحم.

۶۰۳۹- (أو مسكيناً ذا متربة)

أو أطعم مسكيناً ذالصوق بالتراب للفقد و الحرمان و الحاجة .

۶۰۴۰- (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر و تواصوا بالمرحمة)

لايقتحم الانسان هذه العقبة ... حتى يكون من الذين آمنوا ، و يوصى

بعضهم بعضاً بالصبر و الثبات على الايمان ، و يوصى بعضهم بعضاً بالرحمة والرأفة فيما بينهم .

٦٠٤١- (اولئك أصحاب الميمنة)

الذين فعلوا تلك الافعال ، و اتصفوا بتلك الصفات هم أصحاب يمن و بركة فى الحياة الدنيا ، و أصحاب يمين فى الدار الآخرة .

٦٠٤٢- (والذين كفروا بآياتناهم أصحاب المشئمة)

والذين كفروا بالآيات الآفاقية و الأنفسية هم أصحاب شؤم لاخير فيهم فى الحياة الدنيا ، وهم أصحاب شمال فى الدار الاخرة .

٦٠٤٣- (عليهم نار مؤصدة)

على الكافرين تطبق النار ، و تغلق عليهم أبوابها ، فلا يستطيعون الفكاك و لاالخلاص منها .



﴿بحث روائي﴾

في الكافي : باسناده عن مسعدة بن صدقة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : كانت الجاهلية يعظمون المحرم ولا يقسمون بـه ولا شهر رجب ، ولا يعرضون فيهما لمن كان فيهما ذاهباً أو جائياً ، و إن كان قتل أباه، ولا شيء يخرج من الحرم دابّة أوشاة أو بعيراً أو غير ذلك ، فقال الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : «لا اقسم بهذا البلد و أنت حلّ بهذا البلد» قال : فبلغ من جهلهم انهم إستحلّوا قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعظموا أيام الشهر حيث يقسمون به فينقضون .

وفيه: عن بعض أصحابه قال : سئلته عـن قـول الله عزوجل : «فلا اقسم بمواقع النجوم» قال : عظم إثم من يحلف بها، قال: وكان أهل الجاهلية يعظمون الحرم ولا يقسمون به ويستحلون حرمة الله فيه ولا يعرضون لمن كـان فيه ولا يخرجون منه دابة ، فقال الله تبارك و تعالى : «لا اقسم بهذا البلد و أنت حل بهذا البلد و والد وماولد» قال : يعظمون البلد أن يحلفوا به ، ويستحلون فيه حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى : «و والد وماولد» .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : «لا اقسم بهذا البلد » قـال : البلد مكة ، «و أنت حلّ بهذا البلد» قال : كانت قريش لايستحلّون أن يظلموا أحداً في هذا البلد ، و يستحلّون ظلمك فيه .

وفي المجمع: و قد قال صلى الله عليه وآله وسلم : «لايحلّ لأحد قبلي ولا يحلّ لأحد من

بعدى ، ولم يحلّ لى إلاّ ساعة من نهار» .

وفيه: و قيل : معناه : لااقسم بهذا البلد وأنت حلّ فيه منتهك الحرمة ، مستباح العرض لاتحترم، فلم يبن للبلد حرمة حيث هتك حرمتك عن أبى مسلم وهو المروى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: كانت قريش تعظم البلد، وتستحل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فيه، فقال : «لا اقسم بهذا البلد و أنت حلّ بهذا البلد» يريد انهم إستحلّوك فيه ، فكذّبوك وشتموك وكانوا لايأخذ الرجل منهم فيه قاتل أبيه، ويتقلدون لحاء شجر الحرم ، فيأمنون بتقليدهم إياه فاستحلّوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالم يستحلّوا من غيره فعاب الله ذلك عليهم ثم عطف على القسم ، فقال : «و والد وماولد» يعنى آدم عليه السلام و ذريته .

وفيه: و قيل : آدم و ماولد من الأنبياء و الأوصياء و أتباعهم عن أبى عبد الله عليه السلام .

وفى الجامع لأحكام القرآن : و روى أبوصالح عن إبن عباس قال: احلّت له ساعة من نهار ثم اطبقت وحرّمت إلى يوم القيامة و ذلك يوم فتح مكة . و ثبت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : «إن الله حرّم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام إلى أن تقوم الساعة ، فلم يحل لأحد قبلى ولا تحلّ لأحد بعدى، ولم تحلّ لى إلاّ ساعة من نهار» الحديث .

وفى تفسير ابن كثير : و هذا المعنى الذى قالوه قدورد به الحديث المتفق على صحته: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والارض فهوحرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه و إنما أحلت لى ساعة من نهار و قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهدالغائب»

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : «و والد وماولد» قال : آدم وماولد من الانبياء والاوصياء «لقد خلقنا الانسان فى كبد» أى منتصباً ولم يخلق مثله شىء .

وفي الكافي : باسناده عن جابر بن يزيد قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل : «و والد وماولد» يعني علياً و ماولد من الأئمة عليهم السلام .

وفيه: باسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام قال لي: ياأبابكر قول الله عزوجل: «و والد وماولد» وهو علي بن أبيطالب والحسن والحسين عليهم السلام.

وفي الاختصاص: باسناده عن سليمان بن قيس الشامي انه سمع علياً عليه السلام يقول : إني و أوصيائي من ولدي أئمة مهتدون كلنا محدثون ، قلت : يا أمير المؤمنين من هم؟ قال : الحسن و الحسين ، ثم ابني علي بن الحسين قال : و علي يومئذ رضيع ثم ثمانية من بعده واحداً بعد واحد وهم الذين اقسم الله بهم، فقال : «و والد وماولد» أما الوالد فرسول الله و ماولد يعني هؤلاء الأوصياء فقلت : يا أمير المؤمنين أيجتمع إمامان ؟ فقال: لا إلاّ واحد هما مصمت لاينطق حتى يهلك الأول .

وفي شواهد التنزيل : للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن حسين بن أبي يعفور عن بعض أصحابه عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل : «و والد و ماولد» قال : الوالد أمير المؤمنين و ماولد الحسن و الحسين عليهم السلام.

وفيه: باسناده عن جابر قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله : «و والد وماولد» قال : علي عليه السلام و ماولد.

وفي ربيع الأبرار : للزمخشري عن الحسن عليه السلام في قوله سبحانه وتعالى: «لقد خلقنا الانسان في كبد»: لاأعلم خليقة يكابدمن الامر مايكابد من الانسان يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة .

و في تفسير ابن كثير : عن عبد الحميد بن جعفر قال : سمعت محمدبن علي أبا جعفر الباقر عليه السلام سئل رجلا من الأنصار عن قول الله تعالى : «لقد خلقنا الانسان في كبد» قال في قيامه و إعتداله فلم ينكر عليه أبوجعفر عليه السلام .

وفي العلل: باسناده عن حماد بن عثمان قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنا نرى الدواب في بطون أيديها الرقعتين مثل الكيّ ، فمن أيّ شيء ذلك ؟ فقال: ذلك موضع منخريه في بطن امه ، و إبن آدم منتصب في بطن امه ، و ذلك قول الله عزوجل : «لقد خلقنا الانسان في كبد» و ماسوى إبن آدم فرأسه في دبره و يداه بين يديه .

وفي الكافي: علي بن محمد مرسلا عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث قال ـ : وهو قائم ليس على معنى إنتصاب و قيام على ساق في كبد كما قامت الاشياء ، ولكن قائم يخبر انه حافظ كقول الرجل القائم بامرنا فلان .

وفي تفسير القمي : باسناده إلى الحسين بن أبي يعقوب عن بعض أصحابه عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : «أيحسب أن لن يقدر عليه أحد» يعني يقتل في قتله إبنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أهلكت مالاً لبداً» يعني الذى جهّز به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جيش العسرة ـ أي غزوة تبوك ـ «أيحسب أن لم يره أحد» قال : في فساد كان في نفسه .

في لسان العرب لابن منظور : النعثل : الشيخ الأحمق . و نعثل : رجل من أهل مصر كان طويل اللحية . وقال إبن منظور : قيل : انه ـ رجل مصري ـ كان يشبه عثمان ، ثم قال : وفي حديث عائشة : «اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا » تعني عثمان ، و كان هذا منها لما غاضبته ، و ذهبت إلى مكة .

وفي تفسير البرهان : بالاسناد عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان السبب في تزويج رقية من عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نادى في أصحابه ! من جهّز جيش العسرة و حفر بئر أرومة ، و أنفق عليهما من ماله ضمنت له على الله بيتاً في الجنة ، فأنفق عثمان على الجيش و البئر ، فصار له البيت في الجنة ، فقال عثمان بن عفان ، أنفق عليهما من مالي و تضمن لي البيت في الجنة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنفق يا عثمان عليهما ، و أنا الضامن على الله بيتاً في

الجنة ، فأنفق عثمان على الجيش ، فصار لـه البيت فـى ضمان رسول الله صلى الله عليه وآله فالقى فى قلب عثمان أن يخطب رقية فخطبها من رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال صلى الله عليه وآله : ان رقية تقول : لاتـزوجك نفسها إلاّ بتسليم البيت الـذى ضمنته لك فى الجنة إليها بصداقها ، و انى ابرء من ضمانى لك البيت فـى الجنة فقال عثمان : افعل يا رسول الله ، فزوّجها إياه و اشهد فـى الـوقت ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد بريء من ضمان البيت لعثمان ، و ان البيت لرقية دونـه لارجعة لعثمان على رسول الله صلى الله عليه وآله فى البيت عـاشت رقية أو مـاتت تـوفيت قبل أن تجتمع و عثمان .

أقول: و قد اختلفت الروايات: هل كانت رقية من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة عليها السلام أو كانت ربيته صلى الله عليه وآله من أحد زوجيها الاولين ؟

وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فـى قولـه : «يقول أهلكت مالاً لبداً» قال : هو عمر و بن عبدود حين عـرض عليه على بـن أبيطالب عليه السلام الاسلام يوم الخندق وقال : فأين ما أنفقت فيكم مالاً لبداً . و كان أنفق مالاً فـى الصدّ عن سبيل الله فقتله على عليه السلام «أيحسب أن لم يره أحد» قال : فـى فساد كان فى نفسه .

و فى كنز الفوائد للكراجكى رضوان الله تعالـى عليه عـن أبى يعقوب الأسدى عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله عزوجل: «ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين» قال : العينان : رسول صلى الله عليه وآله و اللسان : أمير المؤمنين عليه السلام و الشفتان :الحسن و الحسين عليهما السلام «و هديناه النجدين» إلـى ولا يتهم جميعاً ، وإلـى البراءة من أعدائهم جميعاً .

وفى الكافى : باسناده عن حمزة بن محمد عن أبى عبدالله عليه السلام قال: سئلته عن قول الله تعالى : «وهديناه النجدين» قال : نجد الخير و الشر .

وفى مجالس الشيخ الطوسى قدس سرّه باسناده عن هشام بـن سالـم عـن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل : «و هديناه النجدين» قال : الخير والشر.

وفي تفسير القمي: في قوله : «وهديناه النجدين» قال : بيّنا له طريق الخير و طريق الشر .

وفي المجمع: روى انه قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : ان اناساً يقولون في قوله : «و هديناه النجدين» : انهما الثديان ، فقال : لاهما الخير و الشر وقال الحسن : بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أيها الناس هما نجدان : نجد الخير و نجد الشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير ؟

وفي شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن أبان بن تغلب عن أبي جعفر عليه السلام و سئل عن قول الله تعالى : «فلا اقتحم العقبة» فضرب بيده إلى صدره ، فقال : نحن العقبة من اقتحمها نجى.

وفي كنز الفوائد: باسناده عن أبان قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن هذه الآية : «فلا اقتحم العقبة» فقال : يا أبان هل بلغك من أحد فيها شيء ؟ فقلت : لافقال : نحن العقبة ، فلا يصعد إلينا إلاّ من كان منا ثم قال : يا أبان ألا أزيدك فيها حرفاً خيراً لك من الدنيا و ما فيها ؟ قلت : بلى قال : فك رقبة الناس مما ليك النار كلهم غيرك و غير أصحابك ، ففكّهم الله منها ، قلت : بما فكّنا منها ؟ قال : بولايتكم أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام .

وفيه: باسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى « فك رقبة » قال : الناس كلهم عبيدالنار إلاّ من دخل في طاعتنا وولايتنا فقد فكّ رقبته من النار والعقبة ولايتنا .

و في تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « فك رقبة » قال : بنا تفكّ الرقاب وبمعرفتنا ، و نحن المطعمون في يوم الجوع وهو المسغبة .

و فيه : « وما أدراك ما العقبة » قال : العقبة : الأئمة عليهم السلام من صعدها فك رقبته من النار « أومسكيناً ذا متربة » قال : لايقيه من التراب شيء .

وفيه: عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : «فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة» يقول : ما أعلمك وكل شيء في القرآن « ما أدراك » فهو ما أعلمك « يتيماً ذامتربة » يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمقربة : قرباه « أو مسكيناً ذامتربة » يعني أمير المؤمنين عليه السلام مترب بالعلم .

أقول: إقتحام العقبة كناية عن الدخول في أمر شديد بصعب إعتواده ، وإنما عبّر عن الولاية باقتحام العقبة لشدتها على المنافقين ، أولشدة سلوكها على السالكين، وحمل ما بعده على الولاية على المبالغة حملا للمسبب على السبب، والسببية في الفكّ ظاهر ، وأما في الاطعام فعلى ما في هذا الخبر من حمل اليتيم والمسكن عليهم عليهم السلام أيضاً ظاهر ، وعلى ما في غيره فان الولاية سبب لتسلط الامام ، فيهدي الناس ويفكّ رقابهم من النار ويطعم الفقراء والمساكين ويؤدّي إليهم حقوقهم .

ويؤيده ما في رواية أبي بصير : « نحن المطعمون في يوم الجوع » ويحتمل أيضاً بعض الاخبار أن يكون المراد باليوم ذي المسغبة يوم القيامة، وباليتامى الشيعة المنقطعين عن امامهم ، وبالمساكين فقراء الشيعة ، فان الولاية سبب لاطعامهم في الآخرة .

و قوله : عليه السلام « مترب بالعلم » أي مستغن فيه عن غيره.

و في الكافي : باسناده عن معمر بن خلاد قال : كان أبو الحسن الرضا عليه السلام إذا أكل أتى بصحيفة (بصحفة خ)، فتوضع بقرب مائدته ، فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به ، فيأخذ من كل شيء شيئاً ، فيوضع في تلك الصحيفة ثم يأمر بها للمساكين ، ثم يتلو هذه الآية : « فلا اقتحم العقبة » ثم يقول : علم الله عز وجل انه ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبة ، فجعل لهم سبيلا إلى الجنة .

قوله عليه السلام: « بصحفة أو صحيفة » : بقصعة كبيرة منبسطة .

وفيه : باسناده عن محمد بن عمر بن يزيد قال: أخبرت أبا الحسن الرضا عليه السلام أني

اصبت با بنين وبقي لي بني صغير ، فقال : تصدق عنه ، ثم قال حين حضر قيامي: مر الصبي فليتصدق بيده بالكسرة والقبضة والشيء وإن قل ، فان كل شيء يراد به الله وإن قل بعد أن تصدق النية فيه عظيم .

إن الله عزوجل يقول : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وقال : « فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذى مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة » علم الله عزوجل ان كل أحد لايقدر على فك رقبة ، فجعل إطعام اليتيم والمسكين مثل ذلك تصدق عنه.

وفيه : باسناده عن عبدالله بن ميمون القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أطعم مؤمناً حتى يشبعه لم يدر أحد من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة ، لاملك مقرب ولانبي مرسل إلا الله رب العالمين، ثم قال : من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان ، ثم تلا قول الله عزوجل: « أو إطعام في يوم ذى مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ».

وفي المجمع : و روى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : ان أمامكم عقبة كؤوداً لايجوزها المثقلون ، وأنا اريد أن اخفف عنكم لتلك العقبة .

وفي تفسير ابن كثير الدمشقي عن سلمان بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم إثنتان صدقة وصلة ».

وفي الجامع لاحكام القرآن : وروى عن أبي الدرداء انه قال : إن وراءنا عقبة أنجى الناس منها أخفهم حملا .

وفيه : وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « من موجبات الرحمة إطعام المسلم السغبان »

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى : « أو مسكيناً ذا متربة » قال : لا يقيه من التراب شيء .

وفي المجمع : وفي الحديث عن معاذبن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أشبع جائعاً في يوم سغب أدخله الله يوم القيامة من باب من أبواب الجنة ، لايدخلها إلاّ من فعل مثل مافعل .

وفي رواية: « الراحمون يرحمهم الرحمن، إرحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » .

وفي رواية : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس »

وفي رواية : « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا »

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لاتناجشوا ولاتباغضوا و لا تحاسدوا و كونوا إخواناً متعاضدين .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « أصحاب الميمنة » قال : أصحاب أمير المؤمنين « والذين كفروا بآياتنا » قال : الذين خالفوا أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام « هم أصحاب المشئمة» قال: أصحاب المشئمة أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم « عليهم نار موصدة » أي مطبقة .

وفي البرهان : عن إبن عباس في قوله : « وتواصوا بالصبر » على فرائض الله عزوجل « وتواصوا بالمرحمة » فيما بينهم ولايقبل هذا إلاّ من مومن .

﴿ بحث فقهي ﴾

قال الله عزوجل : « فك رقبة » البلد : ١٣)

الفك : هو حل القيد ، والرق قيد ، وسمي المرقوق رقبة لانه بالرق كالاسر المربوط في رقبته ، وسمي عتقها فكاً كفك الأسير من الاسر.

ففك الرقبة هي خلاصها من الاسر ، وهذا هو معنى العتق ، وهو تخليص العبد من ذل الرقية .

ويستدل بالآية الكريمة على إستحباب العتق إستحباباً موكداً ، و انه من أفضل القرب من الله تعالى إذ علق مجاوزة العقبة على فك الرقبة ، وأنه أفضل من إطعام الاجوياع من الايتام والمساكين ... لتقديمه عليه ، و كفاه فضلا انه تعالى جعله كفارة قتل المؤمن خطأ ، والافطار عمداً في رمضان المبارك...

وجعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكاكاً للمعتق من نار جهنم وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أيما رجل أعتق رجلا مسلماً كان فكاكه من النار ... » الحديث .

وفي صحيح زرارة عن الامام الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أعتق مسلماً أعتق الله العزيز الجبار بكل عضو منه عضواً من النار.

وروى ان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قال له رجل : علمني عملاً يدخلني الجنة ؟ قال : اعتق النسمة وفك الرقبة قال : أليسا سواء يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : لاعتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها .

وبذلك يستدل على جواز إعطاء المكاتب من الصدقات لانه معونة في ثمنه

كقوله تعالى فى شأن الصدقات وفى الرقاب ...

و ان الايات التى تنطق بتحرير الرقبة فى الكفارات تدل على فضل العتق ، وانه من أكرم الاحسان وأفضل الانعام، ولاخلاف فى الفضل فيه بين الامة الاسلامية.

ومن الآيات الكريمة قوله تعالى : « و إذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه » الاحزاب : ٣٧)

وذلك ان الخطاب : «تقول» للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بـ « الذى» هو زيد بن الحارثة والمراد بانعام الله تعالى عليه توفيقه للاسلام، وإنعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه إعتاقه بعد أن ملكه بالهبة إذ وهبته له خديجة سلام الله عليها زوجة النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

فدلت الآية الكريمة على مشروعية تملك الانسان من جهة ، و على رجحان عتقه من جهة اخرى ، و كون المعتق منعماً ، وقد سمى الله تعالى العتق إنعاماً لان العتق سبب لايجاد العتق لنفسه ، ففيه شبه ايجاد بعد العدم ، وذلك نعمة لاتوازى فدلت على أن فى العتق فضلا كثيراً وثواباً جزيلا حيث كنى عن العتق بالانعام.

ويختص الرق بأهل الحرب دون أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس القائمين بشرائط الذمة ، ولو أخلّوا دخلوا فى قسم أهل الحرب.

﴿ بحث مذهبى ﴾

يستدل بقوله عزوجل : «و هديناه النجدين» البلد : ١٠) على أن للانسان هدايتين خاصتين ، غير ماله من الهداية العامة التى يشترك فيها بما سواه من الخلق كافة، يعبّر عنها بهداية فطرية مرتكزة فى جبلّة الأشياء كلها : من الحيوان و النبات و الجماد . . . : «ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى» طه : ٥٠) و «ان علينا للهدى» الليل : ١٢) و «الذى قدّر فهدى» الاعلى : ٣)

ويعبّر عن إحدى هاتين الهدايتين بالهداية الباطنية ، وهى المقدرة العقلية للانسان يستطيع بها أن يميّز بين الحق و الباطل ، بين الايمان و الكفر ، بين الهداية و الضلالة ، بين الخير و الشر ، بين الصلاح و الفساد ، بين المنافع و المضار ، بين الحسن و القبح ، بين الطاعة و الطغيان ، بين العدل و الظلم وبين سواء السبيل و طريق الضلال ... إذا لم يغلبه هواه ولم ينهمك فى شهواته ، ولم يستسلم لقيادة النفس الأمارة بالسوء ، ويعبّر عن هذه المقدرة بالرسول الباطنى.

وعن الاخرى بالهداية الخارجية التى تؤيد تلك الهداية الباطنية ، و هى نصب الدلائل الواضحة و الحجج البالغة ، و بعث الانبياء و إرسال الرسل و إنزال الكتب و تشريع الشرائع ... و إنما جائت الانبياء عليهم السلام إلى البشرية ليؤيدوا ما هداهم إليه نور العقل ، وهو حجة الله عزوجل و دليله المتركب فى كمون الانسان ، ولولاه لم ينفع هدى رسول ، ولا إرشاد نبى، ولا نصيحة وصىّ ، ولا وعظ خطيب ...

في الكافي : باسناده عن هشام بن الحكم عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال له : «يا هشام ان الله تبارك و تعالى أكمل للناس الحجج بالعقول و نصر النبيين بالبيان و دلّهم على ربوبيته بالأدلة ـ إلى أن قال ـ : يا هشام ان لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والانبياء و الائمة عليهم السلام و أما الباطنة فالعقول»

فالله عزوجل قد تكفل لهذا الانسان هدايته إلى طرق الصلاح و الفساد ، والفلاح و الخسران ... و إن كان قد أمر باتباع طرق الخير و النجاح ... فعليه تعالى أن يهدى قاصد السبيل إطلاقاً غير ان منها جائر نهى عن إتباعها ، و إن كان قد أقدر على الاختيار لحكمة التكليف و الاختيار .

ففى الاية الكريمة ردّ على أهل الجبر من الأشاعرة و أذنابها في الهداية و الضلالة فراجع إلى نظراتهم السخيفة و تأمل و اغتنم .

﴿ العين و حقيقتها ﴾

قال الله عزوجل : « ألم نجعل له عينين » البلد : ٨)

العين حاسّة يدرك بها البصر ، وهي أكرم أعضاء الانسان وانفعها حتى يقال: إنها سلطان الجسم .

فلايخفى على البصير ما بين البصر والعين ، حيث ان العين آلة البصر وهي الحدقة ، والبصر إسم للرؤية ، ولهذا يقال: إحدى عينيه عمياء ، ولايقال: أحد بصريه أعمى ، و ربما يجرى البصر على العين الصحيحة مجازاً ، ولايجرى على العين العمياء ، وهذا دليل على أنه إسم للرؤيـة ، ويسمى العلم بالشىء إذا كان جلياً بصراً ، يقال : لك فيه بصر يراد أنك تعلمه كما يراه غيرك .

في المناقب لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه ـ مما أجاب الامام علي بن موسى الـرضا عليه آلاف التحية والثناء بحضرة المأمون لضباع إبـن نصر الهندي و عمران الصابي عن مسائلهما ـ : قال عمران: العين نور مركبة أم الروح تبصر الاشياء من منظرها ؟ قال عليه السلام : العين شحمة وهو البياض والسواد ، والنظر للروح ، دليله انك تنظر فيه فترى صورتك في وسطه ، والانسان لا يرى صورته إلاّ فـي ماء أو مرآة وما أشبه ذلك .

قال ضباع : فاذا عميت العين كيف صارت الروح قائمة والنظر ذاهب؟ قال : كالشمس طالعة يغشاها الظلام ، قال : أين تذهب الروح ؟ قال : أيـن يذهب الضوء الطالع من الكوّة في البيت إذا سدّت الكوّة ؟ قال : أوضح لي ذلك قال : الروح

مسكنها في الدماغ وشعاعها منبثّ في الجسد بمنزلة الشمس دارتها فـي السماء و شعاعها منبسط على الارض ، فاذا غابت الدارة فلا شمس دارتها فـي السماء ، و إذا قطعت الرأس فلاروح .

قوله : « نور مركبة » أي مدرك ركب في هذا العضو وهو يدرك المبصرات أم المدرك الـروح و هـذا منظره ؟ و اختار الامام عليه السلام الثانـي و تؤيـده الآيات الكريمة منها :

قال الله عزوجل : « أم لهم أعين يبصرون بها » الاعراف : ١٩٥)

وقال : « فأغشيناهم فهم لايبصرون » يس : ٩)

وقال . « ولوشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم » البقرة : ٢٠)

وقداختلفت كلمات الحكماء والفلاسفة والرياضيين في حقيقة العين والبصر إختلافاً كثيراً ...

فتقول الحكماء : ان البصر هو قوّة مودعة في ملتقى العصبتين المجوّفتين النابتتين من غور البطنين المقدّمين مـن الدماغ يتيا مـن النابت منهما يساراً ، ويتيا سر النابت منهما يميناً ، فيلتقيان و يصير تجويفهما واحداً ، ثـم ينعطف النابت منهما يميناً إلى الحدقة اليمنى ، والنابت منهما يساراً إلى الحدقة اليسرى ، ويسمى الملتقى بمجمع النور .

وذهب الطبيعيون من الفلاسفة إلى انـه بانطباع شبح المرئيّ فـي جزء مـن الرطوبة الجليدية التي هي بمنزلة البرد والجمد فـي الصقالة المرآتية ، فاذا قابلها متلوّن مستنير إنطبع مثل صورته فيها كماينطبع صورة الانسان في المرآة لا بـأن ينفصل مـن المتلوّن شيء ويميل إلى العين بل بأن يحدث مثل صورته فـي عين الناظر ، و يكون إستعـداد حصولـه بالمقابلة المخصوصة مـع توسّط الهواء المشفّ .

و استدلّوا على ذلك بامور :

أحدها : ـ وهو العمدة ـ : ان العين جسم صقيل نورانى ، و كل جسم كذلك إذا قابله كثيف ملوّن انطبع فيه شبحه كالمرآة .

والجواب عنه : بأنه بعد تمامه لايفيد إلاّ إنطباع الشبح ، و أما كون الابصار به فلا .

ثانيها ـ ان الاحساس بسائر الحواس ليس لأجل خروج شيء من المحسوس بل لأجل أن يأتيها صورة المحسوس ، فكذا حكم الابصار .

والجواب عنه : انه تمثيل بلاجامع .

ثالثها ـ ان كون رؤية الأشياء الكبيرة من البعيد صغيرة لضيق زاوية الرؤية لا يتأتى إلاّ مع القول بكون موضع الرؤية هو الزاوية كما هو رأى أصحاب الانطباع لا القاعدة على ما هو رأى القائلين بخروج الشعاع فانها لا تفاوت .

والجواب عنه : ان العلة غير مسلّم كيف و أصحاب الشعاع يذكرون له وجهاً آخر .

رابعها ـ ان من حدق النظر إلى الشمس ثم انصرف عنها يبقى فى عينه صورتها زماناً ، وذلك يوجب ما قلناه .

والجواب عنه : ان الصورة غير باقية فى الباصرة بل فى الخيال و شتان بينهما .

خامسها ـ ان الممرورين يرون صوراً مخصوصة لا وجود لها فى الخارج ، فاذن حصولها فى البصر .

و الجواب عنه : انه إنما يدل على إثبات الانطباع على هذا النحو من الرؤية التى هى من قبيل الرؤيا ومشاهد الغائبة عن الابصار بوقوع أشباحها فى الخيال ، ولايدل على أن الابصار للموجودات فى الخارج بالابصار ، وقياس أحدهما على الآخر غير ملتفت إليه فى العلوم .

و أما الرياضيون : فذهبوا إلى أنه بخروج الشعاع من العين على هيئة مخروط رأسه عند العين ، وقاعدته عند المرئي ثم اختلفوا في أن ذلك المخروط مصمت أو مؤتلف من خطوط مجتمعة في الجانب الذي يلي الرأس متفرّقة في الجانب الذي يلي القاعدة .

و قال بعضهم : ان الخارج من العين خطّ واحد مستقيم لكن يثبت طرفه الذي يلي العين ، و يضطرب طرفه الاخرى على المرئي ، فيتخيّل منه هيئة مخروط .

و استدلوا على ذلك بامور :

أحدها ـ ان من قلّ شعاع بصره كان إدراكه للقريب أصحّ من إدراكه للبعيد لتفرّق الشعاع في البعيد ، ومن كثر شعاع بصره مع غلظه كان إدراكه للبعيد أصحّ لان الحركة في المسافة البعيدة تفيد رقّة وصفاء ، و لو كان الابصار بالانطباع لما تفاوت الحال .

ثانيها ـ ان الأجهر يبصر بالليل دون النهار لان شعاع بصره لقلته يتخلّل نهاراً شعاع الشمس ، فلا يبصر ويجتمع ليلا فيقوى على الابصار والأعمش بالعكس لان شعاع بصره لغلظه لا يقوى على الابصار إلاّ إذا أفادته الشمس رقّة وصفاء .

و ثالثها ـ ان الانسان إذا نظر إلى ورقة و رآها كلها لم يظهر له إلاّ السطر الذي يحدق نحوه البصر ، وماذاك إلاّ بسبب ان مسقط سهم مخروط الشعاع أصح إدراكاً .

رابعها ـ ان الانسان يرى في الظلمة كأن نوراً إنفصل عن عينه و أشرق على أنفه ، و إذا غمض عينه على السراج يرى كأن خطوطاً شعاعية إتصلت بين عينيه والسراج .

والجواب عن الكل : انها لاتدل على المطلوب أعني كون الابصار بخروج الشعاع بل على أن في العين نوراً ، ونحن لاننكر ان في آلات الابصار أجساماً

شعاعية مضيئة تسمى بالروح الباصرة أنكرها محمدبن زكريازعماً أن النورلايوجد إلاّ في النار و في الكواكب ... وأما الأجسام الكثيفة وما في بواطنها فالاولى بها الظلمة ، و كيف يعقل داخل الدماغ مع تستّرها بالحجب جسم نوراني!

وأما إبن سينا فقدإعترف بذلك لان جالينوس لمااحتج ببعض الشبه التى مرّ ذكرها على خروج الشعاع من العين .

وأجاب عنه : بان ذلك يدل على وجود الشعاع في العين ولا نزاع فيه لكن قلتم ان ذلك الشعاع يخرج ، فحينئذ نقول : ان آلة الابصار جسم نوراني في الجليدية يرتسم‌منه بين العين و المرئى‌مخروط وهميّ يتعلّق إدراك‌النفس بذلك المرئى من جهة زاويته التى عند الجليدية ، و تشتدّ حركته عند رؤية البعيد ، فيتخلل لطيفها فيفتقر إلى تلطيف إذا غلظ، وتكثيف إذا لطف ورقّ فوق ماينبغي. و يحدث منها في المقابل أشعة و أضواء يكون قوّتها في مسقط السهم مما يحاذى مركز العين الذى هو بمنزلة الزاوية للمخروط الوهمي ولشدّة إستنارته يكون ما يرى منه أظهر . و إدراكه أقوى وأكمل، ويشبه أن يكون هذا مراد القائلين بخروج الشعاع تجوّزاً منهم على ما صرّح به الشيخ و إلاّ فهو باطل قطعاً .

أما إذا اريد حقيقة الشعاع الذى هو من قبيل الاعراض فظاهر ، و إن اريد جسم شعاعى يتحرك من العين إلى المرئى فلانا قاطعون بأنه يمتنع أن يخرج من العين جسم ينبسط في لحظة على نصف كرة العالم ثم إذا طبق الجفن عاد إليها أو انعدم ثم إذا فتح خرج مثله ، وهكذا وأن يتحرّك الجسم الشعاعى من دون قاسر أو إرادة إلى جميع الجهات ، و أن ينفذ في الأفلاك ويخرقها ليرى الكواكب، و أن لايتشوّش لهبوب الرياح ولا يتصل بغير المقابل كما في الاصوات حيث يميلها الرياح إلى الجهات ، و لانه يلزم أن لايرى القمر مثل الثوابت بل بزمان يناسب التفاوت بينهما ، وليس كذلك بل يرى الافلاك بما

فيها من الكواكب دفعة .

ثم ان للقائلين بالشعاع مذهباً آخر : وهو ان المشفّ الذى بين البصر و المرئى يتكيّف بكيفيّة الشعاع الذى فى البصر و يصير بذلك آلة للابصار . ويرد عليه المفاسد المتقدمة مع زيادة .

وقال صاحب المقاصد: الحق ان الابصار بمحض خلق الله تعالى عند فتح العين .

وأما الاشراقيون: فذهبوا إلى أنه لاشعاع ولا إنطباع ، و إنما الابصار مقابلة المستنير للعضو الباصر الذى فيه رطوبة صقيلة، فاذا وجدت هذه الشروط مع زوال المانع يقع للنفس علم حضورى إشراقى على المبصر فتدركه النفس مشاهدة ظاهرة جليّة لكن المشهور من آراء الفلاسفة الانطباع و الشعاع .

وأما العلوم الطبيعية : فتقول : إن الابصار للأشياء يتمّ بواسطة أشعة تنبعث من الجسم المرئى من كل نقطة فيه، فترتسم له صورة مصغرة فى العين ويحمل عصب العين تأثير هذه الصورة إلى المخ فيدركها.

ان قلت : كيف ينقل عصب العين تأثيرها إلى المخ؟ وما معنى انه يدركها و هو مادة جامدة لاميزة لها على أىّ مادة عضوية على قول الماديين ؟ عجز أكبر علماء المادة عن الجواب .

نعم: لاشأن لهم أن يجيبوا عن ذلك كما لاشأن لهم فى غيره إذ ليس لهم إلاّ الخرص والتخمين فى نظائره...

قال الله عزوجل فيهم : « و مالهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون » الجاثية : ٢٤)

وأما الجواب الحق : فلا بد ممن كان حقاً وهاديه ، و كان عالماً لاجهل فى علمه ، و قدسبق من الامام الثامن على بن موسى الرضا عليه آلاف التحية و

الثناء إذ قال : «و النظر للروح» فراجع .

فالعين آلة للابصار ولكن المدرك للاشياء فى حقائقها هو الروح ، و إلاّ فها هو الميت له عين ترسم المرئيات على شبكتيها و مخ لايفترق فى مادته عن مادة مخ الرجل الحيّ ، فلما ذا لايدرك الأشياء ولا يعقلها ؟ أليس لانّ الروح قد زايلته فصار لايعى ولا يبصر ؟ على أنه قد ثبت ان المنوم نوماً مغناطيسياً ، و النائم يبصر فى منامه الأشياء و مقفل العين بل و يبصرها من قفاه ، و من خلال الحجب بل ومن بلاد بعيدة ، فما الذى أدركها فيه وعينه معطلة ؟ أليس هذا دليلا محسوساً على أن المدرك للمرئيات هو الروح دون الجسد ؟

و قيل : ان القوة المبصرة التى فى العين تلاقى بذاتها المرئيات ، فتبصرها .

و قيل : بل بتكيّف الهواء بالشعاع البصرى من غير خروج، فيصير الهواء باعتبار تكيّفه بالشعاع به آلة العين فى الادراك .

وقال بعض المحققين : ان الا دراك البصرى هو بانطباع أشباح المرئيات فى الرطوبة الجلدية من العين عند توسط الهواء الشفاف المضيء كما تنطبع الصورة فى المرآة .

وقال : ولو كانت المرآة ذات قوة مبصرة لأدركت الصور المنطبعة فيها ، فلا بدمن إثبات القوة المبصرة فى الرطوبة الجلدية، وإليها أشار مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام بقوله : «إعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم»

وهذا لاينافى ما قال الامام على بن موسى الرضا عليه السلام : «و النظر للروح» بناء على أن الباء للسببية .

وقدورد للعين معان عديدة حتى إنتهت إلى مأة مع تداخل بعضها فى بعض، وقد أشرنا إلى نبذة منها فى بحث اللغة فى هذه السورة الكريمة ، و منها العين

التى تضاف إلى الله عزوجل فى خمسة مواضع من القرآن الكريم :

أحدها ـ مفردة كفوله تعالى خطاباً لموسى بن عمران عليه السلام : « وألقيت عليك محبة منى و لتصنع على عينى» طه : ٣٩)

والباقى: جمعاً كقوله عزوجل خطاباً لنوح عليه السلام : «واصنع الفلك بأعيننا و وحينا» هود :٣٧) و قوله سبحانه : « فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا » المؤمنون : ٢٧)

وقوله جل وعلا: «تجرى بأعيننا» القمر: ١٤) وان الثلاثة فى قصة نوح عليه السلام وقوله تبارك و تعالى مخاطباً لنبيه الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم : «و اصبر لحكم ربك فانك بأعيننا» الطور :٤٨) .

و المراد فى الجميع هى الرعاية و الحماية الخاصة .

و ان هذا النحو من الاستعمال لايقصد منه سوى هذا المعنى حتى فيمن كانت له الجارحة المعهودة يقال : إذهب أو إفعل كذاو كذا فانك على عينى أى فى حمايتى و كلائى و كقولهم عند تشييع مسافر: سرفعين الله ترعاك أى رعايته الخاصة تحفظك عن الاخطار .

وذلك لان دخول الباء و«على» عليهامتعلقتين بفعل مذكور يجعلها ظاهرة فى معنى الحماية و الرعاية الخاصة فتأمل جيداً و اغتنم جداً .

و بذلك يظهر فساد ما زعمت المشبهة و من على شاكلتهم من الحشوية و الأشاعرة:ان الله سبحانه عيناً و وجهاً و يداً و رجلا ... كجوارحنا و أعضائنا... سبحانه وتعالى عما يصفون وهو جل وعلا يقول: «ليس كمثله شىء» الشورى:١١)

وبما قد منايظهر ما فى زيارة الامام الثانى عشر الحجة بن الحسن العسكرى عليه السلام يوم الجمعة ـ «السلام عليك يا عين الله فى خلقه ...» الزيارة . إذ لولا الحجة لساخت الارض باهلها و بما فى زيارة أئمة البقيع صلوات الله عليهم أجمعين ـ «وأنكم دعائم الدين و أركان الارض لم تزالوا بعين الله ينسخكم من

أصلاب كل مطهّر وينقلبكم من أرحام المطهرات لم تدنسكم الجاهلية الجهلاء ...» الزيارة.

وبما في الزيارة المطلقة لامام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «السلام عليك يا عين الله الناظرة و يده الباسطة و اذنه الواعية...» الزيارة وبما في دعاء إمام العصر عليه السلام: «اللهم ادفع عن وليك و خليفتك وحجتك على خلقك ولسانك المعبّر عنك الناطق بحكمتك و عينك الناظرة باذنك ...» الدعاء.



﴿ فى تشريح العين والجفن ﴾

و اعلم أن فى العين خواصّ و مصالح و حكماً و أسراراً كثيرة - وهى على ما قال بعض الاخصاء: إثنا عشر ألف - يعلم نبذة منها فى تشريح العين، فلا بدلنا منه على طريق الاجمال:

ان العين: هى مركبّة من طبقات سبع و رطوبات ثلاث ما خلا الأعصاب والعضلات والعروق ...

وبيان هيآتها ان العصبة المجوّفة التى هى اولى العصب الخارجة من الدماغ تخرج من القحف إلى حيث قعر العين، وعليها غشاءان، وهما غشاء الدماغ، فاذا برزت من القحف وصارت فى حومة عظم العين فارقها الغشاء الغليظ، وصار لباساً و غشاء على عظم العين الأعلى كله، ويسمى هذا الغشاء « الطبقة الصلبة » ويفارقها أيضاً الغشاء الرقيق، فيصير غشاء و لباساً دون الطبقة الصلبة ويسمى « الطبقة المشيمية » لشبهها بالمشيمة وتعرض العصبة نفسها، ويصير فيها غشاء دون هذين، وتسمى « الطبقة الشبكية ».

ثم يتكوّن فى وسط هذا الغشاء جسم ليّن رطب حمراء صافية غليظة مثل الزجاج الذائب يسمّى « الرطوبة الزجاجية » و يتكوّن فى وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير إلاّ ان فيه أدنى تفرطح - أى صار عريضاً - شبيه بالجليد فى صفائه وتسمى « الرطوبة الجليدية » وتحيط الزجاجية من الجليدية بمقدار النصف و يعلو النصف الآخر جسم شبيه بنسج العنكبوت شديد الصفاء والصقال يسمى

« الطبقةالعنكبوتية »

ثم يعلو هذا الجسم سائل في لون بياض البيض يسمى « الرطوبةالبيضية »
ويعلوالرطوبة البيضية جسم رقيق مخمل الداخل حيث يلي البيضية أملس الخارج ،
ويختلف لونه في الأبدان . فربماكان شديدالسواد و ربماكان دون ذلك في وسطه
بحيث يحاذى الجليدية ثقب يتسع ويضيق في حال دون حال بمقدار حاجة
الجليدية إلى الضوء فيضيق في الضوء الشديد ، و يتسع في الظلمة و بانسداده
يبطل الابصار وهو مثل ثقب حب عنب ينزع من العنقود و هو الحدقة و فيها
رطوبة لطيفة و روح ، و لهذا يبطل الناظر عند الموت و يسمى هذا الغشاء
« الطبقة العنبية »

ويعلو هذه الطبقة ويغشاها جسم كثيف صاف صلب يشبه صفحة صلبة رقيقة
من قرن أبيض وتسمى «القرنية» غير أنها تتلون بلون الطبقة التي تحتها المسماة
عنبية كما تلصق وراء جام من زجاج شيئاً ذالون، فيميل ذلك المكان من الزجاج
إلى لون ذلك الشيء .

و يعلو هذا ويغشاه ـ لكن لا كله بل إلى موضع سواء العين ـ لحم أبيض
دسم مشف مختلط بالعضلات المحركة للعين غليظ ملتحم عليه تسمى بـ «الملتحمة»
وهو بياض العين ، وينشأ من الغشاء الذي على القحف من خارج كما ينشأ القرنية
من الطبقة الصلبة و العنبية من الطبقة المشيمية والعنكبوتية من الشبكية
و كل يجذب الغذاء من التي هي منشأها ، فانها تتغذى بنصيبها و تؤدى الباقي
إليها .

«ألوان العيون باعتبار إختلاف ألوان الطبقة العنبية أربعة : كحلاء وزرقاء
وشهلاء وشعلاء وسبب الكحل إما قلة الروح وعدم إشراقها على جميع أجزاء العين
أو كدورتها ، وقلة إشراقها على لون العنبية أو صغر الجليدية أو غورها و كونها
داخلة جداً ، فلا يظهر صفاؤها كما ينبغي أو كثرة الرطوبة البيضية أو كدورتها

فتستر بريق الجليدية أوشدة سواد العنبية ، فاذا اجتمعت هذه الأسباب كانت العين شديدة الكحل ، وأسباب الزرقة أضداد ذلك وإذا اختلطت أسباب الكحل والزرقة و تكافأت كانت العين شهلاء و إذا زادت أسباب الزرقة على أسباب الكحل كانت شهلاء .

و إنما خلقت هذه الطبقة على هذا اللون لأنه أوفق الألوان لنور البصر إذ الابيض يفرّق نوره والأسود يجمعه ويكثفه والآسما نجونى لاعتداله يجمع النور جمعاً معتدلا و يقوّيه ، و إنما خلقت غليظة لتمنع عن إشراق الشمس على نور البصر وليكون وسيطاً قوياً بين الرطوبات ، وبين الطبقة الصلبة القرنية التى قدّامها ، ولهذا جعل ظاهرها الذى يليها أصلب .

و فى صلابة ظاهرها فائدة اخرى و هى أن تبقى الثقبة العنبية لصلابة ما يحفظ بها مفتوحة لا تتشوّش من اطرافها تشوّش الشىء الرخو الليّن ، و فى الحقيقة هذه الطبقة طبقتان : داخلانية ذات خمل و اخرى صلبة ، وجعلت القرنية شفيفة لئلاّ تحجب نور البصر عن النفوذ فيها ، وصلبة لتكون وقاية للطبقات الاخر و للرطوبات عن الآفات و لتحفظها على أوضاعها وأشكالها . . .

وجعلت الرطوبة البيضية قدّام الجليدية لتحجب منها قوّة الأشعة والاضواء لكيلا تغلبها ، وجعل ظاهر الجليدية مفرطحة لان تقع الأشباح المدركة فى جزء كبير منها ، فيكون الابصار به أقوى إذ المدوّر لايحاذى الشىء إلاّ بجزء صغير، وجعلت الزجاجية غليظة لئلاّ تسيل ، وجعلت من وراء الجليدية ليكون إلى مبدأ الغذاء أقرب .

و الرطوبة الجليدية هى أشرف أجزاء العين و سائر الطبقات والرطوبات خادمة لها ووقاية وهى محلّ المدركات البصرية من جهة الروح الآتى إليها من العصبتين المجوّفتين اللتين هما محل القوّة الباصرة المدركة للاضواء والألوان والحركات والمقادير وغيرها بتوسّط الروح التى فيها .

و إنما جعلت العصبتان مجوّفتين للاحتياج إلى كثرة الروح الحامل لهذه القوة بخلاف سائر الحواس ، وإنما جعلتا متلاقيتين ليجمع عند تلاقيهما الروح حتى لو أصاب إحدى العينين آفة لايضيع نورها بل يندفع النور من هذا المجمع بالكلية إلى العين الصحيحة ، فيصير بسبب ذلك أشد إبصاراً ، ولهذا كل من غمّض إحدى عينيه تقوى عينه الاخرى و تتسع ثقبتها العنبية ، و لان يكون للعينين مؤدّى واحد تؤدّيان إليه شبح المبصر ، فيتحد هناك و يكون الابصار بالعينين إبصاراً واحداً ليتمثّل الشبح في القدر المشترك ولذلك يعرض للحول أن يروا الشيء الواحد شيئين عند ما تزول إحدى الحدقتين إلى فوق أو إلى أسفل .

فتبطل به إستقامة نفوذ المجرى إلى التقاطع ، ويعرض قبل الحدّ المشترك حد مشترك آخر لانكسار العصبة ، و كذلك كل من استرخى أعضاؤه وتمايلت حدقتاه كالسكارى .

ومن هذا القبيل الاحساس بشيئين عن شيء واحد لمن يلوي اصبعه الوسطى على السبّابة و أدار بهما شيئاً مدوّراً فان الوسطى تحسّ عن محاذاة الاعلى والسبابة عن محاذاة الأسفل ، و لأن يستدعم كل عصبة بالاخرى ، و يستند إليها ويصير كأنها نبتت من قرب الحدقة فيكون إندفاع النور إلى العين أقوى ، مثل مجمع الماء الذي يتخذ للماء القليل ، و لأنه لو لا هذا الالتقاء لكانت العصبتان عند كل نظرة و تحديق و إلتفات تتمايلان و تتزايل إحدى الحدقتين عن محاذاة الاخرى ، فيكون أكثر الناس في أكثر الاحوال يرى الشيء الواحد شيئين.

وقد تكون ألوان العين طارئة عليها بأسباب كثيرة ...

وقال بعض المتخصصين : ان زرقة العين من شدة برودة العنبية ، ورطوبتها تمتزجان بالسوداء الاصلية التي فيها ، فتصير زرقاء علاجها ضماد الفندق المحروق مع الزيت على الرأس إن كان صاحبها طفلا فيسودّ عينه باذن الله تعالى .

و قال بعضهم : إن الزرقة على نوعين : أصلية وعارضة .

أما الاصلية فأسبابها سبعة: أحدها- كثرة الروح الباصرة ، فانها ألطف الارواح وأشدها إشفافاً وإستنارة وإشراقاً، فاذا كثرت قاومت لون الطبقة الكحلية وسترته، و أمالت لون العين إلى التلالؤ والزرقة .

ثانيها ـ صفاؤها ونورانيتها فيقاوم بذلك لون العنبية .

ثالثها ـ عظم الجليدية فانها رطوبة بيضاء صافية ، ومع ذلك محلٌ للروح الباصرة النيرة ، فيتلالؤ لون العين عند عظمها ، ويستنير فيخفى لون العنبية.

رابعها ـ نتو الجليدية فان قربها إلى الخارج يفعل ما يفعله عظمها .

خامسها ـ قلة الرطوبة البيضية فلا تحول بين الرطوبة الجليدية والروح و بين العنبية ، و لا يمنع الروح الشفاف من البروج إلى الظاهر و مقاومة العنبية .

سادسها ـ صفاؤها فلا يمنع الروح من المقاومة .

سابعها ـ قلة سواد العنبية ، فيغلبها صفاء الروح والرطوبة .

والزرقة التى تحدث بعد أن لم يكن سببها اما نتو الرطوبة الجليدية و إما لزيادة حدثت فى الرطوبة الزجاجية ، فينضغط الجليدية إلى خارج أو ورم فى الطبقة الصلبة والمشيمية والشبكية ، فيزيد حجمها بالورم ويندفع عن موضعها فينتو الجليدية بالضغطة .

وفى العلل : باسناده عن الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام قال : مرّ أخى عيسى عليه السلام بمدينة ، و إذا وجوههم صفر و عيونهم زرق فصاحوا إليه و شكوا ما بهم من العلل ، فقال : دوائه معكم أنتم إذا أكلتم اللحم طبختموه غير مغسول ، و ليس شيء يخرج من الدنيا إلاّ بجنابة فغسلوا بعد ذلك لحومهم فذهبت أمراضهم . الحديث ...

وأما الجفن: فمنشأه من الجلد الذى على ظاهر القحف وفائدته أن يمنع نكاية ما يلاقى الحدقة من خارج ، ويمنع عند إنطباقها وصول الغبار والدخان

والشعاع ويصقل الحدقة دائماً ، ويبعد عنها ما أصابها من الهباء و القذى ، و جعل الأسفل أصغر من الأعلى لأن الاعلى يستر الحدقة مرة و يكشفها اخرى بتحركه و أما الأسفل فغير متحرك فلو زيد على هذا القدر يستر شيئاً من الحدقة دائماً و لكان تجتمع فيه الفضول ولا تسيل .

وأما الاهداب فتمنع من الحدقة بعض الاشياء التى لايمنعها الجفن مع إنفتاح العين كما يرى عند هبوب الرياح التى تأتى بالقذى . فيفتح أدنى فتح ، و تتصل الأهداب الفوقانية بالسفلانية، فيحصل له شبه شباك ينظر من ورائها ، فتصل الرؤية مع إندفاع القذى .

فى القانون : لابن سينا : فى الفصل الخامس فى تشريح عضل الجفن قال :

« وأما الجفن فلما كان الأسفل منه غير محتاج إلى الحركة إذا الغرض يتأتى و يتم بحركة الأعلى وحده فيكمل به التغميض و التحديق و عناية الله تعالى مصروفة إلى تقليل الآلات ما أمكن إذا لم يخل بالمقصود إذ فى التكثير من الآفات ما يعرف فانه و إن كان قد يمكن أن يكون الجفن الأعلى ساكناً و الأسفل متحركاً لكن عناية الصانع مصروفة إلى تقريب الافعال من مباديها و إلى توجيه الأسباب إلى غايتها على أعدل طريق و أقوم منهاج ، و الجفن الاعلى إلى منبت الاعصاب ، و العصب إذا سلك إليه لم يحتج إلى إنعطاف و إنقلاب .

و لما كان الجفن الاعلى يحتاج إلى حركتى الارتفاع عند فتح العين و الانحدار عند التغميض ، و لما كان التغميض يحتاج إلى عضلة جاذبة إلى أسفل لم يكن بد من أن يأتيها العصب منحرفاً إلى أسفل ، ومرتفعاً إلى فوق، وكان حينئذ لا يخلو ان كانت واحدة من أن يتصل إما بطرف الجفن ، و إما بوسط الجفن ولو اتصلت بوسط الجفن لغطت الحدقة صاعدة إليه ، و لو اتصلت بطرف الجفن لم يتصل إلا بطرف واحد ، فلم يكن يستوى إنطباق الجفن على الاعتدال بل كان

يتورّب فيشتدّ التغميض فى الجهة التى تلاقى الوتر أوّلا ويضعف فى الجهة الاخرى، و لم يكن يستوى الانطباق بل كان يشاكل إنطباق أجفان الملقوّين فلم يخلق عضلة واحدة، بل عضلتان نابتان من جهة الموقين يجذبان الجفن إلى أسفل جذباً متشابهاً، و أما فتح الجفن فقد كان يكفيه عضلة يأتى وسط الجفن، فينبسط طرف وترها على حرف الجفن، فاذا تشبّخت فتحت فخلقت لذلك واحدة ينزل على الاستقامة بين الغشائين، فيتصل مستعرضة بجرم شبيه بالغضروف منفرش تحت منبت الهدب» إنتهى كلامه.

وقال بعض المحشين: قوله: «ولما كان الجفن الاعلى يحتاج هذا إلى بيان للعضل المحرك للجفن الاعلى، ولابد فيه من إرتفاعه عند فتح العين، و من إنغماضه عند التغميض، و التغميض لا يتمّ بعضلة واحدة لانه إنما يحصل بجذب العضلة إلى أسفل، ولايمكن ذلك إلاّ بأن ياتيه العصب من مبدأه إلى الجانب أى جانب العضلة التى ملتئم هى منه منحرفاً إلى أسفل، و مرتفعاً إلى فوق لانه يأتى من المبدأ الذى هو الدماغ إلى الجفن الاعلى لا إلى وسطه لانه موضع عضل الفتح، بل مايلا إلى جهة الموق، فيكون منحرفاً و مو و با ثم او صل إلى الموق وحشياً كان أو انسياً.

فلابد أن يرتفع ويتصل بطرف الجفن حتى إذا تحركت العضلة إلى أسفل جذبته إليه، فيحصل التغميض وحينئذ إما أن يذهب حين الوصول إلى الموق مرتفعاً إلى طرف الجفن أو يذهب تحتّ الجفن الأسفل إلى وسطه ثم يرتفع ماراً بوسط الحدقة إلى أن يتصل بطرف الجفن الاعلى، فان كان الثانى وقعت العضلة فى وسط الحدقة، وغطتها بمرورها عليها و انتفى الابصار دائماً لوقوع وترها على الثقبة العنبية، و إن كان الاول، فلا يتصل بالضرورة إلاّ بطرف واحد، و حينئذ لم يكن يحصل طباق الجفن على الاعتدال، بل يتورب ويشتدّ التغميض فى الجهة التى يلاقيها الوتر.

وقوله : « لم يحتج إلى إنعطاف بخلاف الأسفل » فان العصب الآتي إليه إلى انعطاف يحتاج إلى انعطاف وإنقلاب على ما لا يخفى ، ويصير في معرض الآفة .

أقول: و للعين و الجفن تشريحات وأسرار وحكم إلهية و مصالح لعباد الله جل وعلا كلها يدل على وحدانية خالقها و علمه و حكمته و على تدبيره و قدرته و عظمته و رحمته ، وليس لنا مجال لبيانها ، إذ نحن على جناح الاختصار ، فعلى المحققين الخبراء البحث والنظر فيها وبيانها ، و أن لا يكتفوا بما لكل إنسان من عين باصرة في رأسه يشترك له الحيوان فيها ، بل لابد من البحث والنظر العميق أيضاً في عين ناظرة في قلبه لا يشترك له الحيوان فيها ...

وفي دعاء الصباح : « يا من قرب من خاطرات الظنون ، وبعد عن لحظات العيون ، وعلم بما كان قبل أن يكون ... » الدعاء

وفي دعاء الامام الحسين بن علي عليهما السلام - يوم العرفة - : « يا من لا يخفى عليه إغماض الجفون : ولا لحظ العيون ، ولا ما استقرّ في المكنون ، ولا ما انطوت عليه مضمرات القلوب ...»

«الانسان والعين»

ومن الضرورة انه كما بين الانسان بما أنه انسان وبين غيره ميزات تميزه منه، و انه خلق لما لم يخلق له غيره بل خلق ما سواه من الحيوان و النبات و الجماد ... لأجله .

قال الله عزوجل : «هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً» البقرة : ٢٩)

فله وظائف و تكاليف ليست هى لغيره كذلك لكل عضو من أعضائه وظيفة بل تكاليف لابد من أدائها ليست هى لغيره مماله أعضاء نظائرها كالحيوان ، و من تلك الاعضاء هى العين الباصرة للانسان، فلها وظائف ليست هى لعين الحيوان و هكذا ...

ولذلك وردت روايات كثيرة: ان العين لاتقصر فى هذه الحاسة التى يبصر بها الانسان، بل لكل إنسان أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دنياه وعينان يبصر بهما أمر آخرته:

وقد أشار تعالى إليها فى قوله عزوجل : «فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» الحج : ٤٦)

وقوله : «ومن أعرض عن ذكرى فان له معشية ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» طه : ١٢٤-١٢٦)

وقال : « و من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى و أضلّ سبيلا » الاسراء : ٧٢)

وقال : «قل هل يستوى الأعمى و البصير أفلا تتفكرون» الانعام : ٥٠)

وفى الخصال : باسناده عن الزهرى عن سيد الساجدين زين العابدين الامام الرابع على بن الحسين عليهما السلام ـ فى حديث ـ قال: ألا إن للعبد أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه و دنياه وعينان يبصر بهما أمر آخرته ، فاذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين فى قلبه فابصر بهما الغيب و أمر آخرته ، وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه .

أقول: أى إذا أذنب الانسان و طغى وأصرّ يذره الله عزوجل فى طغيانه و ضلالته ، فتعمى عين قلبه ، فلا ترى الحق حقاً و لاالباطل باطلا ، بل ترى الهدى ضلالة و الضلالة هدى ...

قال الله تعالى : «و نقلّب أفئدتهم و أبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة و نذرهم فى طغيانهم يعمهون» الانعام : ١١)

وقال:«انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون» الاعراف : ٣٠)

وقال : «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل و يحسبون انهم مهتدون» الزخرف : ٣٧)

وقال : «الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً» الكهف : ١٠٤)

وفى تفسير العياشي : باسناده عن عمرو بن أبى المقدام عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إنما شيعتنا أصحاب الاربعة الاعين: عين فى الرأس و عين فى القلب ألا و الخلائق كلهم كذلك ألا و ان الله فتح أبصاركم و أعمى أبصارهم .

أقول: أى ان غير الشيعة ذهبوا إلى ما أوجب عمى قلوبهم قال الله تعالى: «يوم ندعوا كل اناس بامامهم ـ و من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى» الاسراء : ٧١ـ٧٢)

وفى الدر المنثور: عن خالدبن معدان قال : ما من عبد إلاّ لـه أربع أعين : عينان فى وجهه يبصر بهما دنياه و ما يصلحه من معيشته ، و عينان فى قلبه يبصر بهما دينه و ما وعدالله بالغيب .

وفى رواية: قال مـولى الموحـدين إمام المتقين أمير المؤمنين علـى بن أبيطالب عليه السلام : «العين بريد القلب» و فى رواية : «العين رائد القلب»

وفى رواية: قال : «العيون طلائع القلوب»

قال الله عزوجل : « قد جاء كم بصائر مـن ربكم فمن أبصر فلنفسه ومـن عمى فعليها» الانعام : ١٠٤) البصائر : جمع البصيرة وهى القوة التى تـدرك بها الحقائق العلمية يقابل البصر الذى تدرك به الاشياء الحسية .

وفى الكشاف : ان البصيرة : نور القلب الذى بـه يستبصر كما أن البصر نور العين الذى به تبصر .

وقال بعض المحققين : ان البصيرة : هى الدلالة التى توجب العلم الـذى يبصر به نفس الشىء على ماهوبه.

وقال الامام على عليه السلام : «إنتباه العيون لاينفع مع غفلة القلوب»

وقال عليه السلام أيضاً: «أشهروا عيونكم وضمـّروا بطونكم وخذوا من أجسادكم تجودوا بها على أنفسكم»

وقال عليه السلام : «لاتطلبنّ إلى أحد حاجة ليلا فان الحياء فى العينين»

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام: «عظم الخالق عندك يصغـّر المخلوق فى عينك»

ومن البيـّن : ان لانسبة للمخلوق إلـى الخالـق أصلا و خـاصة الانسان ، فانهم بالنسبة إلى فلك القمر كالذرة ، و نسبة فلك القمر كالذرة بـالنسبة إلـى قرص الشمس بل هم دون هذه النسبة مما يعجز الحاسب الحاذق عن حسابذلك، و فلك القمر بالنسبة إلى الفلك المحيط دون هذه النسبة ، و نسبة الفلك المحيط

إلى الله جل وعلا كنسبة العدم المحض ، و النفي الصرف إلى الموجود البائن ، بل هذا القياس أيضاً غير صحيح ، لأن المعدوم يمكن أن يصير موجوداً بائناً ، والفلك لايتصوّر أن يكون صانع العالم الواجب الوجود لذاته .

وبالجملة فالامر أعظم من كل عظيم ، وأجلّ من كل جليل ، ولا طاقة للعقول و الأذهان أن تعبّر عن جلال ذلك الجناب و عظمته ، بل لو قيل : إنها لاطاقة لها أن تعبّر عن جلال مصنوعاته الاولى المتقدمة علينا بالرتبة العقلية و الزمانية لكان ذلك القول حقاً و صدقاً ، فمن هو المخلوق؟ ليقال : إن عظم الخالق يصغرُه في العين! ولكن كلامه عليه السلام محمول على مخاطبة العامة الذين تضيق أفهامهم عما ذكر.

في دعاء الجوشن الكبير : - رقم ٣٣ - «يا أعظم من كل عظيم ، يا أكرم من كل كريم ، يا أرحم من كل رحيم ، يا أعلم من كل عليم ، يا أحكم من كل حكيم ، يا أقدم من كل قديم ، يا أكبر من كل كبير ، يا ألطف من كل لطيف ، يا أجل من كل جليل ، يا أعزّ من كل عزيز»

وفي أمالي الشيخ المفيد: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم عليه السلام يا عيسى هب لي من عينيك الدموع ، ومن قلبك الخشوع وا كحل عينك بميل الحزن إذا ضحك البطالون وقم على قبور الأموات فنادهم بالصوت الرفيع لعلك تأخذ من عظتك منهم ، وقل : اني لاحق بهم في اللاحقين وصلى الله على سيّدنا محمد النبي وآله الطاهرين.

وفي مناجاة الامام علي عليه السلام :

إلهي ينحّي ذكر طولك لوعتي - وذكر الخطايا العين مني يدمّع .

وفي مناجاة خمس عشرة: لسيد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام - : إلهي إليك أشكو قلباً قاسياً مع الوسواس متقلّباً ، و بالرين

والطبع متلبّساً و عيناً عن البكاء من خوفك جامدة و إلى ما تسرّها طامحة.

وفي أعمال السحر في رمضان المبارك: اللهم طهّر قلبي من النفاق، و عملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة فانك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ... الدعاء.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حرّم على عينين أن تنالهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس الاسلام و أهله من الكفار»

وقال أفلاطون: لتلامذته الأحداث: اقتنوا ثلاثة أشياء فانها تسوّد مقتنيها: من أخلاقكم: العفة، ومن ألسنتكم: الصمت، و من أعينكم: الاغضاء.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله تعالى: يابن آدم قد أنعمت عليك نعماً عظاماً لاتحصى عددها، ولا تطيق شكرها، و إن مما أنعمت عليك ان جعلت لك عينين تنظر بهما، و جعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، و إن رأيت ما حرمت عليك فاطبق عليهما غطاءهما ...» الحديث.

وفي دعاء سيدالساجدين زين‌العابدين: الامام الرابع علي بن الحسين عليه السلام -: «اللهم إني أتوب إليك من كل ما خالف إرادتك، أوزال عن محبتك من خطرات قلبي، و لحظات عيني، وحكايات لساني توبة تسلم بها كل جارحة على حيالها من تبعاتك، و تأمن مما يخاف المعتدون من أليم سطواتك ...»

وفي مناجاة المحبين: «اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح إليك والحنين، ودهرهم الزفرة والأنين، جباههم ساجدة لعظمتك، وعيونهم ساهرة في خدمتك، ودموعهم سائلة من خشيتك ...»

﴿اصابة العين واثرها﴾

و اعلم أن الاصابة بالعين و تأثيرها في الاشياء و النفوس ليست من الامور الا عتقادية الصرفة ، بل هي واضحة عند الناس على إختلاف ألوانهم و ألسنتهم و إعتقادياتهم... و قد أجمع عليها الحكماء والمفسرون ، والفلاسفة و المتكلمون، وأصحاب الأديان والمحدثون وغيرهم ... قديماً وحديثاً وتثبتها العلوم الطبيعية و إن اختلفوا في كيفية التأثير و علل الاصابة ، و أنكرها الماديون النسناس الجهلاء ، و أذنابهم الخناس الحمقاء ... كما أن الانكار هو دأبهم في كل مالا يرون العلل و الأسباب و إن رأوا المعلولات والمسببات... وذلك لعمى أبصارهم التي في صدورهم ...

قال الله عزوجل فيهم : « و ما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون » الجاثية : ٢٤)

و قدوردت في المقام روايات كثيرة و قصص عديدة واقعة لايسعها ، فنشير إلى نبذة منها :

في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : «العين حق ، و الرّقى حق ، و السحر حق ، و الفأل حق ، و الطيرة ليست بحق، والعدوى ليست بحق»

قوله عليه السلام : «العدوى» : إسم من الاعداء و هو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء .

و العدوى من اعدى أى أجاز الجرب الذى به إلى غيره ، أو أجاز جرباً بغيره إليه ، و قد أبطله الاسلام لان العرب كانت تظن ان المرض بنفسه يتعدى ، فأعلمهم النبى صلى الله عليه و آله و سلم انه ليس الامر كذلك ، و إنما الله تعالى هو الذى يمرض و ينزل الداء على اختلاف الاسباب .

وفى قرب الاسناد : باسناده عن سيدالشهداء سبط المصطفى الامام الحسين بن على عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : «لاعدوى ولا طيرة ولاهام والعين حق و الفال حق» .

قوله صلى الله عليه و آله و سلم : «ولاهام» الهام : ما كانت العرب تزعمه فى المقتول لايؤخذ بثأره و ذلك انهم كانوا يقولون : ليس من ميت يموت ولا قتيل يقتل إلاّ ويخرج من رأسه هامة ، فان كان قتل ولم يؤخذ بثأره نادت الهامة على قبره : اسقونى فانى صدية ، وعن هذا قال النبى الكريم صلى الله عليه و آله و سلم : «ولاهام»

وفى البحار: بالاسناد عن عبدالله بن محمد البجلى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: من أعجبه شىء من أخيه المؤمن فليكبّر عليه فان العين حق.

وفيه: أيضاً بالاسناد عن صفوان الجمّال عن أبى عبدالله عليه السلام انه قال : لونبش لكم من القبور لرأيتم ان أكثر موتاكم بالعين لان العين حق ، ألا ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال : العين حق فمن أعجبه من أخيه شىء فليذكر الله فى ذلك ، فانه إذا ذكرالله لم يضرّه .

قال الله تعالى : «و إن يكاد الذين كفروا ليز لقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر و يقولون انه لمجنون و ماهو إلاّ ذكر للعالمين» القلم : ٥١-٥٢)

ففى الآية الكريمة دلالة على أن الاصابة بالعين والفأل وتأثيرهما حق، وقال المفسرون:إنهم أرادوا أن يصيبوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالعين ، فنظر إليه قوم من العائنين و قالوا : ماررأينا مثله ولا مثل حجته ، فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه و آله و سلم

هذه الاية فعصمه وحفظه صلى الله عليه وآله وسلم منها .

و فى تفسير ابن كثير الدمشقى: عن إبن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعوّذ الحسن و الحسين يقول : «اعيذ كما بكلمات الله التامة من كل شيطان و هامة ومن كل عين لامة»

ثم قال إبن عباس : يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هكذا كان إبراهيم عليه السلام يعوذ إسحق و إسمعيل عليهما السلام .

وفيه: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أكثر من يموت من امتى بعد كتاب الله و قضائه وقدره بالأنفس.

وفيه: عن جابر بن عبدالله : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : العين حق لتورد الرجل القبر و الجمل القدر ، و إن أكثر هلاك امتى فى العين .

وفيه: عن على عليه السلام : ان جبرئيل أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فوافقه مغتماً ، فقال : يا محمد ما هذا الغم الذى أراه فى وجهك ؟ قال : الحسن و الحسين أصابتهما العين ، قال : صدق بالعين ، فان العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات ؟ قال: و ما هنّ يا جبرئيل؟ قال: قل: اللهم ذا السلطان العظيم و المن القديم ذا الوجه الكريم ولى الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن و الحسين من أنفس الجن و أعين الانس ، فقالها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقاما يلعبان بين يديه ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : عوّذوا أنفسكم و نساء كم و أولاد كم بهذا التعويذ ، فانه لم يتعوذ المتعوذون بمثله .

وقد ورد : ان طائفة من العائنين تمر به الناقة و البقرة السمينة ، فيعينها ثم يقول لخادمه : خذ المكتل والدرهم، و ائتنا بشيء من لحمها ، فما تبرح حتى تقع وتخر .

وعن الكلبى: كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة أيام لا يأكل ،

ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل ، فيقول : لم أر كاليوم إبلا ولا غنماً أحسن من هذه فما تذهب قليلا حتى يسقط منها طائفة ، فسئل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعين و يفعل به كفعله في غيره ، فعصم الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و حفظه وأنزل عليه قوله تعالى : «و إن يكاد ...»

وفي رواية: عن عبيد بن رفاعة ان أسماء بنت عمير قالت : يا رسول الله! إن بني جعفر تصيبهم العين، أفنسترقي لهم ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين.

وفي رواية: ان العضباء ناقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن تسبق فجاء أعرابي على قعودله فسابق بها فسبقها ، فشق ذلك على الصحابة ، فقال النبي : «حق على الله عزوجل ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه»

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من رأى شيئاً يعجبه فقال : الله الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله لم يضر شيئاً .

وفي رواية: عن الامام على عليه السلام قال : «العيون مصائد الشيطان»

أقول: ومن مصائد الشيطان هو الاصابة بالعين لابد من الاستعانة منها جداً إذ في النظرة الحاسدة شيء منها، فترمي المحسود في غفلة منه ، فتصيب منه مقتلا لانها نظرة منطلقة من قلب يغلي كمداً وحسرة على ما بيد المحسود من نعمة الله تعالى ، وليس هذا مالقدرة العين وسلطانها في الانسان وحده بل انها عند كثير من الحيوان تكون سلاحاً عاملا في الصراع الدائر بينها ... فان الحية كثيراً ما تجد في نفسها قدرة على إصابة عدوّها بنظرة منها ، فاذا أرسلت إلى عدوّها نظرة ، و التقت عينه بعينها شلت حركته و جمد في مكانه ، وربما مات قبل أن تصل إليه... و هكذا إذا نظر الذئب الغزال، فتشل حركة الغزال ويجمد في مكانه ، حتى يقال: نظر الذئب في الغزال سلاحه لصيده .

ولعلّ سرّ هذا! ان من خصائص بعض النفوس أن تؤثر فى غيرها بوساطة العين لما فيها من كهربية خاصة يكون بها تأثير فيما تنظر إليه ، والله عزوجل يخصّ مايشاء بما يشاء .

وعلى العلماء و المحققين البحث و التحقيق فى علل الاصابة بالعين و أسباب تأثيرها : أهي بالوراثة ؟ أم طارئة على الانسان قبل الولادة ؟ أمن جانب الأب؟ أومن ناحية الام؟ أمن الغذاء ؟ أو من النيات و الخطورات القلبية حين إنعقاد النطفة؟ أم من تأثرات الام فى أوان الحمل؟ أو بعد الولادة ؟؟؟

﴿الالهيون و الماديون و تاثير العين﴾

وقد اتفق المحققون من المفسرين و المحدثين و الحكماء و المتكلمين، و الفلاسفة الالهيين على أن للعين تأثيراً و أنكره الماديون الجهلاء و من إليهم ...

ثم اختلف الالهيون في تأثير العين في الانسان وغيره بحيث يبدّله عما هو عليه فيموت أو يمرض أو يهدم بناءاً ... من غير أن يكون التأثير مقصوراً في الانسان إذ ربما تؤثر في الحيوان و النبات و الجماد كما تؤثر في الانسان .

وفي كيفية التأثير وجوه :

فمنهم من قال: يمتدّ من العين أجزاء فتصل بالشخص المستحسن ، فتؤثر فيه و تسرى كتأثير اللسع و السمّ و النار... وإن كان مخالفاً في جهة التأثير لهذا الاشياء ...

و ان العائن عند رؤيته شيئاً يسخن قلبه ، و يخرج شعاع من قلبه إلى عينه فاذا وقع الشعاع على شيء يقلّبه عما هو عليه ، و من هنا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالوضوء و مسّ العين لاطفاء هذه الحرارة الناشئة عن القلب .

ومنهم من قال : لايمتنع أن تكون العين حقاً ، و ذلك ان صاحب العين إذا شاهد الشيء و أعجب به إستحساناً كان المصلحة له في تكليفه أن يغيّر الله ذلك الشيء حتى لايبقى ذلك المكلف متعلقاً به ، ولا يبعد انه إذا ذكر ربه تلك الحالة وعدل عن الاعجاب أن لاتؤثر عينه فلا تؤثر .

ومنهم من قال: انه ليس من شرط المؤثر أن يكون تأثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة من الحرارة والبرودة والرطوبة و اليبوسة، وليس منحصراً بالظواهر مما نشاهدها ، بل قد يكون التأثير نفسانياً محضاً ، ولا يكون للقوى الجسمانية بها تعلق، فكما أن عين الرأس تؤثر في الشخص ـ كما إذا رآى الاب ولده على حال مخصوصة توجب تأثر الولد خوفاً و جبناً أو سروراً و جرأة ـ فكذلك عين القلب إذا رأت بذلك ، فتؤثر في الاشياء فلا يمكن انكار تأثيرات النفس كالظواهر...

ومنهم من قال: ان تأثير شيء في آخر إما نفساني أو جسماني و كل منهما اما نفساني او جسماني فالانواع اربعة: يندرج تحتها ضروب الوحي والمعجزات و الكرامات والالهامات و الرؤيا والمنامات وانواع السحر والاعين والنيرنجات و ما اليها...

النوع الاول: ـ اعني تأثير نفساني في مثله ـ كتأثير المبادىء العالية في النفوس الانسانية بافاضة العلوم والمعارف ويندرج في ذلك صنفان: احدهما: ما يتعلق بالعلم الحقيقي بان يلقى الى النفس المستعدة لذلك كمال العلم من غير واسطة تعليم و تعلّم حتى تحيط بمعرفة حقائق الأشياء على ماهي عليه بحسب الطاقة البشرية كما ألقى الى نبينا محمد و اهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين علوم الاولين و الاخرين مع انه ﷺ ماكان يتلو من قبل كتابا ولا يخطه بيمينه .

ثانيهما ـ : ما يتعلق بالتخيل القوى بان يلقى الى من يكون مستعدا له ما يقوى به على تخيلات الأمور الماضية والاطلاع على المغيبات المستقبلة و المنامات و الالهامات داخلة ايضا تحت هذا النوع وقد يدخل تحته نوع من السحر و هو تأثير النفوس البشرية القوية فيها قوتا التخيل والوهم في نفوس بشرية اخرى ضعيفة فيهماها تان القوتان كنفوس البله و الصبيان و العوام الذين لم

تقو قوتهم العقلية فتتخيل ماليس بموجود فى الخارج موجودا فيه .

وما هو موجود فيه على ضدّ الحال الذى هو عليها و قد يستعان فى هذا القسم من السحر بافعال وحركات يعرض عليها منها للحسّ حيرة وللخيال دهشة و من ذلك الاستهتار فى الكلام و التخليط فيه .

النوع الثانى : اعنى تأثير النفس فى الجسم - : كتأثير النفوس الانسانية فى الابدان من تغذيتها و انمائها و قيامها و قعودها الى غير ذلك ومن هذا القبيل صنف من المعجزات وهو ما يتعلق بالقوة المحركة للنفس بان تبلغ قوتها الى حيث تتمكن من التصرف فى العالم تمكنها من التصرف فى بدنها كتدمير قوم بريح عاصفة اوصاعقة او زلزلة اوطوفان ...

و ربما يستعان فيه بالتضرع و الابتهال الى المبادىء العالية كأن يستسقى للناس فيسقون و يدعو عليهم فيهلكون ولهم فينجون و يندرج فى هذا صنف من السحر ايضا كما فى بعض النفوس الخبيثة التى تقوى فيها القوة الوهمية بسبب من الاسباب كالرياضة والمجاهدة مثلا فيسلطها صاحبها على التأثير فيمن اراده بتوجه تام وعزيمة صادقة الى ان يحصل المطلوب الذى هو تأثره بنحو مرض و ذبول جسم ويصل ذلك الى الهلاك .

النوع الثالث: - اعنى تأثير الجسم فى الجسم -: كتاثير الادوية والسموم فى الابدان و يدخل فيه انواع النير نجات والطلسمات فانها بتأثير بعض المركبات الطبيعية فى بعض بسبب خواص فيها كجذب المغناطيس للحديد واختطاف الكهرباء التبن .

وقد يستعان فى ذلك بتحصيل المناسبات بالاجرام العلوية المؤثرة فى عالم الكون والفساد كما يشاهد فى صور اشكال موضوعة فى اوقات مخصوصة على اوضاع معلومة فى مقابلة بعض الجهات ومسامتة بعض الكواكب يستدفع بها كثير من أذية الحبوبات .

النوع الرابع - اعنى تأثير الجسمانى فى النفس - : كتأثير الصور

المستحسنة او المستقبحة فى النفوس الانسانية من استمالتها اليها و تنفيرها عنها وعدّ من ذلك تأثير اصناف الأغانى و الرقص و الملاهى فى بعض النفوس و تأثير البيان فيمن لـه ذوق كما يشير اليه رسول الله ﷺ : ان من البيان لسحراً .

ثم اختلفوا فى كون تأثير العين من اىّ نوع من الانواع الاربعة ولكل مذهب .

ومن المفسرين من قال: من غير بعيد ان ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية فتتصل بالمعان فيتضرّر بالهلاك و الفساد كما فى بعض انواع الأفاعى ما اذا وقع بصرها على الانسان مات من ساعته واذا وقع بصر الظبى على الذئب فلا يقدر الظبى على الهرب فالتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمانية بل بعضها بالمقابلة و الرؤية و بعضها لايحتاج الى المقابلة بل بتوجه الروح اليه ونحوه كما فى آه الوالدين يؤثر فى الولد وتأثير الارواح فى الاجسام امر مشاهد محسوس ولكنها لشدة ارتباطها بالعين نسبت اليها .

وقالت الحكماء : العين عائدة الى نفس العائن و ذلك لان الهيولى مطيعة للانفس متأثرة بها ألاترى ان نفوس الافلاك تؤثّر فيها بتعاقب الصور عليها والنفوس البشرية من جوهر نفوس الافلاك و شديدة الشبه بها إلا ان نسبتها اليها نسبة السراج الى الشمس فليست عامّة التأثير بل تأثيرها فى اغلب الامر فى بدنها خاصة ولهذا يحمى مزاج الانسان عند الغضب .

ويستعدّ للجماع عند تصور النفس صورة المعشوق فاذن قد صار تصوّر النفس مؤثّرا فيما هو خارج عنها لانها ليست حالّة فى البدن فلا يستبعد وجود نفس لها جوهر مخصوص مخالف لغيره من جواهر النفوس تؤثّر فى غير بدنها .

وهو ان تستحسن النفس صورة مخصوصة وتتعجّب منها و تكون تلك

النفس خبيثة جدا فينفعل جسم تلك الصورة مطيعا لتلك النفس كما ينفعل البدن للسمّ.

وفى شرح الحديد قال الجاحظ: كان علماء الفرس والهند واطباء اليونانيين ودهاة العرب وأهل التجربة من نازلة الامصار وحذاق المتكلمين يكرهون الاكل بين يدى السباع يخافون عيونها للذى فيها من النهم والشره ولما ينحل عند ذلك من أجوافها من البخار الردىّ وينفصل من عيونها مما اذا خالط الانسان نقض بنية قلبه وأفسده وكانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب والاشربة على رؤسهم خوفا من أعينهم وشدة ملاحظتهم اياهم وكانوا يأمرون باشباعهم قبل ان يأكلوا وكانوا يقولون فى الكلب والسنور اما ان يطرد او يشغل بما يطرح له.

وقالت الحكماء: نفوس السباع أردأ النفوس واخبثها لفرط شرهها وشرّها.

وقد يديم الانسان النظر الى العين المحمرة فتعترى عينه حمرة.

وقال الاصمعي: رأيت رجلا عيونا كان يذكر عن نفسه انه اذا أعجبه الشيء وجد حرارة تخرج من عينه.

وقال ايضا: كان عندنا عيونان فمرّ احدهما بحوض من حجارة فقال: تالله ما رأيت كاليوم حوضا فانصدع فلقتين فمرّ عليه الثانى فقال: وأبيك لقلّما ضررت اهلك فيك فتطاير اربع فلق.

اقول: العيون: الشديد الاصابة بالعين.

وعن بعض الفلاسفة: ان تأثير العين من قبيل التأثيرات النفسانية وهو تأثير فى نفس المعيان عند ما يستحسن بعينه مدركا من الذوات او الاحوال ويفرط فى استحسانه وينشأ من ذلك الاستحسان حينئذ انه يروم معه سلب ذلك الشيء عمن اتصف به فيؤثر فساده وهو جبلة فطرية اعنى هذه الاصابة بالعين.

والفرق بينها وبين التأثيرات وان كان فيها مالايكتسب ان صدورها

راجع الى اختيار فاعلها والفطرى منها قوة صدورهـا لانفس صدورهمـا ولهذا قالوا: القاتل بالسحر اوبالكرامة يقتل والقاتل بالعين لايقتل ومـا ذلك الا لانه ليس مما يريده ويقصده وانما هو مجبور فى صدوره عنه.

واما العلوم الطبيعية فاصبحت اليوم تثبته ومنها ان التنويم المغناطيسى اثبت ان لارادة الانسان على الانسان تأثيرا ما وذلك التأثير يظهر بالتنويم ذاتـه وقدسئل المنومون عن الشىء الذى يـؤثر عليهم ويـدخلهم رغما عنهم فى ذلك الخدر فأجمعوا على القول بأنهم يرون وهم فى تلك الحالة أشعة تنبعث من فم المنوم فتجبرهم على ملازمة ماهم فيه و على التأثر بارادتهم وقـد شوهـد امكان التأثير بالارادة على الشخص وهو غافل لايدرى مـا يفعل به فقد جـاء فى تقرير الدكتور «هريسون» الذى قدم لمجمع العلماء الفرنسى أن جمعية امتحان التنويم المغناطيسى قداجتمعت فى غرفة المسيو «بورديه»

ولما حضر المسيو «فوساك» المنوم أمر ان يـلازم غرفة مجاورة لغرفتهم و ان ينوم رجلا فيهم اسمه كاوز على علم منه فابتدأ المنوم فى تركيز «ارادته» بينما كان كاوز لاهيا لايدرى ماذا يراد به وبعـد مضى أربع دقـائق رأوا تغيرا حصل فى حالة الرجل ولم تمض تسع دقائق حتى دخل فى خدر شديد مع ان بينه وبين منومه حائطا سميكا.

لاشك ان هذا أصدق دليل يبين لنا ان «لارادة الانسان» تأثيرا عجيبا على مـا يحيط بها من الاشياء اذا سلم بهـذا ولامناص من التسليم بـه لان التنويم المغناطيسى اصبح فرعا من العلوم الرسمية فقد تسنى لنا ان نقول ان الحسدليس من المزاعم الباطلة وانما علاجه هومـا ذكره الله تعـالى فى كتابه الـكريم من الاعتصام بالله و الاستعاذة بـه كما سورة «قل اعـوذ برب الفلق» و «قل اعـوذ برب الناس» وما ورد فى الدين الاسلامى لا كما يفعله اكثر الناس مما لايقرّ به شرع ولاعقل.

ومنهـم من قال: «من خصائص بعض النفوس ان تؤثر فى غيرها من طريق العين لمـا فيها من كهربية خاصة يكون بها تـأثير فيما تنظر اليـه والله تعالى يخص ماشاء بمن شـاء وشبيه ذلك تأثير بعض النفوس فـى بعض بـواسطة التنويم الـمغنـاطيسى .

و اما الماديون فانكروه ولكن لاشأن لهم الا الخرص قال الله تعالى فيهم: «ومالهم بذلك من علم» (الجاثية : ٢٤)

﴿العين والاستعاذة منها﴾

وقد ثبت تأثير العين حتى فى نفس صاحبها ، و فى غيره من الانسان و الحيوان و النبات و الجماد بحيث تقلّبه عما هو عليه من الصحة إلى المرض ، من الأمن إلى الوحشة ، من السرور إلى الحزن ، من الحياة إلى الموت ، و من حال إلى حال اخرى ، و ما يعتريه من العوارض ...

ومن كمال الدين الاسلامى انه جاء بما يمكن أن يعالج العائن به نفسه ، و أن يدفع به من كان فى عرضة إصابة العين قبل أن تصيبه ، و بعد إصابتها ... حتى و قد أنزل الله عزوجل فى بزوغ البعثة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم آيتين فى هذا الامر الخطير : «و إن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر و يقولون انه لمجنون و ما هو إلاّ ذكر للعالمين» القلم : ٥١ـ٥٢) فان هذه السورة ثالثة سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم نزلت بعد نزول ست عشرة سورة سورتان مستقلتان فى هذا الامر وهما سورتا الناس و الفلق .

و أما الروايات الواردة فى المقام فكثيرة جداً ، وقد سبق نبذة منها آنفاو منها :

فى قرب الاسناد: باسناده عن الامام الحسين بن على عليهما السلام عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا نظر أحدكم إلى إنسان أو إلى دابة أو إلى شىء حسن فأعجبه فليقل : آمنت بالله صلّى الله على محمد فانه لن تضرّه عينه .

وقدورد عن عقبة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ألا اخبرك بأفضل ماتعوّذبه

المتعوذون؟ قلت : بلى قال : قل أعوذ برب الفلق ... و قل أعوذ برب الناس ...

وفي رواية أبي سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوّذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلت أخذ بهما و ترك ما سواهما .

أقول: من تدبر في سورة الفلق ليرى ان الله جل وعلا جمع الشرور كلها في هذه السورة و ختمها بالحسد ليعلم أنه أخسّ الطبائع و أقبح الصفات نعوذ بالله تعالى منه، والنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كان كثيراً ما يعوذ الحسن والحسين عليهما بسورة الفلق و سورة الناس .

وهذه السورة من أكبر أدوية الحسدفانها تتضمن التوكل على الله عزوجل، و الالتجاء إليه و الاستعاذة به من شرحاسد النعمة ، و من شر كل شر والله تعالى هو ولي النعم ، و هو الذي إن استعاذبه العبد أعاذه .

وكان العبد يقول : يا من أولاني نعمته وأسداها إليّ أنا عائذبك من شرمن يريد أن يستسلبها منّي ويزيلها عنّي ، والله حسب من توكل عليه ، و كافي من لجأ إليه ، و هو الذي يؤمن خوف الخائف و يجير المستجير ، و هو نعم المولى ونعم النصير. فمن تولاه و استنصربه ، وتوكل عليه و انقطع بكليته إليه ، تولاه الله عزوجل و حفظه و حرسه وصانه ، و من خافه و اتقاه أمنه مما يخاف ويحذر، و جلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع ...

تعوّذوا و أقرؤا دائماً معوّذتين : «قل أعوذ برب الفلق...» و «قل أعوذ برب الناس ...»

عن بعض الفلاسفة : انه قال : ان بين العائن و الحاسد عموماً مطلقاً لان كل عائن حاسد ولا يكون كل حاسد عائناً ، فاذا إستعاذ الانسان من العاين إستعاذ من الحاسد أيضاً وليس العكس .

أقول: وهذا مردود باصابة العين نفس صاحبها ، و ولده و ما يتعلق به ،

و ليس هناك حسد بلامراء ، و بالاستعاذة في قوله تعالى : «و من شر حاسد إذا حسد» من شر نفس الحاسد ، و من شر عينه ، فانه ربما أصاب بهما فعاب وضرّ .

وفي شرح الحديد: و في حديث ام سلمةان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رآى في وجه جارية لها سعفة ، فقال : «ان بها نظرة فاسترقوا لها»

أقول: السعفة : قروح تخرج على رأس الصبي ، و استرقوا أي اطلبوا من يرقيها .

وفيه: كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فمرّوا بحيّ من أحياء العرب، فاستضافوهم ، فلم يضيفوهم و قالوا لهم : هل فيكم من راق ، فان سيد الحيّ لديغ ؟ فقال رجل منهم: نعم فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرىء فاعطى قطيعاً من الغنم، فأبى أن يقبلها حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قال : و عيشك ما رقيته إلاّ بفاتحة الكتاب .

وفيه: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت ام سلمة وعندها صبيّ يشتكي، فقالت: يا رسول الله أصابته العين ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أما تسترقون له من العين ؟

وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «العين حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين و إذا استغسلتم فاغسلوا» أي انهم كانوا يطلبون من العائن أن يتوضأ بماء ثم يسقي منه المصاب بالعين و يغتسل بسائره .

وفي تفسير ابن كثير : ان عامراً بن ربيعة مرّ بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال : لم أركاليوم ولاجلد مخبأة فما لبث ان لبط به ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له أدرك سهلا صريعاً ، قال : من تتهمون به ؟ قالوا : عامر بن ربيعة، قال: علام يقتل أحدكم أخاه إذا رآى أحدكم من أخيه ما يعجبه، فليدع له بالبركة، ثم دعا بماء فأمرعامراً أن يتوضّأ فيغسل وجهه و يديه إلى المرفقين و ركبتيه و داخلة ازاره و أمره أن يصبّ عليه . و قال صلى الله عليه وآله وسلم : استعيذوا بالله فان النفس حق .

وفيه: عن سهل بن حنيف: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج و ساروامعه نحو مكة حتى إذاكانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف، وكان رجلا أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بنى عدى بن كعب، و هو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له: يا رسول الله هل لك فى سهل والله ما يرفع رأسه ولايفيق؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: هل تتهمون فيه من أحد؟ قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عامراً فتغيظ عليه، و قال: علام يقتل أحد كم أخاه هلا إذا رأيت مايعجبك بركة ثم قال: إغتسل له فغسل وجهه ويديه و مرفقيه و ركبتيه و اطراف رجليه و داخلة ازاره فى قدح ثم صبّ ذلك الماء عليه فصبّه رجل على رأسه و ظهره من خلفه ثم يكفأ القدح و راءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس.

وفى الدعاء بعد زيارة مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «و أعوذ بك من قلب لايخشع و من عين لا تدمع و من صلاة لاتقبل أجرنا من سوء الفتن ياولى الدنيا و الآخرة»

و فيما يعيذ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسنين عليهما السلام و قد كان يحث عليه أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم ذاالسلطان العظيم، والمنّ القديم، والوجه الكريم، ذا الكلمات التامات، و الدعوات المستجابات، عاف فلاناً ... من أنفس الجن و أعين الانس»

و فى التعويذ من اصابة العين: «اللهم رب مطر حابس، وحجر يابس، وليل دامس، و رطب يابس، ردّ عين العاين عليه فى كبده ونحره وماله، فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير».

﴿العين و التوحيد﴾

قال الله عزوجل : «ألم نجعل له عينين» البلد : ٨)

في الآية الكريمة حث وتحريض على النظر والتفكر و الاعتبار بما يبصر به الانسان و يراى به الآيات الآفاقية و الأنفسية ، والكونية و التدوينية الدالة على توحيد خالقها ، و قدرته المطلقة و حكمته البالغة و علمه الشامل و تدبيره التام .

حقاً للعين أسرار و حكم و مصالح لم تدر بعد، فان علماء التشريح تحققوا في تركيب العين و أجزائها ، ووظيفة كل منها في إرتسام المرئيات فيها ، و عرفوا قليلاً منها كما عرفوا قليلاً من سنن الله تعالى في النور ووظيفته في رسم صور الاشياء في العينين ، و لكنهم ما عرفوا بعد كنه الرؤية ، و لا كنه قوة الابصار ولا حقيقة النور ، و ما عرفوا بعد حقيقة البصر و ما الشيء الذى صار به الانسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه ...

ولا أظن من تفكر في ملوحة عينيه وما يرد من طريقهما إلى المخ الانساني أن يشك في وحدانية خالقه جل و علا و عظمته و كمال قدرته ، و سعة علمه و غاية حكمته و نهاية لطفه و رحمته بعباده و تمام تدبيره ...

في الاحتجاج : ـ فيما احتج الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام على أبي حنيفة ـ: ثم قال: يا نعمان ! هل تحسن أن تقيس رأسك؟ قال: لا قال عليه السلام:

ما أراك تحسن أن تقيس شيئاً، فهل عرفت الملوحة فى العينين، والمرارة فى الاذنين، و البرودة فى المنخرين، و العذوبة فى الفم ؟ قال : لاقال عليه السلام: فهل عرفت كلمة أولها كفر و آخرها ايمان ؟ قال : لا.

قال إبن أبى ليلى : قلت : جعلت فداك لاتدعنا فى عمياء مما و صفت قال عليه السلام: نعم ! حدثنى أبى عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان الله خلق عينى إبن آدم شحمتين، فجعل فيهما الملوحة، فلولا ذلك لذابتا، ولم يقع فيهما شىء من القذى إلاّ أذابه، والملوحة تلفظ ما يقع من العين من القذى، وجعل المرارة فى الاذنين حجاباً للدماغ، و ليس من دابة تقع فى الاذن إلاّ إلتمست الخروج، ولو لا ذلك لوصلت إلى الدماغ فافسدته، وجعل البرودة فى المنخرين حجاباً للدماغ، و لولا ذلك لسال الدماغ، وجعل العذوبة فى الفم مناًّ من الله تعالى على إبن آدم ليجد لذة الطعام والشراب، وأما كلمة أولها كفر وآخرها ايمان فقول : لاإله إلاّ الله.

ثم قال عليه السلام: يا نعمان إياك و القياس ! فان أبى حدثنى عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله قال : من قاس شيئاً من الدين برأيه قرنه الله تبارك و تعالى مع إبليس، فانه أوّل من قاس، قال : خلقتنى من نار و خلقته من طين، فدعوا الرأى و القياس، فان دين الله لم يوضع على القياس.

و فى **الاختصاص**: عن الامام عليه السلام - فى حديث - : فخلق المالح فى عينيه فهما لايذوبان فى الحر ولا يجمدان فى البرد ... الخبر.

و فى **التوحيد** : بالاسناد عن عدّة من أصحابنا ان عبدالله الديصانى أتى هشام بن الحكم فقال له: ألك ربّ؟ فقال بلى، قال: قادر؟ قال : نعم قادر قاهر، قال : يقدر أن يدخل الدنيا كلها فى البيضة لا تكبر البيضة و لا تصغر الدنيا ؟ فقال هشام : النظرة فقال له : قد أنظرتك حولاً، ثم خرج عنه، فركب هشام

إلى أبي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه ، فأذن فقال : يابن رسول الله أتاني عبدالله الديصاني بمسئلة ليس المعوّل فيها إلاّ على الله و عليك .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : عما ذاسئلك ؟ فقال : قال لي : كيت و كيت ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : يا هشام كم حواسّك؟ قال : خمس ، فقال : أيها أصغر ؟ فقال : الناظر قال : و كم قدر الناظر ؟ قال : مثل العدسة أو أقل منها ، فقال : يا هشام فانظر أمامك و فوقك ، و أخبرني بما ترى ، فقال : أرى سماء و أرضاً و دوراً وقصوراً و تراباً وجبالاًوأنهاراً .

فقال له أبو عبدالله عليه السلام : ان الذى قدر أن يدخل الذى تراه العدسة أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة ، ولا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة ، فانكبّ هشام عليه ، و قبّل يديه و رأسه و رجليه ، و قال : حسبي يا بن رسول الله فانصرف إلى منزله ، و غدا عليه الديصاني ، فقال له : يا هشام إني جئتك مسلّماً و لم أجئك متقاضياً للجواب ، فقال له هشام : إن كنت جئت متقاضياً فهاك الجواب... الخبر.

وفيه: ـ فيما الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لمفضّل ـ : فكّر يا مفضّل في أعضاء البدن وتدبير كل منها للارب:(الحاجة)فاليدان للعلاج والرجلان للسعى والعينان للاهتداء والفم للاغتذاء والمعدة للهضم،والكبد للتخليص والمنافذ لتنفيذ الفضول،والأوعية لحملها،والفرج لاقامة النسل،و كذلك جميع الاعضاء إذا تأمّلتها و اعملت فكرك فيها ونظرت وجدت كل شيءمنها قد قدرلشيء على صواب وحكمة.

قال : يا مولاى !

هل هذا من فعل الطبيعة ؟ ان قوماً يزعمون ان هذا من فعل الطبيعة ، قال : سلهم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم و قدرة على مثل هذه الافعال أم ليست كذلك ؟ فان أو جبوالها العلم و القدرة ، فما يمنعهم من إثبات الخالق

فان هذه صنعته ، و إن زعموا انها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد و كان في أفعالها ما قد تراه من الصواب و الحكمة ، علم ان هذا الفعل للخالق الحكيم ، و ان الذى سمّوه طبيعة هو سنّة فى خلقه الجارية على ما أجراها عليه ـ إلى أن قال ـ : فكّر يا مفضل لم صار المخ الرقيق محصناً فى أنابيت العظام ؟ هل ذلك إلاّ ليحفظه و يصونه ؟ ... الخبر .

أقول: و للمحققين و علماء وظائف الاعضاء (فيزيولوجى) كلمات عديدة ينبغي من ذكر مايسعه المقام:

فمنهم : «مارلين بوكس كريدر» تحت عنوان : تعريف القدرة الخلاّقة في نظرية أنيشتاين : «ثم من وجهة النظر فى علم وظائف الاعضاء نتمكن كذلك من تصديق خلاّق عليم و راء الكون : «المادى»

فيا للانسان و سائر الحيوان فى جسمه من بدايع مرموزة متداخلة يعجز عن إختلاق عضو واحد صغير منها أعقل فحول العلم وعباقرة الدكاترة الحذّق: من ذلك مخّ الانسان: الحاوى لعجائب الآثاروالافعال، ولم يهد لعلماء الكيمياء و الفيزياء حتى اليوم إلاّ شيء يسير منها كمثل الهداية الكتريسيتية ، و غيرها، و لقد بقيت أكثرها حتى الآن مجهولة .

من وظائف المخّ جميع الحركات العضلانية و سائر الاعمال الرئيسية الحيوية للانسان إطلاقاً،فهومحل الحافظة تحتفظفيها مليارات من الصوروالنقوش، ولا يوجد هناك أىّ تفسير و توجيه مادّىّ لعمليات المخ ، ولا سيّما حلّ المسائل و ربط مختلف المواضيع ، و كذلك لايمكن تفسير الذوق السليم والأمل والحب و صفاء الباطن : بالوسائل و القرارات العلمية المادية .

فأيّة قدرة توجب تحوّل ذرّة منوية فى الرحم إلى الجنين ثم تطلع حيواناً حياً مع نسوج و أعضاء مختلفة ، وفيها مثل المخ هذا الصنع

البديـع المرموز!.

فلو فرضنا محالاً: اننا نوفق لصنع جسم حيّ آنذاك تبقى الطاقة الالكتريسيتية و الحرارة، و سائر العوامل الكيمياوية التي تسبب بها لاختلاق هـذا الموجود الحيّ تبقى مجهولة عنّا مرموزة، ولـم نكن لنعلم العلة في الحياة، ولا كيفية تلكم الأسباب في إحداثها.

ومن المسلم حتى اليوم: انه لا يحيط أحـد بكيفية التكويـن علماً أو تفسيراً إلا ّان المشاهدات والشواهد العلمية تدلنا: ان إحتمال خلق الحيوان من المادة و الطاقات المادية، فحسب هذا غير قابـل للتصديق و أخيراً أنـه: لامناص عن الاقرار بوجـود طاقـة قهّارة و راء المادة هـي التي تخلق الحياة علـى علم و حكمة».

ومنهم: من قال: «فكيف لايعظم ولا يقدس الانسان خالقه الـذي جهّز مخه بـ ٢٠/٠٠٠/٠٠٠ عصب لكل واحد منها وظيفته، فلو جسّ أُحدها حدثت عـوارض تختلف عمالـو جسّ غيره، ولـو حسبنا بحساب ريـاضـي (حساب الاحتمالات) نرى ان ليس هناك أية صدفة تجعل عشريـن مليون عصب تترتب بهذا الترتيب الدقيق حتى تتوارد عليها الاحساسات فتشعر الروح بـواسطتها بما حدث فهي دونما تشبيه كآلة الراديو.

فكما أن الراديو ليس هو الصوت و المتكلم هكذا هذه الاعصاب الكثيرة في المخ الانساني ليست هي الروح و الانسان، و إنما واسطة لتحس الـروح أو النفس، وحسب ماهو مقرر في حساب الاحتمالات: ان الاحتمال الذي يجعل عشرين مليون عصب تترتب ترتيباً هندسياً، فيؤدي إلى إنتاج مطلوب هو واحد من (١٠) متبوعة بعشرين مليون صفر إلا ّصفراً واحداً أي واحد من (١٠) مرفوعة إلى قوة عشرين مليون.

و معلوم ان مآل نسبة $\frac{١}{٢٠/٠٠٠/٠٠٠ \quad ١٠}$ أو : $\frac{١}{٢ × ٧/١٠١٠}$ هـو الصفر ، و لما كان ما خلق الله عزوجل مـن عوالـم مختلفة مـن جماد و نبات وحيوان ، و مارتب لكل منها ترتيباً دقيقاً لا يعد ولا يحصى إذن تصبح النسبة :

$\frac{١}{\infty} = \frac{١}{\infty} =$. «فلا صدفة أبداً»

❧❧❧❧❧❧❧❧❧❧❧
❧❧❧❧❧❧❧❧❧❧❧❧❧

﴿العين وعلاجها﴾

ومن البين: ان العين من الاعضاء السريعة التأثر، وهى مع ذلك معرضة للجو تعرضاً مستمراً، فيجب العناية بأمرها عناية تلائم سمو وظيفتها.

ومما يضر بالعين الهواء الحار فانه يجفف الرطوبة المندية لها، واختلاف الاهوية لانه يحبس العرق عن الوجه، فيحتقن الغشاء المخاطى المغشى للعين، فيزيد إحساسها، ويحصل من ذلك رمد والابخرة المتصاعدة من المراحيض ومن معامل الرصاص والزئبق.

ومن مضرات العين الرؤية الدقيقة فى الاشياء كالكتابة والقراءة - غير قراءة القرآن الكريم والدعاء - والخياطة ... عند إزدياد نور الشمس كوقت الصباح نحو: ثلاثة أرباع من الساعة قبل طلوع الشمس وبعده كليهما، وعند نقصان نور الشمس كوقت الغروب كذلك، فانها توجب نقصان رؤية العين وضعف البصر ودائها بل عماها، ولقد ثبت لى بالتجربة فى الوقتين مالاشك فيه.

فيجب أن لايعرض الانسان عينيه لهذه المؤثرات، فان اضطر لذلك وجب عليه تعريضهما بحذر شديد ثم إراحتهما بعد الفراغ من العمل إراحة طويلة.

وينبغى تجنب تغيرات النور بغتة فان القزحية تتسع وتنقبض على حسب شدة النور أوضعفه، ولكنه لايتم هذا التغير فى لحظة، ولذلك يقل البصر عندما تنتقل من نور ساطع إلى نور ضعيف ويبهر إذا إنتقلنا من ظلام إلى نور.

يجب أن يتجنب على الدوام إنحراف العين عندالنظر لانه إذا إنحرفت العين إنقبضت العضلات إنقباضاً غيرطبيعي ، و ربما بقيت العين حولاء ، ويجب أن تربى عيون الاطفال على النظر إلى أبعاد مختلفة لكي يكون البصر صحيحاً قادراً علىتمييز الاشباح البعيدة كالقريبة، إذا دخل غبار فيالعين يوقف الشخص أمام نور ساطع ، ويفتح جفنيه وينزع الغبار بطرف منديل نظيف من حرير او كتان.

ثم ان العوارض الضارة بالعين لاتقتصرعلى ما يأتيها عرضاً من الجوبل تتناول بعض ما يتناوله الانسان من المشروبات والمأكولات ... فمن المشروبات التى تضرّ بالعين السوائل الكحولية لانها توجه الدم إلى الرأس ، فتسبب إحتقاناً فى العينين ، ومن المآكل الضارة بهما التوابل وماشابهها ...

وأما زيادة الاحساس فبأن يكون الشخص لايستطيع إحتمال النور،فعلاجه إستعمال النظارات الزرقاء ثم التدرج فىلونها من الزرقة الشديدة إلى مابعدها حتى تنتهى إلى زجاجة بيضاء فتكون العين قد تعودت الضوء ، فلا ترجع للتألم منه.

وأما ضعف الاحساس وهو عدم إمكان رؤية الاشياء إلا بضوءِ شديد فعلاجه الراحة والتعود علىالنظر للاشياءِ فىضوءِ ضعيف ، وقد يحدث لبعض الناس تغيرات فىالابصار كطول النظر أوقصره أو زيادة فى الاحساس البصرى أوضعفه، فأما قصر النظر فناش من تحدب العينين و بروزهما و كلاهما ناش عن زيادة رطوبتهما.

وأما طول النظرفهو ناش من قلة الرطوبة المائية التى تسبب فلطحة العين وهى تنشأ فى الخامسة والاربعين من عمرالانسان ثم تزيد كلما تقدم العمر كلتاهاتين العلتين تعالجان بالنظارات...

وقد وردت روايات كثيرة فى علاج العين نشير إلى نبذة منها :

في روضة الكافي: باسناده عن جميل بن صالح قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: إن لنا فتاة كانت ترى الكوكب مثل الجرة قال: نعم وتراه مثل الحب قلت: ان بصرها ضعف، قال: اكحلها بالصبر والمر والكافور أجزاء سواء قال: فكحلناها به فنفعها.

و فيه: عن الحسن بن محبوب عن رجل قال: دخل رجل على أبي عبدالله عليه السلام وهو يشتكي عينيه، فقال: أين أنت عن هذه الاجزاء الثلاثة: الصبر والكافور والمر؟ ففعل ذلك الرجل فذهب عنه.

و فيه: باسناده عن إبن أبي عمير عن سليم مولى علي بن يقطين انه كان يلقى من عينيه أذى قال: فكتب إليه أبوالحسن عليه السلام ابتداء من عنده: مايمنعك من كحل أبي جعفر عليه السلام: جزؤ كافور رياحي، وجزؤ صبر سقطري يدقان جميعاً، وينخلان بحريرة يكتحل منه مثل مايكتحل من الاثمد الكحلة في الشهر يحدر كل داءٍ في الرأس، ويخرجه من البدن قال: وكان يكتحل به فما اشتكى عينيه حتى مات.

وفي عيون الاخبار: باسناده عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي بن ابيطالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الكمأة من المن الذي أنزله الله على بني إسرائيل وهي شفاء للعين.

وفي مسند الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الكمأة من المن وماؤه شفاء للعين.

أقول: ان الروايات الواردة في معالجة الامراض لابد في إستعمالها من مراعات الاهوية والازمنة والامكنة و الامزجة وغيرها ...

وقدوردت الادعية حول العين منها:

في الكافي: باسناده عن إبن ابي عمير عن محمد الجعفي عن أبيه قال: كنت كثيراً ماأشتكي عيني فشكوت ذلك إلى أبي عبدالله عليه السلام فقال: «ألا اعلمك

دعاء لدنياك وآخرتك ، وبلاغاً لوجع عينيك ؟ قلت: بلى قال: تقول فى دبر الفجر و دبر المغرب :«اللهم إنى أسئلك بحق محمد و آل محمد عليك واجعل النور فى بصرى والبصيرة فى دينى واليقين فى قلبى والاخلاص فى عملى والسلامة فى نفسى والسعة فى رزقى والشكر لك أبداً ما أبقيتنى»

و فى **أمالي المفيد** قدس سره باسناده عن محمدبن أبى عمير عن محمد الجعفى عن أبيه قال : كنت كثيراً ماأشتكى عينى فشكوت ذلك إلى أبى عبدالله عليه السلام فقال : ألا اعلمك دعاء لدنياك وآخرتك ، وتكفى به وجع عينك ؟ قلت: بلى قال: تقول فى دبر الفجر ودبر المغرب: «اللهم إنى أسئلك بحق محمد وآل محمد عليك أن تصلى على محمد وآل محمد وأن تجعل النور فى بصرى والبصيرة فى دينى واليقين فى قلبى والاخلاص فى عملى والسلامة فى نفسى و السعة فى رزقى و الشكر لك أبداً أبقيتنى وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وسلم تسليماً»

وقال بعض المحققين : ليس معنى الأدعية علاج الداء بها من غير رجوع إلى الادوية والاطباء بل انهار بما تمنع عن إصابة الداء بها ، فتجعل الداعى فى حماية الله تعالى وحفظه فلايصيب عينها الداء ، وقد تهدى صاحب الداء إلى مورد العلاج ...

قال الله تعالى: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» (العنكبوت : ٦٩)

و قد ورد :مرض موسى عليه السلام واشتد وجع بطنه فشكى إلى الله تعالى فدلّه على عشب فى المفازة فأكل منه فعوفى باذن الله تعالى ثم عاوده ذلك المرض فى وقت آخر فأكل ذلك العشب فازداد مرضه ، فقال: يا رب أكلته أولا فانتفعت به ، وأكلته ثانياً فازداد مرضى، فقال : لانك فى المرّة الاولى ذهبت منى إلى الكلاء فحصل فيه الشفاء ، وفى المرة الثانية ذهبت منك إلى الكلاء فازداد المرض أما علمت أن الدنيا كلها سمّ قاتل وترياقها إسمى.

أقول: ومن غير بعيد أن لنفس الادعية أثروضعى وهو الشفاء فى نفس الداعى إذا اجتمعت شرائط التأثير التى أوردناها فى باب شرائط تأثير الدعاء فى هذا التفسير فراجع.

و مما جرّبناه ـ مضافاً إلى ماتقدم آنفا من دعاء العين ـ و وجدت آثاره بحول الله وقوته جل وعلا أن يقول الانسان فى دبر الفجر: «اعيذ نوربصرى بنور الله الذى لايطفى» ثلاث مرات ...

ثم يقول: «يابصيراً بلاحدقة إحفظ حدقتى بحدقتى على بن أبيطالب عليه السلام» مرتين ثم يقرأ آية الكرسى.



﴿ اللسان وتشريحه ﴾

قال الله جل وعلا: «ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين» (البلد: ٨-٩)

حثّاً على النظر والتفكر و الاعتبار بما يتكلم به الانسان ، فجدير لنا من البحث والتحقيق حول اللسان على مايسعه مقام الاختصار في ضمن بيان امور لتوفق فهم الايات الكريمة والروايات الواردة عن طريق أئمتنا أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين عليها ، ولاشتماله على الاسرار والحكم الربانية ...

واعلم أن اللسان : هو آلة التكلم ، وهي جارحة في قوتها النطق يعبّر به الانسان عن نفسه ما أراد ويترجم به عن ضمائره ...

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : «ماالانسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أوبهيمة مهملة»

وقد قالت الحكماء : «ان النطق هوأشرف ماخص به الانسان لانه صورته المعقولة التي باين بها سائر الحيوانات»

أقول: ولذلك قال الله عزوجل : «إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق إقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم» (العلق: ١-٥) وتلك الايات الخمس أول ما أنزلها الله تعالى على رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بالاتفاق لامراء فيه ، فتدبر فيها جيداً و اغتنم جداً .

وقال تعالى: «خلق الانسان علّمه البيان» (الرحمن : ٣-٤) ولم يقل :

«وعلّمه» بالعطف لانه عزوجل جعل قوله: «علمه البيان» تفسيراً لقوله : «خلق الانسان» لاعطفاً عليه تنبيهاً على أن خلقه له ، وتخصيصه بالبيان الذى لوتوهم مرتفعاً لارتفعت إنسانيته .

نعم ماقال الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلاصورة اللحم والدم

وحقاً : ان اللسان هومن نعم الله العظيمة ، ولطائف صنعه العجيبة ، ومننه الجسيمة ، فانه صغيرجرمه ، كثير أسراره ، وعظيم طاعته ، وخطيرجرمه، ولايعلم الايمان والكفر اللذان هما غاية الطاعة و الطغيان إلا بشهادة اللسان قال الله تعالى: «ويقولون سمعنا وعصينا و اسمع غيرمسمع و راعناليّاً بالسنتهم و طعناً فى الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع و انظرنا لكان خيراً لهم و اقوم» (النساء : ٤٦)

وما من موجود أومعدوم معلوم أوموهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات أونفى بحق أو باطل ، وهذه الخاصية لاتوجد فى غيره من الاعضاء فان العين لاتصل إلى غير الالوان و الصور و الاذن لاتصل إلى غير الاصوات ، واليد لاتصل إلى غير الاجسام ، و هكذا سائر الاعضاء ...

وان اللسان رحب الميدان جداً ، له فى الخير و الشرمجال واسع ، فمن أهمله فرخى عنانه سلك به طرق الهلكة والخسران ، إذلاتعب فى تحريكه ولا مؤنة فى إطلاقه ، فينبغى ضبطه تحت حكم العقل والشرع ، وحيث كان الطبع مائلا إلى إطلاقه و إرخاء عنانه جاء الشرع بالبحث على إمساكه حتى يحصل التعادل .

وعن بعض الحكماء : «من علم أن لسانه جارحة من جوارحه أقلّ من إعتمالها واستقبح تحريكها كما يستقبح تحريك رأسه أومنكبه دائماً»

وليس على الجوارح عبادة أخف مؤنة ، وأفضل منزلة ، وأعظم قدراً عندالله تعالى من كلام فيه رضى الله عزوجل و لوجهه وذكر آلائـه و بيان نعمائـه فى عباده ...

ألا ان الله سبحانه لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يـكشف عما أسر إليهم من مكنونات علمه و مخزونات وحيه غير اللسان ، و كذلك بين الرسل و الامم ...

فاللسان هوخير وسيلة للرباط بين الله جل وعلا وبين عباده، وخير وسيلة للرباط بين عبادالله تعالى أنفسهم ، لبيان ما فى ضمائرهم ، وخير وسيلة للدعوة الالهية وترجمان وحيه وبيان عظمته وذكر جلاله وعبادته ونشر دينه وتقرير أحكامه ، و وعده و وعيده ...

و كذلك لامعصية أثقل على العبد ، ولا اسرع عقوبة عندالله عزوجل ولا أشدها ملامة ولا أعجلهـا سآمة عند الخلق من اللسان ، وهـو أوعضو من أعضاء الانسان يشهد عليه ويحاسب يوم القيامة :

قال الله تعالى: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم و أرجلهم بمـا كانـوا يعملون» (النور: ٢٤)

وعن بعض المتكلمين : ان اللسان آلة ضرورية فى الكلام لان من يقطع لسانه من أصله يتكلم ، وأما إذا قطع رأسه فلم يتكلم .

أقول: وعلى أيّ تقادير لابدو أن يكون آلة الكلام لحماً وإليه أشار الامام أمير المومنين على عليه‌السلام بقوله : «اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم» وليست هذه البنية المخصوصـة شرطاً فى الكلام علـى الاطلاق لجواز وجـوده فى الشجر و الجماد، و وجود تلك الالة فى البقر والفرس والابل وسائر الحيوانات ... من غير تكلم ، وإن كانت هذه البنية شرطاً فى تكلم الانسان.

وان اللسان هومخلوق من لحم أبيض ليّن رخوقد التفّت به عروق صغار كثيرة منها شرايين ، ومنها أوردة وبسببها يحمرّ لونه وعند مؤخّره لحم غددى يسمي مولد اللعاب و تحته فوهتان تفضيان إلى هذا اللحم تسمّيان بساكبى اللعاب بهما تنسكب الرطوبة والماء العذب من اللحم الغددى إلى اللسان والفم، وتحته أيضاً عرقان كبيران أخضران تسميان الصردان .

وهو ذوشفتين طولا ولكنهما فى غشاء واحد متّصل بغشاء الفم والمرىء و المعدة إلاّ فى بعض الحيوانات كالحية ، فان شفتى لسانها ليسا فى غشاء واحد و لهذا يظهران ، وعلى جرم اللسان عصبة منبثّة هى محل القوة الذائقة للطعوم بتوسط الاجسام المماسّة المخالطة للرطوبة المستحيلة إلىطعم الوارد ومحليتها له منجهة ماهو وراءها من جوهر الروح .

وعلى اللسان زائدتان نابتتان إلى فوق كأنهما اذنان صغيرتان تسمّيان باللوزتين و جوهرهما لحم عصبانى غليظ كالغدّة ومنفعتهما مثل منفعة اللهاة، وان اللسانآلة لتقطيع الصوت وإخراج وتبيينها ، وآلة لتقليب الممضوغ كالمجرفة ، وآلة لتميز المذوق ، وأعدلها فى الطول و العرض أقدرعلى الكلام من عظيمها جداً أو من الصغير المتشنّج .

وان العضل المحركة للسان تسع : ثنتانمنهامعرضتان تأتيان منالزرايد السهمية ، وتتصلان بجانبه ، وثنتان منها مطوّلتان منشاؤهما من أعالى العظم اللامى ، و تتصلان بوسط اللسان، وثنتان منها محرّكتان علىالوراب منشاؤهما من الضلع المنخفض من العظم اللامى ، وتنفذان فى اللسان مابين المطوّلة و المعرضة ، و ثنتان منها ناطحتان للسان قالبتان له موضعهما تحت موضع هذه المذكورة قد انبسط ليفهما تحته عرضاً حتى إذا تشنجتا ينجذب أطراف اللسان إلى فوق فينقلب، وتتصلان بجميع عظم الفلك، وقد يذكر فيجملة عضل اللسان

وعضلة اخرى وهى مفردة تصل ما بين اللسان والعظم اللامى ، ويجذب أحدهما إلى الاخر، ولايبعد أن تكون العضلة المحركة للسان طولا إلى بارز بحركة كذلك لان لها أن يتحرك فى نفسها بالتقلص والتشنج .

وان السبب الخاص بالصوت هولسان الحنجرة وتواتره وصدم الهواء الخارج من الحلقوم بذلك اللسان .

﴿القوة الذائقة وأسرارها﴾

واعلم أن حقيقة الذوق تناول ماله طعم باللسان ليوجد طعمه، فباللسان تذاق الطعوم ... وفيه مع ذلك معونة على إساغة الطعام والشرب، وله دخل عظيم في صياغة الحروف و النغم، ومن ثقل لسانه لم يفصل الراء و ما شابهها من الحروف ...

ولا يخفى على القارىء الخبير ما بين الذوق وإدراك الطعم : ان الذوق ملابسة يحسّ بها الطعم، و إدراك الطعم يتبين به من ذلك الوجه وغير تضمين ملابسة الحبل و كذلك يقال : ذقته فلم أجدله طعماً .

وان قوة الذوق موضعها العصب الذى فى جرم اللسان من شأنها إدراك الطعوم بواسطة الرطوبة اللعابية المنبعثة من اللحم الغددى الذى فى أصله المسمى مولداً للعاب إما بأن يختلط بها أجزاء من ذى طعم، ثم تغوص فى اللسان فيدرك الذائقة طعمها، فيكون فائدة تلك الرطوبة تسهيل وصول الاجزاء الحاملة للطعوم إلى الذائقة، وإما بأن يتكيّف تلك الرطوبة بالطعوم من غير مخالطة، فيكون المحسوس بالحقيقة نفس الرطوبة بلا واسطة .

فالذوق للمس وله منافع و أسرار كثيرة لايسع مقام الاختصار بذكر جميعها :

منها : ان الفعل الذى به يتقوّم البدن وهو تشهية الغذاء و إختياره و

يجانس اللمس في شيء ، وهوان للذوق يدرك في أكثر الامر بالملامسة ، ويفارقه في أن نفس الملامسة لا يؤدّي الطعم كما أن نفس ملامسة الحار مثلا يؤدّي الحرارة بل كأنه محتاج إلى متوسط يقبل الطعم ، ويكون في نفسه لاطعم له ، وهو الرطوبة اللعابية المنبعثة من الالة المسماة الملعبة ، فان كانت هذه الرطوبة عديمة الطعوم أدّت الطعوم بصحّة ، وإن خالطها الطعم كما يكون للممرورين من المرارة ، ولمن في معدته خلط حامض من الحموضة شابت ما يؤدّيه بالطعم الذى فيه ، فيحيله مرّاً أوحامضاً .

ومما فيه موضع نظر هذه الرطوبة ، إنما يتوسط بأن يخالطها أجزاء ذى الطعم مخالطة ينتشر فيها ، ثم ينفذ فيغوص في اللسان حتى يخالط اللسان فيحسّه أويكون نفس الرطوبة يستحيل إلى قبول الطعم من غير مخالطة ، فان هذا موضع نظر .

فان كان المحسوس هو المخالط ، فليست الرطوبة بواسطة مطلقة ، بل بواسطة يسهّل وصول الجوهر المحسوس الحامل للكيفيّة نفسها إلى الحاس ، وأما الحسّ نفسه فانما هو بملامسة الحاس للمحسوس بلاواسطة ، و إن كانت الرطوبة يقبل الطعم ، ويتكيّف به،فيكون المحسوس بالحقيقة أيضاً هو الرطوبة، و يكون أيضاً بلاواسطة ، ويكون الطعم إذا لاقى آلة الذوق أحسّته ، فيكون لو كان للمحسوس الوارد من خارج سبيل إلى المماسة الغايصة من غير هذه الواسطة لكان ذوقاً لا كالمبصر الذى لايمكن أن يلاقي آلة الابصار بلاواسطة .

وإذا مسّت الالة المبصرة لم يدرك ألبته لكنه بالحرىّ أن يكون هذه الرطوبة للتسهيل ، و انها يتكيّف ويختلف معاً ، و لو كان سبيل إلى الملامسة المستقصاة من غير هذه الرطوبة لكان ذوقاً.

فان تسئل : مابال العفوصة يذاق وهى تورث السدد ويمنع النفوذ ؟

تجيب : انها أوّلا يخالط بوساطة هذه الرطوبة ثم يؤثر أثرها من التكيّف

و قدخالطت و الطعوم التى يدركها الذوق وهى الحلاوة و المرارة و الحموضة و القبض والعفوصة والحرافة والدسومة و البشاعة والتفه ، والتفه يشبه أن يكون كأنّه عدم الطعم ، وهو كما يذاق من الماء ومن بياض البيض .

وأما هذه الاخرى فقد تكثّرت بسبب انهـا متوسطات ، وانها أيضاً مع ما يحدث ذوقاً يحدث بعضها لمساً ، فيتركب من الكيفيّة الطعميّة ، ومن التأثير اللمسى شيء واحد لايتميّز فى الحس، فيصير ذلك الواحد كطعم محض متميّز، فانه يشبهأن يكون طعم من الطعوم المتوسّط بين الاطراف يصحبه طعم وتفريق وإسخان ، ويسمّى جملة ذلك حرافة، واخر يصحبه طعم وتفريق من غيرإسخان وهو الحموضة ، و اخر يصحبه مع الطعم تجفيف وتكثيف وهو العفوصة . وعلى هذا القياس ماقد شرح فى الكتب العلمية الطبية .



﴿اللسان ترجمان العقل والمعبر عما في القلب﴾

ومن علائم العقل وكماله وتدبير كل إنسان في جميع شؤونه هو مواظبته لسانه، فانه ترجمان عقله، وبه يعرف قدره، وانه المعبّر عمـا في ضميره فاذا تكلم يعرف، فحقاً عليه أن لايقول ماينقص قدره ويهتك ستره...

قال الله عز وجل: «ولتعرفنهم في لحن القول» (محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ٣٠)

في تحف العقول: في وصايا مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: قال: ولسانك ترجمان عقلك ـ إلى أن قال ـ: أيها الناس ان في الانسان عشر خصال يظهرها لسانه: شاهد يخبر عن الضمير، وحاكم يفصل بين الخطاب، وناطق يردبه الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، و واصف تعرف به الاشياء، وأمير يأمر بالحسن، و واعظ ينهى عن القبيح، ومعزّ تسكن بـه الاحزان، وحامد تجلى به الضغائن، وموفق يلهى به الاسماع، أيها الناس لاخير في الصمت عن الحكم كما أنه لاخير في القول بالجهل، إعلموا أيها الناس انه من لم يملك لسانه يندم، ومن لايتعلم يجهل.

وعن بعض الظرفـاء: انه قال: مـاجلس إليّ أحـد قطّ إلاّ هبته حتى يتكلم، فاذا تكلم إما أن تزداد تلك الهيبة أوتنقص.

وقال شاعر:

وكائن ترى من صامت لك معجب زيـادتـه أو نقصه فـي التـكلم

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : «كما تعرف أواني الفخار بامتحانها بأصواتها فيعلم الصحيح منها من المكسور كذلك يمتحن الانسان بمنطقه فيعرف ماعنده»

وفيه: قال عليه السلام «إذا كان اللسان آلة لترجمة ما يخطرفى النفس ، فليس ينبغى أن تستعمله فيما لم يخطرفيها»

وفيه: قال عليه السلام : «والله ما أرى عبداً يتقى تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه ، وان لسان المؤمن من وراء قلبه ، وان قلب المنافق من وراء لسانه لان المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبّره فى نفسه ، فان كان خيراً أبداه وإن كان شراً وأراه وان المنافق يتكلّم بما أتى على لسانه لايدرى ماذا له وماذا عليه»

أقول: وذلك لان المؤمن وهو العاقل حقاً لايطلق لسانه إلاّ بعد مشاورة الرويّة ومؤامرة الفكرة، وأما المنافق وهو الاحمق حقاً تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره ، و مماخضة رأيه ، فلسان المؤمن العاقل تابع لقلبه وعقله وكان قلب المنافق الاحمق تابعاً للسانه .

ونعم ماقيل : المنافق الاحمق يتحفّظ من كل شيء إلا من نفسه .

و فى الكافى : باسناده عن أبى عمرو الزبيرى عن أبى عبدالله عليه السلام - فى حديث - قال: وفرض الله على اللسان القول و التعبير عن القلب بما عقد عليه ، وأقرّ به قال الله تبارك وتعالى: «وقولوا للناس حسناً» وقال : «قولوا آمنا بالله و ما انزل إلينا وما انزل إليكم وإلهنا و إلهكم واحد ونحن له مسلمون» فهذا ما فرض الله على اللسان وهو عمله .

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : «ما أضمر أحد شيئاً إلاّ ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه»

﴿ اللسان و وظائفه ﴾

و من المعلوم انه ليست حقيقة اللسان الانسانى هذه القطعة اللحمية التى تلقلق فى فيه، وإنما حقيقته إئتماره بأوامر الله جل وعلا، و إنتهائه عن نواهيه و إنما سعادته و كماله فى أداء وظائفه اللائقة به كما أن فى شقائه و إنحطاطه فى تخلفه عنها و فى سعادته سعادة المجتمع البشرى كما أن فى إنحطاطه إنحطاطه ...

فى الكافى: باسناده عن أبى حمزة عن على بن الحسين عليهما السلام قال: إن لسان إبن آدم يشرف كل يوم على جوارحه كل صباح، فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، و يناشدونه ويقولون: إنما نثاب ونعاقب بك.

وفيه: باسناده عن عثمان بن عيسى قال: حضرت أباالحسن عليه السلام و قال له رجل: أوصنى، فقال: إحفظ لسانك تعزّ ولاتمكّن الناس من قيادك، فتذلّ رقبتك.

و فيه: باسناده عن عبيدالله بن علىّ الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عز و جل: «ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم» قال: يعنى كفّوا ألسنتكم.

وفيه: باسناده عن مسعدة عن أبى عبدالله عليه السلام أنه قال لرجل وقد كلّمه

بكلام كثير ، فقال : أيها الرجل تحتقر الكلام و تستصغره إن الله لم يبعث رسله حيث بعثها ومعها فضّة ولا ذهب ، ولكن بعثها بالكلام ، و إنما عرف الله نفسه إلى خلقه بالكلام والدلالات عليه والاعلام .

وفيه: باسناده عن أبي بصير قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : كان أبوذر رحمه الله يقول : يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ، و مفتاح شر فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك و ورقك .

وفيه: باسناده عن منصور بن يونس عن أبي عبدالله عليه السلام قال : في حكمة آل داود : على العاقل أن يكون عارفاً بأهل زمانه ، مقبلا على شأنه حافظاً للسانه .

و في أمالي المفيد : باسناده عن سعيدبن ظريف عن أبي جعفر محمدبن علي عليه السلام انه قال : صانع المنافق بلسانك ، واخلص ودّك للمؤمن ، و إن جالسك يهودي فاحسن مجالسته .

وفي الفقيه : باسناده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لمحمدبن الحنفية قال: وما خلق الله عزوجل شيئاً أحسن من الكلام ولا أقبح منه ، بالكلام ابيضّت الوجوه ، وبالكلام إسودّت الوجوه ، و اعلم أن الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فاذا تكلّمت به صرت في وثاقه ، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك و ورقك ، فان اللسان كلب عقور ، فان أنت خلّيته عقر ورب ّ كلمة سلبت نعمة ، من سيب عذاره قاده إلى كلّ كريهة وفضيحة ، ثم لم يخلص من دهره إلاّ على مقت من الله ، وذمّ من الناس .

وفي المجالس : باسناده عن سليمان بن مهران قال : دخلت على الصادق جعفربن محمد عليهما السلام وعنده نفر من الشيعة فسمعته و هو يقول : معاشر الشيعة كونوا لنازيناً ، و لاتكونوا علينا شيناً ، قولوا للناس حسناً و احفظوا ألسنتكم و كفّوها عن الفضول وقبيح القول .

و فـي مجالس ابـن الشيـخ : قـدس سره باسناده عـن إبـن أبـى عمر قـال : قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله : لا تكثروا الكلام بغير ذكـر‌الله فان كثرة الكلام بغير ذكـر الله قسوة (قسـى خ) القلب ، إن أبعـد النـاس مـن الله القلب القاسى .

وفيـه : باسناده عـن عبيدالله بـن عبدالله عن أبى‌عبدالله جعفر بـن محمد الصادق عليه السلام انه قال لأصحابه: إسمعوا منى كلاماً هوخير لكم من الدرهم الموقفة، لايتكلم أحدكم بما لا يعنيه وليدع كثيراً من الكلام فيما يعنيه حتى يجد لـه موضعاً ، فربّ متكلم فى‌غير موضعه خطا على نفسه(جنى على نفسه خ) بكلامه، ولايمارينّ أحدكم حليماً و لاسفيهاً ، فانه مـن مارى حليماً أقضاه (أقصاه خ) و مـن مارى سفيهاً أرداه ، واذكـروا أخاكم إذا غاب عنكم بأحسن ما تحبون أن تذكروا إذا غبتم عنه ، واعملوا عمل من يعلم أنه مجازى بالاحسان ، مأخوذ بالاجرام .

وفى‌السرائر : عن‌الفضيل‌بن يسار عن أبى‌جعفر عليه السلام قال : قال : يـا فضيل بلّغ من لقيت من موالينا السلام ، وقل لهم : إنى أقول : انى لااغنى عنهم من‌الله شيئاً إلاّ بـورع ، فاحفظوا ألسنتكم و كفّوا أيديكم ، و عليكم بالصبر والصلاة ان‌الله مع‌الصابرين.

و فى‌الكافى : باسناده عن عمروبن جميع عن أبـى عبدالله عليه السلام قال : كان المسيح عليه السلام يقول ، لا تكثروا الكلام فى غيرذكرالله فان‌الذين يكثرون الكلام فى غير ذكرالله قاسية قلوبهم ولكن لايعلمون .

وفيه: باسناده عـن جعفربن إبراهيم قـال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : قال‌رسول‌الله صلى الله عليه وآله من رآى موضع كلامه من عمله قلّ كلامه فيما يعنيه.

وفى‌روضة‌الكافـى : باسناده عن أبى‌عبدالله عليه السلام - فى‌رسالته إلى‌أصحابه - قال : فاتقوا‌الله و كفّوا ألسنتكم إلاّ من خير - إلى أن قال - : وعليكم بالصمت

إلاّ فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم ويأجركم عليه، وأكثروا من التهليل و التقديس والتسبيح والثناء على الله والتضرّع إليه والرغبة فيما عنده الخير الذى لايقدر قدره، و لايبلغ كنهه أحد فاشغلوا ألسنتكم بذلك عما نهى الله عنه من أقاويل الباطل التى تعقّب أهلها خلوداً فى النار، من مات عليها و لم يتب إلى الله ولم ينزع عنها.

وفى الخصال: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على عليه السلام: جمع الخير كله فى ثلاث خصال: النظر والسكوت والكلام، فكل نظر ليس فيه إعتبار فهو سهو، و كل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو، و كل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة فطوبى لمن كان نظره عبراً وصمته تفكراً و كلامه ذكراً، وبكى على خطيئته وأمن الناس شرّه.

وفى رواية: ـ فى وصية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لعلى بن أبيطالب عليه السلام ـ: يا على! سبع من كنّ فيه فقد إستكمل حقيقة الايمان، و أبواب الجنة مفتّحة له: من أسبغ وضوئه، و أحسن صلاته، و أدّى زكاة ماله، و كفّ غضبه، و سجن لسانه، و استغفر لذنبه، و أدّى النصيحة لأهل بيت نبيّه.

وفى رواية: ـ فى وصية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لأبى ذر الغفارى رحمة الله تعالى عليه ـ: يا أباذر! الصلاة عماد الدين و اللسان أكبر، و الصدقة تمحو الخطيئة و اللسان أكبر، و الصوم جنة من النار و اللسان أكبر، والجهاد نباهة واللسان أكبر.

وفى وصية اخرى: يا أباذر! إن الله عز وجل عند لسان كل قائل، فليتق الله امرؤ وليعلم ما يقول، ياأباذر! ما من شىء أحق بطول السجن من اللسان، يا أباذر! ما عمل من لم يحفظ لسانه.

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إرفعوا ألسنتكم عن علىّ فانه خشن

فی ذات الله ، غیر مداهن فی دین الله ، إرفعوا ألسنتكم عن المسلمين ، وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً .

وفی رواية : قيل لسيد الشهداء سبط المصطفى الامام الحسين بن علی عليه السلام : ما الفضل ؟ قال عليه السلام : « ملك اللسان وبذل الاحسان » .

وفی رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يقول الله تبارك وتعالى : « يا بن آدم قد أنعمت عليك نعماً عظاماً لا تحصى عددها و لا تطيق شكرها ، و إن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما ، و جعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك ، و إن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطائهما ، و جعلت لك لساناً وجعلت له غلافاً فانطق بما أمرتك وأحللت لك ، فان عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق لسانك ... »

و فی وصية الامام علی عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام كتبها إليه بحاضرين من صفين : « اوصيك بتقوى الله أی بنی ولزوم أمره ، وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكر المنكر بيدك ولسانك ولا تأخذك فی الله لومة لائم » .

و فی دعاء الصباح : « إلهی قلبی محجوب و نفسی معيوب و عقلی مغلوب و هوائی غالب ، وطاعتی قليل ، و معصيتی كثير و لسانی مقرّ بالذنوب فكيف حيلتی يا ستار العيوب و يا علام العيوب و يا كاشف الكروب إغفر ذنوبی كلها بحرمة محمد و آل محمد يا غفار يا غفار برحمتك يا أرحم الراحمين » .

و فی دعاء كميل بن زياد : « واجعل لسانی بذكرك لهجاً »

وفی دعاء الفرج : « وسدّد ألسنتنا بالصواب والحكمة » .

و فی مناجاة الذاكرين : « ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا »

و فی دعاء السحر فی شهر رمضان المبارك : « اللهم طهّر قلبی من النفاق و

عملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة » الدعاء ...

وفي دعاء جواد الائمة : الامام التاسع محمد بن علي عليه السلام : « و اجعل النور في بصري واليقين في قلبي و ذكرك بالليل و النهار على لساني و عملا صالحاً فارزقني » .

وفي دعاء السحر :- « و لك الحمد على بسط لساني ، أفبلساني هذا الكال أشكرك ؟ أم بغاية جهدي في عملي ارضيك ؟ وما قدر لساني يارب في جنب شكرك ؟ وماقدر عملي في جنب نعمك وإحسانك ؟ » الدعاء .

و في دعاء أبي حمزة الثمالي : « أدعوك يا سيدي بلسان قد أخرسه ذنبه ، و إنا آمنابك بألسنتنا وقلوبنا لتعفوعنا ، فأدركنا ما أملنا ـ ولك الحمد على بسط لساني أفبلساني هذا الكال ؟ أشكرك أم بغاية جهدي في عملي ارضيك وماقدر لساني ... »

﴿ رقيب اللسان و حفظه ﴾

قال الله عزوجل : «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» ق : ١٨)

وقال : «ان رسلنا يكتبون ماتمكرون» يونس : ٢١)

وقال:«أم يحسبون أنا لا نسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون» الزخرف : ٨٠)

وقال :«و ان عليكم لحافظين كراماً كاتبين» الانفطار: ١٠-١١)

وقال : «و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممافيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها» الكهف : ٤٩)

وغيرها من الايات القرآنية التي تصرح بان لكل قول يلفظ بـه الانسان رقيباً يراقبه ويـكتبه: خيره و شره ، حقه و باطله ، صدقه و كـذبه ، وصالحه وفاسده ... ويحاسب به القائل يوم القيامة إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً .

فيجب على الانسان أن يحفظ لسانه من كل مافيه ضرر في دينه ودنيـاه ، فان اللسان أعظم آلة للشيطان في إستغواء نوع الانسان ، فمحافظته أوجب وأهم وألزم ، وللسان في الشر ذيل سحب فمن أطلق عنانـه ، و أهمل أمـره سلك به الشيطان في كل ميدان ، وأوقعه في أودية الضلال والخذلان ، وساقـه الله جل و علا شفا جرف هار .

في قرب الاسناد : عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم

السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ان على لسان كل قائل رقيباً فليتق الله العبد لينظرما يقول»

فيجب على كل ذى لب أن يحفظ لسانه عن كل مايخشى غائلته عاجلا و آجلا ولايطلقه إلاّ فيما ينفعه فى سعادته الدنيوية والاخروية ... وقدوردت فى المقام روايات كثيرة نشير إلى نبذة منها:

فى الفقيه: عن محمدبن على بن الحسين عليه السلام قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السلام برجل يتكلّم بفضول الكلام، فوقف عليه ثم قال: ياهذا إنك تملى على حافظيك كتاباً إلى ربك فتكلّم بما يعنيك ودع مالا يعنيك.

وفى تحف العقول: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوصنى فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إحفظ لسانك ثم قال له: يا رسول الله أوصنى، فقال، ويحك وهل يكبّ الناس على مناخرهم فى النار إلاحصائد ألسنتهم.

و فيه: عن الامام الخامس محمدبن على الباقر عليه السلام قال: ان هذا اللسان مفتاح كل خير و شر فينبغى للمؤمن أن يختم على لسانه كما يختم على ذهبه و فضته، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «رحم الله مؤمناً أمسك لسانه من كل شر فان ذلك صدقة منه على نفسه»

و فى الكافى: باسناده عن أبى علىّ الجوانى قال: شهدت أبا عبدالله عليه السلام و هو يقول لمولى له ـ يقال له: سالم ـ و وضع يده على شفتيه: ياسالم إحفظ لسانك تسلم ولاتحمل الناس على رقابنا.

وفيه: عن عثمان بن عيسى قال: حضرت أباالحسن صلوات الله عليه وقال له رجل: أوصنى فقال: إحفظ لسانك تعزّ ولا تمكّن الناس من قيادك فتذلّ رقبتك.

قوله عليه السلام: «قيادك» القياد ـ ككتاب ـ: حبل تقاد به الدابة وتمكين الناس من القياد كناية عن تسلطهم وإعطاء حجة لهم على ايذائه وإهانته، ونسبة

الاذلال إلى الرقبة لظهور الذل فيها أكثر من سائر الاعضاء، وفيه ترشيح للاستعارة السابقة لان القياد يشد على الرقبة .

وفي الخصال: باسناده عن سفيان الثورى عن الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه قال: يا سفيان أمرني والدى عليه السلام بثلاث، ونهاني عن ثلاث، فكان فيما قال لى: يابنى من يصحب صاحب السوء لايسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لايملك لسانه يندم، ثم أنشدني:

عوّد لسانك قول الخير تحظ به ... ان اللسان لما عوّدت معتاد

موكّل بتقاضي ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف تعتاد

وفي معاني الأخبار: ـ في وصايا أبي ذر الغفارى ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظاً للسانه فان من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه .

وفي البحار: عن عبدالله ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله عبداً تكلّم فغنم أوسكت فسلم ان اللسان أملك شيء للانسان ألا وان كلام العبد كله عليه إلاّ ذكر الله تعالى أو أمر بمعروف أونهى عن منكر أو إصلاح بين المؤمنين، فقال له معاذبن جبل: يا رسول الله أنواخذ بما نتكلّم؟ فقال: وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلاّ حصائد ألسنتهم، فمن أراد السلامة فليحفظ ماجرى به لسانه وليحرس ماانطوى عليه جنانه، وليحسن عمله وليقصر أمله ثم لم يمض إلاّ أيام حتى نزلت هذه الاية: «لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أومعروف أو إصلاح بين الناس».

وفي الخصال: باسناده عن الامام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث منجيات: تكفّ لسانك، وتبكي على خطيئتك وتلزم بيتك»

وفي الكافي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أمسك لسانك فانها صدقة تصدّق

بها على نفسك ثم قال : ولايعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه .

وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : نجاة المؤمن في حفظ لسانه .

وفي الخصال : باسناده عن حمّاد بن عيسى قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : إن أردت أن تقرّ عينك وتنال خير الدنيا والاخرة ، فاقطع الطمع مما في أيدي الناس ، وعدّ نفسك في الموتى ، ولا تحدّثنّ نفسك أنك فوق أحد من الناس ، واخزن لسانك كما تخزن مالك .

وفي الاحتجاج : باسناده عن الامام حاديعشر أبي محمد العسكري عن آبائه عليهم السلام قال : دخل محمدبن مسلم بن شهاب الزهري على علي بن الحسين عليه السلام وهو كئيب حزين فقال له زين العابدين عليه السلام ما بالك مغموماً؟ قال: يابن رسول الله غموم وهموم تتوالى عليّ لما امتحنت به من جهة حسّاد نعمي، والطامعين فيّ وممن أرجوه و ممن أحسنت إليه ، فيخلف ظنّي، فقال له علي بن الحسين عليه السلام : إحفظ عليك لسانك تملك به اخوانك ... الخبر.

وفي تفسير القمي :قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام :طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من كلامه .

وفي رواية : سئل الامام سيد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين- عليهما السلام عن الكلام والسكوت أيهما أفضل ؟ فقال عليه السلام : لكل واحد منهما آفات فاذاسلما من الافات فالكلام أفضل من السكوت، قيل: و كيف ذاك يابن رسول الله ؟ قال : لان الله عزوجل ما بعث الانبياء والاوصياء بالسكوت ، إنما بعثهم بالكلام ولا استحقت الجنة بالسكوت ، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ، ولاتجنب سخط الله بالسكوت ، إنما ذلك كله بالكلام ، ما كنت لاعدل القمر بالشمس ، انك تصف فضل السكوت بالكلام ، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت .

وفي رواية : عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام قال:المرء مخبوء تحت لسانه،

فزن كلامك واعرضه على العقل و المعرفة فان كان لله وفى الله فتكلم وإن كان غير ذلك فالسكوت خير منه.

و فى رواية : «ان معاذاً قال: يا رسول الله أى الاعمال أفضل؟ فاخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه» أى حفظ اللسان هو أفضل الاعمال.

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام: «لو رأيت ما فى ميزانك لختمت على لسانك»

وفيه: قال الامام على عليه السلام: «الكلام فى وثاقك مالم تتكلّم به، فاذا تكلمت به صرت فى وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك و ورقك فربّ كلمة سلبت نعمة».

و فى أعمال أيام رمضان المبارك : «اللهم صلّ على محمد و آل محمد وارزقنى الحج والعمرة والاجتهاد والقوة والنشاط والانابة والتوبة والقربة والخير المقبول والرغبة والرهبة والتضرع والخشوع و الرقة والنية الصادقة، وصدق اللسان ... » الدعاء.

وفى زيارة الكاظمين عليهما السلام - : «اللهم اجعل لى لسان صدق فى أوليائك المصطفين، و حبّب إلىّ مشاهدهم، و اجعلنى معهم فى الدنيا و الآخرة يا أرحم الراحمين»

وفى زيارة صاحب الامر : الحجة بن الحسن العسكرى صلوات الله عليهما : «اللهم إنى أسئلك أن تصلى على محمد نبى رحمتك، و كلمة نورك، وأن تملأ قلبى نور اليقين، وصدرى نور الايمان، وفكرى نور النيات، وعزمى نور العلم، و قوتى نور العمل، ولسانى نور الصدق، و دينى نور البصائر من عندك، و بصرى نور الضياء، وسمعى نور الحكمة، ومودتى نور الموالاة لمحمد وآله عليهم السلام حتى ألقاك ...»

﴿لسان الصدق والبذى﴾

قال الله عزوجل حكاية عن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام: «رب هب لى حكماً و ألحقنى بالصالحين و اجعل لى لسان صدق فى الآخرين و اجعلنى من ورثة جنة النعيم» الشعراء: ٨٣ـ٨٥)

و قال: «فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد» الاحزاب: ١٩)

وقد وردت روايات كثيرة فى لسان الصدق و البذى، ولكل واحد منهما آثار فى نفوس الأفراد و المجتمع البشرى، وليس ذكرهما معاً باعتبار التقابل بينهما على ما يمكن أن يتوهم، فعلى القارىء الخبير التدبر.

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «و لسان الصدق يجعله الله للمرء فى الناس خير له من المال يرثه غيره»

أقول: لسان الصدق هو أن يذكر الانسان بالخير و يثنى عليه بصالح الاعمال وإعتقاد الحق و السنة الحسنة وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «واجعل لى لسان صدق فى الآخرين» و أن يخبر بما هو الواقع أو يعتقد بأنه الواقع بعد الفحص و التحقيق وفى دعاء كميل بن زياد رضوان الله تعالى عليه: «و على ألسن نطقت بتوحيدك صادقة و بشكرك مادحة»

وفى رواية: عن الامام على عليه السلام قال: ألا وان اللسان الصادق يجعله الله للمرء فى الناس خير من المال يورثه من لايحمده.

وفى رواية: «اللسان الصالح» بدل: «اللسان الصادق» فالذكر الحسن

يخلّفه الانسان بين الناس خير له من مال يجمعه و يورّثه من لايحمده .

وفي أمالي المفيد رحمة الله تعالى عليه باسناده عن أبي حمزة الثمالي رحمه‌الله عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي عليه‌السلام : قال : سمعته يقول : أربع من كن فيه كمل إسلامه و اعين على ايمانه و محصت عنه ذنوبه و لقي ربه و هو عنه راض ، ولو كان فيما بين قرنه إلى قدميه ذنوب حطها الله عنه ، وهي : الوفاء بما يجعل الله على نفسه ، و صدق اللسان مع الناس ، و الحياء مما يقبح عند الله و عند الناس ، و حسن الخلق مع الأهل و الناس .

وفيه: باسناده عن الحسن بن عطية عن أبي عبدالله جعفر ابن محمد عليه‌السلام قال : المكارم عشر فان إستطعت أن تكون فيك فلتكن فانها تكون في الرجل، ولا تكون في ولده وتكون في إبنه ولاتكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في الحرّ ، قيل : و ماهنّ يا رسول‌الله ؟

قال: صدق اللسان ، وصدق الباس ، و أداء الأمانة ، و صلة الرحم ، واقراء الضيف ، و إطعام السائل ، و المكافأة على الصنايع ، و التذمم للجار ، والتذمم للصاحب ، و رأسهنّ الحياء .

وفيه: باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه‌السلام قال : كان أبي علي بن الحسين عليه‌السلام يقول : أربع من كنّ فيه كمل ايمانه و محصت عنه ذنوبه ولقي ربه و هو عنه راض : من و فى لله بما جعل على نفسه للناس، و صدق لسانه مع الناس ، واستحيى من كل قبيح عند الله و عند الناس ، و حسن خلقه من أهله .

وفي رواية: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه‌السلام : «من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه»

وفي الاعمال المشتركة في شهر شعبان المعظم ـ : «إلهي هب لي قلباً

يدنيه منك شوقه ، ولساناً يرفع إليك صدقه ...» الدعاء

وفى تحف العقول: فى وصية الامام السابع موسى بن جعفر عليه السلام لهشام:
يا هشام ! الحياء من الايمان ، و الايمان فى الجنة ، و البذاء من الجفاء، و الجفاء فى النار، ياهشام المتكلمون ثلاثة: فرابح وسالم وشاجب، فأما الرابح فالذاكر لله، و أما السالم فالساكت ، و أما الشاجب فالذى يخوض فى الباطل ، ان الله حرم الجنة على كل فاحش بذىّ ، قليل الحياء لايبالى ما قال ولا ما قيل فيه .

ان الله تعالى نهى عن القول البذى فقال : « سلقوكم بألسنة حداد » الاحزاب : ١٩)

وفى رواية «إياكم وبذاءة حضوراً و غياباً»

وفى الكافى: باسناده عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله حرّم الجنة على كل فحّاش بذىّ قليل الحياء لايبالى ما قال ، ولا ما قيل له ، فانك إن فتّشته لم تجده إلاّ لغيّة أو شرك شيطان ، فقيل : يا رسول الله ، و فى الناس شرك شيطان؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما تقرأ قول الله عز وجل: «وشاركهم فى الأموال و الأولاد» قال : و سئل رجل فقيهاً هل فى الناس من لايبالى ما قيل له ؟ قال: من تعرّض للناس يشتمهم ، و هو يعلم انهم لايتركون، فذلك الذى لايبالى ما قال ولا ما قيل فيه .

وفى عيون الاخبار : باسناده عن إبراهيم بن أبى محمود قال : قال الرضا عليه السلام : المؤمن الذى إذا أحسن استبشر و إذا أساء استغفر ، والمسلم الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ، ليس منا من لم يأمن جاره بوايقه .

وفى الدعاء بعد الفرائض - : « و أسئلك يا رب قلباً سليماً و لساناً صادقاً... »

﴿ طلاقة اللسان و خطاياه ﴾

قبل الخوض في البحث ينبغي أن يشار إلى ما بين إثنتي عشر لغة تتعلق باللسان غالباً من الفروق لابد من معرفتها لأهل العلم والتحقيق :

الاولى والثانية : و هما الخطأ و الخطاء ، فاعلم ان الفرق بينهما : ان الخطأ هو أن يقصد الشيء فيصيب غيره ، و لا يطلق إلاّ في القبائح ، فاذا قيد جاز أن يكون حسناً كأنك تقصد القبيح فتصيب الحسن ، فيقال : أخطأ ما أراد ، و إن لم تأت قبيحاً ، و قد تقصد الحسن فتصيب القبيح ، و قد تصيب شيئاً من غير قصد .

قال الله تعالى : « ومن قتل مؤمناً خطأ ... » النساء : ٩٢) .

و قال حكاية عن المؤمنين : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » البقرة : ٢٨٦)

وأما الخطاء تعمّد الخطأ ، فلايكون إلاّ قبيحاً سواء كان لساناً أم كتابة أو عملا أم فكرياً أو إعتقادياً ...

قال الله عز و جل : « بلى من كسب سيئة و أحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » البقرة : ٨١) .

وقال : « ولاطعام إلاّ من غسلين لا يأكله إلاّ الخاطئون» الحاقة: ٣٦-٣٧)

و قال: « قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا وإن كنا خاطئين» يوسف: ٩٧)

وقال : « ان فرعون وهامان و جنودهما كانوا خاطئين » القصص : ٨) .

و ان المصيب كالمخطىء إذا أطلق لم يكن إلاّ ممدوحاً ، وإذا قيد جاز أن يكون مذموماً كقولك : فلان مصيب فى رميه و إن كان رميه قبيحاً ، فالصواب لايكون إلاّ حسناً ، وأماالاصابة فتكون حسنة وقبيحة ، والخاطىء فى الدين لايكون إلاّ عاصياً لانه قد زلّ عنه لقصده غيره ، والمخطىء يخالفه لانه قد زلّ عما قصد منه و كذلك يكون المخطى من طريق الاجتهاد مطيعاً لانه قصد الحق و إجتهد فى إصابته كماورد : للمصيب أجران وللمخطىأجر واحد .

والثالثة والرابعة : وهما الخطأ والغلط ، فالفرق بينهما : انالغلط هو وضع الشيء فى غير موضعه ، ويجوز أن يكون صواباً فىنفسه ، والخطأ لا يكون صواباً على وجه،مثال ذلك أن سائلا لو سئل عن دليل حديث الاعراض ، فاجيب بأنها لاتخلو من المتعاقبات ، و لم يوجد قبلها كان ذلك خطأ لان الاعراض لايصح ذلك فيها ، ولو أجيب بأنها على ضربين منها ما يبقى ، ومنها ما لايبقى كان ذلك غلطاً ولميكن خطأ لان الاعراض هذه صفتها إلاّ أنك قد وضعت هذا الوصف لها فىغير موضعه ، ولوكان خطأ لكانالاعراض لم تكن هذه حالها لان الخطأ ما كان الصواب خلافه ، وليس الغلط ما يكونالصواب خلافه بل هو وضعالشيء فى غير موضعه ، و عن بعض أصحاب البيان و المعانى : انالغلط أن يسهى عن ترتيب الشيء و إحكامه ، و الخطأ أن يسهى عن فعله أو أن يوقعه من غير قصد له ولكن لغيره .

والخامسة والسادسة: و هما اللحن والخطأ ، فالفرق بينهما : اناللحن هو صرفك الكلام عن جهته ، ثم صار إسماً لازماً لمخالفة الاعراب ، و الخطأإصابة خلاف مايقصد ، وقد يكون فيالقول والفعل والفكر والعقيدة والكتابة ، واللحن لايكون إلاّ فيالقول ، تقول : لحن فلان فى كلامه ، ولايقال : لحن فى فعله... كما يقال : أخطأ فىفعله ...

و لحنالقول : ما دلّ عليهالقول ، قالالله تعالى : « ولتعرفنهم فى لحن

القول » محمد ﷺ : ٣٠) وقال إبن الأنبارى : لحن القول : معنى القول ومذهبه، واللحن أيضاً اللغة ، يقال : هذا بلحن اليمن ، واللحن ـ بالتحريك ـ : الفطنة، ومنه قوله ﷺ : « فلعل بعضكم ألحن بحجته »

و السابعة والثامنة : وهما خطل اللسان و زلقه ، فاعلم أن الفرق بينهما : انه يقال : فلان خطل اللسان إذا كان سفيهاً لايبالى مـا يقول ، ولا ما يقال فيه ، ولا مايصيبه من المصائب والحوادث ... وأصل الخطل: إسترخاء الاذن ، ثم استعمل فيما ذكر ، وأما الزلق : فاللسان الذى لايزال يسقط السقطة ، ولايريدها ولكن تجرى على لسانه ، و أصله مـن زلّ الندم فلا يستقرّ ، و يقال : الزلق : المكان الأملس تزلّ فيه الاقدام ... قال الله تعالى : « فتصبح صعيداً زلقاً » الكهف : ٤٠) أى أرضاً لمساء . وقال : «ليزلقونك بابصارهم» القلم : ٥١) أى ليصيبوك بأعينهم فيزيلوك عن مقامك الذى جعله الله تعالى لك .

و التاسعة والعاشرة و الحادية عشر : وهى المهمل والهذيان والهذر: ان المهمل خلاف المستعمل ، و هـو لامعنى له فـى اللغة التى هـو مهمل فيها ، والمستعمل ما وضع لفائدة مفرداً كان أو جملة ، فمهمل الكلام : ما لافائدة لـه ، و الهذيان كلام مستعمل أخرج على وجه لا تنعقد به فائدة ، و الهذر : الاسقاط فى الكلام ولا يكون الكلام هذراً حتى يكون فيه سقط قلّ أو كثر.

الثانية عشر : و هـى اللغو و هو الاتيان بما يقبح أو لاينبغى مـن القول والفعل ... فيشمل لما فائدة له والباطل ، ومالايعتدّ به لعدم صدوره عن رويّة و تدبّر ، ويجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير و نحوها من الطيور...

قال الله جل وعلا فى وصف المؤمنين: «والذين هم عن اللغو معرضون» المؤمنون:٣) و قال: «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» القصص:٥٥) فهم لا يتكلمون باللغو ولا يستمعون به.

و قد قال بعض المحققين : ان للسان إحدى وعشريـن معصية كلها مـن كبائر الاثم و الفواحش : وهى الشرك و الكفر، والاضلال وصدّ الناس عن

سبيل الله تعالى ، و الافساد بين الاحباء و الناس و الجساسة ، و الكذب والتهمة ، والافتراء والنمامة ، والفحش والسبّ ، والشهادة بغيرحق والغيبة ، و قول الزور والفتوى من غير إجتهاد في الكتاب والسنة ، وتكذيب الكلام الحق ، والايذاء بغيرحق ، وهتك الاعراض المحترمة ، والكلام القبيح والخطاء .

أقول : و من غير مراء ! ان أكثر الخطايا والآفات بين الاسر و المجتمع البشرى وبالجملة الانحطاط والذلة ، والهلاك والدمار ، و العذاب والنار ناشئة عن طلاقة اللسان ، و هى أن يتكلم الانسان من غير وزن كلامه بعقله السليم ولاعرضه على دينه الحق أهو خير أم شر؟ نافع أوضار ؟ صالح أم فاسد ؟ حق أو باطل ؟ و صدق أم كذب ؟؟؟ فكيف يكون عاقلا من يطلق عنان لسانه ؟ فتكثر خطاياه وتتبعه آفاته...

قال مولى الموالى إمام المتقين أمير المؤمنين على عليه السلام : « ضبط اللسان ملك وإطلاقه هلك »

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « أزرى بنفسه من استشعر الطمع ، ورضى بالذلّ من كشف عن ضرّه وهانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه»

جاء كلام الامام عليه السلام فى فصول ثلاثة:

أحدها - فى الطمع إذ قال: « أزرى بنفسه من استشعر الطمع » أى قصّر بنفسه من جعل الطمع شعاره .

ثانيها - فى الشكوى إذ قال : « و رضى بالذل من كشف عن ضرّه » أى و رضى بالذلة والهوان من شكى إلى الناس بؤسه وفقره .

ثالثها - فى إطلاق اللسان وتأميره على نفسه إذقال : « و هانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه » ففى إطلاقه هوان النفس الانسانية .

و فى الامثال العامية : قال اللسان للرأس : كيف أنت ؟ قال : بخير لوتركتنى .

وفي وصية بعض الظرفاء : « إتقوا زلّة اللسان فان الرجل تزلّ رجله فينتعش ويزلّ لسانه فيهلك » وقال الشاعر :

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

وفي المجمع : وروى عبدالحميد المدائني عن أبي حازم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان الله تعالى يقول : يابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق ، و إن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق .

وفي تحف العقول : عن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: لا يسلم أحد من الذنوب حتى يخزن لسانه .

و في الكافي : باسناده عن إبن فضال عمن رواه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه وحضر عذابه.

و في الدر المنثور : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إن أكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان : الفم والفرج .

و فيه : عن إبن مسعود انه أتى على الصفا فقال : يا لسان قل خيراً تغنم أو اصمت تسلم من قبل أن تندم ، قالوا : يا أبا عبدالرحمن هذا شيء تقوله أوسمعته ؟ قال : لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن أكثر خطايا إبن آدم في لسانه .

وفي معاني الاخبار : باسناده - في حديث - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : و أسباب البلايا تنفتح من هذين العضوين - الفم والفرج - وجناية اللسان الكفر بالله وتقوّل الزور و البهتان و الالحاد في أسماء الله و صفاته و الغيبة والنميمة كل ذلك من جنايات اللسان ، وجناية الفرج : الوطيء حيث لايحل النكاح و لا ملك يمين قال الله تبارك و تعالى : « و الذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون »

وفيه : - في حديث - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أما انه لم يعط أحد في دنياه شيء هو أضرّ له في آخرته من طلاقة لسانه.

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من وقى شر قبقبه وذبذبه و لقلقه فقد وقى »

أقول : القبقب: البطن، والذبذب: الفرج ، واللقلق: اللسان ، وفي الثلاثة هلاك أكثر الناس .

وكان يقال : لاخير في حياة إلاّ لصموت واع أوناطق محسن .

و قيل لحذيفة : وقدأطلت سجن لسانك ! فقال: لانه غير مأمون إذااطلق.

وقال أكثم بن صيفيّ : من إكرام الرجل نفسه ألا يتكلّم بكل ما يعلم.

يقال : «إياك وأن يضرب لسانك عنقك» أي إياك أن تلفظ بما فيه هلاكك، وتسب الضرب إلى اللسان لانه السبب كقوله تعالى : « ينزع عنهما لباسهما »

وقيل : «اللسان مركب ذلول» أي ان الانسان يقدر على قول الحسن والقبيح، وقول الحق والباطل ... فلا يعود لسانه مقالة السوء ...

وقيل : « لسان المرء من خدم الفؤاد »

وقيل : خير الخلال حفظ اللسان » يضرب في الحث على الصمت فيما لايعني.

وقيل : « طاعة اللسان ندامة » وقيل : « طول اللسان يقصر الأجل »

وفي آداب زيارة الامام : علي بن موسى الرضا عليه السلام : « اللهم طهّرني و طهّر لي قلبي ، و اشرح لي صدري وأجر على لساني مدحتك و محبتك و الثناء عليك فانه لاقوّة إلاّ بك ، وقد علمت أن قوام ديني التسليم لأمرك والاتباع لسنة نبيك ، والشهادة على جميع خلقك ، اللهم اجعله لي شفاء و نوراً إنك على كل شيء قدير »

آفات اللسان و تبعاته

و من البديهى ان اللسان هو أضرّ الجوارح بالانسان و أخبث الاعضاء فيه، وأعظم الأجزاء إهلاكاً له إذا خالف عن وظائفه، و آفاته أكثر من آفات سائر الاعضاء، وهى وإن كانت من المعاصى الظاهرة إلاّ انها تؤدّى إلى مساوىء الاخلاق و الملكات ...

فان الاخلاق إنما ترسخ في النفس بتكرير الاعمال ، و الاعمال إنما تصدر عن القلب بتوسط الجوارح و كل جارحة تصلح لان تصدر منها الاعمال الحسنة الجالبة للاخلاق الجميلة ، و أن تصدر منها الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق السيئة ، فلابد من مراعاة القلب و الجوارح معاً بصرفهما إلى الخيرات ومنعهما من الشرور ...

وعمدة ما تصدر منه الذمائم الظاهرية المؤدية إلى الرذائل الباطنية هو اللسان فهو أضر الجوارح و أعظم آفة على الانسان و أعصى الاعضاء عليه مالم يحفظه إذ لاتعب فى تحريكه ولا مؤنة فى إطلاقه ، فلا ينبغى لعاقل أن يتساهل فى الاحتراز عن آفاته و غوائله ، و فى الحذر عن مصائده وحبائله ...

وان آفاته كثيرة جداً لايسعها المقام فنشير إلى أهمها إجمالاً :

أحدها- التكلم فيما لايعنيك ـ و هو أهون آفات اللسان ـ و معذلك، فهو نقص فى الايمان ، و عيب للعقل ، و حبط لصالح الاعمال ... قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه»

وفى رواية: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّ بشهيد يوم احد فقال بعض أصحابه: هنيئاً له الجنة ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : و ما يدريكم لعله كان يتكلم فيما لايعنيه .

وعن إبن عباس انه قال : لاتتكلم فيما لايعنيك ، فانـه فضل لاآمن عليه الـوزر .

و من غير مـراء انـه تضييع للعمر الشريف ، و يحاسب عليه ، و يكون قد إستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير.

وقد روى: ان لقمان دخل على داود النبى عليه السلام و هو يسرد الدرع ولـم يكن رآها قبل ذلك، فجعل يتعجب مما يرى، فأراد أن يسئله،عن ذلك فمنعته الحكمة ، فـأمسك نفسه ولم يسئلهفلما فرغ قام داود ولبسها ، فقال : نعم الدرع للحرب،فقال لقمان:الصمت حكم وقليل فاعله ـ أى حصل العلم به من غير سؤال.

وعلاج هذا أن يعلم الانسان ان الموت بين يديه ، و انه مسؤول عن كل كلمة و ان أنفاسه رأس ماله ، و ان لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بهاالحور العين فاهماله وتضييعه خسران لاجبرله .

والعلاج من حيث العمل أن يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك مالا يعنيه .

ثانيها ـ فضول الكلام و ترك الاقتصار .

وقال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام لرجل يتكلم بفضول الكلام : «يا هذا انك تملى علـى حافظيك كتاباً إلـى ربك فتكلم بما يعنيك ودع مالا يعنيك»

و كان يقال: فضول المنطق وزيادته نقص فى العقل، وهما ضدّان متنافيان كلما زاد أحدهما نقص الاخر.

وعن بعض الظرفاء : قال : فضول الكلام كفضول المال كلا هما مهلك.

ثالثها ـ الخوض فـى الأباطيل و الاوهـام و الأ راجيف و الحديث فيما

لا يحلّ كحديث أحوال النساء، و مجالس الخمر، و أماكن الفحشاء، وأسباب المنكرات، و مقامات الفسّاق، و تنعّم الأغنياء، و أحوال الملوك الجبابرة الغريقة في الشهوات وما إليها من غير قصد الاصلاح ولا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر...

قال الله عزوجل حكاية عن الخائضين: «و كنا نخوض مع الخائضين» المدثر: ٤٥)

وقال رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «أعظم الناس خطايا يوم القيامة هو أكثرهم خوضاً في الباطل»

رابعها - المراء و الجدال، و ان المراء عبارة عن كثرة المنازعة و اللجاجة في القول و عن الطعن في كلام الغير لاظهار الخلل فيه من غير أن يرتبط به سوى غرض تحقير الغير و تذليله وردّ كلامه من غير حق، و إظهار مزيد الكياسة و العلم لنفسه قال الله تعالى: «ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد» الشورى: ١٨)

وقال: «أفتمارونه على مايرى - فبأيّ آلاء ربك تتمارى» النجم: ١٢ - ٥٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «دع المراء و إن كنت محقاً» و قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من ترك المراء و هو محق بني له بيت في أعلا الجنة و من ترك المراء و هو مبطل بني له بيت في مربض الجنة» وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لايستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء و الجدال و ان كان محقاً»

و عن بعض الظرفاء: انه قال: «المراء يقسي القلب و يورّث الضغائن»

و أما الجدال فعبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب و تقريرها و هو على ضربين قبيحة إذا كان لابطال الحق و تحقير المحق بالباطل... وحسنة إذا كان لاحقاق الحق بالأدلة الواضحة و البراهين الساطعة ...

قال الله عزوجل : «ما يجادل فى آيات الله إلاّ الذين كفروا ـ و همت كل امة برسولهم ليأخذوه و جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق» غافر : ٤ـ٥)

و قال : «و ان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم» الانعام: ١٢١)

وقال : «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتى هى أحسن إلاّ الذين ظلموا منهم» العنكبوت : ٤٦)

وقال : «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن» النحل : ١٢٥)

خامسها ـ الخصومة وهى اللجاج فى الكلام ليستوفى به مال أوحق مقصود، و ذلك تارة يكون إبتداء ، و تارة اخرى يكون إعتراضاً ، و المراء لايكون إلاّ إعتراضاً على كلام سابق .

قال الله عزوجل : «ولا تكن للخائنين خصيماً» النساء : ١٠٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع»

سادسها : التقعّر فى الكلام بالتشدّد و التكلف فى الالفاظ ...

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أبغضكم إلىّ و أبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون المتشدّقون»

قوله صلى الله عليه وآله وسلم :«الثرثارون»: الذين يكثرون الكلام تكلفاً وتجاوزاً وخروجاً عن الحق ، و أصله من العين الواسعة من عيون الماء يقال : عين ثرثارة .

و المتفيهقون : أصله من فهق الغدير : إذا إمتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد .

و المتشدّقون : المتوسعون فى الكلام من غير إحتياط و إحتراز . وقيل: المتشدّق : المستهزىء بالناس يلوى شدقه بهم وعليهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هلك المتنطّعون ...» ثلاث مرات . و التنطع : هو التعمق و الاستقصاء فى كلام غيره و التجسّس فيه .

وعن بعض المحققين : ان شقائق الكلام من شقائق الشيطان .

سابعها ـ الفحش و السب و البذاء .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس المؤمن بالطعّان ولا باللعّان ولا بالسبّاب ولا البذى»

ثامنها ـ المزاح الخارج عن قانون الشريعة و وقار المؤمن ، و أما القدر اليسير فى غير معصية الله عزوجل فلا بأس .

ويقال : من مزح استخفّ به . و يقال : المزاح فحل لاينتج إلاّ الشر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «انى لامزح ولا أقول إلاّ حقاً»

و روى : انه : صلى الله عليه وآله وسلم : أتت إليه صلى الله عليه وآله وسلم عجوز ، فقال لها : لاتدخل الجنة عجوز، فبكت فقال صلى الله عليه وآله وسلم: انك يومئذ لست بعجوز قال الله تعالى : «انا أنشأناهن إنشاء فجعلنا هن أبكاراً عرباً أتراباً»

ولا يخفى ما بين المزاح و الاستهزاء من الفرق : ان المزاح لايقتضى تحقير الممازح ولا إعتقاد ذلك فيه ألا ترى أن التابع يمازح المتبوع من الرؤساء و الملوك ، فلايدل ذلك منه على تحقيرهم ولا اعتقاد تحقيرهم ، ولكن يدل على إستئناسه بهم، والا ستهزاء يقتضى تحقير المستهزأبه.

وقيل : المزاح : الابهام للشىء فى الظاهر وهو على خلافه فى الباطن من غير إغترار للايقاع فى مكروه ، و الا ستهزاء الايهام لما يجب فى الظاهر والامر على خلافه فى الباطن من جهة الاغترار .

تاسعها ـ الوعد الكاذب و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «العدة دين» وقد أثنى الله عزوجل إسمعيل عليه السلام إذ قال : «انه كان صادق الوعد» مريم : ٥٤)

و قال : «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» المائدة : ١)

وقال رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق و إن صام وصلّى و زعم انه مسلم: إذا حدث كذب، و إذا وعد أخلف، و إذا ائتمن خان»

عاشرها - الكذب في القول و اليمين، و ذوا اللسانين، و هو من قبائح الذنوب، و فواحش العيوب ...

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق، و أنت له فيه كاذب»

وقال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على عليه السلام: «أعظم الخطايا عندالله اللسان الكذوب»

قال الله تعالى: «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال و هذا حرام» النحل: ١١٦)

وقال: «و يحلفون على الكذب وهم يعلمون أعدّ الله لهم عذاباً شديداً انهم ساء ما كانوا يعملون» المجادلة: ١٤-١٥)

الحادي عشر: الغيبة و البهتان، و الشماتة و الاستهزاء، و الجساسة وظن السوء، و السخرية وهي الاستحقار و الا ستهانة و التنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه سواء كانت بالمحاكاة بالقول والفعل أم بالاشارة والايماء ...

قال الله تعالى: «ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله» الحجرات: ١٢)

وقال الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط عن أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»

وقال عليه السلام: «الغيبة حرام على كل مسلم، و انها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»

الثاني عشر: الغناء و الأشعار المضحكة غير النافعة في الدين، وهي كلام

مشتمل على تخيلات و تمويحات لاحقيقة لها .

قال الله تعالى : «فاجتنبوا قول الزور» الحج : ٣٠)

وقال: «ومن الناس من يشرى لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله» لقمان:٦)

وقال : «والشعراء يتبعهم الغاوون» الشعراء : ٢٢٤)

الثالث عشر: إفشاء السر وهو منهى عنه لما فيه من الا يذاء و التهاون

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا حدث الرجل الحديث ثم إلتفت فهى أمانة»

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «الحديث بينكم أمانة»

الرابع عشر: المدح من غير إستحقاق ، و الثناء لغرض دنيوى ...

وفى الدعاء : بعد زيارة الامام امير المؤمنين على عليه السلام تقول : «اللهم إنا نعوذبك من عثرة اللسان و سوء المقام و خفّة الميزان...» الدعاء .

وفى المثل : «عثرة القدم أسلم من عثرة اللسان»

وفـى دعاء مكارم الاخلاق ـ : «اللهم صلّ علىمحمد وآله واجعل لى يداً على من ظلمنى ، ولساناً على من خاصمنى ، وظفراً بمن عاندنى ، و هب لـى مكراً علىمن كايدنى ، وقدرة على من اضطهدنى ، وتكذيباً لمن قصبنى، وسلامة ممن توعّدنى ، ووفّقنى لطاعة من سدّدنى ، ومتابعة منأرشدنى ـ اللهم اجعل مايلقي الشيطان فى روعى من التمنّى والتظنّى والحسد ذكراً لعظمتك ، وتفكّراً فى قدرتك ، وتدبيراً على عدوّك ، وما أجرى على لسانى من لفظة فحش أوهجر أوشتم عرض ، أو شهادة باطل أو إغتياب مؤمن غائب أو سبّ حاضر ، و مـا أشبه ذلك نطقاً بالحمد لك ، وإغـراقاً فى الثناء عليك و ذهاباً فى تمجيدك ، و شكراً لنعمتك ، وإعترافاً باحسانك وإحصاءاً لمننك ...» الدعاء .

﴿ ذو اللسانين ﴾

و اعلم أن ذااللسانين على أحزاب مختلفة :

فمنهم : من يظهر الحب لأحد ويثناه ويمدحه حاضراً ، ويظهر البغض عليه ويغتاب عنه ويذمّه غائباً ، فيظن الانسان انه محبه ، و هو محبه حاضراً و مبغضه غائباً ، صديقه ظاهراً ، عدوّه باطناً ، وهذه الطائفة الخبيثة كثيرون فى طوال الاعصار وفى كل وقت ومكان ...

ومنهم : من يعترض عند أحد على سلطان لطغيانه أو يذمّ حاكماً على قساوته وجنايته ، أو يعيب رئيساً لظلمه و بغيه . . . أو يطرح عنده طرحاً كاذباً لاسقاط دولة لالفات نظره أو يستمع لكلامه من غير أن يعلم انه جاسوس وليد الشيطان فيأخذ كلامه ، فيخبر به السلطان أوالحاكم أو الرئيس ...

وتلك الاحزاب اللعينة من أولاد الشيطان قد توجد بين المواطنين فى بعض الازمان لحفظ الحكومات الطاغية حيث لااعتماد لها بنفسها لظلمها و جورها و بغيها وطغيانها فتسلب الاعتماد عن المواطنين بعضهم عن بعض ، بحيث لا يعتمد الأب بابنه ، ولاالزوج بزوجه ، ولا الأخ بأخيه ، و لاالمعلّم بتلميذه و لاالصديق بصديقه ... كما فى زماننا هذا ...

فى أنوار النعمانية : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : « أخوان هذا الزمان جواسيس العيوب »

وقد ورد صحيحاً : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أرضى سلطاناً بما أسخط الله خرج من دين الله » .

و ان الروايات الواردة فى الجساسة كثيرة والبحث فيها طويل فراجع.

ومنهم : من يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، و يتردّد بين المتعادين ، ويتكلم كل واحد بكلام يوافقه ، وقلّما يخلو عنه من يشاهد متعادين ، و ذلك عين النفاق ، و ذلك إذا نقل كلام كل واحد إلى الآخر وهو شر من النميمة إذ يصير نمّاماً بالنقل .

و أما إذا حسّن لكل واحد من المتعادين ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه أووعد كل واحد منهما انه ينصره أوأثنى على كل واحد منهما في معاداته أو اثنى على أحدهما حاضراً ويذمّه غائباً فهو ذواللسانين ، وهذا من الكبائر للتوعد عليه بخصوصه.

و قد جاء ت روايات كثيرة في ذي اللسانين وعذابه نشير إلى مايسعه المقام :

١ ـ في الكافي باسناده عن أبي بصير قال : قال أبوعبدالله عليه السلام لاتفتش الناس فتبقى بلاصديق .

٢ ـ وفيه باسناده عن الزهري عن أبي جعفر عليه السلام قال: بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذااللسانين يطري أخاه شاهداً و يأكله غائباً ، إن اعطى حسده و إن ابتلى خذله .

قوله : عليه السلام « يطري » أي يحسن الثناء عليه ويبالغ في مدحه .

٣ ـ في البحار بالاسناد عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بئس العبد عبد له وجهان : يقبل بوجه ويدبر بوجه ان اوتي اخوه المسلم خيراً حسده ، وان ابتلي خذله .

٤ ـ في الكافي باسناده عن عبدالرحمن بن حماد رفعه قال : قال الله تبارك وتعالى لعيسى بن مريم عليه السلام : يا عيسى ليكن لسانك في السرّ و العلانية لساناً واحداً ، و كذلك قلبك اني احذّرك نفسك و كفى بي خبيراً لايصلح لسانان في فم واحد ، ولا سيفان في غمد واحد ، ولا قلبان في صدر واحد و كذلك الأذهان .

قوله : « لساناً واحداً » أى لاتقول بكلامين متغايرين فى الأحوال المختلفة لأغراض باطلة ، و« كذلك قلبك » أى ليكن باطن قلبك موافقاً لظاهره كالشىء الذى كامن فى القلب ، فيغفل عنه كحب الدنيا ، فيخدع ويظن انه لايحبّها ثم يظهر له ذلك فى الآخرة بعد كشف الحجب الظلمانية النفسانية أو فى الدنيا أيضاً بعد المجاهدة والتفكر فى خدع النفس وتسويلاتها، فكان يترك الدنيا للدنيا كما ظهر فى زماننا هذا ان كثيراً من تاركى الدنيا ظاهراً كيف كانوا يحبونها فى باطنهم؟ و كيف رأوا أنفسهم حكاماً على المواطنين وملاّكاً على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم... وقد كانوا من قبل يجتنبون من أكل الطعام على مائدتهم متزهدين فى الدنيا ومتاعها..

وفى رواية : قال الله عز وجل : « انى احذّرك نفسك » وقال : « بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل » الانعام : ٢٨)

و من المحتمل أن يكون الغرض ان القلب الواحد لايجتمع فيه محبتان متضادتان: حب الدنيا وحب الاخرة، حب الله جل وعلا وحبّ الشيطان حب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحب أبى سفيان ، حب على عليه السلام وحب معاوية عليه الهاوية ، وحبّ الحسين عليه السلام و حب يزيد عليه اللعنة والنيران .

قال الله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » الاحزاب: ٤)

أو يجتمع حب وبغض لشخص واحد كذى اللسانين على طوائفهم ...

وقوله : « وكذلك الأذهان » أى الفكر والعقل و ما إليهما من القوى الباطنة ، فينبغى أن يكون لسان كل إنسان واحداً وقلبه واحداً وفكره واحداً ومطلبه واحداً ومنهجه واحداً و دينه واحداً ومذهبه واحداً ولايكون ابن الوقت بان يؤيّد علياً عليه السلام فى حكومته ، ويؤيّد معاوية فى دولته ... كما رأينا هؤلاء الابناء السفلة فى زماننا هذا حيث يؤيدون حكومة واحدة وقت الاقبال ، و يكذبونها وقت الادبار من غير نظر فى كونها حقاً أو باطلا...

٥ ـ فى الكافى باسناده عن إبن أبى يعفور عن أبى عبدالله عليه السلام قال: من

لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار .

٦ـ في الخصال باسناده عن زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يجيء يوم القيامة ذوالوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدّامه يلتهبان ناراً حتى يلهبا جسده ثم يقال : هذا الذي كان في الدنيا ذاوجهين و ذالسانين يعرف بذلك يوم القيامة .

٧ ـ وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من شر الناس عندالله عز وجل يوم القيامة ذوالوجهين .

وهم الذين قال الله تعالى فيهم: «يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم» الفتح:١١)

و قال : « إذتلقّونه بألسنتكم و تقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم و تحسبونه هيّناً وهو عندالله عظيم » النور : ١٥) .

إن الله تعالى ينهى عن القول بما لاعلم للمتكلم به في مواضع عديدة من كتابه المجيد منها:

قوله عز وجل : « فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم ـ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم » آل عمران : ٦٦ ـ ١٦٧)

وقوله : « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا » الاسراء : ٣٦)

وحتى نهى الله عز وجل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير إئتمار نفسه به ولا انتهائه عنه إذقال : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم و أنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » البقرة : ٤٤)

و قال : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا ما لاتفعلون » الصف : ٢ ـ ٣) .

﴿حكمة وحدة اللسان وزوجية سائر الاعضاء﴾

ومن المعلوم ان الاعضاء الانسانية ـ كنفس الانسان ـ أزواج إلاّ القلب و اللسان والذكر... لحكم وأسرار... وما اوتينا العلم بها إلاّ قليلا .

وقد اختلفت كلمات الحكماء والمفسرين والفلاسفة والمتكلمين في حكمة وحدة اللسان والقلب والذكر . . . وزوجية سائر الاعضاء ...

فقال بعض الحكماء : إنما جعل للانسان لسان واحد و اذنان ليكون ما يسمعه أكثر مما يتكلم به .

وقال بعض المحققين من المفسرين : ان حكمة وحدة اللسان أن لايقول الانسان بكلامين متغايرين في أمر واحد ، ولايقول في الاحوال المختلفة شيئين مختلفين لأغراض باطلة ، فيشمل الرثاء والفتاوى المختلفة لمصالح شخصية...

وعن بعض المتكلمين : إنما جعل للانسان لسان واحد لئلا يكون الانسان ذااللسانين فيؤمن بلسان و يكفر بالآخر، ويمدح أحداً بلسان ويذمّه بالآخر ، ويطرى أخاه بلسان ويغتاب عنه بالآخر وهكذا ...

وقدحكي : ان افلاطون رآى رجلا يكثر الكلام ويقل الاستماع ، فقال: يا هذا أنصف أذنيك من فيك ، فان الله جل ثناؤه إنما جعل لنا اذنين و لساناً واحداً لنسمع ضعف ما تتكلم .

و في شرح نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : انه رآى رجلا يحدّث منكر الحديث ، فقال : يا هذا أنصف اذنيك من فمك ، فانما جعل الاذنان

اثنتين والفم واحداً ليسمع أكثر مما يقول.

وفي رواية: قال الامام على عليه السلام : « الحظ للانسان في الأذن لنفسه و في اللسان لغيره .

وفي شرح الحديد: وتذاكر قوم من العرب و فيهم رجل باهلي ساكت فقيل له : بحق ما سميتم خرس العرب ـ فقالوا له : لم لاتتكلم ؟ فقال : أما علمتم ان لسان المرء لغيره وسمعه لنفسه .

أقول: ان القلب هو مظهر الفطرة التي لاتعدد فيهما، وان اللسان آلة يبرز بها ما في القلب ، فهو متكلمه ، فلا بدو أن يكون واحداً .

قال الله تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » الروم : ٣٠)

وقال : « ان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه » الانعام : ١٥٣)

ومن العجيب أن الانسان يقدر على ذكر كلمة التوحيد بلسانه وحده من غير فتح فمه ولاحركة شفتيه .

وفي آداب الوضوء : « اللهم لقني حجتي يوم ألقاك ، و أطلق لساني بذكراك »

وفي دعاء الجامع : « واشغل قلبي بحفظ ما لاتقبل مني جهله ، وذلل لكل خير لساني ، وطهر قلبي من الرياء ، و لاتجره في مفاصلي و اجعل عملي خالصاً لك ... » الدعاء .

وفي أعمال شعبانية : « إلهي هب لي قلباً يد نيه منه شوقه ، ولساناً يرفع إليك صدقه ... »

و في الدعاء بعد نافلة الليل ـ : « و من ينطق لساني إذا خلوت بعملي ... » الدعاء .

﴿اختلاف الألسنة والتوحيد﴾

قال الله عزوجل : «ومن آياته خلق السموات و الارض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين» الروم : ٢٢)

و اعلم أن إختلاف الالسنة ليس مقصوداً فى إختلاف اللغات من كونها عربية على شعبها ، و عجمية على أقسامها و أنحائها ... حيث يستفاد من ظاهر الاطلاق شمول الاختلاف لأجناس النطق و أنحاء التكلم و جهات النغم و أنواع الصوت ، و باختلاف الصوت و النغم يميّز الانسان بعضاً من بعض ، فاذا تكلم رجلان أو أكثر بلغة واحدة فيعرف أحد هما من الآخر ، و إن كانا محجوبين عنه ولا يبصر هما كما يظهر من تلفون و راديو أو من وراء الجدار ... فيقال : هذا صوت فلان ، و هذا صوت فلان .

فلا يسمع ناطقان متفقان فى همس واحد ، ولا جهارة واحدة ، ولا حدّة ولار خاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولاغير ذلك من صفات النطق و أحواله ... فلا يشبه صوت أحد من الناس صوت غيره مع إتفاق لغتهما ولا كلامه بكلامه ، ولا لهجته بلهجته ، و إنما يمتاز كل امرىء فى صوته و هيئة كلامه كما يمتاز فى لونه ، و إن شاركت طائفة من الناس فى البياض والصوت و الكلام ...

ولولا ذلك لما ميّزنا الأشخاص فانهم بألوانهم الخاصة و أصواتهم الخاصة، و لهجات حديثهم يختلفون ، فنميّزهم لنعيش معهم ، فيكون عدد ألسنتهم أعداد

أنفسهم فى كل وقت ومكان فى طوال الاعصار ... مع أن كل سكان الارض من أصل واحد من أبناء رجل واحد و امرأة واحدة . قال الله عزوجل : «يا أيهاالناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً و نساء» النساء : ١)

فمن ذا الذى أوجد فيهم هذا الاختلاف فى اللغات و اللهجات و النغم و الاصوات ...؟

أوليس فى ذلك حكمة بالغة و أسرار إلهية ، و حجج قاطعة و براهين ساطعة دالة على توحيد الربوبية و القدرة المطلقة و العظمة الكاملة ، و شمول العلم و تدبير التام و غاية حكمته جل وعلا ؟؟؟!!!

أوليس الانسان أن يحتاج فى حياته الدنيوية إلى التمييز بين الأشخاص ليعرف صاحبه من غيره ، وصديقه من عدوّه ؟؟؟ و ذلك قد يكون بالبصر فخلق الله تعالى إختلاف الصور و الالوان ... و قال : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا» الحجرات : ١٣) و قد يكون بالسمع فخلق إختلاف الاصوات و اللغات و النغم و اللهجات ...

وفى ذلك كله آيات دالة على أن الصنع و الايجاد مع النظام الجارى فى هذا العالم الشاسع لايقوم إلاّ بالله تعالى ولا ينتهى إلاّ إليه جل وعلا .

فالانسان كما اختلفت طبايعه و تمايلاته ، و إستعداده و ألوانه و جميع أحواله ، إختلفت لغاته ، وجرت اللغات شوطاً كجرى الالوان ...

وفى دعاء أول رمضان المبارك : «أحصيت أعمالهم و قسمت أرزاقهم و جعلتهم مختلفة ألسنتهم و ألوانهم خلقاً بعد خلق ...» الدعاء .

وقد اختلفت كلمات المحققين فى معرفة الألسنة التى يتكلم بها الانسان فى العالم :

فمنهم : من يقول : بلغت الألسنة نحو: ثلاثة آلاف لغة مختلفة.

ومنهم: من يقول : إنتهت إلى : /٣٤٢٤ لسانا :

ففي اروبا نحو : /٥٨٧ لغة .

وفي آسيا نحو : /٩٣٧ « .

وفي آفريقانحو: /٢٧٦ « .

وفي آمريكانحو: /١٦٢٤ « .

وقد قيل أخيراً : انها بلغت نحو : خمسة آلاف لغة تقريباً .

وعن بعض الحكماء : ان الحكمة فى إختلاف اللغات ، انه يدعو الناس إلى إستخراج فنون العلم و الاجتهاد فى تهذيب النفس و الانتباه من نوم الغفلة و الخروج من ظلمات الجهل و البلوغ إلى الكمال الانسانى .

أقول: ولا يقصر عدد الألسنة فيما أحصاه الاحصائيون بل سيضاف عليها أعداد كثيرة إذا أضفنا فروعها على اصولها...

وفى الكافى: باسناده عن إبن أبى عمير عن رجاله عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ان الحسن عليه السلام قال : ان لله مدينتين إحداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب عليهما سور من حديد وعلى كل واحد منهما ألف ألف مصراع ، و فيها سبعون ألف ألف لغة يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبها ، و أنا أعرف جميع اللغات ، و ما فيهما و ما بينهما وما عليهما حجة غيرى وغير الحسين أخى.

أقول: إن الأخبار الواردة فى علم الامام باللغات قريبة من حد التواتر و بانضمام الاخبار العامة لايبقى فيه مجال للشك و المراء مع أن الحجة لايكون جاهلا فى شيء فيقول : لاأدرى ، مضافاً إلى أن عندهم علم ما كان وما يكون، و ان علوم جميع الانبياء عليهم السلام إنتهت إليهم.

﴿ معرفة الائمة المعصومين عليهم السلام بالالسنة كلها ﴾

ومن خصال الامام معرفته بكل اللسان وتكلمه باللغات كلها ، وقد وردت روايات كثيرة عن طريق أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين انهم يتكلمون بكل لسان ولغة نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ في قرب الاسناد باسناده عن أبي بصير عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: دخلت عليه ، فقلت له : جعلت فداك بم يعرف الامام ؟ قال : بخصال ـ إلى أن قال.: ويخبر الناس بما في غد ويكلّم الناس بكل لسان ، فقال لي: يا أبا محمد الساعة قبل أن تقول أعطيك علامة تطمئنّ إليها ، فوالله ما لبث ان دخل علينا رجل من أهل خراسان ، فتكلّم الخراساني بالعربية ، فأجابه هو بالفارسية ، فقال له الخراساني : أصلحك الله مامنعني أن اكلمك بكلامي إلاّ اني ظننت انك لاتحسن، فقال : سبحان الله إذا كنت لا احسن اجيبك فما فضلي عليك ، ثم قال: ياأبامحمد ان الامام لايخفى عليه كلام أحد من الناس ولاطير و لا بهيمة ولاشيء فيه روح بهذا يعرف الامام ، فان لم تكن فيه هذه الخصال فليس هو بامام .

٢ ـ في عيون الاخبار باسناده عن الهروي قال: كان الرضا عليه السلام يكلّم الناس بلغاتهم ، وكان و الله أفصح الناس و أعلمهم بكل لسان و لغة ، فقلت له يوماً : يابن رسول الله ! إني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على إختلافها ؟ فقال : يا أبا الصلت أنا حجة الله على خلقه ، وما كان ليتخذ حجة على قوم وهو لايعرف لغاتهم ، أو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام : اوتينا فصل الخطاب ؟ فهل فصل

الخطاب إلاّ معرفة اللغات .

٣ ـ في التوحيد : باسناده عن هشام بن الحكم ـ في خبر طويل ـ قال : جاء بريهة جاثليق النصارى فقال لأبي الحسن عليه السلام : جعلت فداك أنى لكم التوراة والانجيل و كتب الانبياء ؟ قال : هي عندنا وراثة من عندهم نقرأها كما قرؤها و نقولها كما قالوها ، ان الله لايجعل حجة في أرضه يسئل عن شيء فيقول : لاأدري... الخبر .

٤ ـ في بصائر الدرجات باسناده عن الثمالي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال علي عليه السلام : لو ثنّيت لي وسادة لحكمت بين أهل القرآن بالقرآن حتى يزهر إلى الله ؟ ولحكمت بين أهل التوراة بالتوراة حتى يزهر إلى الله ، و لحكمت بين أهل الانجيل بالانجيل حتى يزهر إلى الله ، ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور حتى يزهر إلى الله ، ولولا آية في كتاب الله لأنبأتكم بما يكون حتى تقوم الساعة .

٥ ـ وفيه باسناده عن داود بن فرقد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لو ثنّي الناس لي وسادة كما ثنّي لابن صوحان لحكمت بين أهل التوراة بالتوراة حتى يزهر ما بين السماء والارض ، ولحكمت بين أهل الانجيل بالانجيل حتى يزهر ما بين السماء والارض ، ولحكمت بين أهل الانجيل بالانجيل حتى يزهر ما بين السماء والارض ، ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور حتى يزهر ما بين السماء والارض ، ولحكمت بين أهل الفرقان بالفرقان حتى يزهر ما بين السماء والارض .

قوله عليه السلام : «ابن صرحان» لعله هو ابن أبي سفيان : معاوية عليهما الهاوية والنيران.

٦ ـ في قرب الاسناد باسناده عن علي بن أبي حمزة قال : كنت عند أبي الحسن عليه السلام إذ دخل عليه ثلاثون مملوكاً من الحبش وقد اشتروهم له ، فكلّم غلاماً منهم و كان من الحبش جميل ، فكلّمه بكلامه ساعة حتى أتى على جميع (بجميع خ) ما يريد وأعطاه درهماً ، فقال : أعط أصحابك هؤلاء كل

غلام منهم ، كل هلال ثلاثين درهماً ثم خرجوا ، فقلت : جعلت فداك لقد رأيتك تكلّم هذا الغلام بالحبشيّة فماذا أمرته ؟ قال : أمرته أن يستوصي بأصحابه خيراً ويعطيهم في كل هلال ثلاثين درهماً ، و ذلك أنّي لما نظرت إليه علمت أنه غلام عاقل من أبناء ملكهم ، فأوصيته بجميع مااحتاج إليه فقبل وصيّتي ومع هذا غلام صدق .

ثم قال : لعلك عجبت من كلامي إياه بالحبشية ، لا تعجب فما خفى عليك من أمر الامام أعجب و أكثر ، و ما هذا من الامام فى علمه إلاّ كطير أخذ بمنقاره من البحر قطرة ماء ، أفترى الذى أخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً ؟ قال : فان الامام بمنزلة البحر لاينفد ما عنده وعجائبه أكثر من ذلك ، و الطير حين أخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً ، كذلك العالم لاينقصه علمه شيئا (شيء خ) ولا تنفد عجائبه .

٧ ـ فى الاختصاص باسناده عن على بن مهزيار قال : أرسلت إلى أبى الحسن الثالث عليه السلام غلامى و كان صقلابياً ، فرجع الغلام إلىّ متعجباً فقلت له : مالك يا بنىّ ؟ قال : و كيف لا أتعجّب ما زال يكلّمنى بالصقلابية كأنه واحد منّا ، فظننت انه إنما أراد بهذا اللسان كيلا يسمع بعض الغلمان ما دار بينهم .

فى القاموس : الصقالبة جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينية.

٨ ـ وفيه باسناده عن عمار ساباطى قال : قال لى أبو عبدالله عليه السلام : يا عمار أبومسلم فطلّله و كسا و كسيحه بساطورا قال : فقلت له : ما رأيت نبطياً أفصح منك بالنبطية فقال : ياعمار بكل لسان .

٩ ـ وفيه : باسناده عن أبى يزيد فرقد قال : كنت عند أبى عبدالله عليه السلام و قد بعث غلاماً له أعجمياً فى حاجة ، فرجع إليه فجعل يغيّر الرسالة فلا يحيرها حتى ظننت انه سيغضب عليه ، فقال : تكلّم بأى لسان شئت فانى أفهم عنك.

قوله : « فلا يحيرها » أى لم يمكنه أن يجيب ويفصح عنها .

١٠ ـ في البحار : روى أحمد بن فارس عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : دخل إليه قوم من أهل خراسان ، فقال إبتداء : من جمع مالا يحرسه عذّبه الله على مقداره فقالوا بالفارسية : لا نفهم بالعربية فقال لهم : « هر كه درم اندوزد جزايش دوزخ باشد » و قال : ان الله خلق مدينتين إحداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة سور من حديد فيها ألف ألف باب من ذهب كل باب بمصراعين ، و في كل مدينة سبعون ألف إنسان مختلفات اللغات ، و أنا أعرف جميع تلك اللغات ، وما فيها وما بينهما حجة غيري وغير آبائي وغير أبنائي بعدي.

١١ ـ وفيه : قال ابن فرقد : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وقد جاءه غلام أعجمي برسالة ، فلم يزل يهذي ولا يعبّره حتى ظننت انه لا يظهره فقال له : تكلّم بأيّ لسان شئت سوى العربية فانك لا تحسنها فاني أفهم بكلمة التركية ، فردّ عليه الجواب ، فمضى الغلام متعجباً.

١٢ ـ وفيه : روى عن علي بن أبي حمزة قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام مع أبي بصير فبينما نحن قعود إذ تكلّم أبو عبدالله عليه السلام فقلت في نفسي : هذا والله مما أحمله إلى الشيعة هذا حديث لم أسمعه بمثله قط ، قال : فنظر في وجهي ثم قال : اني أتكلّم بالحرف الواحد فيه سبعون وجهاً إن شئت احدّث كذا وإن شئت احدّث كذا .

١٣ ـ في بصائر الدرجات باسناده عن حمّاد بن عبدالله الفرّا عن معتّب انه أخبره ان أبا الحسن الاول عليه السلام لم يكن يرى له ولد فأتاه يوماً إسحق ومحمد أخواه و أبو الحسن يتكلّم بلسان ليس بعربي ، فجاء غلام سقلابي فكلّمه بلسانه فذهب فجاء بعلي إبنه فقال لاخوته : هذا عليّ إبنه فضمّوه إليه واحداً بعد واحد فقبّلوه ثم كلّم الغلام بلسانه فحمله فذهب فجاء بابراهيم فقال: ابني ثم كلّمه بكلام فحمله فذهب ، فلم يزل يدعو بغلام بعد غلام ويكلّمهم حتى جاء خمسة أولاد والغلمان مختلفون في أجناسهم وألسنتهم.

١٤ ـ في الاختصاص باسناده عن هشام بن الحكم في حديث بريهة النصراني أنه جاء مع هشام حتى لقي موسى بن جعفر عليه السلام فقال : يا بريهة كيف علمك بكتابك ؟ قال : أنا عالم ، قال : كيف ثقتك بتأويله ؟ قال : ما أوثقني بعلمي فيه ؟ قال : فابتدأني موسى بقراءة الانجيل ، فقال بريهة : والمسيح لقد كان يقرأها هكذا ، وما قرأ هذه القراءة إلاّ المسيح ، ثم قال بريهة : إياك لقد كنت أطلب منه خمسين سنة فأسلم على يديه .

١٥ ـ وفيه باسناده عن موسى النميري قال : جئنا (جئت خ) إلى باب أبي جعفر عليه السلام : نستأذن (استأذن خ) عليه فسمعنا صوتاً حزيناً يقرأ بالعبرانية فبكينا حيث سمعنا الصوت ، وظننّا أنه بعث إلى رجل من أهل الكتاب يستقرئه ، فأذن لنا فدخلنا عليه ، فلم نر عنده أحداً فقلنا : أصلحك الله سمعنا صوتاً بالعبرانية فظننّا أنك بعثت إلى رجل من أهل الكتاب تستقرئه ، قال : لا ولكن ذكرت مناجاة إليا (إلياس خ) لربه فبكيت من ذلك .

قال : قلنا : وما كان مناجاته جعلني الله فداك ؟ قال : جعل يقول : « يارب أتراك معذّبي بعد طول مقامي لك ؟ أتراك معذّبي بعد طول صلاتي لك ؟ » وجعل يعدّد أعماله فاوحى الله إليه : أني لست اعذّبك قال : فقال : يا رب و ما يمنعك أن تقول : لا بعد نعم وأنا عبدك وفي قبضتك ؟ قال : فأوحى الله إليه : أني إذا قلت : قولا وفيت به .

١٦ ـ في اصول الكافي باسناده عن مفضّل بن عمر قال : أتينا باب أبي عبدالله عليه السلام و نحن نريد الاذن عليه فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية فتوهّمنا انه بالسريانية ثم بكى فبكينا لبكائه ، ثم خرج إلينا الغلام فأذن لنا فدخلنا عليه فقلت : أصلحك الله أتيناك نريد الاذن عليك ، فسمعناك تتكلّم بكلام ليس بالعربية فتوهّمنا انه بالسريانية ثم بكيت فبكينا لبكائك ، فقال : نعم ذكرت إلياس النبي وكان من عبّاد أنبياء بني إسرائيل ، فقلت : كما كان يقول في سجوده

ثم اندفع فيه بالسريانية فلا والله ما رأينا قسّاً و لاجاثليقاً أفصح لهجة منه بـه ، ثم فسّره لنا بالعربية ، فقال : كان يقول في سجوده :

« أتراك معذّبي وقد أظمأت لك هواجري ، أتراك معذّبي وقد عفّرت لك في التراب وجهي ، أتراك معذبي وقد اجتنبت لك المعاصي ، أتراك معذّبي وقد أسهرت لك ليلي »

قـال : فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك فانـي غير معذّبك ، قـال : فقال : إن قلت : لاعذّبك ثـم عذّبتني ماذا ؟ ألست عبدك و أنت ربي ؟ قال : فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك فاني غير معذّبك إني إذا وعدت وعداً وفيت به .

قوله عليه السلام : « انـدفع فيه » أي شرع ، و « قساً » : رئيس النصارى في العلم كالقسّيس والجاثليق يكون فوقه و يطلق على قاضيهم . و « هواجري » الهاجرة نصف النهار حين يستكن الناس في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا شدة الحر .

﴿اللسان و عذابه﴾

قال الله عزوجل : «يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون» النور : ٢٤)

و من المعلوم : أن جزاء الاعمال : خيرها و شرها ، صالحها و فاسدها ، حسنها و قبيحها ... على قدرها ، فكلما كانت التكاليف أثقل كان جزائها أجمل و أكثر وأعظم، ومن المعلوم ان تكاليف اللسان هي أثقل من تكاليف سائر الأعضاء الانسانية، فكان عذابه عند المخالفة أشد يوم القيامة، ومن هنا يعلم نكتة تقديم شهادة اللسان على شهادة غيره من الاعضاء يوم القيامة على صاحبها في الآية الكريمة بما عمل في الحياة الدنيا .

في الكافي : باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يعذّب الله اللسان بعذاب لايعذّب به شيئاً من الجوارح فيقول : أي ربّ عذبتني بعذاب لم تعذّب به شيئاً فيقال له : خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الارض و مغاربها فسفك بها الدم الحرام ، و انتهب بها المال الحرام ، و انتهك بها الفرج الحرام، و عزتي وجلالي لاعذّبنك بعذاب لا اعذّب به شيئاً من جوارحك .

وفيه: باسناده عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : ان لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح، فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون بخير ان تركتنا ، و يقولون : الله الله فينا ويناشدونه و يقولون : إنما نثاب ونعاقب بك .

وفيه: عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ما من يوم إلاّ و كل عضو من أعضاء الجسد يكفّر اللسان يقول : نشدتك الله أن نعذّب فيك.

قوله عليه السلام : «يكفّر اللسان» أى يذل و يخضع ، و التكفير : هو أن ينحنى الانسان ويطأطىء رأسه قريباً من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه ، و «نشدتك الله» : سئلتك بالله و أقسمت عليك .

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : «إذا أصبح إبن آدم أصبحت الاعضاء كلها تكفر اللسان فتقول : إتق الله فينا فانما نحن بك ، فان استقمت إستقمنا، و ان إعوججت إعوججنا .

وفى نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : «لاتقل مالا تعلم بل تقل كل ما تعلم فان الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتجّ بها عليك يوم القيامة»

وفى الكافي: مرفوعاً قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال : يا رسول الله أوصنى ، فقال: إحفظ لسانك ، قال: يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أوصنى ، قال: إحفظ لسانك ، قال: يا رسول الله أوصنى ، قال: حفظ لسانك ، و يحك وهل يكبّ الناس على مناخرهم فى النار إلاّ حصائد ألسنتهم .

وفيه: عن إبن فضال عمن رواه عن أبى عبدالله عليه السلام قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : من لايحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه وحضر عذابه .

وفيه: باسناده عن عبدالله بن سنان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : من خاف الناس لسانه فهو فى النار .

وفيه: باسناده عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : شرّ الناس يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرّهم .

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : «ليس شيء من الجسد إلاّ يشكو إلى

الله اللسان على حدّته»

وفى **أمالى الشيخ المفيد** رضوان الله تعالى عليه باسناده عن سعيدبن يسار قال: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضر شاباً عند وفاته ، فقال له : قل : «لا إله إلاّ الله» قال : فاعتقل لسانه مراراً فقال لامرأة عند رأسه : هل لهذا ام قالت : نعم أنا امه ، قال : أفساخطة أنت عليه؟ قالت : نعم ما كلمته منذست حجج قال لها : ارضى عنه ، قالت : رضى الله عنه يا رسول الله برضاك عنه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قل : «لاإله إلاّ الله» فقالها، فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ما ترى؟

قال : أرى رجلا أسود الوجه قبيح المنظر و سخ الثياب نتن الريح ، قد ولينى الساعة ، و أخذ بكظمى، فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم قل : «يا من يقبل اليسير و يعفو عن الكثير إقبل منى اليسير و اعف عنى الكثير انك الغفور الرحيم» فقالهما الشاب فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم انظر ماترى؟ قال : أرى رجلا أبيض اللسان حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب قد ولينى و أرى الأسود قد تولى عنى ، فقال له فأعاد فقال له : ماترى؟ قال : لست أرى الأسود و أرى الأبيض قد ولينى ثم قضى على تلك الحال .

وفى وصية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين على عليه السلام ـ قال : «يا على! من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار»

وفى وصية رسول الله لأبى ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه ـ : «يا أباذر! من ملك مابين فخذيه وبين لحييه دخل الجنة ، قلت : يا رسول الله وإنا لنؤاخذ بما تنطق به ألسنتنا؟ قال : يا أباذر! وهل يكبّ الناس على مناخرهم فى النار إلاّ حصائد ألسنتهم؟ إنك لاتزال سالماً ماسكتّ ، فاذا تكلمت كتب الله لك أوعليك .

يا أباذر ! من صمت نجى فعليك بالصدق ، ولا تخرجن من فيك كذباً أبداً .

يا أباذر ! من كان ذاوجهين و لسانين في الدنيا ، فهو ذولسانين في النار .

وفي دعاء الامام سيد الشهداء : سبط المصطفى الحسين بن على عليهم آلاف التحية والثناء ـ يوم العرفة ـ : «فبأيّ شيء أستقبلك يا مولاى ؟ أبسمعى أم ببصرى أم بلساني أم بيدى أم برجلى ؟ أليس كلها نعمك عندى وبكلها عصيتك ...» الدعاء

أقول: ونحن ندعوا هذا الدعاء و نقول : اللهم ! سدّد ألسنتنا بالصواب و الحكمة بحق محمد و أهل بيته الطاهرة عليهم صلواتك وآلاف الثناء والتحية

وفي دعاء يوم الاثنين: «كلّت الألسن عن غاية صفته ، والعقول عن كنه معرفته ... »



﴿ كلمات قصار حول اللسان ﴾

غرر حكم و درر كلم عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى اللسان نشير إلى مايسعه المقام:

١ـ قال الامام على عليه السلام: «يستدلّ على عقل كل امرىء بما يجرى على لسانه»

٢ـ و قال عليه السلام: «ينبىء عن عقل كل امرىء ما ينطق به لسانه، و يدل على فضله بيانه»

٣ـ وقال عليه السلام: «المرء مخبوء تحت لسانه»

٤ـ وقال عليه السلام: «تكلّموا تعرفوافان المرء مخبوء تحت لسانه» قـال الله عزوجل: «لتعرفنّهم فى لحن القول» محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ٣٠)

٥ـ وقال عليه السلام: «اللسان معيار أرجحه العقل و أطاشه الجهل»

٦ـ وقال عليه السلام: «القلب خازن اللسان»

٧ـ وقال عليه السلام: «اللسان ترجمان الجنان»

٨ـ وقال عليه السلام: «اللسان ميزان الانسان»

٩ـ وقال عليه السلام: «العاقل من عقل لسانه إلاّ عن ذكرالله»

١٠ـ وقال عليه السلام: «اللسان ترجمان العقل»

١١ـ وقال عليه السلام: «آلة البلاغة قلب عقول ولسان قائل»

١٢ـ وقال عليه السلام: «الحكمة شجرة تنبت فى القلب و تثمر على اللسان»

١٣- وقال عليه السلام : «المرء بأصغريه : بقلبه و لسانه إن قاتل قاتل بجنان و إن نطق نطق ببيان»

١٤- وقال عليه السلام : «لسان العاقل وراء قلبه ولسان الجاهل مفتاح حتفه»

١٥- وقال عليه السلام : «ان المودة يعبّر عنها اللسان وعن المحبة العيان»

١٦- وقال عليه السلام : «من قوّم لسانه زان عقله»

١٧- وقال عليه السلام : «من عذب لسانه كثر إخوانه»

١٨- وقال عليه السلام : «ما من شيء أجلب (أخلب خ) لقلب الانسان من لسان ولا أخدع للنفس من شيطان»

١٩- وقال عليه السلام : «إحفظ رأسك عن عثرة لسانك و ازممه بالنهى و الحزم و التقى و العقل»

٢٠- وقال عليه السلام : «عوّد لسانك لين الكلام و بذل السلام يكثر محبوك و يقلّ مبغضوك»

٢١- وقال عليه السلام : «عوّد لسانك حسن الكلام تأمن الملام»

٢٢- وقال عليه السلام : «لسانك يستدعيك ما عودته ونفسك تقتضيك ما ألفته»

٢٣- وقال عليه السلام : «يعجبني من الرجل أن يرى عقله زائداً على لسانه ، ولا يرى زائداً على عقله»

٢٤- وقال عليه السلام : «قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه»

٢٥- وقال عليه السلام : «قلب الاحمق وراء لسانه ولسان العاقل وراء قلبه»

٢٦- وقال عليه السلام : «لسان البر مستشهد (مستهتر خ) بدوام الذكر»

٢٧- وقال عليه السلام : «لسان البر يأبى سفه الجهّال»

٢٨- وقال عليه السلام : «الكريم ملك اللسان و بذل الاحسان»

٢٩- وقال عليه السلام : «الكريم من يعفو مع القدرة ، و يعدل مع الامرة ويكف لسانه و يبذل إحسانه»

۳۰- و قال عليه السلام: «من حفظ لسانه أكرم نفسه»

۳۱- و قال عليه السلام: « صلاح اللسان فى حبس (حسن خ) اللسان و بذل الاحسان»

۳۲- وقال عليه السلام: «قلما ينصف اللسان فى نشر قبيح أو إحسان»

۳۳- وقال عليه السلام: «اخزن لسانك كما تخزن ذهبك و ورقك»

۳۴- وقال عليه السلام: «إحبس لسانك قبل أن يطيل حبسك ، ويردى نفسك فلا شىء أولى بطول سجن من لسان يعدل عن الصواب و يتسرّع إلى الجواب»

۳۵- وقال عليه السلام: «إياك و الكلام فيما لاتعرف طريقته ولا تعلم حقيقته فان قولك يدلّ على عقلك و عبارتك تنبىء عن معرفتك ، فتوقّ من طول لسانك ما أمنته و اختصر من كلامك ما استحسنته فانه بك أجمل وعلى فضلك أدلّ»

۳۶- وقال عليه السلام: «اللسان جموح بصاحبه»

۳۷- وقال عليه السلام: «إحذروا اللسان فانه سهم يخطى»

۳۸- وقال عليه السلام: «ألا و إن اللسان بضعة من الانسان فلايسعده القول إذاامتنع ولا يمهله النطق إذا اتسع ، و إنا لامراء الكلام فينا تشبّثت فروعه و علينا تهدّلت أغصانه»

۳۹- وقال عليه السلام: «أوضع العلم ما وقف على اللسان»

۴۰- وقال عليه السلام: «إن لسانك يقتضيك ماعوّدته»

۴۱- وقال عليه السلام: «إن أحسن الزّىّ ما خلطك بالناس و جمّلك بينهم و كفّ ألسنتهم عنك»

۴۲- وقال عليه السلام: «إن الوعظ الذى لايمجّه سمع ولا يعد له نفع ماسكت عنه لسان القول ونطق به لسان الفعل»

۴۳- وقال عليه السلام: «ينبغى ان يكون علم الرجل زائداً على نطقه، وعقله غالباً على لسانه»

۴۴- وقال عليه السلام: «إرفق باخوانك و اكفهم غرب لسانك و اجر عليهم

سيب إحسانك»

٤٥- وقال : «إن من رآى عدواناً يعمل به ، و منكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه ، فقد سلم و برىء و من أنكره بلسانه فقداوجروهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بسيفه لتكون حجةالله العليا و كلمة الظالمين السفلى فذلك الذى أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونوّر فى قلبه اليقين»

٤٦- وقال عليه السلام : «إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد جهاد بأيديكم ثم بألسنتكم ثم بقلوبكم من لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قلّب فجعل أعلاه أسفله»

٤٧- وقال عليه السلام : «إنى أخاف عليكم كل عليم اللسان منافق الجنان يقول ما تعلمون و يفعل ما تنكرون»

٤٨- وقال عليه السلام : «إذا قصرت يدك بالمكافات فأطل لسانك بالشكر»

٤٩- وقال عليه السلام : «اللسان سبع إن أطلقته عقر»

٥٠- وقال عليه السلام : «إنكم فى زمان القائل فيه بالحق قليل ، و اللسان فيه عن الصدق كليل واللازم فيه للحق ذليل أهله منعكفون على العصيان مصطلحون على الادهان ، فتاهم عارم ، و شيخهم آثم و عالمهم منافق وقاريهم ممارق، ولا يعظّم صغيرهم كبيرهم ولا يعول غنيّهم فقيرهم»

٥١- وقال عليه السلام : «من سجن لسانه أمن من ندمه»

٥٢- وقال عليه السلام : «ينبغى أن يكون علم الرجل زائداً على نطقه، و عقله غالباً على لسانه»

٥٣- وقال عليه السلام : «من حفظ لسانه سترالله عورته»

٥٤- وقال عليه السلام : «الايمان قول باللسان وعمل بالاركان»

٥٥- وقال عليه السلام : «من الايمان حفظ اللسان»

٥٦- وقال عليه السلام : «انصرالله بقلبك ولسانك ويدك فان الله سبحانه قدتكفّل

بنصرة من ينصره»

٥٧- وقال عليه السلام : «اتقوا ظنون المؤمنين فان الله سبحانه أجرى الحق على ألسنتهم»

٥٨- وقال عليه السلام . «التوبة ندم بالقلب وإستغفار باللسان وترك الجوارح و إضمار أن لايعود»

٥٩- وقال عليه السلام :«حدّ السنان يقطع الأوصال، وحدّ اللسان يقطع الآجال»

٦٠- وقال عليه السلام : «بلاء الانسان فى لسانه»

٦١- وقال عليه السلام : «كم من إنسان أهلكه لسان»

٦٢- وقال عليه السلام : «رب لسان أتى على إنسان»

٦٣- وقال عليه السلام : «حدّ اللسان أمضى من حدّ السنان»

٦٤- وقال عليه السلام : «حفظ اللسان وبذل الاحسان من أفضل فضائل الانسان»

٦٥- وقال عليه السلام : «ضبط اللسان ملك و إطلاقه هلك»

٦٦- وقال عليه السلام : «طعن اللسان أمضّ من طعن السنان»

٦٧- وقال عليه السلام : «لسانك إن أسكتّه أنجاك و إن أطلقته أرداك»

٦٨- وقال عليه السلام : «من حفظ لسانه أكرم نفسه»

٦٩- وقال عليه السلام : «ما عقد ايمانه من لم يحفظ لسانه»

٧٠- وقال عليه السلام : «لاتجعل ذرب لسانك على من أنطقك ولا بلاغة قولك على من سدّدك»

٧١- وقال عليه السلام : «زلّة اللسان أنكى من إصابة السنان»

٧٢- وقال عليه السلام : «زلّة اللسان تأتي على الانسان»

٧٣- وقال عليه السلام : «زلة اللسان أشد من جرح السنان»

٧٤- وقال عليه السلام : «زلة اللسان أشد هلاك»

٧٥- وقال عليه السلام : «من أمّر عليه لسانه قضى بحتفه»

٧٦ ـ وقال عليه السلام : « قوّم لسانك تسلم »

٧٧ ـ وقال عليه السلام : « من أطلق لسانه أبان عن سخفه »

٧٨ ـ وقال عليه السلام : « مغرس الكلام القلب ، ومستودعه الفكر ، ومقوّمه العقل، ومبديه اللسان ، و جسمه الحروف ، وروحه المعنى ، و حليته الاعراب ، و نظامه الصواب »

٧٩ ـ وقال عليه السلام : «لا تجر لسانك إلاّ بما يكتب لك أجره ويجمل (يحمل خ) عنك نشره »

٨٠ ـ وقال عليه السلام : « صوم القلب خير من صيام اللسان و صيام اللسان خير من صيام البطن»

٨١ ـ وقال عليه السلام : « من لم يملك لسانه ندم»

٨٢ ـ وقال عليه السلام : « من أمسك لسانه أمن ندمه »

٨٣ ـ وقال عليه السلام : « طوبى لمن شغل بالذكر لسانه »

٨٤ ـ وقال عليه السلام : «فاتقوا الله عباد الله تقية من شغل بالفكر قلبه وأرجف الذكر بلسانه وقدّم الخوف لأمانه »

٨٥ ـ وقال عليه السلام : « العمل بطاعة الله أربح ولسان الصدق أزين وأنجح»

٨٦ ـ وقال عليه السلام : « لسان الصدق خير للمرء من المال يورثه من لا يحمده »

٨٧ ـ وقال عليه السلام : «الصدق لسان الحق »

٨٨ ـ وقال عليه السلام : « الصدق أمانة اللسان وحلية الايمان »

٨٩ ـ وقال عليه السلام « لسان العلم الصدق ولسان الجهل الخرق »

٩٠ ـ وقال عليه السلام : « لسان الحال أصدق من لسان المقال »

٩١ ـ وقال عليه السلام : « أصدق المقال ما نطق به لسان الحال »

٩٢ ـ وقال عليه السلام : « غاض الصدق فى الناس وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان وتشاحنوا بالقلوب »

٩٣ ـ وقال عليه السلام : « قلّ ما ينصف اللسان فى نشر قبيح أو إحسان »

٩٤ ـ و قال عليه السلام : « إذا أحسنت القول فأحسن العمل لتجمع بذلك بين مزيّة اللسان وفضيلة الاحسان »

٩٥ ـ وقال عليه السلام : « إذا رآى أحد كم المنكر ولم يستطع أن ينكره بيده ولسانه وأنكره بقلبه وعلم الله صدق ذلك منه فقد أنكره »

٩٦ ـ وقال عليه السلام : « ملاك الاسلام صدق اللسان »

٩٧ ـ وقال عليه السلام : « مروّة الرجل صدق لسانه »

٩٨ ـ وقال عليه السلام : « الكذب شين اللسان »

٩٩ ـ وقال عليه السلام : « لسان المقصر قصير »

١٠٠ ـ وقال عليه السلام : « قد صاردين أحد كم لعقة على لسانه »

١٠١ ـ وقال عليه السلام : « علم المنافق فى لسانه »

١٠٢ ـ وقال عليه السلام : « شكر المنافق لايتجاوز لسانه »

١٠٣ ـ وقال عليه السلام : الغشوش لسانه حلو وقلبه مرّ »

١٠٤ ـ وقال عليه السلام : لسان المرائى جميل وفى قلبه (الـداء الدخيل خ) داء دخيل »

١٠٥ ـ وقال عليه السلام : « المنافق لسانه يسرّ وقلبه يضرّ »

١٠٦ ـ وقال عليه السلام : « العاقل من صان لسانه عن الغيبة »

١٠٧ ـ و قال عليه السلام : « إيـاك أن تجعل مر كبك لسانك فـى غيبة إخوانك أو تقول ما يصير عليك حجة وفى الاساء إليك علة »

١٠٨ ـ و قـال عليه السلام فـى حـق مـن ذمّه : « لسانـه كالشهد و لكن قلبه سجن للحقد »

١٠٩ ـ وقال عليه السلام : « ورع المنافق لايظهر إلاّ فى لسانه »

١١٠ ـ وقال عليه السلام : « إذا جرت المقادير بالمكاره سبقت الآفة إلى العقل

فحيّرته ، وأطلقت الألسن بما فيه تلف النفوس »

١١١ ـ وقال عليه السلام : « أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب ، و قائل كلمة الزور ومن يمدّ بحبلها في الاثم سواء »

١١٢ ـ وقال عليه السلام : « لاتملك عثرات اللسان »

١١٣ ـ وقال عليه السلام : « كثرة الصمت زمام اللسان »

١١٤ ـ وقال عليه السلام : « ما شيء أحق بطول سجن من لسان »

١١٥ ـ وقال عليه السلام : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، و إذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان »

١١٦ ـ وقال عليه السلام : « لو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك »

١١٧ ـ وقال عليه السلام : « من الحكمة أن لاتنازع من فوقك ، ولا تستذلّ لمن دونك ، ولاتتعاطى ما ليس في قدرتك ، ولايخالف لسانك قلبك ولاقولك فعلك ، ولا تتكلّم فيما لا تعلم ، ولاتترك الأمر عند الاقبال ، وتطلبه عند الادبار »

١١٨ ـ وقال عليه السلام : « ينبغي أن يكون الرجل مهيمناً على نفسه ، مراقباً قلبه ، حافظاً لسانه »

١١٩ ـ و قال عليه السلام : « السؤال يضعف لسان المتكلم ويكسر قلب الشجاع البطل و يوقف الحرام العزيز موقف العبد الذليل » أي طلب الحاجة من الناس يوجب ضعف لسان المتكلم الفصيح البليغ ، ويوجب عقدة في لسانه ...

١٢٠ ـ و قال عليه السلام : « قلّ أن ينطق لسان الدعوى إلاّ و يخرسه كعام الامتحان »

١٢١ ـ و قال عليه السلام : « لا تنزل حوائجك بجيّد اللسان و لا بمتسرّع إلى الضمان »

١٢٢ ـ و قال عليه السلام : « أفضل الاعمال أن تموت و لسانك رطب بذكر الله سبحانه »

١٢٣ ـ وقال عليه السلام : « ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان »

١٢٤ ـ وقال عليه السلام : « الاستطالة لسان الغواية والجهالة »

١٢٥ ـ وقال عليه السلام : « من طال لسانه وحسن بيانه فليترك التحدّث بغرائب ماسمع ، فان الحسد لحسن ما يظهر منه يحمل أكثر الناس على تكذيبه »

١٢٦ ـ وقال عليه السلام : « ثلاث منجيات : تكفّ لسانك ، وتبكي على خطيئتك ويسعك بيتك »

١٢٥ ـ وقال عليه السلام : « الخطّ لسان اليد »

١٢٦ ـ وقال عليه السلام : « امر بالمعروف تكن من أهله وأنكر المنكر بيدك و لسانك وباين من فعله بجهدك »

١٢٧ ـ وقال عليه السلام : «لا شيء أعود على الانسان من حفظ اللسان و بذل الاحسان»

١٢٨ ـ وقال عليه السلام : « الحظّ للانسان في الاذن لنفسه وفي اللسان لغيره »

١٢٩ ـ وقال عليه السلام في ذكر الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر : « فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه و قلبه والتارك بيده فذلك المتمسّك بخصلتين من خصال الخير و مضيّع خصلة ، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بلسانه ويده فذلك مضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث ومتمسك بواحدة . ومنهم تارك لانكار المنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك ميت بين الاحياء »

١٣٠ ـ وقال عليه السلام : « الشكر ترجمان النية ولسان الطوية »

١٣١ ـ وقال عليه السلام : « من شكر الله بجنانه إستحق المزيد قبل أن يظهر على لسانه »

١٣٢ ـ وقال عليه السلام : « إذا قصرت يدك عن المكافاة فليطل لسانك بالشكر»

١٣٣ ـ وقال عليه السلام . « إعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم ، و يتكلّم بلحم ، و يسمع بعظم ، ويتنفّس من خرم »

١٣٤ ـ و قال عليه السلام : « ما الانسان لو لا اللسان إلاّ صورة ممثّلة أو بهيمة مهملة »

١٣٥ ـ و قـال عليه السلام : « ألا فاعلموا والألسن مطلقة ، و الأبـدان صحيحة ، والاعضاء لـدنة ، والمنقلب فسيح ، والمجال عريض قبل إزهاق الفوت ، و حلول الموت ، فحققوا عليكم حلوله ، ولاتنتظر قدومه »

١٣٦ ـ وقال عليه السلام : « باد روا و الأبدان صحيحة ، والألسن مطلقة و التوبة مسموعة والاعمال مقبولة »

١٣٧ ـ وقال عليه السلام : «خالطوا الناس بألسنتكم وأجساد كم وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم »

١٣٨ ـ و قال عليه السلام : « من أحبّنا بقلبه و كان معنا بلسانه وقاتل عدوّنا بسيفه فهومعنا في الجنة في درجتنا »

١٣٩ ـ و قال عليه السلام : « من أحبنا بقلبه و أعاننا بلسانه و لم يقاتل معنا بيده فهومعنا في الجنة دون درجتنا »

١٤٠ ـ وقال : عليه السلام « كل إنسان مؤاخذ بجناية لسانه ويده »



«الاسلام و فك رقبة»

قال الله عزوجل : « فلا اقتحم العقبة و ما أدراك ما العقبة فكّ رقبة » البلد : ١١-١٣)

ان الله تعالى علّق على سلوك العقبة وهى : الطريق الوعرة فى الجبل يصعب سلوكها - و ليست هى إلاّ جهاد النفس - على أمرين بعد الايمان .. - أفضلهما عتق الرقيق أو الاعانة عليه ، إذقدّمه على غيره لكمال عنايته تعالى به.

وقد ضرب الله جل وعلا العقبة مثلا لهذا الجهاد لان من شأن الانسان أن يريد الارتقاء من عالم الحسّ و الأشباح إلى عالم النور والارواح، وبين العالمين عقبات ، من ورائها عقبات ، و سبيل الوصول إلى غايته هذه هى فعل الخيرات أهمها فك الرقاب ...

ولماكانت تلك الايات الكريمة لأول مرّة نزلت تحث على فك الرقاب ينبغى لنا البحث فيه على طريق الاختصار...

ولا يخفى على القارىء الخبير: ان ورود الحث على عتق الرقيق و الاعانة عليه فى سورة مبكرة من النزول بالاسلوب القوى الذى جاء فى تلك الايات يدل على أن الدعوة الاسلامية قد استهدفت منذبدئها معالجة أمر الرقيق الذى كان موجوداً واقعاً على خير الوجوه وهو العتق و التحرير مما هو متسق مع أهداف هذه الدعوة من الخير و الحق و العدل ، و الفضائل الاخلاقية و الاجتماعية و التسوية بين الناس، والقضاء على الاستعلاء الطبقي والعنصرى التى تضمنتها الايات

القرآنية منذبدء التنزيل وفى مختلف أدواره ...

وفى الاية الكريمة دلالة على أن طبقة الرقيق كانت موجودة قبل الاسلام فى كل مكان وليس وجودها خاصاً بالمجتمع العربى ، و قد كان الرقيق كالمال المقوم يتصرف فيه صاحبه كيفما يشاء بيعاً و شراء و هبة و إستثماراً و شراكة ، وكان من المعتاد أن تستفرش الاماء من قبل سادتهن بدون عقد على أن يكون أبناؤهن أحراراً ، أما النسل الذى يكون من تزاوج العبيد و الاماء فيظل رقيقاً .

ولقد عالج القرآن الكريم في أوائل نزوله أمر الرقيق من حيث الموقف الواقعى ، فحث على تحريره و حسن معاملته ومعاشرته بمختلف الأساليب و المناسبات كما وضع مبدأ إلغائه عن طريق المن و الفداء للاسرى حيث كان أسر الحروب منشأ الرق على الأغلب عند العرب وغيرهم مما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

وقد جاءت روايات كثيرة فى الحث على فك الرقاب نشير إلى نبذة منها:

فى الكافى: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أعتق مؤمناً أعتق الله عزوجل بكل عضو منه عضواً من النار فان كانت انثى أعتق الله عزوجل بكل عضوين منها عضواً منه من النار لأن المرأة بنصف الرجل .

أقول: هذا إذا كان المعتق - على صيغة الفاعل - رجلا أما إذا كانت إمرأة فالظاهر من العلة المذكورة أن يعتق بكل عضو منها عضواً منه من النار ، وفى صورة العكس ينعتق بكل عضو منه عضوان بمعنى تضاعف الأجر لما جاء فى باب مولد الامام أمير المؤمنين على عليه السلام .

فى أصول الكافى: ان فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انى اريد أن اعتق جاريتى هذه فقال صلى الله عليه وآله وسلم لها : ان فعلت اعتق الله بكل عضو منها عضواً منك من النار .

وفى تفسير ابن كثير : عن أبى نجيح قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«أيما مسلم أعتق رجلا مسلماً فان الله جاعل وقاء كـل عظم من عظامه عظماً من عظامه محرراً من النار وأيما إمرأة مسلمة أعتقت إمرأة مسلمة فان الله جاعل وقاء كل عظم من عظامها عظماً من عظامها من النار.

وفيه: عن سعد بن مرجانة انه سمع أباهريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب - أى عضو - منها إرباً مـن النار حتى انه ليعتق باليد اليد و بالرجل الرجل، و بالفرج الفرج» فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ فقال سعيد: نعم، فقال علي بـن الحسين لغلام له: أفره غلمانه ادع مطرفاً، فلما قام بين يديه، قال. اذهب فأنت حر لوجه الله.

وفيه: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من بنى مسجداً ليذكر الله فيه بنى الله لـه بيتاً في الجنة و مـن أعتق نفساً مسلمة كانت فديته من جهنم، ومن شاب شيبة في الاسلام كانت له نوراً يوم القيامة»

وفي رواية: عن البراء بن عازب قال: جاء رجل إلـى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله دلّني على عمل يـدخلني الجنة، قـال: عتق النسمة و فك الرقبة، قال: يا رسول الله أوليسا واحداً؟ قال: لاعتق الرقبة أن تنفرد بعتقها، و فك الرقبة أن تعين في ثمنها.

وفي فروع الكافي: باسناده عـن زرارة عـن أبـي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أعتق مسلماً أعتق الله عزوجل بكل عضو منه عضواً من النار.

وفيه: باسناده عن الحلبي و معاوية ابن عمار وحفص بن البختري عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: في الرجل يعتق المملوك قال: ان الله عزوجل يعتق بكل عضو منه عضواً من النار قال: و يستحب للرجل أن يتقرّب إلـى الله عشية عرفة ويوم عرفة بالعتق والصدقة.

وفيه: باسناده عن بشير النبّال قـال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من أعتق نسمة صالحة لوجه الله عزوجل كفّر الله عنه مكان كل عضو منه عضواً من النار.

فقد ظهر مما ذكرنا ان الاسلام منذ بزوغه و إشراق نوره الماحي لكل ظلام كان مما أصلحه من فساد الامم إبطال ظلم الرقيق و إرهاقه ، ووضع الاحكام لابطال الرق بالتدريج إذكان إبطاله دفعة واحدة متعذراً في نظام الاجتماع البشري من ناحيتين :

ناحية مصالح السادة المسترقين ، و ناحية معيشة الارقاء المستعبدين كما هو دأب الاسلام في جميع أحكامه ينفذها تدريجاً مع رعاية مصالح المجتمع و مفاسده ، فانه إذا حرّر الرقيق يمهّد قبل تحريره بما يمكن أن يعيش حرّاً بعكس الولايات الامير يكية ومن إليها لما حررت رقيقها كان بعضهم يضرب في الارض يلتمس وسيلة للرزق ، فلا يجدها ، فيحور الى سادته يرجومنهم العود إلى خدمتهم كما كان من قبل ، وليس ذلك إلاّ إسترقاقاً في الاسترقاق .

وأما الشيوعيون الشرقيون و أذنابهم الغربيون فالمواطنون آلات غير مختارة لاستثمار دولهم و إستغلالهم بخدعة الاشتراك ، فليسواهم إلا عبيدين لشر ذمة قليلة من الامراء و الرؤساء ... جداً .



﴿الاسلام والاسترقاق﴾

ومن المعلوم ان الاسلام لم يحرم الاسترقاق ، ولكنه حصره فى دائرة ضيقة ، وقد أوجد فى العلاقات التى بين الانسان ورقيقه ما لم يكن موجوداً من أواصر الانسانية ، وحبب فى العتق حتى يخيل للرائى أن يشير من طرف خفى إلى كراهته لوجود الاسترقاق ، و قد قرّر الاسلام للارقاء حقوقاً لم تكن لهم من قبل، و لم يحلم بها واضعوا القوانين الوضيعة السوداء الذين جاؤا بعد الاسلام بأكثر من ألف عام.

وقد علم ذلك واعترف به مؤلف الفرنج منهم : العلامة (جوستاولوبون) فى كتابه « تمدن العرب » إذ قال:

« ان لفظة الرق إذا ذكرت أمام الاوروبى الذى اعتاد تلاوة الروايات الامريكية المؤلفة منفذ نحو ثلاثين سنة من الزمان ، ورد على خاطره إستعمال اولئك المساكين المثقلين بالسلاسل المكبلين بالأغلال المسوقين بضرب السياط الذين لايكاد يكون غذاؤهم كافياً لسدّ رمقهم ، ليس لهم من المساكن إلا حبس مظلم ، وأنى لاأقصد أن أتعرض هنا للبحث عن صحة هذا الوصف وإنطباقه حقيقة على ما كان واقعاً من الانجليز فى آمريكا منذ سنين قليلة ، وعما إذا كان من الامور المحتملة ان مالك الارقاء قد قام بفكره أن يسيىء معاملتهم و يذيقهم العذاب و الهوان بما يكون فيه تلف لبضاعة غالية مثل ماكان الزنجى فى ذلك الزمان ، أما الحق اليقين فهو أن الرق عند الاسلاميين يخالف ما كان عليه عند النصارى تمام المخالفة »

وإن الاسلام و إن أباح الاسترقاق و لكنه قيّده بشرطين : أحدهما - أن يكون بحرب شرعية . وثانيهما - أن يكون المحاربون كفاراً . على أن المسلمين لم يبدؤا قوماً بحرب حتى ينذروهم ويخيّرهم بين خصال ثلاث : وهى : الاسلام أو الجزية أو الحرب ، فان اختاروا الاسلام صاروا إخوانهم، لهم ما لهم ، و عليهم ماعليهم ، فلا يضرّهم أصلهم ولالونهم ، و لا ما كان منهم قبل أن يسلموا ، فان أبوا و دفعوا الجزية ، وهى ضريبة لاتساوى بعض ما كانوا يدفعونه لملوكهم كان على المسلمين حماية أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وتأمينهم على دينهم وعقائدهم و كنائسهم ... فان أبوا ناجزوهم القتال ، فان غلبوهم عاملوهم بالمعروف.

فأين هذا المصدر الوحيد الفطرى للاسترقاق من مصادره المتعددة عندالرومانيين وغيرهم كانت على النزوة والشهوة والاغراض الباطلة . . . إذكانوا يستعبدون اسارى الحرب وأولاد الاماء والأشخاص المذنبين ...

ثم ان الجيوش الرومانية كان يصحبها النخاسون لسرقة الذرارى واحضار نساء للعسكر لقضاء شهواتهم ، فان الاسلام يأبى هذه الدنايا كل الاباء ، فينبغى أن نلاحظ فروقاً عميقة بين الاسلام و غيره من النظم فى شأن الحرب و اسرى الحرب ...

كيف لا وقد كانت الحروب - و ماتزال - فى غير العالم الاسلامى لايقصدبها إلاّ الغزو والفتك والاستعباد والاستثمار و الاستغلال ... كانت تقوم على رغبة امة فى قهرغيرها من الامم ، وتوسيع رقعتها على حسابها أو لا ستغلال مواردها ، وحرمان أهلها منها ، أو لشهوة شخصية تقوم فى نفس ملك أو قائد حربى ليرضى غروره الشخصى ، وينتفش كبراً وخيلاً ، أولشهوة الانتقام ... وما إليها من الأهداف الارضية الهابطة الملعونة ، و كانت الاسرى الذين يسترقون لا يسترقون لخلاف فى عقيدة ، ولا لأنهم فى مستواهم الخلقى أو النفسى أو الفكرى أقل من آسريهم، ولكن لانهم غلبوا عليهم فى الحرب فقط .

و كذلك لم تكن لتلك الحرب تقاليد تمنع من هتك الاعراض أو تخريب المدن المسالمة أوقتل النساء والاطفال والشيوخ ... « ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة و كذلك يفعلون » النمل : ٣٤) وذلك منطقى مع قيامها لغير عقيدة ولا مبدأ ولاهدف رفيع ، بل بنت على التكالب و التفاهر والنزوة والشهوة ...

ولما جاء الاسلام فقد أبطل ذلك كلّه وحرّم الحروب كلها إلاّ أن تكون جهاداً فى سبيل الله جل وعلا و قطع دابر الفتن ... « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و انفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون » الحجرات : ١٥)

« و قاتلوهم حتى لاتكون فتنة و يكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير» الانفال : ٣٩)

جهاداً لدفع الاعتداء عن الاسلام والمسلمين، أو لتحطيم القوى الباغية التى تفتن الناس عن دينهم بالقهر والعنف أو لازالة القوى الضالة التى تقف فى سبيل الدعوة الالهية وإبلاغها للناس ليروا الحق و يسموه ولعلاج أمراض الوباء العقيدية و تحريق ميكروبات الوباء المشركة صارت الانسانية بسبب هذه الميكروبات معرضة للسقوط والفناء الكلى .

قال الله عزوجل : « فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم و قاتلوهم حتى لاتكون فتنة و يكون الدين لله فان انتهوا فلاعدوان إلاّ على الظالمين » البقرة : ١٩١ ـ ١٩٣)

ما أعظم الفتنة من الشرك بالله سبحانه والطغيان والقتال مع الله عزوجل و قال : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين» البقرة : ١٩٠)

وقال : « ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم و همّوا باخراج الرسول و هم

بدؤكم أول مرة » التوبة : ١٣) .

وقال: « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » النساء : ٩٠)

وهذه هي دعوة إلهية سليمة : لاتكره أحداً : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » البقرة: ٢٥٦)

وبقاء اليهود والنصارى في العالم الاسلامي على دينهم حتى الآن مع كونهم مكلفين بالاسلام برهان قاطع ودليل واضح لن يقبل الجدل ولا المماحكة و لا المراء ويثبت ان الاسلام لم يكره أحداً على اعتناقه بقوة السيف ، فاذا قبل الناس الاسلام واهتدوا إلى دين الحق ، فلا حرب و لاجدال ولا خصومة و لا قتال ، ولا خضوع من امة لامة ، ولاتمييز بين مسلم ومسلم على بسيط الارض ، ولافضل لعربي على أعجمي ولاعالم على عامي ، و لا مدني على بلدي و لا مولى على عبيد . . إلا بالتقوى ، فالمعيار للفضيلة إنما هو الايمان وصالح العمل .

قال الله تعالى : « إنا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا ان أكرمكم عندالله أتقاكم » الحجرات : ١٣)

فمن أبى الاسلام و أراد أن يحتفظ بعقيدته في ظل النظام الاسلامي مع ايمان الاسلام بأنه خير من هذه العقيدة ، وأقوم سبيلا ، فله ذلك دون إكراه و لا ضغط على أن يدفع الجزية مقابل حماية الاسلام له بحيث تسقط الجزية أو تردان عجز المسلمون عن حمايته ، فاذا أبوا الاسلام والجزية ، فهم إذن معاندون متبجحون لا يريدون للدعوة السليمة أن تأخذ طريقها ، و إنما يريدون أن يقفوا بالقوة المادية في طريق النور الجديد يحجبونه عن عيون قوم .

ربما اهتدوا لوخلي بينهم وبين النور عند ذلك فقط يقوم القتال ولكنه لايقوم بغير إنذار وإعلان لاعطاء فرصة أخيرة لحقن الدماء ونشر السلم في ربوع الارض.

قال الله تعالى: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله» الانفال:٦١)

تلك هي الحروب الاسلامية لاتقوم على شهوة الفتح ولا نـزوة الاستعباد ، ولا رغبة الاستغلال و الاستثمار، ولا دخل فيها لغرور قائد حربي أوملك مستبد أو حاكم جابر أو سلطان طاغ ... و إنما هي حرب فـي الله جل وعـلا و إعلاء كلمته ، حرب في سبيل هداية البشر وسعادته ، حرب لتحرير الانسان مـن ذل عبوديته لما سوى الله عزوجل، حرب في سبيل الخير للانسان و كماله ، حرب في سبيل نجاة البشرية من طلاقة العنان و الضلالـة ، وحرب في سبيل إرجـاع الانسان إلى إنسانيته بعد إنخلاعه عنها بالشرك و الكفر ، بالضلالـة و الطغيان ، بالبغي و العدوان ، و بالجور و العصيان ...

قال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم - في وصيته -: «اغـزوا باسم الله فـي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً»

فلم تكن الحـرب الاسلامـي إطلاقـاً لشهوة الشر و الفساد ، ولا هتكاً لاعراض إنسان ، ولا سفكاً لدم أحد وهو على مدار إنسانيته .

وقد راعى المسلمون هذا القانون الالهي النبيل فـي كـل حروبهم حتى في الحروب الصليبية الغادرة الجائرة حين إنتصروا على عدوهم الـذى كان فـي جولة سابقة قد إنتهك الحرمات ، واعتدى على المسجد الأقصى ، فهاجم المحتمين فيه بحمى الله - رب الجميع - وأسال دماء هم فيها أنهاراً، فلم ينتقموا لأنفسهم حين جاء هم النصر، و هم يملكون الاذن من الدين ذاته بالمعاملة بالمثل .

قال الله عزوجل: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» البقرة : ١٩٤)

وان المسلمين ضربوا المثل الأعلى الذى يعجز عنه غير المسلمين في كل الارض في تمام القرون و الاعصار قبل الاسلام و بعده إلى يوم القيامة ، وذلـك فارق أساسي في أهداف الحرب والاسترقاق وقوانينهما بين الاسلام وغيره ، وبين المسلمين وغيرهم من الجائرين القاسين ...

وقدكان الاسلام يملك لـو أراد ـ و الحق يسند فى ذلـك ـ أن يعتبر من يقع فى يديه من الاسرى ـ ممن وقفوا بالقوة المسلحة يعانـدون الهدى ، و يصرّون على وثنيتهم الهابطة وشركهم المخرف ـ قوماً نـاقصى الانسانية ، و يسترقهم بهذا المعنى وحده فما يصر بشرعلى هذه الخرافة ـ بعد إذ يرى النور ـ إلاّ أن يكون فى نفسه هبوط أوفى عقله إنحراف فهو ناقص فـى كيانه البشرى ، غير جدير بكرامة الآدميين وحرية الأحرار من بنى آدم ، ومع ذلـك كله لـم يلجأ الاسلام إلى هذا الطريق ، ولم يسترق الأسرى بعنوان انهم نـاقصون فـى إنسانيتهم .

بل لجأ إلى المعاملة بالمثل فحسب ، فعلق إسترقاقه للاسرى علـى إتفاق الدول المتحاربة على مبدأ آخر غير الاسترقـاق ليضمن فقط إلاّ تقع الـأسرى المسلمين فى ذلّ الرق بغير مقابل ، ومما هو جديـر أن يشير إليه هنا ان الاية الوحيدة التى تعرضت لأسرى الحرب قوله تعالى : «فاما منابعد وإمـا فداء حتى تضع الحرب أو زارها» محمد ﷺ : ٤)

لم يذكر الاسترقاق للاسرى حتى لايكون هذا تشريعاً خالداً للبشرية... و إنما ذكرت الفداء أوإطلاق السراح بلا مقابل لان هـذا و ذاك هما القانونان الدائمان اللذان يريدالقرآن الكريم للبشرية أن تقصر عليهما معاملتها للاسرى فـى المستقبل القريب أو البعيد... و إنماكان أخـذ المسلمين بمبدأ الاسترقـاق خضوعاً لضرورة قاهرة لافكاك منها ، وليس خضوعاً لنفى فى التشريع الاسلامى ، ومع هذا لم يكن القانون الاسلامى هو إسترقاق الأسرى دائماً بل حيثما أمـن لم يسترقهم .

وقد أطلق النبى الكريم ﷺ اسرى المشركين فى بدرمنّاً بغير فداء و أخذ من نصارى نجران جزية، وردّ إليهم أسراهم ليضرب بذلك المثل لمايريد أن تهتدى إليه البشرية فـى مستقبلها حين تتخلص مـن ورا ثـاتها الكريهة ، و

تستطيع أن تضبط شهواتها ، وترتفع إلى الانسانية حتى في القتال ، و حينئذ يكون الدين الاسلامي هو أوّل مرحب و أول مستجيب...

ويضاف إلى ذلك ان الاسرى الذين يقعون في يد الاسلام كانوا يعاملون تلك المعاملة الكريمة الحسنة التي وصفناها من قبل ، ولا يلقون الهوان و التعذيب ، و كان يفتح أمامهم باب التحرير حين تسعى نفوسهم إليه ، و تحتمل تبعاته ، وإن كان معظمهم في الواقع لم يكن حرّاً قبل اسره ، و إنما كان من الرقيق الذى إسترقه الفرس و الرومان، و دفعوه إلى قتال المسلمين ، أما النساء فقد كرمهن في رقهن عما كن يلقين في غير بلاد الاسلام ، فلم تعد إعراضهن نهباً مباحاً لكل طالب على طريقة البغاة ، و كان هذا مصير أسيرات الحروب في أغلب الأحيان ...

وإنما جعلهن ملكاً لصاحبهن فقط لايدخل عليهن أحد غير مالكهن ، و جعل من حقهن نيل الحرية بالمكاتبة تارة ، وبولادتهن لسيدهن ولداً يحررمعهن ولدهن تارة اخرى ، وبالعتق ثالثة ، وبالتنكيل رابعة ... وكن يلقين من حسن المعاملة ما أوصى به الدين الاسلامي .

تلك قصة الاسترقاق في الاسلام صفحة مشرفة في تاريخ البشرية ، و ان الاسلام لم يوافق على الرق من حيث المبدأ ، ولا من حيت المنتهى بدليل أنه سعى تمام السعي إلى تحرير الارقاء بشتى الوسائل، وجفّف منابعه لكي لايتجدد.



﴿ شبهات و دفع ﴾

ان أعداء الله جل وعلا وأعداء الاسلام و المسلمين عامة ، و ان الشيوعيين عمياء القلوب وفاقدى العقول خاصة لعنادهم على الدين الاسلامى أو جدوا شبهات واهية حول الرقيق لزلزلة عقائد المسلمين عموماً ، وعقائد الشبان خصوصاً ، و لتنفير غير المسلمين عن البحث و التحقيق حول حقائق الاسلام ومبانيه العالية، ومعارفه الرفيعة ... ونحن نذكر أهم تلك الشبهات الواهية عندهم ثم ندفعها كما أنها مدفوعة فى ذاتها :

فقالوا: انه لو كان الاسلام صالحاً لكل عصر كما يدّعيه هو نفسه ويروّجه دعاته لما أباح الرق ، و إن إباحته الرق لدليل قاطع على أن الاسلام قد جاء لفترة محدودة ، و انه أدّى مهمّته و أصبح فى ذمة التاريخ ... وتجاه هذه الشبهة الواهية الخبيثة الملعبة التى يلعبها الشيوعيون لصدّ الناس عن حقائق الدين الاسلامى الخالد صار الناس على طوائف ثلاث :

الطائفة الاولى: المتحيّرون وهم يسئلون : كيف أباح الاسلام الرق ؟ هذا الدين الذى لاريب فيه ، ولا فى نزوله من عند الله جل و علا ولا شك فى صدقه ، وفى أنه جاء لخير البشرية وسعادتها كلها فى جميع أجيالها ... كيف أباح الرق ؟ هذا الدين الذى قام على المساواة الكاملة الدين الذى ردّ الناس جميعاً إلى أصل واحد وعاملهم على أساس هذه المساواة فى الأصل المشترك.

كيف جعل الرق جزء من نظامه وشرع له... أو يريد الله تعالى للناس أن

ينقسموا دائماً إلى عبيد وسادة؟ أو تلك مشيئته في الارض؟ أو يرضى الله للمخلوق الذي كرّمه إذ قال: «ولقد كرّمنا بني آدم» أن يصير طائفة منهم سلعة تباع، و تشترى كما كان الحال مع الرقيق؟ وإذا كان الله عزوجل لايرضى بذلك، فلما ذالم ينص الكتاب الكريم صراحة على إلغاء الرق كمانصّ وجوب الصلاة والزكاة و الحج و الجهاد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و ما إليها من الواجبات ؟؟؟ و قدنصّ تحريم الخمر و الميسر و الربا والكذب و الجساسة و الغيبة و الافتراء والنمامة و السرقة و هتك الأعراض المحترمة وسفك الدماء و الظلم و الزنا، وما إليها من المحرمات..

الطائفة الثانية: المؤمنون وهم الذين عرفوا حقائق الاسلام و معارفه، و عرفوا انه دين الحق، و هم الذين لن يرتابوا فيه أبداً.

قال الله عزوجل فيهم: «إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون» الحجرات:١٥)

الطائفة و الثالثة: المستحمرون الحمقاء و التابعون الجهلاء ... و هم الذين أفسد الاستعمار عقولهم وعقائدهم، و أعمى قلوبهم... فانهم لم تلبثوا حتى تتبين لهم حقيقة الأمر بل مالوا إلى هذه الملعبة دون مناقشة فيها، فيقولون: ان الاسلام نظام عتيق، و أهله إرتجاعيون، و استنفد أغراض الاسلام...

وغيرها من الشبهات الواهية التي كلها مدفوعة من المدفوعات الذاتية...

و أما دفعها على طريق الاختصار: فينبغي أن ينظر الذين ألقت عليهم تلك الشبهات إلى أحوال الأرقاء، والذين يرقّونهم لأنفسهم قبل الاسلام ليكشف لهم واقع الامر ويتبيّن لهم قدر تلك الشبهات، فيفظع ملقوها... ومالا يمكن الانكار لأحد أن الرقيق كان في عرف الرومان «شيئاً» لابشراً ولم يكن للرقيق حقاً أبداً، و كان عليه كل ثقيل من الواجبات، فحينئذ لابد من السؤال: وهو ان هذا الرقيق من أين أتى؟ هل أتى من طريق الغزو ولم يكن هناك غزو لفكرة،

ولا لمبدأ بل كان سببه الوحيد شهوة إستعباد الآخرين ، و تسخيرهم لمصلحة الرومان لكي يعيش الروماني عيشة البذخ و الترف يستمتع بالحمامات الباردة و الساخنة و الثياب الفاخرة ، و أطايب الطعام من كل لون.

ويغرق في المتاع الفاجر من خمر ونساء و رقص وحفلات و مهرجات ، و كان كل ذلك لاستعباد الشعوب الاخرى و إمتصاص دمائها كما كان مصر مثلا لذلك حين كانت في قبضة الرومان قبل أن يخلصها من نيرهم ونيرانهم الاسلام إذ كانت حقل قمح للامبراطورية، وموردا للاموال فيسبيل هذه الشهوةالفاجرة كان الاستعمار الروماني ، و كان الرق الذي نشأمن ذلك الاستعمار ، فلم يكن للرقيق كيان البشر ولا حقوق البشر كانوا يعملون في الحقول ، و هم مصفدون في الاغلال الثقيلة التي تكفي لمنعهم من الفرار ولم يكونوا يطعمون إلا إبقاء على وجودهم ليعملوا ولم يكن للرقيق من حقهم شيء حتى كالبهائم و الأشجار، فيأخذوا حاجتهم في الغذاء ، و كانوا هؤلاء الرقيق الذليلين في أثناء العمل يساقون بالسوط لغير شيء إلا اللذة الفاجرة التي يحسها السيدأو و كيله في تعذيب هذه المخلوقات...

ثم كانوا هؤلاء الارقاء ينامون في (زنزانات) مظلمة كريهة الرائحةتعيش فيها الحشرات و الفئران ، فيلقون فيها عشرات عشرات ... وقد يبلغون خمسين في الزنزانة الواحدة باصفادهم ، فلا يتاح لهم حتى الفراغ الذي يتاح بين بقرة وبقرة في حظيرة الحيوانات .:. ولكن الشناعة الكبرى كانت شيئاً أفظع منذلك كله ، و أدل على الطبيعة الوحشية التي ينطوي عليها ذلك الروماني القديم ، و التي ورثها عنه الأوروبا الحديث في وسائل الاستحمار و الاستعمار و الاستثمار والاستغلال و الاستعباد مع هذه الشناعة يلقي في أذهان الناس شبهات ليصد الناس عن حقائق الاسلام ...

وقد كانت تلك حلقات المبارزة بالسيف و الرمح ، و كانت من أحب

المهرجات إليهم، فيجتمع إليها السادة وعلى رأسهم الامبراطور أحياناً ليشاهدوا الرقيق يتبارزون مبارزة حقيقة توجه فيها طعنات السيوف و الرماح إلى أي إمكان في الجسم بلاتحرز ولا إحتياط من القتل، بل كان المرح يصل إلى أقصاه، و ترتفع الحناجر بالهتاف و الأكف بالتصفيق ، و تنطلق الضحكات السعيدة العميقة الخالصة حين يقضي أحد المتبارزين على زميله قضاء كاملا، فيلقيه طريحاً على الارض فاقد الحياة.

وذلك كان الرقيق في العالم الروماني ، ولا نحتاج أن نقول شيئاً عن الوضع القانوني للرقيق عندئذ ، و عن حق السيد المطلق في قتله و تعذيبه و إستغلاله دون أن يكون له حق الشكوى ، ودون أن يكون هناك جهة تنظر في هذه الشكوى أو تعترف بها ، فذلك لغو بعد كل الذى سردناه ، ولم تكن معاملة الرقيق في فارس و الهند و غيرهما تختلف كثيراً عما ذكرنا من حيث إهدار إنسانية الرقيق إهداراً كاملا ، وتحميله بأثقل التكاليف والواجبات والاعمال... دون إعطائه حقاً مقابلها ، وإن كانت تختلف فيما بينها قليلا أو كثيراً في مدى قسوتها وبشاعتها .

﴿الاسترقاق قبل الاسلام﴾

ومن البيّن : ان إسترقاق الاقوياء للضعفاء قديم في شعوب البشر لامراء فيه ، و قد كانت شعوب الحضارة القديمة من المصريين و الصينيين و اليونان والروم والهنود والفرس والعرب والبابليين و غيرهم ... وقد كانت قوانين الامم السالفة إطلاقاً بالنسبة للاسترقاق في غاية القسوة والفظاظة تتخذ الرقيق، وتستخدمه في أشق الاعمال وتعامله بمنتهى الظلم و الغلظة ، والجور والقسوة . . . حتى كان في بعض البلاد ليس للرقيق من الحق ما لبعض الحيوانات الداجنة كالكلب وغيره ...

وقد أقرّته الديانتان: اليهود والنصارى ، وظلّ الرقيق مشروعاً عند الافرنج، ولأجل إعطاء القارىء صورة مصغرة عن حالة الرقيق قبل الاسلام نأتي له على تلخيص حالته في الامم المشهورة السابقة .

أما المصريون : فكانوا يعتبرون الرقيق كآلة الانتاج أو كأداة من أدوات الزينة فكان يكثر الملوك و الكهان و المترفون من إقتناء المماليك للزينة و الخدمة ، و لم يكن للارقاء أدنى حق مدني في تلك العصور الخانقة ، و كان للسيد تمام الحرية في إبقاء رقيقه أوقتله . . . ثم هذه القسوة والفظاظة المتناهية تلطفت شيئاً فشيئاً حتى إنتهى أمر الرقيق إلى حالة لاترضاها روح العدل إذ قضت القوانين المصرية : ان من قتل عبداً قتل به ...

و أما الصينيون : فكان مسموحاً لهم أن يعاملوا عبيدهم بأيّة معاملة شاؤا.

و أما اليونانيون : فقد بالغوافى إحتقار الارقاء وشايعهم فلاسفتهم الكبار حتى أن أرسطو الذى يعتبر أكبر عقل ظهر في الأقدمين كان يعتبر العبد آلة ذات روح أو كمتاع متمتع بحياة ، وكان يقسم النوع البشرى إلى قسمين : الاحرار والارقاء ...

و قد كان اليونانيون يميزون بين الامم التي يغزونها ، و يعتبرون أهلها عبيداً لهم ، و بين العبيد الذين يشترونهم من الأسواق ، فالأوّلون كانوا أرقاء بمعنى الكلمة ، ولكنهم كانوا تابعين لأرضهم يباعون ويشرون معها .

و أما العبيد الآخرون فكانوا تحت رحمة مواليهم لايحميهم منهم لاقانون ولاعرف كانت أثينا سوقاً كبيرة للعبيد ، وكان اليونانيون يكثرون من إقتناء العبيد لا للخدمة فقط بل لتشغيلهم أيضاً وأخذوا اجورهم ، واليونانيون وإن لم يستعملوا جميع حقوقهم على عبيدهم ، فكانوا يكتفون بمعاقبة مذنبيهم بكيّهم بالنار على جباههم وإجبارهم على إدارة الطواحين بدل البهائم ، وكان فى بلاد اليونان عبيد معتوقون ، ولكنهم لم يكن لهم أدنى حق مدنى ، فكانوا بمثابة الحيوانات وكان عليهم أن يؤذوا واجبات معينة لساداتهم مادامو فى هذه الحياة .

وأما الرومانيون : فكانت وجوه الاسترقاق عندهم كثيرة ، فكانوا يعدون الامم المغلوبة أرقاء يعتبرون الذين يولدون من الاماء أرقاء و كان فى القانون مادة بها يجرد الشخص من جريته ، فيصبح رقيقاً و كان أسرى الحروب يباعون فى روما بأثمان بخسة ، و كانوا يسرقون الاطفال ليبيعوهم والنساء ليتخذوهن سرارى .

نعم ان الرومانيين كانوا يعتبرون الاتجار بالرقيق من المهن الساقطة ، ولكن ذلك لم يكن ليمنعهم من شدة العناية بها لانها كانت تجارة رابحة ، و قد كان من عادتهم عرض الرقيق على حجر عال فى السوق ليراه كل طالب للشراء و كانوا يبيعونه علناً بالمزايدة ، كان الرقيق محروماً من كل حق بل كان معتبراً

من الأشياء و كان لسيده أن يبقيه أو يقتله لا يسئله فى ذلك أحد ، فكان من عقوبات الأرقاء أثقالهم بالحديد و إجبارهم على الحراثة أو تعليقهم من أرجلهم ، و وضع الأجسام الثقيلة فى أيديهم وضربهم ضرباً ميرحاً حتى يفارقوا الحياة .

و أما الهنود : فكانت شريعتهم تنص على أن الرقيق لم يخلق إلاّ لخدمة البرهمى ، و ذلك ان الديانة البرهمية كانت مقسمة الهيئة الاجتماعية إلى طبقات أربع : أولها طبقة البراهمة ، وآخرها طبقة السودرا ، فالسودرا لم يخلق فى إعتقادهم إلاّ لخدمة البراهمة و توفير لذاتهم حتى ان السودرا لو خلاه سيده فلا تزول عنه صفة العبودية لأى برهمى كان من الهيئة الاجتماعية و كانت قوانينهم تقضى بقتل السودرا لأقل هفوة ، فاذا اتفق وسبّ أحد البراهمة أو أحداً من الطبقتين الاخريين كان جزاوه القتل على أشنع صورة وهو سلّ لسانه و قطعه ، و إذا ذكر السودرا أحد ساداته البراهمة مما يشعر بالاحتقار فجزاؤه أن يدس إلى فمه خنجر طوله عشرة أصابع محمى بالنار .

وإذا تطاول إلى وعظ البراهمة فجزاؤه أن يملأ فمه واذنيه بالزيت المغلى و إذا تجاراً فسرق شيئاً من أحد البراهمة فعقابه أن يحرق حياً ، و إذا تجاسر و سبّ أحد القضاة ، فقصاصه أن يخترق جسمه بسفود (سيخ) و ان يشوى على النار .

و أما الاسترقاق : عند قبائل الفرنك أصل الفرنسيين فكان فى غاية القسوة ونهاية الفظاعة حتى نص قانونهم على أن الحر إن تزوّج برقيقة وقع فى الاسترقاق مثلها ، و إن الحرة إن تزوجت برقيق فقدت حريتها كذلك .

و كانت قبائل الويز يغوط تشدد النكير فى مسئلة تزاوج الاحرار بالارقاء حتى نص قانونهم على أن المرأة الحرة إذا تزوجت بعبدها فعاقبها أن تحرق هى وهو حيين .

و كذلك قبائل الاستروغوط ، لقد كانوا يقتلون المرأة التى تتزوج بعبد .

و أما الفرس : فكانوا من الامم المكثرين من الاسترقاق تبعاً لحالة الترف التى كانوا فيها و كان مقتضى شريعتهم ان الملك ليس له أن يذهب مذهب الغلو فى معاقبة عبده من أجل هفوة ، ولكنه أن عادلها بعد أن يكون قد عوقب عليها ، فله أن يقتله .

ثم جاء الاسلام ، و هذا عالم الرقيق و أحواله ، و هذه معاملة السادة مع عبيدهم .

«الاسترقاق عند اليهود و النصارى»

وقد أقرّته الديانتان: اليهود و النصارى.

وقد نصّ الانجيل على أن الناس كلهم اخوان، ولكنه لم ينص على منع الاسترقاق، و لذلك أقرته جميع كنائس النصارى على إختلاف أنواعها، ولم ترفيه أقل حرج، وقد ذكر بولس أحد حوارى عيسى عليه السلام العبيد فى رسالته إلى الافسيين و أمرهم بـاطاعة مواليهم كمايطيعون المسيح نفسه، و ذكر فى رسالته إلى تيمو شاوس ان الـواجب على العبيد أن يبالغوا فـى إحترام مواليهم و خدمتهم، ثـم نصّ بأن تلك تعاليم المسيح، و وصم بالجهل كل من قال غير ذلك.

و اوصى الحوارى بطرس الأرقاء فى رسالته بـأن يخضعوا لمو اليهم و أن يخشوهم هذا ولم يرمن جاء من باباوات النصارى، ولا قـد يسيهم حرجاً مـن إقرار الاسترقاق حتى قال القديس باسيليوس فى كتابه القواعد الأدبية بعدأن اورد بعض ما جاء فى رسالة بولس إلى أهل افسس: «هذا يدل علـى أن العبد تجب عليه طاعة مواليه تعظيماً لله عزوجل»

وقال القديس توماس فى كتابه أن الطبيعة قضت علـى بعض الناس بـأن يكونوا أرقاء، و استشهد على نظريته بالشريعة الطبيعية و الشريعتين الـوضعية و الالهية.

وقال القسيس المشهور: «بـوسويت» الفرنسى: ان مـن حـق المحارب

المنتصر قتل المقهور فان استعبده و استرقه ، فذلك منه منّة و فضل ورحمة ، و قد بقى الاسترقاق معتبراً من الامور المشروعة لدى المسيحيين إلى هذا القرن .

وقد جاء فى دائرة معارف (لاروس) ان رجال الدين الرسميين يقرون على صحة الاسترقاق و يسلمون بشرعيته .



﴿حياة الارقاء فى الاسلام﴾

ومن غير مراء ان من تدبّر فيما جاء من الآيات القرآنية و الروايات الواردة فى الاحسان والرحمة والرأفة على الأرقاء، وفيما كان عليه غير المسلمين قبل الاسلام وبعد طلوعه إلى اليوم من شدة القسوة، وغاية الفظاظة، ونهاية الظلم على الأرقاء يجد حياة للارقاء فى الدين الاسلامى فقط.

قال الله عزوجل: «و اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً - و ماملكت أيمانكم» النساء: ٣٦

فانظر و تدبر كيف يوصى الله جل وعلا الانسان بالاحسان إلى رقيقه.

وفى الرواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد أوصانى حبيبى جبرائيل بالرفق بالرقيق حتى ظننت ان الناس لاتستعبد ولا تستخدم»

وفى رواية: عن عبدالله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اتقوا الله فى الضعيفين: المملوك و المرأة».

وفى رواية: قال النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى مرض وفاته: «الصلاة وماملكت أيمانكم» وقد كانت هذه آخر كلمة نطق بها فى الحياة الدنيا.

وفى رواية: عن ام سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا الله فى الصلاة وفيما ملكت أيمانكم»

وفى رواية: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «إخوانكم خولكم ـ أى مما ليككم ـ جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم» .

على أن السيد لو كان زاهداً متقشفاً لم يحل له أن يجبر عبده على الاكتفاء من الطعام و اللباس بمثل ما يأكله هو ويلبسه بل عليه أن يوفيه حقه منها، و يجب على السيد نفقة المملوك و كسوته بالمعروف بحسب البلدان و الأشخاص سواء كان من جنس نفقة السيد أو فوقه حتى لوقتر على نفسه تقتيراً خارجاً عن عادة أمثاله إما زهداً أوشحاً، فلا يحلّ له التقتير على المملوك وإلزامه بموافقته إلاّ مايرضاه.

وقد بالغ الاسلام في حمل المسلمين على رعاية أرقائهم ، و يعتق العبد بطرق عديدة غير تحرير مالكه : من طريق الكتابة و التدبير و التنكيل و الزمن و العمى و الجذام و ما إليها على ماورد في الكتب الروائية والفقهية في بابى المملوك و العتق ...

و لزيادة تخفيف الأمر على الأرقاء نهى رسول الله ﷺ الناس عن أن يقولوا : هذا عبدى ، فقال ﷺ : لايقل أحد كم عبدى امتى وليقل فتاى وفتاتي وغلامي .

وهذا شأن تعاليم الاسلام في إحترام حياة الأرقاء و العطف عليهم ، و قد سار المسلمون على هذه الاصول، فكان أرقائهم أحسن ارقاء العالم حالاً، وقداندمج كثير منهم في اسرساداتهم ، بل بلغ كثير منهم أقصى الرتب و الألقاب فصاروا وزراء .

فجاء الاسلام ليرد البشر إنسانيتهم ، جاء الاسلام ليقول لسادة الرقيق : «و من لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات» النساء : ٢٥)

جاء الاسلام ليقرر وحدة الـأصل و المنشأ و المصير فقال : «أنتم بنو آدم و آدم من تراب» وقال : «لا فضل لسيد على عبد لمجرد ان هذا سيد وهذا عبدو إنما الفضل للتقوى» وقال الله عز وجل : «يا أيها الناس إنا خلقناكم مـن ذكر و انثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم»الحجرات:١٣)

وقال : «ألا لافضل لعربى على أعجمى ، ولا لأعجمى على عربى ، ولالأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلاّ بالتقوى» .

جـاء الاسلام ليأمـر السادة أمراً أن يحسنوا معاملتهم للـرقيق ، وجعل معاملة الاحسان بهم معاملة الاحسان بالوالدين ، معاملة الاحسان بذى القربى و اليتامى ، معاملة المساكين و ابن السبيل ، و معاملة الجيران والصاحب .

إذ قال : «و اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحسانـاً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجارذى القربى والجارالجنب والصاحب بالجنب و إبن السبيل و ماملكت أيمانكم» النساء : ٣٦)

ولعمرى!لولا آية ولا رواية فى حياة الارقاء فى الدين الاسلامى إلاّ هذه الاية الكريمة لكانت وحدها كافية فى تحريق عـروق كل شبهة وتقطيع ملقيها و تقطيع دابره ...

وجاء الأسلام ليقرران العلاقة بين السادة والرقيق ليست علاقة الاستعلاء والاستعباد، ليست علاقة التسخير و التحقير ، وليست علاقة التذليل والاستثمار... بل هى علاقة القربى و الاخوة : «فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الديـن» الاحزاب : ٥)

ومن كان تحت يـده أخـوه فليطعمه مما يطعم ، و ليلبسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه ولا طاقة له ، و إن كلّفه فيجب الاعانة ... ومن عجيب الكلام فى رعاية مشاعر الرقيق قول النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «لايقل أحدكم : هذا عبدى و هذه امتى ، وليقل : فتاى و فتاتى وغلامى»

وأنت لاتنسى ان الرومان القديم، والاوروبا الحديث ومن إليهم لايعدّون الرقيق شيئاً.

وأما الاسلام فلم يكتف بأن الرقيق شيء، بل عرّفه انه بشر، له روح كروح السادة و يجب على السادة المعاملة مع رقيقهم معاملة والديهم مع أن الامم الاخرى تعدّ الرقيق جنساً آخر غير جنس السادة، و خلقاً ليستعبد و يستذل...

ومن هنالم تكن ضمائرهم تتألم من قتل الرقيق وتعذيبهم و كيّهم بالنار، و تسخيرهم فى الأعمال الشاقة حتى كانت الهنود تعتقد ان الرقيق خلقوا من قدم الاله، و من ثمّ فهم بخلقتهم حقراء مهينون، ولا يمكن أن يرتفعوا عن هذا الوضع المقسوم لهم إلاّ بتحمّل الهوان و العذاب عسى أن تنسخ أرواحهم بعد الموت فى مخلوقات أفضل، وبذلك تضاف إلى لعنة الوضع الشيء الذى يعيشون فيه لعنة اخرى روحية تقضى عليهم أن يرضوا بالذل ولا يقاوموه.

وأما الاسلام: فجاء ليرفع الرقيق إلى مستوى الاخوة الكريمة لافى عالم المثل والاحلام فحسب بل فى عالم الواقع يشهد به التاريخ الذى لن ينكره أحد حتى الصليبيون المتعصبون من أهل اوروبا بأن معاملة الرقيق فى صدر الاسلام بلغت حداً من الانسانية الرفيعة لم تبلغه فى أيّ مكان آخر حدّاً جعل الرقيق المحررين يأبون مغادرة سادتهم السابقين مع أنهم يملكون ذلك بعد أن تحرروا إقتصادياً و تعودوا على تحمل تبعات أنفسهم لأنهم يعتبرونهم أهلا يربطهم بهم مايشبه روابط الدم، فاصبح الرقيق كائناً إنسانياً له كرامة يحميها القانون العدل الالهى، ولا يجوز الاعتداء عليها بالقول ولا بالفعل، وأما القول فقد نهى رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم السادة عن تذكير أرقائهم بأنهم أرقاء و أمرهم أن يخاطبوهم بما يشعرهم بمودة الأهل وينفى عنهم صفة العبودية.

وقال رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم لهم فى معرض هذا التوجيه: «ان الله

ملكهم إياهم ولوشاء لملكهم إياكم » فهى إذن مجرد ملابسات عارضة جعلت هؤلاء رقيقاً وكان من الممكن أن يكونوا سادة لمن هم اليوم سادة ، و بذلك يغض من كبرياء هؤلاء ، ويردهم إلى الآصرة البشرية التى تربطهم جميعاً ، و المودة التى ينبغى أن تسود علاقات بعضهم ببعض.

وهو مبدأ صريح الدلالة على المساواة الانسانية الكاملة بين الرقيق و السادة ، وصريح فى بيان ضمانات التى يحيط بها حياة هذه الطائفة من البشر التى لايخرجها وضعها العارض عن صفتها البشرية الأصيلة ، وهى ضمانات كاملة وافية تبلغ حداً عجيباً لم يصل إليه قط تشريع آخر من تشريعات الرق فى التاريخ كله لاقبل الاسلام ولا بعده ، حتى جعل لطم العبد فى غير تأديب مبرراً قانونياً لتحرير الرقيق ، وجعل للتأديب حدوداً معينة لايجوز أن يتعد عنها السادة ، و يؤدبه كما يؤدب إبنه.

كل ذلك حياة و تحرير روحى للرقيق بردّه إلى الانسانية ، ومعاملته على أنه بشر كريم لايفترق عن سيده من حيث الأصل ، و إنما الرقيق ظروف عارضة حدّث من الحرية الخارجية للرقيق فى التعامل المباشر مع المجتمع ، وفيما عدا هذه النقطة كانت للرقيق كل حقوق البشر ، ومن البحث الآتى توضح حياة الارقاء فى الدين الاسلامى وضوحاً أكثر مما تقدم فانتظر.

﴿ المكاتبة و اسباب العتق ﴾

قال الله عزوجل : « و الذين يبتغون الكتاب مما ملكت إيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً و آتوهم من مال الله الذى آتاكم» النور : ٣٣)

ان القرآن الكريم يحثّ على المكاتبة بين العبد ومولاه، ومعنى الاية الكريمة : و الذين يطلبون المكاتبة منكم أيها الموالى من العبيد و الاماء فكاتبوهم .

وفى المقام مسائل فقهية جدير لنا الاشارة إليها :

مسئلة ١ ـ ان الكتاب ههنا المكاتبة وهى أن يقول الرجل لمملوكه : « كاتبتك على ألف درهم ...» فان أدّاها عتق . و معناه : كتبت لك على نفسى أن تعتق منى إذا وفيت بالمال ، و كتبت لى على نفسك أن تفى بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال و كتبت عليّ العتق .

فتقرّ مع عبيدك أن يعطيك مالاً معيناً فى نجم أو نجوم معينة فينعتق بذلك فهى دالة على جوازها مطلقاً حالاً أومؤجّلا منجّماً بنجم واحد أومتعدد، وهى مشروطة و مطلقة ، وعلى مال قليل و كثير ، عيناً ومنفعة .

وفى الأمر : «فكاتبوهم» خلاف بين الفقهاء المفسرين : فمنهم من قال : انه للندب ، و منهم من قال : انه للوجوب إذا وجدالشرط ، و هو وجد ان الخير فى المملوك وهو الصلاح أو القدرة على تحصيل مال الكتابة و الأمانة .

ومنهم من قال : فى الأمر بيان لمشروعية الكتابة و هى مستحبة مع الأمانة و الكسب ، فان سئلها العبد تأكد الاستحباب ، ولولم يكن العبد أميناً ولاقادراً على الكسب فهى مباحة ، فالامر للندب لأصالة عدم الوجوب سواء سئل العبد الكتابة بقيمته أو بأزيد أوأنقص . و الصواب عندى هو الثانى من الاقوال وعليه المحققون من الفقهاء المفسرين .

مسئلة ٢ـ يجب على الموالى إعطاء ما يصدق انه من المال الذى أعطاهم الله تعالى لقوله : «و آتوهم من مال الله الذى آتاكم» فيجب على الموالى إعطاء المماليك المكاتبين من المال الذى أعطاهم الله جل وعلا إياه، فيعطونهم إعطاء اً عرفياً لامثل فلس واحد أو درهم واحد.

مسئلة ٣ـ يجوز أن يعطى المولى مملوكه المكاتب من الزكاة بأن يسقط من مال الكتابة ، و يحسب عليه من الزكاة ، وهو من لهم الرقاب كما يجوز ذلك للمسلمين أن يؤتوا الزكاة لفك الرقاب .

مسئلة ٤ـ ان الكتابة معاملة مستقلة ، فليست بيعاً للعبد من نفسه لانتفاء لوازم البيع ولا عتقاً بصفة إذا العتق غير قابل للتعليق حال الحياة .

مسئلة ٥ـ ان قوله تعالى : «والذين يبتغون» يشير إلى إشتراط بلوغ العبدو عقله فان الصبى و المجنون لاقصد لهما معتبر ، و كذا يشترط جواز تصرّفه .

مسئلة ٦ـ يشترط الأجل فى المال للمنع عن جهالة وقت الحصول .

مسئلة ٧ـ لاتصح كتابة العبد الكافر لقوله تعالى : «إن علمتم فيهم خيراً» فلا خير فى الكافر ، على أن المراد بالخير الأمانة والاكتساب بناء على حمل المشترك على كلا معنييه ، ولان فيه تسليطاً للكافر على المؤمن ، ولانه يعطى

من الـزكاة ، و الكافـر لايعطى منها ، ولايـرد المؤلف قلبه إذ إعطاؤه لغرض التقوّي به على الجهاد .

مسئلة ٨ـ ان المراد بالعلم هيهنا هو الظن المتأخم بالعلم .

مسئلة ٩ـ إذاوجبت الزكاة على السيد وجب عليه إعانةمكاتبه لقوله تعالى: «و آتوهم من مال الله» فيكون مشروطاً بوجوب حصول المال و هو الزكاة لان شرط الواجب واجب ، و إن لـم تجب إستحب إعانته لانـه تعاون علـى البر و التقوى ، فيدخل تحت قوله عزوجل : «و تعاونوا على البرو التقوى» المائدة: ٢) ولانه فك رقبة ، فيدخل تحت قوله تعالى : «فك رقبة»

مسئلة ١٠ـ لايتقدّر مـا يعطيه السيد قلة و كثرة لاطلاق اللفظ ، ولكن الاحتياط هو بحسب المقدور .

مسئلة ١١ـ لايتعيّن زمانه ، نعم يتضيّق إذا بقى على العبد ما يسمّى مالاً.

مسئلة ١٢ـ لو أخلّ بالايتاء حتى إنعتق بالأداء لـوجب القضاء لاخلالـه بالواجب فى وقته ، فيجب قضاؤه ، ولو انعتق بغير الأداء لم يجب .

مسئلة ١٣ـ يجب على المكاتب القبول إذا كان من عين مال الكتابة أو مثله ، و إن كان من غير جنسه ، فكذلك على الأحوط .

مسئلة ١٤ـ لو دفع إلى مكاتبه المشروط شيئاً من الزكاة الواجبة عليه، ثم عجز فردّه رقاً وجب على السيد ردّ المال ، وصرفه إلى المستحقين ولوكان من زكاة غيره ردّه على مالكه ليصرفه فى مستحقيه ، ولو كان من المندوبة من السيد ، فله و كذا إن كان من غيره . وأما أسباب حصول العتق فكثيرة :

أحدها : أن يحصل العتق مباشرة منجّزة بغير عوض ، وهـو العتق بقول مطلق ، وله عبارتان : التحرير بلاخلاف كقولك: «أنت حرّ لوجه الله» والاعتاق على خلاف كقولك : «أنت عتيق أو معتق لوجه الله» ولابدفيه مـن اللفظ والنية

وقصد القربة لكونه عبادة عظيمة .

ثانيها : مباشرة معلقة على الموت بغير عوض ، وهو المسمى في إصطلاح الفقهاء تدبيراً .

ثالثها : مباشرة بعوض منجّم ، و هذا هو المسمى كتابة كما سبقت آنفاً .

رابعها : ملك الرجل أحد العمودين أو أحد المحرمات عليه نسباً بغير خلاف ورضاعاً على خلاف ، و الحق فيه العتق ، و ملك المرأة أحد العمودين خاصة .

ومن الآيات التي يستدل بها على ذلك قوله تعالى: «حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم...» النساء : ٢٣)

بأن إذا ملك الانسان أحد والديه أو ولده ذكراً كان أم انثى أو اخته أو عمته أو خالته أو واحدة من المحرمات عليه في النكاح من ذوي أرحامه انعتقوا في الحال ، ولم يثبت لهم معه إسترقاق على حال، و ذلك بالنسبة إلى المحرمات النسبية ، و أما إذا كانوا من جهة الرضاع، فلا يثبت إسترقاتهم أيضاً لان التحريم عام لقوله ﷺ : « يحرم من الرضاع مايحرم من النسب » على أنه لايصح ملكهن من جهة الرضاع .

ويدلّ فحوى قوله تعالى : « و امهاتكم اللاتي أرضعنكم و أخواتكم من الرضاعة» النساء : ٢٣)

على تحريم البنات و العمات و الخالات و بنات الأخ و بنات الاخت من الرضاع على ما سبق في باب النكاح .

ويستحب للانسان إذا ملك من سواهم من ذوي أرحامه كأخيه أو إبن أخيه ، و إبن اخته أو عمه أو خاله ، و من إليهم من ذوي الارحام أن يعتقه .

خامسها : مباشرة عتق نصيبه من المشترك يوجب عتق الباقي عليه، ويلزمه القيمة مع يساره بها فاضلا عن قوت يومه، و دست ثوبه لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعتق شركاً له من عبد وله مال قوّم عليه» وكذا لو اعتق بعض عبده سرى عليه بطريق الاولى، و لأن رجلا أعتق بعض غلامه، فقال الامام علي عليه السلام: «هو حرّ ليس لله شريك»

سادسها : لو نكّل بعبده عتق عليه.

سابعها : إذا عمي العبد أو أقعد أو اجذم عتق عليه.

ثامنها : إذا أسلم العبد وخرج إلى دار الاسلام عتق على سيده لقوله تعالى: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» النساء: ١٤١) ويدل بعمومه أيضاً على أن الكافر إذا اشترى عبداً مسلماً فالبيع باطل، وكذا إذا أسلم مملوك لذمي لايقرّ عنده بل يباع من مسلم و يعطى ثمنه الذمي.

تاسعها ـ إذا استولد امة كان ذلك موجباً لعتقها بعد موته على ولدها من نصيبه. ولافرق في عتق ام الولدبين أن تضعه تاماً أوغير تام، و إن أسقطت نطفة ولا يجوز بيعها مادام ولدها حياً إلاّ في مواضع :

الاول : ثمن رقبتها مع الاعسار به.

الثاني: أن يفلس مولاها قبل علوقها.

الثالث : أن تكون مرهونة ولحق الاستيلاد.

الرابع : أن تجني جناية تستغرق قيمتها.

الخامس: أن تسلم في يد سيّدها الكافر.

السادس : أن يموت قريبها ولا وارث سواها.

السابع : أن يعجز المولى عن نفقتها.

الثامن: موت سيدها مع إستغراق الدين لتركته.

التاسع: بيعها على من تنعتق عليه.

العاشر: بيعها بشرط العتق على الاقرب.

﴿ لماذا لم يبطل الاسلام الاسترقاق من حيث المبدأ ﴾

ومن معجزات الدين الاسلامي أن اعدائه يوجدون في أذهان الناس شبهات واهية حول الاسلام ، فيقيمون دعاة الاسلام برفعها ، ويقررون الحقائق والمعارف التي كانت خفية على أكثر الناس من قبل ، فاذن تظهر عداوة الاعداء ، وفظاحتهم بما أشاعوا من الشبهات ...

و هنا يخطر السئوال الحائر على الأفكار والضمائر : بأن الاسلام إذا كان قد خطا هذه الخطوات المتقدمة نحو تحرير الرقيق ، و سبق بها العالم كله متطوعاً غير مضطر ، ولامضغوط عليه ، فلما ذا لم يخط الخطوة الحاسمة الباقية ، وهي أن يعلن بصراحة كاملة بالغاء الرق من حيث المبدأ ، وبذلك يكون قد أسرى للبشرية خدمة لاتقدر ويكون هو النظام الأكمل الذي لاشبهة فيه .

والجدير حقاً بأن يصدر عن الله تعالى الذي أكرم بني آدم وفضلهم على كثير ممن خلق ، وللاجابة على هذا السئوال لابد و أن ندرك حقائق إجتماعية و سيكلوجية وسياسية أحاطت بموضوع الرق ، ونعرف الرق و معاملة السادة مع أرقائهم قبل الاسلام لنعلم سبب تأخير هذا الاعلان .

فنذكر اولا : ان الاسلام جاء والرق نظام معترف به في جميع أنحاء العالم كما عرفت سابقاً كان الرق عملة إقتصادية وإجتماعية متداولة لايستنكرها أحد، ولا يفكر في إمكان تغييرها أحد كاحدى المعاملات المتداولة الاخرى بين الناس ، بمعنى انه كان حادثاً إجتماعياً له عوامل طبيعية تقتضيه يدوم مادامت

تلك العوامل ، وقد عدّه علماء العمران سبباً لرقي النوع الانساني درجة أو درجتين في سلم العمران والمدينة .

جاء في دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنسية ما يأتي : « إن الحروب أفادت النوع البشري كثيراً حتى ان أسوأ نتيجة من نتائجها ، وهي الاسترقاق لم تخل من فائدة كبيرة ومزية عظيمة ، ولا يستغربن القارىء هذا الامر فان ترقي النوع البشري قد يأتي أحياناً من طرق لا يظن مجيئه منها ، فبالاسترقاق تحررت المرأة من ذلّ الاسر الذي كانت فيه عند بعلها ، فانها كانت عنده لا تفترق عن العجماوات والبهائم ، ولما جاء الرقيق دفع عن كاهلها كثيراً من المصاعب التي كانت منوطة بأدائها ، وأسماها شيئاً ما في عين الرجل لان دخول الغريب في اسرة يقضي على أفرادها باحترام بعضهم بعضاً أمامه.

كل هذه المزايا أثر على المرأة تأثيراً حسناً أهلها لأن ترقى درجة من التهذيب ، و بترقي المرأة يحسن شأن النوع الاسري وارتقى تبعاً لها إلى معارج الفلاح أما الآن فلم يبق ضرورة للاسترقاق ، فان الاعمال قد خفت وطأتها عن عواهن البشر وجاءت الآلات الميكانيكية ، فأراحت الانسان كثيراً عما كان عليه في الأزمنة السابقة »

ولذلك كان تغيير هذا النظام أومحوه و إلغائه أمراً يحتاج إلى تدرج شديد و زمن طويل ، كما كان إبطال شرب الخمر وتحريمها إلى بضع سنين لأنها كانت عادة شخصية قبل كل شيء ، و إن كانت ذات مظاهر إجتماعية ، و كان بعض العرب أنفسهم في الجاهلية يتعففون عنها ، ويرون فيها شراً لا يليق بذوي النفوس العالية ، والرق كان أعمق في كيان المجتمع ونفوس الافراد لاشتماله على عوامل شخصية وإجتماعية وإقتصادية وسياسية ، ولم يكن أحد يستنكره و لذلك كان إبطاله في حاجة إلى زمن أطول مما تتسع له حياة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهي الفترة التي كان ينزل فيها الوحي بالتنظيم والتشريع .

والله عز و جل هو أعلم بمن خلق ، فلو كان الله تعالى يعلم أن إبطال الخمر يكفي فيه اصدار تشريع ينفذ لساعته و يترك شربها من اعتاد به باختياره لما حرّمها الله جل وعلا في بضع سنين ، ولو كان يعلم أن إبطال الرق يكفي له مجرد اصدار مرسوم بالغائه لما كان هناك سبب لتأخر هذا المرسوم .

جاء الاسلام ووضع الاسس الكاملة للتحرير عتقاً ومكاتبة، وأشار إلى الطريق الذي ينبغي أن تسلكه الانسانية للخلاص من هذه المشكلة القديمة حتى يجيء الوقت المناسب للقضاء عليها نهائياً ، و ان الاسلام لم يجيء لتغيير طبايع البشر ، و إنما نزل الاسلام و جاء لتهذيب البشر في حدود فطرتهم و طبيعتهم البشرية ، والارتفاع بهم دون كبت ولا قهر إلى أقصى ما يستطيعونه من إرتفاع ، وقد وصل إلى حدّ الاعجاز من تهذيب بعض الافراد... ووصل في ذلك من حيث النوع والكم إلى ما لايحصل إليه نظام آخر في التاريخ .

و لكنه مع ذلك كله لم يكن مكلفاً أن يحول جموع الناس إلى هذا المستوى النادر و لو أراد الله عز و جل ذلك لخلق الناس منذ البدء ملائكة و كلّفهم تكاليف الملائكة : « لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون » التحريم : ٦)

و لكن الله تعالى خلق الانسان مختاراً في التكاليف ، ويعرف جل وعلا طاقاتهم والمدى اللازم لانضاجهم ، وان الاسلام هو الذي بدأ حركة تحرير الرق في العالم ، وهو الذي جفف منابع الرق القديمة كلها ، ولو لا منبع جديد يفيض بالرق في كل مكان بسبب الحرب لتمّ نهاية الأمر في الرق بعد سنين .

ونذكر ثانياً : ان الحرية لا تمنح ، وإنما تؤخذ و تحرير الرقيق باصدار مرسوم لم يكن ليحرر الرقيق والتجربة الاميريكية في تحرير الرقيق بجرة قلم على يد (أبراهم لنكولن » خير شاهد لما نقول ، فالعبيد الذين حرّرهم لنكولن من الخارج بالتشريع لم يطيقوا الحرية ، وعادوا إلى سادتهم يرجونهم أن يقبلوهم

عبيداً لديهم كما كانوا لأنهم من الداخل لم يكونوا قد حرّروا بعد، والمسئلة على غرابتها ليست غريبة حين ينظر إليها على ضوء الحقائق النفسية.

فالحياة عادة والملابسات التى يعيش فيها الانسان هى التى تكيف مشاعره وتصوغ أحاسيسه و أجهزته النفسية والكيان النفسى للعبد يختلف عن الكيان النفسى للحر لا لأنه جنس آخر كما توهم القدماء بل لان حياته فى ظل العبودية الدائمة جعلت أجهزته النفسية تتكيّف بهذه الملابسات، فتنمو أجهزة الطاعة إلى أقصى حدّ وتضمر أجهزة المسؤولية، وإحتمال التبعات إلى أقصى حدّ فالعبد يحسن القيام بكثير فى الاموحين يأمره بها سيده، فلا يكون عليه إلاّ الطاعة و التنفيذ ولكنه لايحسن شيئاً تقع مسئوليته على نفسه.

ولو كان أبسط الأشياء لا لأن جسمه يعجز عن القيام بها، ولا لأن فكره فى جميع الأحوال يعجز عن فهمها، و لكن لان نفسه لا تطيق إحتمال تبعاتها، فيتخيل فيها أخطاراً موهومة، و مشكلات لاحل لها، فيفرّ منها إبقاء على نفسه من الاخطار... ومن أنعم النظر إلى الدول المستعمرة فى العهود الأخيرة يدرك أثر هذه العبودية والرقية التى وضعها الاستعمار الخبيث فى نفوس المستعمرين ليستعبدهم للغرب يدركها فى المشروعات المعطلة التى لا يعطلها فى كثير من الأحياء إلاّ الجبن عن مواجهة نتائجها، والمشروعات المدروسة التى لا تنفذها الحكومات حتى تستقدم خبيراً إنجليزيا أو آمريكيا... ليحتمل عنها مسئولية المشروع، ويصدر الاذن بالتنفيذ والشلل المروع الذى يخيم على الموظفين فى الدواوين، ويقيد انتاجهم بالروتين المتحجر لأن أحداً من الموظفين لايستطيع إلاّ ما يأمره به سيده الموظف الكبير.

وهذا بدوره لايملك إلاّ إطاعة سيده لالأن هؤلاء جميعاً يعجزون عن العمل بل لأن جهاز التبعات عندهم معطل، وجهاز الطاعة عندهم متضخم، فهم أشبه شيء بالعبيد، و ان كانوا رسمياً من جملة الأحرار هذا التكليف النفسى للعبد

هوالذى يستعبده وهو ناشىء فى أصله من الملابسات الخارجية بطبيعة الحال، ولكنه يستقل عنها، ويصبح شيئاً قائماً بذاته كفرع الشجرة الذى يتدلى إلى الارض ثم يمد جذوراً خاصة به، ويستقل عن الأصل، وهذا التكليف النفسى لا يذهب به اعلان تصدره الدولة بالغاء الرق، بل ينبغى أن يغيّر من الداخل بوضع ملابسات جديدة تكيف المشاعر على نحو آخر، وتنمى الأجهزة الضامرة فى نفس العبد، وتصنع كياناً بشرياً سوياً من كيانه المشوّه الممسوخ.

وأما الاسلام: فقد بدأ أولا بالمعاملة الحسنة للرقيق، ولا شىء كحسن المعاملة يعيد توازن النفس المنحرفة، ويرد إليها إعتبارها، فتشعر بكيانها الانسانى وكرامتها الذاتية، وحين ذلك تحسّ طعم الحرية فتتذوقه ولا تنفر منه كما نفر عبيد آمريكا المحررون، وقد وصل الاسلام فى حسن معاملته للرقيق ورد الاعتبار الانسانى لهم إلى درجة عجيبة ذكرناها من طريق الكتاب والسنة، ونذكر هنا أنموذجة اخرى:

منها: كان رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يؤاخى بين بعض الموالى، وبعض الأحرار من سادة العرب كما آخى بين بلال بن رباح وخالد بن رويحة الخثعمى وبين مولاه زيد وعمه حمزة وبين خارجة بن زيد وأبى بكر، وكانت هذه المؤاخاة صلة حقيقية تعدل رابطة الدم، وتصل إلى حد الاشتراك فى الميراث.

ومنها: فقد زوّج النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بنت عمته زينب بنت جحش من مولاه زيد، والزواج مسئلة حسّاسة جداً، وخاصّة من جانب المرأة فهى تقبل أن تتزوج من يفضلها مقاماً، ولكنها تأبى أن يكون زوجها دونها فى الحسب والنسب، والثروة وتحسّ ان هذا يحط من شأنها ويغض من كبريائها، ولكن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كان يهدف إلى معنى أسمى من كل ذلك، وهو رفع الرقيق من الوهدة التى دفعته إليها البشرية الظالمة الجائرة إلى مستوى أعظم سادة العرب من قريش.

ومنها : فقد أرسل مولاه زيداً على رأس جيش فيه الانصار و المهاجرون من سادات العرب ، فلما قتل ولى إبنه اسامة بن زيد قيادة الجيش ، و فيه أبوبكر و عمر فلم يعط المولى بذلك مجرد المساواة الانسانية ، بل أعطاه حق القيادة و الرئاسة على الأحرار ، و وصل فى ذلك إلى أن يقول : « إسمعوا و أطيعوا و لو إستعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تبارك وتعالى» فاعطى الموالى بذلك الحق فى أرفع مناصب الدولة كلها وهو خلافة المسلمين . هذه النماذج التى وضعها الاسلام كان المقصود بها تحرير الرقيق من الداخل أولا لكى يحسّ الرقيق بكيانه ، فيطلب الحرية ، و هذا هو الضمان الحقيقى للتحرير .

و ان الاسلام شجع على العتق وحثّ عليه بكل الوسائل ، و كان هذا نفسه جزاء من التربية النفسية للرقيق لكى يشعروا ان فى إمكانهم أن يحصلوا على الحرية ، ويتمتعوا بكل ما يتمتع به السادة من حقوق، فتزداد رغبتهم فى الحرية ، ويتقبلوا إحتمال التبعات فى سبيلها ، وهنا يسارع فى منحها لهم ، لأنهم حينئذ مستحقون لها قادرون على صيانتها .

وشتان بين النظام الذى يشجع الناس على طلب الحرية، ويهيىء لها الوسائل ثم يعطيها لهم فى اللحظة التى يطلبونها بأنفسهم ، و بين النظم الجائر الخبيث الملعون التى تدع الامور تتعقد وتتحرج حتى تقوم الثورات الاقتصادية والاجتماعية ، و تزهق الأرواح بالمئات و الألوف ثم لا تعطى الحرية لطلابها إلاّ مجبرة كارهة ...

وقد كان من فضائل الاسلام فى مسئلة الرقيق انه قد حرص على التحرير الحقيقى له من الداخل والخارج ، ولم يكتف بالقول من غير قصد و لا عمل كما فعل (لنكولن) باصدار تشريع لا رصيد له فى داخل النفوس مما يثبت عمق إدراك الاسلام للطبيعة البشرية وفطنته إلى خير الوسائل لمعالجتها ، وهذا إلى جانب

تطوعه باعطاء الحقوق لأصحابها مع تربيتهم على التمسك بها ، وإحتمال تبعاتها على أساس الحب والمودة بين جميع طوائف المجتمع قبل أن يتصارعوا من أجل هذه الحقوق .

كما حدث فى اروبا ذلك الصراع البغيض الذى يجفف المشاعر و يورث الأحقاد فيفسد كل ما يمكن أن تصيبه البشرية من الخير فى أثناء الطريق ، و نذكر العامل الأكبر الذى جعل الاسلام يضع الأساس لتحرير الرقبة ، ثم يدعه يعمل حتى ينتهى نهاية طبيعية بطيئة ان الاسلام قد جفف منابع الرق القديمة كلها فيما عدا منبعاً واحداً لم يكن فى طوقة أن يجففه وذلك هو رق الحرب.

وذلك انه كان العرف السائد يومئذ هو إسترقاق اسرى الحرب أوقتلهم ، وكان هذا العرف قديماً جداً موغلا فى ظلمات التاريخ يكاد يرجع إلى الانسان الأول ، ولكنه ظلّ ملازماً للانسان فى شتى أطوارها...

وجاء الاسلام والناس على هذا الحال ، ووقعت بينه وبين أعدائه الحروب، فكان الاسرى المسلمون يسترقون عند أعداء الاسلام ، فتسلب حرياتهم و يعامل الرجال منهم بالعسف و الظلم الذى كان يجرى يومئذ على الرقيق ، و تنتهك أعراض النساء لكل طالب يشترك فى المرأة الواحدة الرجل و أولاده و أصدقاؤه من يبغى الاستمتاع منهم بلاضابط ولانظام ولا إحترام لانسانية اولئك النساء أبكاراً كنّ أوغير أبكار ، أما الاطفال ان وقعوا اسرى ، فكانوا ينشأون فى ذلّ العبودية البغيض .

وعند ئذ لم يكن فى وسع الاسلام أن يطلق سراح من يقع فى يده من اسرى الاعداء ، فليس من حسن السياسة أن تشجع عدوك عليك باطلاق اسراه بينما أهلك وعشيرتك وأتباع دينك يسامون الخسف والعذاب عند هؤلاء الاعداء والمعاملة بالمثل هنا هى أعدل قانون تستطيع إستخدامه أوهى القانون الوحيد ، و إذن فقد كانت ضرورة لافكاك للاسلام منها مادام العدوّ مصرّ على إسترقاق

الاسرى ، والاسلام لاسلطان له عليه ضرورة تظلّ قائمة حتى يتفق العالم على مبدأ آخر في معاملة هؤلاء الاسرى غير مبدأ الاسترقاق .

فكانت هناك ضرورة لايملك الاسلام الخلاص منها لأنها لاتتعلق به وحده ، وإنما تتعلق بدول و أقوام لاسلطان للاسلام عليهم ، و هم كانوا يسترقون الاسرى المسلمين ويسومونهم سوء العذاب ، فلابد من معاملتهم بالمثل - في مبدأ الاسترقاق على الأقل ، و إن لم يكن في طريقة معاملة الأرقاء - وظلّ الاسلام مضطراً إلى عدم إلغاء الرق حتى يتفق العالم كله على تجفيف هذا المنبع الوحيد الذي يعترف به الاسلام مبرراً للرق في اللحظة التي يحدث فيها هذا الاتفاق يرجع الاسلام إلى قاعدته العظمى التي قررها بصراحة كاملة لامواربة فيها .

وهي الحرية للجميع والمساواة للجميع أما ماحدث في بعض العهود الاسلامية من الرق في غير اسرى الحروب الدينية ، ومن نخاسة وإختطاف و شراء المسلمين لايجوز إسترقاقهم أصلا ، فان نسبته إلى الاسلام ليست أصدق ولا أعدل من نسبة ملوك المسلمين اليوم إلى الاسلام بما يرتكبونه من موبقات وآثام ...

و ان الاسلام يقول لمتبعيه: « إخوانكم خولكم » و كان الفلاحون في أوروبا مثلهم كمثل الماشية يباعون مع أرضهم إلى الأغنياء ، وبقي ذلك فيهم إلى القرن الثامن عشر حتى جاءت الثورة الفرنسية فأحدثت الحرية الشخصية .

و ان الاوربيين الذين ينادون الآن بسيئات الاسترقاق ، ويتهمون المسلمين ودينهم بما هو ، و هو عنه براء كانوا أشد الامم كلباً على الاسترقاق ، وأفظعهم معاملة للرقيق .

«الاسترقاق بكلمة الحرية في عصر الفضاء»

كان الاسترقاق عند الامم المعاصرة لنا شائعاً إلى نحو القرن التاسع عشر ثم إتحدت الامم على إبطاله مريدين غيرمعناه إذ كانت حالة الأرقاء بعد ذلك سيئة جداً، فلم تغن هذه المدنية المادية عن الارقاء شيئاً، وقد كان القانون الذى شرع لتفصيل أحوال الارقاء يدعى فى كل امة من الامم المعاصرة بالقانون الاسود، و كان من مقتضى هذا القانون الوضيع الاسود الفرنسى الذى صدر سنة: ١٦٨٥ م أن الزنجى إذا اعتدى على الأحرار أو إرتكب جريمة السرقة عوقب بالقتل أو بعقاب بدنى آخر...

أما إذا أبق العبد فقد نصّ القانون: ان الآبق فى المرة الاولى، و الثانية يتحمل عقوبة صلم الاذنين و الكيّ بالحديد المحمى، فاذا أبق الثالثة قتل، و قتل الآبق كان معمولاً به أيضاً فى انجلترة إذ نصّت شريعتهم على ان من أبق من العبيد و تمادى فى إباقه قتل، وكان غير مسموح لذوى الألوان أن يحضروا إلى فرنسا لطلب العلم و الاستفادة، و كان مقتضى القانون الاسودان الحر إذا تزوّج بامة صار غير جدير بأن يشغل وظيفة فى المستعمرات...

والقوانين تصرح بأن للسيد كل حق على عبده حتى حق الاستحياء و الاماتة و كان يجوز للمالك رهن عبده ، و إجارته و المقامرة عليه و بيعه الخ ... كأنه بهيمة و كان لاحق لأسود أن يخرج من الغيظ ، ويطوف بشوارع المدن إلاّ بتصريح قانوني ، ولكن إذا اتفق و اجتمع في شارع واحد أكثر من سبعة من الارقاء ولو بتصريح قانوني كان لكل أبيض القاء القبض عليهم وجلدهم ، و قد صرّح قانونهم على أن ليس للعبد لاروح ولا عقل ، و ان حياتهم محصورة في أذرعهم .

وقد حرّرت الولايات الآميريكية رقيقها في أواخر القرن الثامن عشر الميلادى و تلتها انكلترة باتخاذ الوسائل لمنعه من العالم كله في أواخر القرن التاسع عشر ولكن لم يكن عمل كل منهما خالصاً لمصلحة البشر ، وجنوحاً للمساواة بينهم لان الاولي لاتزال تفضل الجنس الأبيض الاوربي المتغلب على الجنس الأحمر الوطني الأصلي بما يقرب من الاستعباد السياسي المباح عند جميع الافرنج للشعوب .

كما أن انكلترة تحتقر الهنود وتستند لهم، ولكن النهضة الهندية في هذا العهد قدخفضت من غلوائهم وطأمنت من أشناق كبريائهم، فكانت كلمة تحريرهم عين إسترقاق الضعفاء بل أكثر الناس ، ولكنهم كانوا يستعملون لفظاً ويريدون عكس معناه كما هو دأب الطغاة والدول القاسية الجائرة المستبدة في جميع الاعصار ... كلمة حق يراد بها الباطل.

ان الولايات الآميريكية لما حررت رقيقها كان بعضهم يضرب في الارض يلتمس وسيلة للرزق، فلا يجدها فيحور إلى سادته يرجو منهم العود إلى خدمتهم كما كان ، وليس ذلك إلاّ إسترقاقاً في الاسترقاق ، و كذلك جرى في السودان المصري ، فقد جرب الحكام من الانجليز أن يجدوا لهم رزقاً بعمل يعملونه

مستقلين فيه مكتفين به فلم يمكن.

فاضطروا إلى الاذن لهم بالرجوع إلى خدمة الرزق السابقة بيد أنها ان لاتسمح للمخدومين ببيعهم ، و الاتجار بهم هذا تحريرهم الارقاء لايخفى على أحد من الناظرين ولو بنظرة سطحية ان ذلك لم يكن تحريراً و إنما كان إسترقاقاً بكلمة الحرية لاستحمار الدولة الضعيفة و إستعمار الملل ، و إسترقاق منافعهم ، و ان الاسترقاق فى آمريكا الجنوبية ، فكان على غاية القسوة و الفظاظة والشدة .



«الاسلام وعتق الارقاء»

ان الله عزوجل قد شرّع لابطال الرق طريقين :

أحدهما ـ عدم تجديد الاسترقاق فى المستقبل ـ و قد علمت ان غرض الولايات الآميريكية و السودان وما إليهما هو تجديد الاسترقاق.

ثانيهما ـ تحرير الرقيق القديم بالتدريج الذى لاضرر ولا ضرارفيه .

أما الطريقة الاولى: فقد منع الدين الاسلامى جميع ما كان عليه الناس من إسترقاق الأقوياء للضعفاء لأغراض خبيثة باطلة إلاّ إسترقاق الاسرى والسبايا فى الحرب التى اشترط فيها: من دفع الاعداء الهاجمة والاعتداء والمفاسد، وتقرير المصالح العامة و مراعاة العدل ونشر الرأفة و الرحمة بين المجتمع البشرى... وهى شروط لم تكن قبل الاسلام مشروعة عند المليين ، ولا عند أهل الحضارة فضلا عن المشركين الذين لاشرع لهم ولا قانون.

وليس المراد من الاستثناء ان الله تعالى شرع للمسلمين هذا النوع من الاسترقاق بأن كل ما كانت الامم تفعله معاملة لهم بالمثل بل شرع فى الاسلام مراعاة المصلحة للبشر فى إمضائه أو إبطاله ، فخيّرهم فى اسرى الحرب الشرعية بين المنّ عليهم بالحرية و الفداء بهم ، وهو نوعان: فداء المال ، وفداء الانفس إذا كان لنا اسارى أو سبى عند قومهم .

قال الله تعالى : «فشدّوا الوثاق فاما منّاً بعد وإما فداء» محمد(ص): ٤)

وأما الطريقة الثانية : فجعل لها طرقاً عديدة :

أحدها - العتق - وهو أهم الطرق - وهو التطوع من جانب السادة بتحرير من فى يدهم من الأرقاء و قد شجع الاسلام على ذلك تشجيعاً كبيراً، و كان رسول الله الخاتم ﷺ القدوة الاولى فى ذلك إذ أعتق من عنده من الارقاء و تبعه فى ذلك أصحابه الذين كانوا ينفقون أموالهم فى شراء العبيد من سادة قريش الكفار ليعتقوهم ويمنحوهم الحرية تطوعاً بلا مقابل بل تقرباً إلى الله تعالى و وفاء بعبادته .

قال الله عزوجل : «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل والسائلين وفى الرقاب» البقرة : ١٧٧)

وقال : «فلا اقتحم العقبة و ما أدراك ما العقبة فك رقبة» البلد: ١١-١٣)

وقد كان بيت المال يشترى به العبيد من أصحابهم ويحررهم كلما بقيت لديه فضلة من مال .

وقد جعل الله تعالى سهماً للارقاء من مصارف الزكاة الشرعية المفروضة : إذ قال : «إنما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلفة قلوبهم وفى الرقاب» التوبة: ٦٠)

وهو يشمل العتق تماماً و الاعانة على شراء المملوك نفسه (الكتابة) فاذا أدت الزكاة على ما تجب على المسلمين ، و يصرف منها فى تحريرهم هل يوجد واحد من الارقاء بين المسلمين به كلاّ ثم كلاّ .

وفى حديث أبى ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه قال : سئلت رسول الله ﷺ : «أىّ العمل أفضل ؟ قال : ايمان بالله وجهاد فى سبيله» قلت : فأىّ الرقاب أفضل ؟ قال : أغلاها ثمناً و أنفسها عند أهلها .

وعن يحيى بن سعيد : «بعثنى عمر بن عبدالعزيز على صدقات إفريقية ،

فجمعتها ثم طلبت فقراء نعطيها لم نجد فقيراً ولم نجدمن يأخذها منا ، فقد أغنى عمر بن عبدالعزيز الناس فاشتريت بها عبيداً فاعتقتهم»

و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعتق من الارقاء من يعلم عشرة من المسلمين القراءة و الكتابة أو يؤدى خدمة مماثلة للمسلمين .

وهذا الامر هو القاعدة الأساسية التى هى المساواة الكاملة بين البشر ، و هى التحرير الكامل لكل البشر وفيها دلالة على أن الأصل فى الانسان هو الحرية ، و ان الرق من الطوارىء التى لابدمن رفعها من كل طريق ميسّر...

ثانيها ـ المكاتبة ـ وقد سبق منا الكلام فيها آنفاً ـ وقد جوّز الاسلام شراء المملوك نفسه من سيده بمال يكسبه يعبّر عنه بالمكاتبة، وقد أمر الله تعالى بها لمن يبتغيها ، و أمر بمساعدته عليه بالمال من المالك نفسه .

قال الله تعالى : «والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذى آتاكم» النور : ٣٣)

وفيها منح الحرية للرقيق متى طلبها بنفسه مقابل مبلغ من المال ينفق عليه السيد و الرقيق.

فالمكاتبة فتحت فيالواقع باب التحرير فى الاسلام لمن أحسّ فى داخل نفسه برغبة التحرير ، ولم ينتظر أن يتطوع سيده بتحريره فى فرصة قد تسنح أولا تسنح على مر الأيام ...

ثالثها ـ فرض الاسلام على العتق بملك الرقبة أو ثمنها ككفارة قتل النفس خطأ و كفارة الظهار و كفارة إفساد الصوم فى شهر رمضان المبارك عمداً بشرطه مخيراً و كفارة اليمين ، وتكفير الذنوب غير المعينة ، و هو من أعظم مكفراتها ، وقد نصّ القرآن الكريم على أن كفارة بعض الذنوب هي عتق الرقاب كما كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم على العتق تكفيراً عن أىّ ذنب يأتيه الانسان ، وذلك للعمل على تحرير أكبر عدد ممكن منهم ، فالذنوب لاتنقطع .

و كل إبن آدم خطاء إلاّ أن يكون معصوماً كما يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويحسن هنا

أن تشار إشارة خاصة إلى إحدى هذه الكفارات لدلالتها الخاصة فى نظرة الأسلام إلى الرق ، فقد جعل كفارة القتل الخطاء دية مسلمة إلى أهل القتيل و تحرير رقبة قال الله عزوجل : «ومن قتل مؤمناً خطاء فتحرير رقبة مؤمنة ـ و إن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة» النساء :٩٢)

وقال : «لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة» المائدة : ٨٩)

و القتيل الذى قتل خطأ هو روح إنسانية قد فقدها أهلها كما فقدها المجتمع دون وجه حق لذلك يقرر الاسلام التعويض عنها من جانبين: التعويض لأهلها بالدية المسلمة لهم ، و التعويض للمجتمع بتحرير رقبة مؤمنة ، فكأن تحرير الرقيق هو احياء لنفس إنسانية تعوض النفس التى ذهبت بالقتل الخطاء.

والرق على ذلك هو موت وشبيه بالموت فى نظر الأسلام على الرغم من كل الضمانات التى أحاط بها الرقيق، ولذلك فهو ينتهز كل فرصة لأحياء الارقاء بتحريرهم من الرق .

ويذكر التاريخ ان عدداً ضخماً من الأرقاء قد حرّر بطريق العتق ، و ان هذا العدد الضخم لامثيل له فى تاريخ الامم الاخرى لاقبل الأسلام ولا بعده بقرون عدة حتى مطلع العصر الحديث كما أن عوامل عتقهم كانت إنسانية بحتة تنبع من ضمائر الناس إبتغاء مرضاة الله تعالى ، ولا شيء غير مرضاة الله جل وعلا .

رابعها ـ التدبير وهو عتق لازم وهو أن يعتق مملوكه بعد موته ، فله أن يستخدمه مدة حياته ، ولكن ليس له أن يبيعه لانه صار حراً بعد موته .

خامسها ـ إذا ولدت الجارية لسيدها ولداً منه حرم عليه بيعها وهبتها لغيره وتصير حرّة بموته لاتورث عنه يعبّر عنها بام الولد .

سادسها ـ من ملك أحد أقاربه من الأب أو الام عتق عليه .

سابعها - إذا خرج الارقاء من دار الكفر إلى دار الاسلام يصيرون أحراراً .

ثامنها - من أعتق بعض عبده عتق كله عليه ، و إن كان البعض الاخر لغيره ، فله أحكام اخر .

تاسعها - من نكّل أو عذّب أو مثّل مملوكه بأن يقطع يده أو اذنه أو أنفه أو يضرب على عينه و يخصاه أوجبه عتقه عليه و زال ملكه عنه .

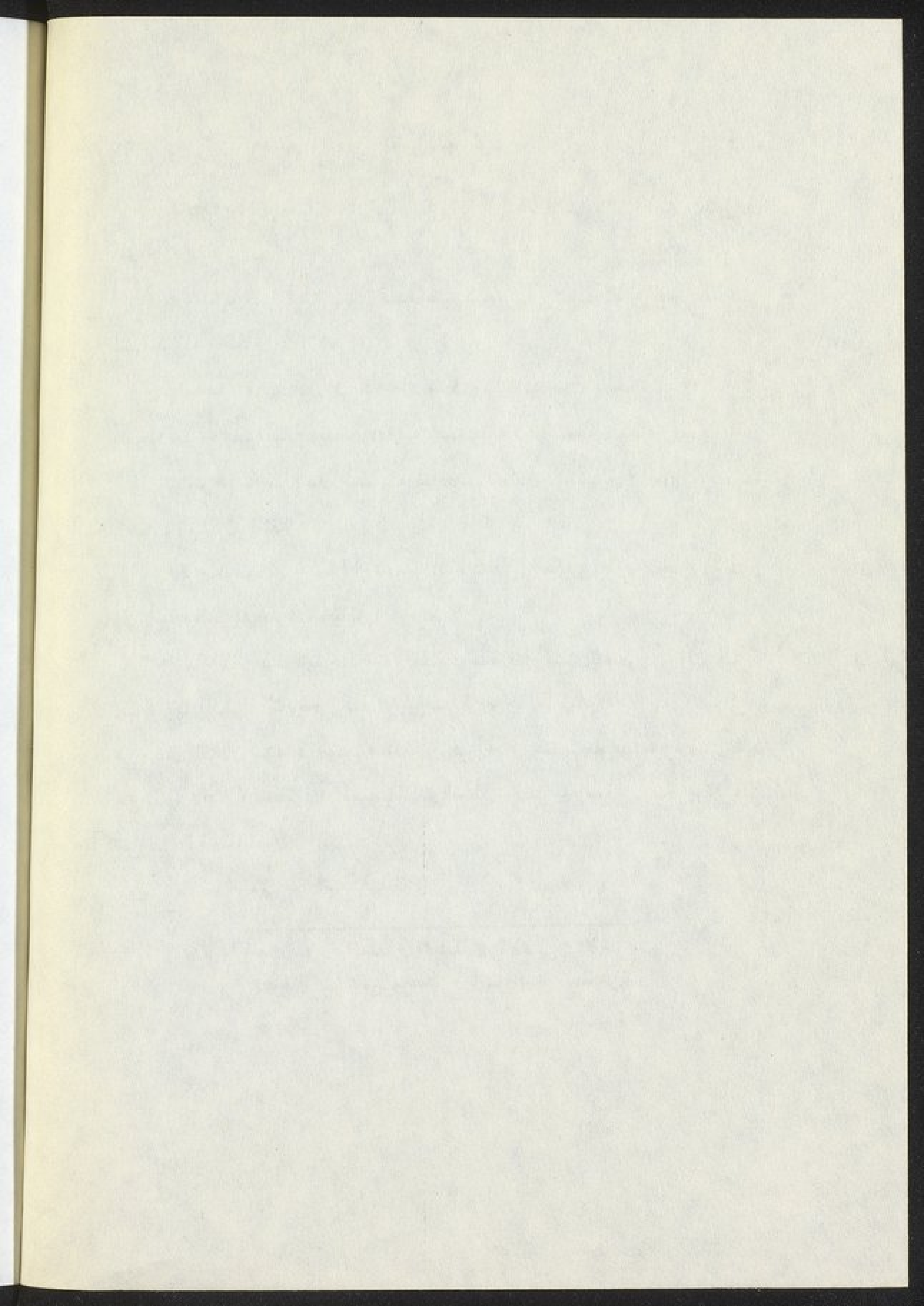
عاشرها - من آذى مملوكه بمادون التمثيل والتنكيل والعذاب الشديد، فكفارة ذنبه أن يعتقه .

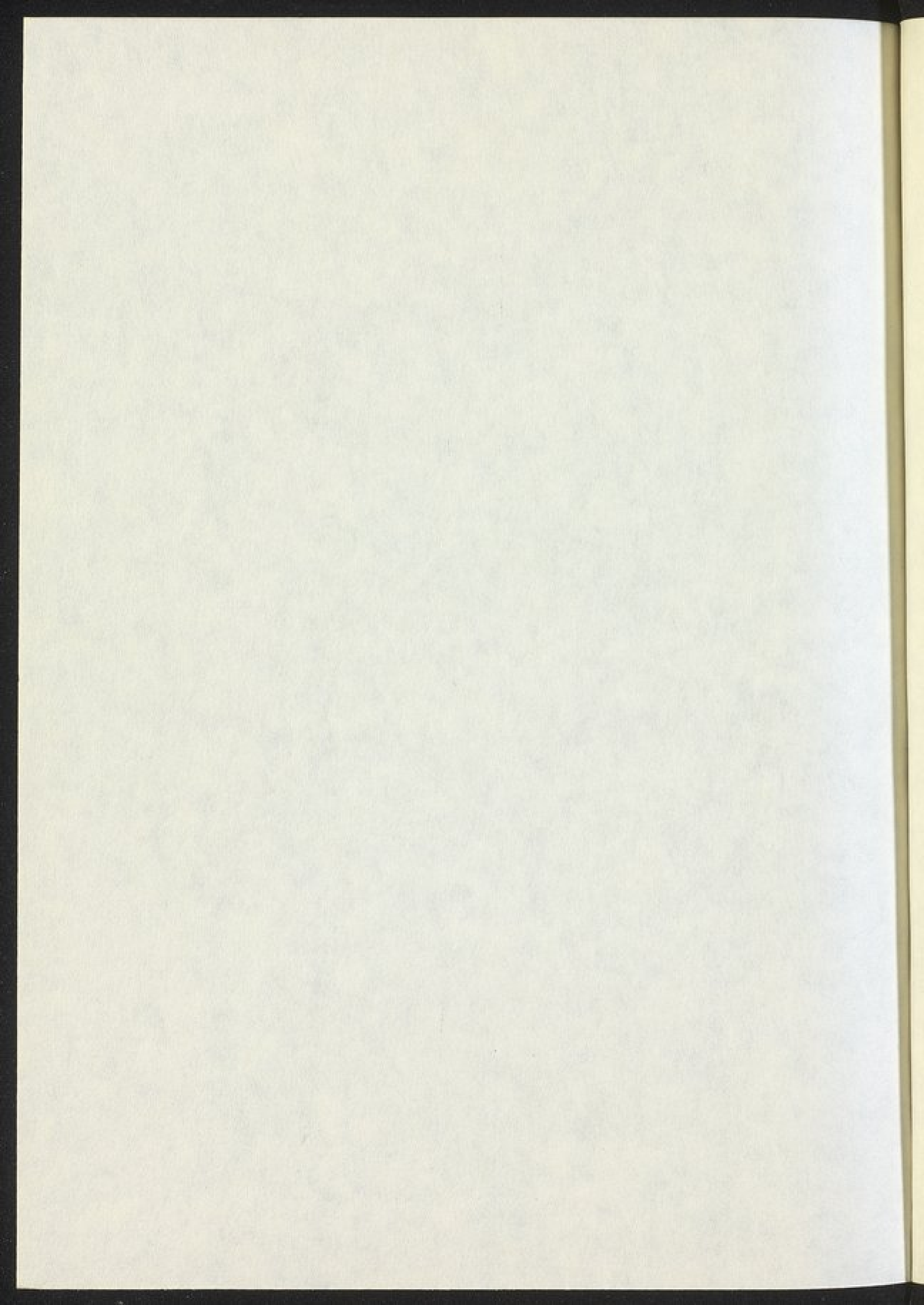
ولا يكون ذلك كله إلا تحرير الرقاق و إزالة الرقية و إرجاع الانسان إلى أصله الحرية بطرق مختلفة .

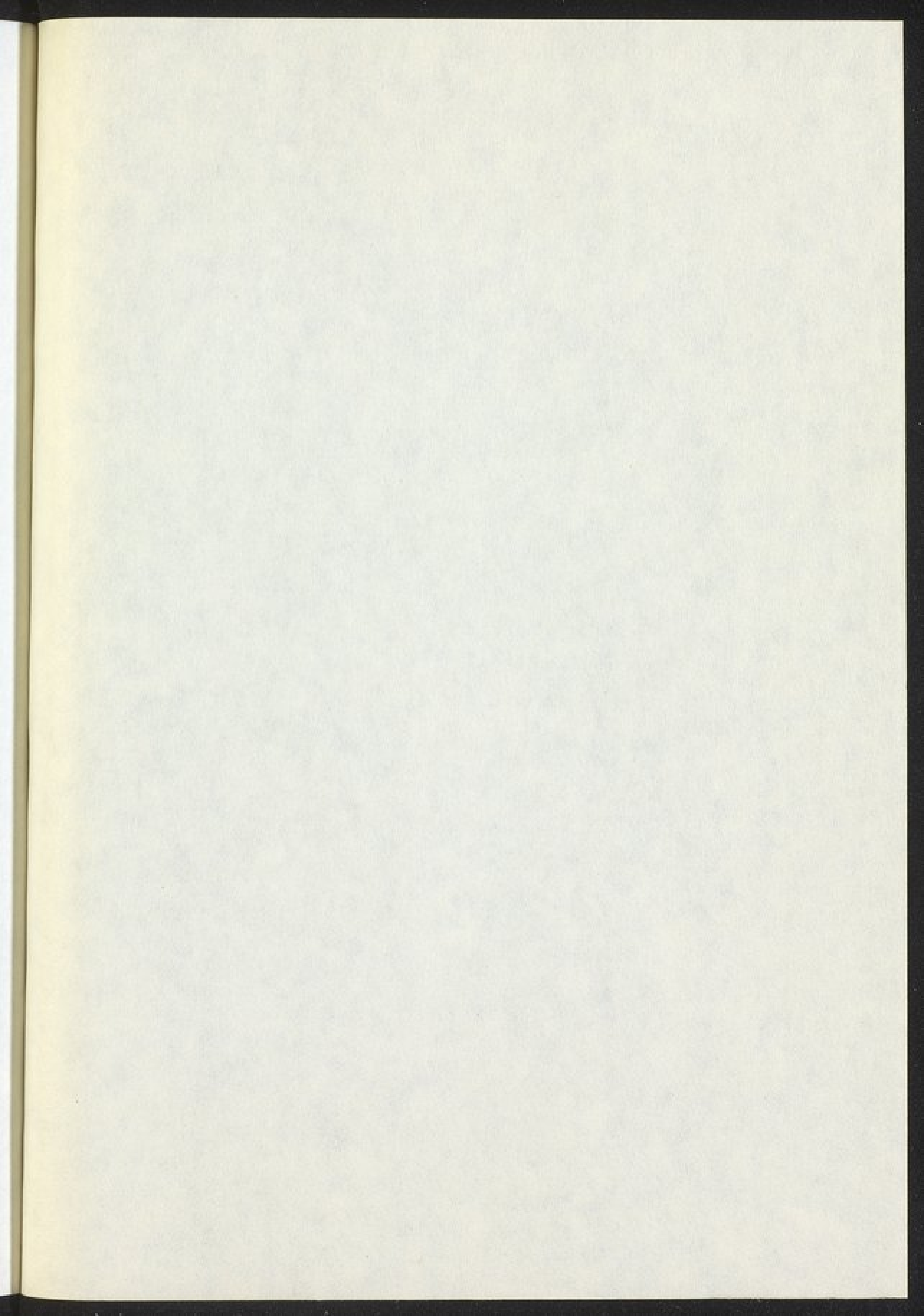
فقد خطا الاسلام خطوات فعلية واسعة في سبيل تحرير الرقيق ، وسبق بها التطور التاريخي كله لم يوجد ولن يوجد ما فعله الاسلام في باب الرق في مدى القرون سواء في حسن معاملة الرقيق أم في عتقه تطوعاً وغيره بغير ضغط من التطورات الاقتصادية أو السياسية التي إضطرت الغرب إضطراراً لتحرير الرقيق من غير واقع له أصلا .

و السلام على من اتبع الهدى .

تمت سورة البلد و الحمدلله الاولى والاخرة
وصلى الله على محمد و أهل بيته الطاهرة







فهرس ما جاء فى تفسير سورة الغاشية

يدور البحث حولها على فصلين :

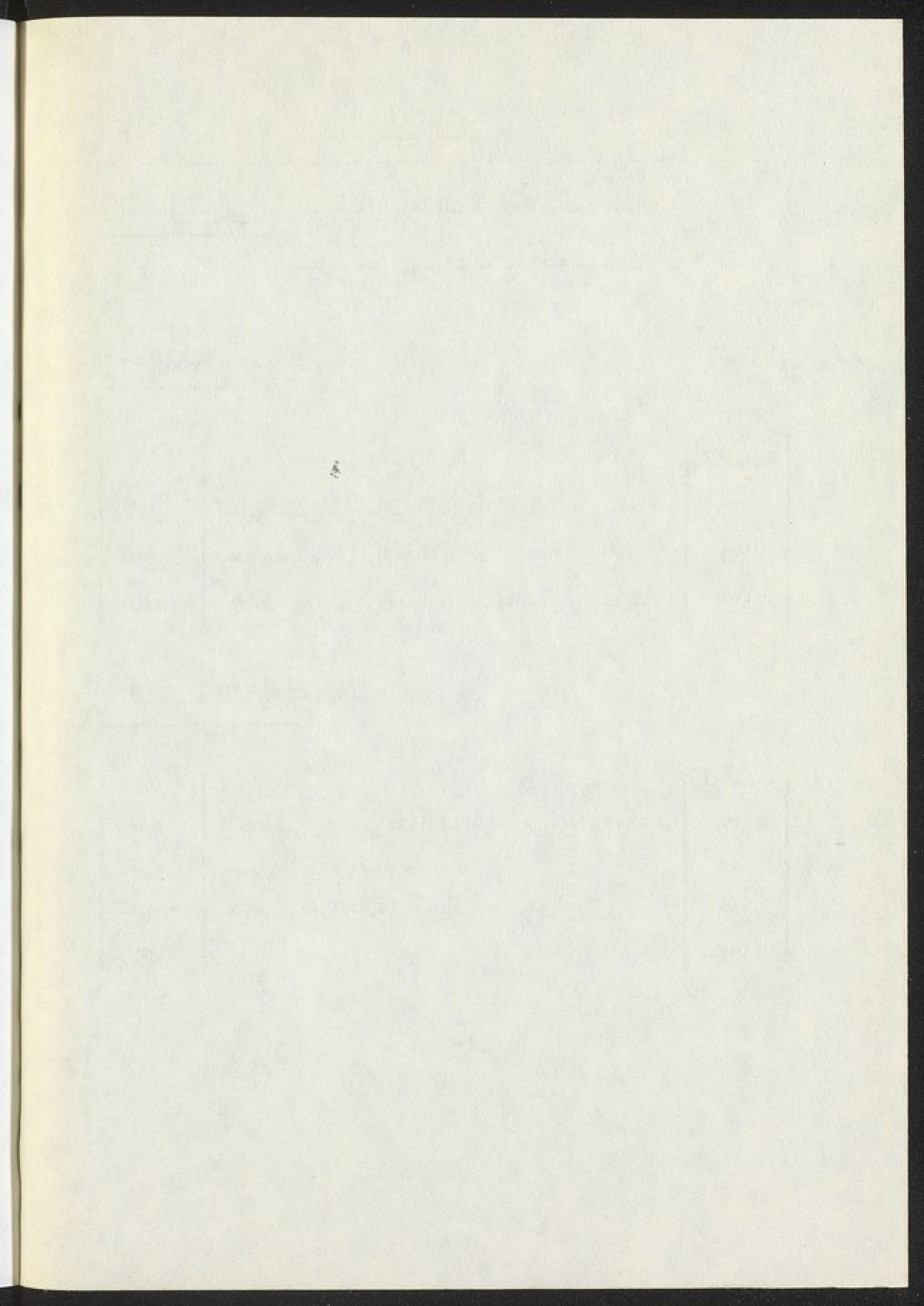
الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني : فى مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها فى سورة الغاشية وفيه بصيرتان :

احداهما ـ وفيها ثلاثة امور :

البصيرة الثانية : وفيها امور أربعة :



فهرس ما جاء في تفسير سورة الفجر

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

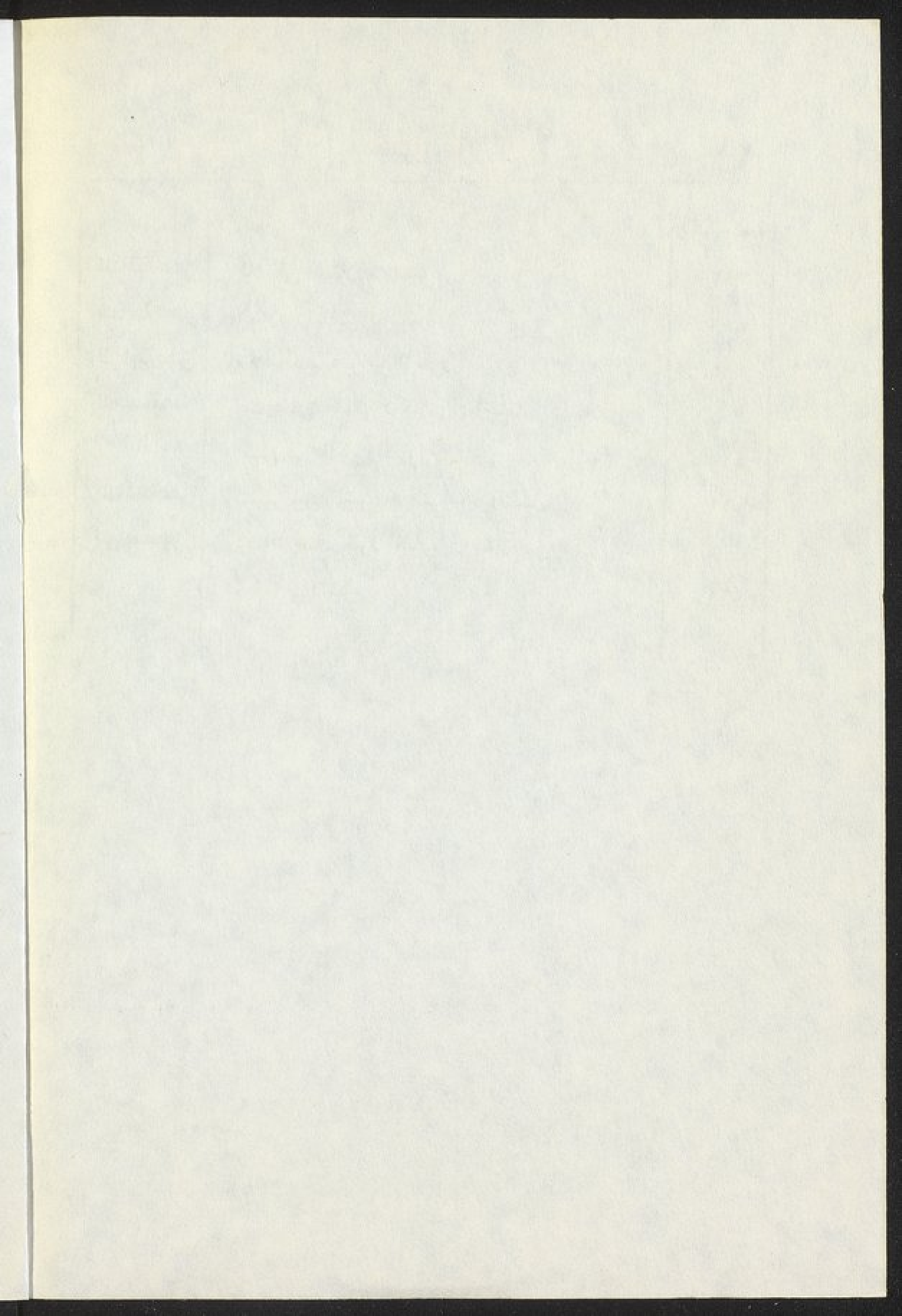
الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية

المبحوث‌عنها في سورة الفجر وفيه ثلاث بصائر :

البصيرة الاولى : وفيها امور ثلاثة :

البصيرة الثانية : وفيها ستة امور :

البصيرة الثالثة : وفيها سبعة عشر أمراً :



فهرس ما جاء في تفسير سورة البلد

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة البلد وفيه ثلاث بصائر :

البصيرة الاولى : وفيها ثمانية امور :

البصيرة الثانية: وفيها ثلاثة عشر أمراً:

البصيرة الثالثة : وفيها عشرة أمودا :

البصيرة الثالثة : وفيها عشرة أموراً :

